
سهام ترجمان
يا مال الشام

من القلب

بكثير كثير من الفرح الحقيقي ، تلقيت فيض المشاعر الصادقة ممن أغدق عليَّ من نبع محبته وكرم نفسه وحرارة تقديره وتشجيعه لقلمي ، فشد على يدي ووقف الى جانبي وساعدني ومهد لي الطريق الصعبة لاعادة طبع « ياما الشام » ليخرج الى عشاقه على هذه الصورة المفرحة ٠

بدأ الطبع في مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة ، ادارتي الغالية التي مر علي بها موظفة احد وعشرون ربيعا في ربيع هذا العام الدمشقي الذي بدأ يتفتح فيه بجنون زهر المشمش وزهر النارنج والليمون ، وانتهى الطبع في الخريف ٠

ومازلت في الادارة السياسية اربط قدري بالقلم ، بالكلمة ، بالحقيقة ، احقق ذاتي ككاتبة تهوى الوطن والانسان والحرية والادب والفن والتراث والحضارة ٠

الادارة هي بيتي واهلها هم اهلي ٠

ونهر من مشاعر المحبة والتقدير وعبارات الامتنان ، ينبع من قلبي ويصب في بحيرة كل من احب كتابتي وكتابي ، وكل من طالبني باعادة طبع « ياما الشام » وكل من ساعدني على اعادة الطبع ، ايام اصبح الطبع صعبا جدا وغاليا جدا ٠

نهر من المحبة الاخوية الانسانية الكبيرة ينبع من قلبي ويصب في بحيرة السيد رئيس الجمهورية العربية السورية ، القائد العام للجيش والقوات المسلحة الفريق حافظ الاسد ٠ ابن الوطن البار ، والقائد الحكيم ،

ابن الجبال الشم ، وابن اللاذقية عروس الساحل السوري وحفيدة اوغاريت مبدعة الابجدية الاولى · المحبة لهذا الرجل الانسان حافظ الاسد الذي احب دمشق الشام واحب أهلها · وسكن فيها وأعطاها واعطى أهلها من حبات قلبه ، فسجل له عطاؤه في سجل تاريخها الذهبي بخط عربي مذهب الحواشي والمعاني ·

اهل الشام ، وانا واحدة منهم ، نحمل لهذا الرجل في ذواتنا دنيا من المحبة والتقدير لما فعله ويفعله ، لوقف تيار هدم معالم حضارة دمشق وتمزيق هويتها العربية ، وللوقوف في وجه الحريق الكبير الذي مانفك يلتهم بغباء تاريخي ، البيوت العربية الدمشقية ، واشجار الغوطة وبساتين الشام ، فيحول واحة الشام الى صحراء بتوقعات علمية حتمية ·

اوامر الرجل الحازمة صدرت لتنقذ ماتبقى من جمال وسحر هذه المدينة العربية الاصيلة جسدا وروحا ، ولترد الكرامة والطمانينة وشعور الاستقرار وطيب العيش لاهل الشام الطيبين الشعبيين البسطاء الذين تعرضت بيوتهم العربية القديمة الجميلة للهدم بحجة التنظيم ·

وفي تاريخ ١٦ أيار عام ١٩٧٢ وفي مجلة « جيش الشعب » الصادرة عن الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة ، كتبت مقالا جريئا محموما في صيغة كتاب مفتوح الى رئيس الجمهورية العربية السورية السيد الرئيس حافظ الاسد بعنوان :

« نوح جديد في طوفان الشام »

كان له دوي كبير وأثر فعال في تحويل مجرى الطوفان ، لصالح الشام وأهل الشام ، واشعر بفخر كبير ، كفرد في هذا الوطن ، وصوت من هذه المدينة العاصمة ، وابنة محبة للشام وأهل الشام ، ان يلقى مقالي «الصدى» في صدر الرجل الكبير والاب العطوف ورب الاسرة المثالي ، ويكون « الامر » التاريخي ، بوقف طوفان الهدم وطوفان الدموع عن الشام واهل الشام ، الامر الذي يسعدني ان اثبته للاجيال وأضيفه للتاريخ ، واعلقه وساما على صدري مكافأة على محبتي للشام ·

قلت في كتابي المفتوح المرفوع الى السيد رئيس الجمهورية الفريق حافظ الاسد :

« دمشق القديمة الغالية على قلوب اهل الشام وعشاق الشام ، بكل حاراتها وبيوتها واسواقها وسكانها بحاجة الى « نوح جديد » كي ينقذها من طوفان ياكل الاخضر واليابس في حياتها . هذا الطوفان الخطير ينبع من « جبال محافظة مدينة دمشق » ، ومن ارصدة تجار البناء في البنوك ، ومن أزمة السكن المدمرة ومن الانفجار السكاني الهائل .

دمشق القديمة تهدم كلها ، ليعمر مكانها دمشق جديدة من الاسمنت والحديد والزفت .

وكتبت اخاطب الرئيس مباشرة :

وسمعت أن الاسر الدمشقية في الاحياء الشعبية ، الشيوخ والنساء ، النساء الارامل والاطفال ، يبكون على اعتاب المسؤولين والمهندسين في محافظة مدينة دمشق ، يبكون يقبلون الايادي يتوسلون ان يمهلهم من في قلبه رحمة حتى يجدوا ماوى ، ولا من يرد لان النظام نظام والامر امر ! !

وسمعت من سكان البيوت والعمارات الانيقة العالية في « المالكي » ، ان فلاحي بساتين الشام وخاصة بساتين الربوة الشهيرة التي خلدها الشعراء باشعارهم ، غرب شارع المالكي المزروع بالاسمنت الملون وعلب الكبريت . سمعت من السكان الاغنياء ، أن الفلاحين في بساتين الربوة يبكون يبكون ، لايريدون ان يتركوا بيوت الطين وبساتينهم وانهار بردى السبعة ولا احد يسمع البكاء . الارض تصادر ، يعطى لاصحابها ثمن رمزي ، تباع للاثرياء ولتجار البناء بطريق المزاودة بمبالغ خيالية ، ولا اعرف من يقبض الفائض ؟ !

اللجان الموقورة تتصرف بكل حزم ، لابد من الرحيل عن الارض ، لابد من الهدم ، هدم الاشجار الخضراء ، لنعمر اشجارا من حجارة يسكنها عصافير الجنة .

ويتطاول شارع المالكي ، ويسير نحو الربوة بخيلاء الطاووس ، وترتجف دواوين الشعر والتاريخ رعبا .

هذا الطوفان لاياخذ بطريقه الا بيوت الفقراء ، ليعمر مكانها عمارات عالية الطوابق انيقة الشرفات ، تعيش بالطول لا بالعرض ، بعضها يباع على الخريطة وبعضها على « العظم » وبعضها على « اللحم » . عمارات تصعد بشموخ على دمشق القديمة مخلفة وراءها « بكاء تاريخيا » واسرا بكاملها تبكي وتولول وتنوح لانها لاتجد المأوى .. ولانها تلقت امرا بالنزوح .

لم يفكر اصحاب « التنظيم » بان يهيئوا لهذه الاسر الشعبية الطيبة الفقيرة ، مدينة نموذجية تسترهم ، وتحميهم من التشرد داخل وطنهم ٠ قالوا لهم وعن طريق التلفزيون جملـة سمعتهـا بنفسي :

المواطن يجب أن « يدبر نفسه » ٠٠ هذه مشكلته ٠٠ نحن نعطيــه ثمن منزله ونطلب منه أن يبحث عن بيت آخر ويرحل ٠٠ ويجب ان يبحث عن حل لمشكلته بنفسه ، وليس كل شيء على عاتق المسؤولين ! ! ٠

وتساءلت بغضب يومها وانا جالسة فوق « كنبـة » مريحة ، وفي بيت ليس مهددا بالاخلاء :

ـ ماهـذا الذي يحدث لاهل مدينتي ولمدينتي ! ! ولماذا ! ! واحسست بان الكنبة تحولت الى شوك ، وبيتي اصبح بلا سقف ولا جدران ، واغراضي وامتعتي مرميـة في الشـارع ٠٠ !!

تساءلت : ولكن من الذي خلق المشكلـة ! ! اعرف الجواب : الانفجار السكـانـي ! !

ولكن هل على فقراء دمشق وحدهم ان يدفعوا ثمن الضغط السكاني في العاصمة المتنامية نحو الملايين ؟ ؟

وهل ستدفع اقدم مدينة في التاريـخ ، ثمن هـذا الانفجار السكـاني المعـاصر ؟ ؟

انني مربوطة اليدين ، ولكن انسانا واحدا في هـذا الوطـن الصغير الذي اعيش فيه قد ظهر فجـاة بيننا ليفك اسري ويطلق لنا حرية الكلمـــة البناءة ، ومن هذا المنطلق اكتب كلمـة للتـاريخ لا للنشر ٠

انني مربوطة اليدين ، حرة الضمير واللسان ، حريتي لها نبعان : ذاتي والانسان الكبير الذي ارجو ان يسمح لي بان اقول له بانه بالنسبة لنـــا «كنوح جديد » مـع احتـرامي وتقديسي للنبي نوح عليـــه السلام ٠

من يدري ، ربما هذا الانسان غير الدمشقي ابن اللاذقية ، قد ارسلتـــه لنا العناية الالهية لينقذ دمشق من براثن غولها المرعب ، ومـن انيــــاب تجارها القساة الجهلة ! ! لا بل أنا واثقة انه هو وحده الذي سينقذ الشام من تجارها وجهلهم التاريخي بقيمة حضارة مدينتهم ٠

انني انادي بأعلى صوتي ، انا مع الفلاحين الفقراء في بساتين الشام والربوة ودمر والهامة وقرى الغوطة ، انا مع الفقراء في أحياء وحارات الشام الضيقة القديمـة ٠

انا اعتز بانني ابنة تلك الجوهرة النادرة ابنة الشام العتيقة الفقيرة ، انـــا لا انسى أصلي ، انا لاانسى اهلي ٠

في التاريخ العربي امرأة مجهولة أصابها ضيم فنادت بصورة عفوية باسم امير المؤمنين « وامعتصماه » ، وسمع الرجل الكبير صرختهـا واهتز من اعماقه، ووقعت حرب عظيمة انتصر فيهـــا المؤمنون ، وردت الى المـرأة العــربيــة كرامتهـا ٠

فان ارتفع صوتي اطلب النجدة من القائد الذي بايعه الشعب ، لضيم وقــع علــى مـدينتي الشــام ، فهل سيصل صوتي الى الرجـل الكبــير فيهزه من الاعماق ويامر فورا ببناء الصحراء حول دمشق لحل ازمة السكـن وبحفر الانفاق تحت دمشق لحل ازمة المواصلات وبمنع أي معـول يضـرب ماتبقى من حضارة دمشق وجمال غوطة دمشق ٠ ! !

أطلقت صرختي الانسانية الحضارية لا الفردية الاقليمية ، وانا انتظر بامل عظيم رجــع الصــدى ٠

ارفع راسي الى جبل قاسيون ، الى الانسان الكبير الذي بـايعـــــه الشعب ، الى رئيس الجمهورية في القصر الجمهوري المطـل على بســاتـين الربوة ، الى السيد الفريق حافظ الاسد ، اتكلم باسم الشام واهلهــا ، اطلب منه ان يحول هموم الشعب الى افراح ٠

انــك انت وحــدك المنقــذ يـاسيــادة الــرئيس حـــافظ الاســد ٠ انــت « نــــوح الجـديـد » الـذي سينقـذ الشـام مــن طوفـان التنظيم وطوفان الـدموع ٠

ان الاشجار تبكي على ضفتي بردى تودع بعضها لاول مـرة في تاريخ الشام ، وتنحدر دموعها على خدود بردى ٠

دعنا ياسيدي الرئيس ، نحــن اهـل الشـــام نعيش في الشـــام ٠ انقذنا مــن انفسنــا ٠

انت قلب كبير واب عظيم وانسان حقيقي واسمح لي ان انقل اليك عبر قلمي صوت شعبك الفقير في العاصمــة المتهمــة بالبورجوازيــة ، فربما لم يصلك هذا الصوت من قبل وانا اعرف أن في ذهنك مسؤوليات مصـريــة اكبر ، اكبر من مشكلة ازمــة السكن ، او مشكلــة هدم الاحيــاء الشعبية ٠

ياسيادة الرئيس ، الصحراء حول دمشق حول الغوطة واسعة تنتظر الملايين فلماذا لانعمرها ولماذا يصر التجار على أن يهدموا الشام الحقيقية باسم أزمة السكن وازمة المواصلات ! ؟ ؟

الشام ياسيادة الرئيس بكل بيوتها العربية الاصيلة بكل ياسمينها وكبادها ، وليمونها وورودها وعنبها بكل أهلها البسطاء الطيبين ، الشام بحاجة اليك •

الغوطة المزهرة المعطرة المثمرة ايها الانسان الكبير تحتمي بك من اعدائها اعداء الشجرة والانسان والحياة والحضارة فهل ستمسح دموع أهل الشام وشجر الغوطة !

الطوفان يلتهم دمشق التاريخ ، وانا الح مركبك قادما ، لينقذ مدينة التاريخ ، وليسجل التاريخ بعد مئات السنين هذه الجملة الذهبية عنك :

« ان العناية الالهية قد أرسلت لدمشق منقذا منذ ألف سنة فحماها من الدمار ورحمها وحفظها من الاندثار ، وكان حاكما محبوبا من شعبه عادلا لاينام على ضيم ، خرج من صفوف شعبه لينقذ شعبه من مؤامرات عديدة • اسمه حافظ الاسد وهو من أبناء منطقة الساحل السوري لا من ابناء دمشق » •

ان هولاكو قد ترك اثرا سيئا على الحضارة والتاريخ ••

وليكن اسمك ياسيادة الرئيس الفريق حافظ الاسد ابيض ناصعا في سجل الحضارة والتاريخ •

اقتل هولاكو العصر ياسيادة الرئيس حافظ الاسد قبل أن يقتل دمشق •

اطلقت صرختي لانقاذ ماتبقى من حضارة الشام وهوية الشام وروح الشام واهل الشام •

واهتز ضمير الرئيس حافظ الاسد وأمر فورا بمنع خروج اية أسرة دمشقية من بيتها المعرض للهدم والتنظيم في المدينة القديمة قبل ان تستلم مفتاح البيت الجديد في المدينة الجديدة •

ويشرفني أن أسجل في كتابي « يامال الشام » للتاريخ نص التوجيه الخاص الصادر عن رئيس الجمهورية بالحرف وقد التزمت به أمانة العاصمة والدوائر المختصة وعلى رأسها وزارة الادارة المحلية :

« صدر عن السيد رئيس الجمهورية حافظ الاسد توجيه خاص الى الجهات المعنية في الدولة ، يتضمن مايلي :

يحظر هدم ، منزل اي مواطن ، دخل في مخطط تنظيمي لمشروع عام الا بعد تامين السكن اللائق له • على أن يؤخذ بعين الاعتبار ، عدد أفراد العائلة ، ومكان المنزل الجديد » •

وطارت برقيات الفرح للرئيس من الاحياء الشعبية الاصيلة واهلها الطيبين ، وتحولت هموم الشعب الى افراح ·

ودق باب بيت اهلي في حي السبكي اكثر من مرة ليسلم فيها موزع البريد لامي وابي في غيابي برقيات الشكر من سكان الاحياء الشعبية المجهولين ، لابنة دمشق البارة ·

ورن الهاتف في بيتنا اكثر من مرة ينقل الي اصواتا شعبية طيبة تلهج بالشكر وتدعو لي بالحظ وبالستر والصحة ، بكلمات عامية شامية عفوية محببة الى قلبي ، وهرت دموعي فرحا ، لانني قدمت جزءا صغيرا مما علي من ديون نحو مدينتي الشام ونحو اهل الشام في الاحياء الشعبية العتيقة ، فمسحت دموعهم وأسهمت في اعادة الطمأنينة الى قلوبهم ، والسكينة الى نفوسهم ·

والشكر لاهل الشام الطيبين من الاعماق على ماغمروني به من متعة البكاء فرحا بهم وبافراحهم ·

ونهر من المحبة ينبع من قلبي ويصب في بحيرة الاسد على مافعله وسوف يفعله من اجل دمشق واهل دمشق ·

ونهر من المحبة الاخوية العميقة لاول من شجع قلمي واسلوبي الادبي منذ عام ١٩٦٣ ، ولاول من وافق على طبع كتابي « يامال الشام » عام ١٩٦٩ في مطابع الادارة السياسية ، ثم تفضل علي في مطلع عام ١٩٧٨ وكتب على طلبي :

« نعم مع الموافقة على اعادة الطبع في مطابع الجيش والقوات المسلحة ·· » ·

انه نهر من المحبة الاخوية الخالصة ينبع من قلبي ويصب في بحيرة « العماد مصطفى طلاس » نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وزير الدفاع في الجيش العربي السوري ، الاخ الكبيروالرجل الدمث والعسكري المثقف والقلب الطيب والانسان الفنان ، ابن الرستن قرب حمص الجميلة ، الذي عشق دمشق واحبها وسكن فيها منذ مطلع شبابه ، وتفوق على أهلها في حبه لها ودفاعه عن تراثها ، فخدمها وخدم تراثها واهلها بعمق وعفوية وصدق وكرم واصالة عربية بدوية عريضة المشاعر عرض الصحراء العربية ، بفضل لاينسى ، يسجل له بماء الذهب في سجلها الذهبي ·

نهر من المحبة الاخوية الصادقة ينبع من قلبي للسيد العميد الركن ناصر الدين محمد ناصر مدير الادارة السياسية ، ابن مدينة حلب التاريخية العظيمة الجميلة ، الذي سكن دمشق واحبها مدينة ، حبا متميزا يعادل حب اهل حلب للعاصمة دمشق ذات التراث والانهار والخضرة والرقة والجمال منذ فجر التاريخ ٠

والشكر له من الاعماق على موافقته لطباعة « ياما الشام » في مطابع الادارة السياسية رغم ضغط العمل السياسي والعسكري والاعلامي والثقافي والفني ، وكبر حجم المسؤوليات ، والتزام المطابع بانتاج القطاعين العام والخاص من مجلات وصحف وكتب ٠ والشكر له على كل ماغمرني بـه ، وبموضوعية كاملة ، من مساعدة معنوية وفنية كي يطلع الكتاب الذي يحمل روح التراث الشعبي الدمشقي ، والذي يطلق الدعوة للاجيال الحاضرة والمقبلة ، للحفاظ على الحضارة العربية للمدينة العربية ، وكي يخرج الكتاب للناس ثانية في قمة كماله ، وكي يسافر «ياما الشام» الى عشاقه وقرائه في سورية وفي العواصم العربية والعالمية ، وهو صورة اقرب الى الكمال ، تعبر عن مدى تطور فن الطباعة في وطننا الحبيب سورية العربية ٠

نهر من المحبة الاخوية الكلية لأخي الكبير صلاح الدين الترجمان ، لاول من علمني عشق الحرف ، لاول من زرع في ارضي الخصبة الحمراء نبتة العلم والمعرفة ، وسار بي على درب الحياة الثقافية يؤهلني وياخذ بيدي ماديا ومعنويا لنيل الشهادات العلمية العالية ٠ يغذيني بالكتب الادبية العربية والاجنبية العالمية ، ككتب طه حسين والمتنبي والمعري ومصطفى صادق الرافعي وفولتير وشكسبير واندريه جيد ، ويأخذني من يدي وانا طفلة صغيرة يتوقع لها مستقبلا مغايرا ، الى حفلات الموسيقى العالمية في نوادي دمشق ، والى المحاضرات العلمية والادبية كمحاضرات الاستاذ زكي الارسوزي ، والى معاهد اللغات الاجنبية في دمشق ، والى دور السينما لاحضر اعظم أفلام السينما العالمية في الاربعينات والماخوذة عن أشهر روايات الادب العالمي ، كمرتفعات وذرينغ ، وكاري ، ولمن تقرع الاجراس ، وذهب مع الريح ، وصراع تحت الشمس ، وصورة جيني ، ولاتعرف بدهشة على أعظم ممثلي الاربعينات كشارلي شابلن وانغريد برغمان وجرير جارسون ، وفيفيان لي ، وجنيفر جونز ، وتيرون باور ، واستر وليامز ، وآفا غاردينر ، وكاري كوبر ، ولوريل وهاردي وجريغوري بيك ولورانس اوليفييه وريتا هايوارث وجلين فورد وبيتي ديفز وكاري غرانت وكلارك جيبل وفرنانديل وميشيل مورغان ، وموربن أوهارا ، وهيدي لامار ، وآلان لاد ، وستيوارت جرانجر ٠

ولاتعلم منهم مبادىء الحب الانساني الروحية والفكرية العاليـة ٠

فكبرت وانا احمل المعاني المضيئة الخلقية والروحية عن الحب والحياة والجمـال ٠

وكبرت النبتة وغـدت شجرة تتغذى أوراقها من جذور الماضي الاصيل تمتص مستقبلها من نسغ الحضارة العريق للانسانية ، فيصعد الى عروقها والى وجدانها بلمســـة يـد ساحـرة لاخ متقـد الـذهن متاجـج الـروح متطور النظرة ، ثابت القيم ، لمسة يد على روح وعقل اخت صغيرة اعدتبذكاء خارق لقدر متميز مرتبط بالحرف المضيء في زمن كانت الفتيات فيه محجبات وبالملايا السود ٠

انه نهر من المحبة الكلية لاخي المثالي العصامي وصديق عمـري الذي شجعني على اعادة طبع يامال الشام وملؤه الفخر والحماسـة ٠

انه حب من العمق لمن اصبح لي بعد أمي وابي هو امي وابي ٠

المحبة لعميد اسرتنا ومثلنا الاعلى أخي صلاح الدين الترجمان ، المدير لعدة بنوك ومصارف سابقا ، والممثل حاليـا للبنك الفرنسي ـ العـربي في الكويت والخليج العربي «فراب بانـك» ٠

المحبة لاخي صـلاح ابو « الهدى » الجميلة الغالية التي جعلتنـــي « عمة» سعيدة ٠ اخي الكبير معلمي الاول في الحياة ، والروح القوية الهادئة التي تدفعني كالريح الالهية نحو قدري ككاتبة ، وتطير بي الى مواطن العطاء الادبي الانساني الرفيع ٠

اخي الانسان والشاب المثقف والمحب النقي المتفجرخلقا ونقاء وتواضعا وايمانـا باللـه ، وسعادة بالعطاء والعمل والمثل الدينية والاخلاقية والعلمية العربية ، الذي كان يعطي دائما وابدا ولا يطلب الا رضى اللـه والوالدين ، وكانت سهام في بيتنا من صنع صـلاح ككل اخوتها واخواتها ٠ انه عمود اسرتنـا الرخامي وعميدهـا حاضرا ومستقبلا ٠ وكتاب يا مال الشـام منه واليه ٠٠٠ والى جميع اخوتي واخواتي واولادهم ٠ وكتاب يامال الشـام من أمي وأبي وارفعه الى روح أمي وابي في الجنـــة ٠

نهر من المحبة اللانهائية لاستاذتي الكبيرة في الفلسفة والحياة والمحبة، لصديقتي الكبيرة صديقة الروح والعقل ، لامي الروحية منذ ايام مقاعـــد المدرسة ودروس المنطق وعلم النفس واللغة الانكليزية ، وحتى اليوم والى الغد ، السيدة جولييت عويشق الخوري ، استاذة الفلسفة باللغة الانكليزية في كلية الاداب في جامعة دمشق ، وزوجة رجل المال الراحل ووزير الماليـة

والاقتصاد السابق وعضو مجلس الشعب جورج الخوري · هي ابنة دمشق العريقة التي ولدت في حي باب توما القديم قدم دمشق ، النائم بسلام داخل سور دمشق ؛ الذي فتح على يد خالد بن الوليد · هي حفيدة اخوتنا المسيحيين الدمشقيين العرب وابناء عمومتنا الذين فتحوا الابواب لابناء عمومتهم قادة الفتح العربي الاسلامي واعطوهم مفاتيح دمشق بيد المحبة والفرح ، فرح العربي بالعربي ·

هي بالنسبة لي العقل الام والنبع الحي الصافي الذي شربت منه وما زلت اشرب حتى الارتواء ، نسغ الشعور العربي الاصيل والكبرياء العظيم في الانتماء الى الارض العربية والقومية العربية واللسان العربي ، والمصير العربي الموحد ، بعيدا عن تقليد الغرب والغربيين · هي استاذتي وصديقتي الدمشقية العربية المثقفة الكبيرة التي عشقت دمشق الحضارة وسورية الحضارة عشقا صوفيا ، واحبت وشجعت كل من عمل على تكريس التراث والشخصية العربية للانسان العربي وللمدن العربية ، وللاثار الحضارية في الارض العربية السورية عبر العصور ·

المحبة لها استاذتي التي تتغنى بكتابي كانشودة عذبة كلما التقت عربيا او اجنبيا ، تتباهى بكتاب « يامال الشام » وبطالبتها التي كبرت ودخلت دائرة العطاء الادبي ·

نهر من المحبة الاخوية الغامرة لاستاذي الكبير واستاذ الجيل : المثقف الحقيقي المتواضع بحر اللغة والفكر والادب وتيار الحس العربي المتدفق ، الاستاذ والمربي الكبير نخلة كلاس رئيس تحرير « المجلة العسكرية » العلمية الرصينة والاستاذ لمادة التاريخ في في الكلية العسكرية سابقا ، ابن مدينة حماه المتفجر كبرياء بانتمائه للعشائر العربية البدوية في بلاد الشام قبل الفتح الاسلامي ، المتدفق اعتدادا باصالة الحرف العربي والمدن العربية ·

العربي الذي اعتمد القرآن العربي الكريم حجة للغة العربية واللسان العربي ، الانسان الحموي المتيم عشقا بالشام عاصمة عربية الجوهر والشكل والقلب واللسان ، الواقف معي ومع من يعمل على تكريس الحضارة العربية وخلودها وانبعاثها ·

ونهر من المحبة الاخوية الصافية الصادقة يصب في بحيرة الزميلين الصديقين الفنانين ، العقيد محمد سليم صهيوني والنقيب محمد شريح طيارة على كل ما قدماه من عناية فائقة وما بذلاه من جهد وصبر واشراف

على فن الطباعة الرفيع الذي حظي به كتاب « يا مال الشـــام » حتى تفوق على نفســه في الطبعة الاولى · والشكر لهما من أعماق دمشـق ·

ونهر من المحبة يصب في بحيرة كل عــامــل من أسرة عمال مطــابـــع الادارة السياسية ، اصدقائي واخوتي العمال الذين أحبوا « ياما الشام » واحتضنوه وطبعوا حروفه وهم يبتسمون له بسعادة ومحبة وتقدير وفخر · الذين عانقوه ودللــوه وكانــه ابنهم الوحيــد · وهو بالفعل ابنهم البـــار الذي أخذ ملامحه الجميلة من قلوبهم البيضاء ، ابنهم الذي لاينسى لهـم الفضل وكرم النفس وصفاء السريرة والقدرة على تحمل التعب والسهـــر ، والحرص على تجاوز الخطأ اصغر خطأ مطبعي · ومن اخلاصهم في الماضـي والحاضر اخـــذ « يا مال الشـــام » صيته وشهرته ، وحظه ونجاحــه ·

من القلب ينبع نهر من المحبة ليصب في بحر القراء الذين اعرفهم والذين لا أعرفهم . « الظرفاء » منهم خاصة ، الذين استعاروا الكتاب من اصدقائهم ولم يعيدوه · « اللصوص الاشراف » منهم الذين سرقوا كتابي « يـــامـــال الشـام » من مكتبات اصحابهم واقاربهم اثناء غيابهم لاعداد القهوة ، ثـــم اعترفوا بعملية « السرقة القانونية » والوحيدة التي لايعاقب عليها القانون ، اللصوص الذين اضطروا للسرقة بسبب فقدان كتابهم المفضـل من الاسواق، ثم أعلنوا استعدادهم للتعويض المــادي لاصحابه مــع الاصرار علــى رفض اعادته ·

الحب كل الحب للقراء الاعزاء الذين دفعوا عشرات الاضعاف ثمنـــا لنسخة يتيمة في احدى المكتبــات ·

انهم كلهم في قلبي كالبلسم · ومن أجلهم اعيد طبع الكتاب ، ومـــن اجل من لم يمل السؤال ومن لم يتعب في السؤال عـن « يامال الشــام » في المكتبات ، وفي بيتي ومكتبي رغم مرور تسع سنوات على نفاد الطبعـــة الاولـــى ·

هذا البحر من قرائي هو سعادتي الكلية ؛ لانــه يحب الشـــام مثلـي واكثر · ونهر من المحبة بحجم الفرات ودجلة والعاصي وبردى والنيـــل والاردن والليطاني ، وبانياس ، ينبع من اعلى قمة في قلبي الابيض المغطى بالثلج والشمس ليصب في هــذا البحر العظيم ·

رشة مازهر

اذا كان كتابي « يامال الشام » الذي غمره الناس من أهل الشام وعشاق الشام ، بحب ماكنت احلم به ، كاسا منعشا من « مية الفيجة » البـاردة الطيبة الصافية العذبة في ليلة صيف مقمرة من ليالي الشام الحارة ، تـرد الروح الى الصدر ، فان ماكتبـه الصديق الـدكتور صباح قبـانـي ابـن دمشق العريق عن كتابي « ياماال الشام » هو « رشة المازهر » التي عطرت وتعطر الكأس بعطر زهر النارنـج والليمون في بيوتنا الشامية العربية العتيقة المعتقة كـدن من النبيذ العربي في أقبية الكنائس العـربية القديمـة ٠

بيوتنا ٠٠٠ سقى الله ايامها ، بيوتنا العربية الدمشقية التي انهدمت امس ومانزال تنهدم اليوم ٠

« قمقم المازهر » في يـد صباح قباني الدمشقي الفنان المصور الانسان الاديب الديبلوماسـي ، يعطر أعمال الاصـدقاء الادبية والفنية بالمحبـة ٠ « يرشرش » المـازهر على الناس بسخاء كأنـه في « مولـد النبي » او في « عرس شامي » ٠ قد عطر كتابي وعطرني بالمازهر ، ورد الروح الى صدري ٠

« ومية الشام » هي اطيب ماء في العالم ، الا انني تعودت ان اشربها احيانا مع المازهر كامي وخالتي وعمتي ٠ وهو تقليد دمشقي أحب أن يظل حيا في بيتي وبيوت اهل الشـام ، واتمنى لو يمتد عبر الدمشقيين القدامى من الدمشقيين المعاصرين الى الدمشقيين المقبلين ٠

لااذكر اني قدمت فنجان القهوة لضيوفي في صينية الا ومعه كأس الماء البارد ، وقمقم المازهر وفنجان قهوة آخر فيه ماء بلا بن وفيه فلة او زنبقة أو زهرات ياسمين لو أتاني ضيوفي صيفا ، أو « وردة دمشقية » حمـراء بلون شمس العصر ، او قرنفلة بيضاء او بضع بنفسجات مع اوراقها الطريـة لو اتاني ضيوفي شتاء تحت المطر ٠ وكم يحتار ضيفي هل يشرب القهوة ؟ أم يشرب البنفسجة ؟ أم يشرب المازهر ؟ أم يشرب الشام !! ؟



للفنان عبد القادر النائب ـ أريحا ـ حلب

مؤلفة يا مال الشام سهام ترجمان

وخالة أمي . « أم جعفر » أخت ستي « أم عزيزة » • كانت تصلي صلاة الصبح حاضر ، ثم تشرب قهوة الصبح في مشرقة بيتها مع «شقف» زريعتها المدللة ؛ وتجلس « لتقطف » على « فلاتها » مع طلوع الضو •

وأنا اشرب قهوتي مع فلة واحدة • وبين زمني وزمن خالتي الف فلة وفلة •

في مشرقة خالتي وديارها الف تنكة فل وفي ديار بيتنا العربي العتيق ومشرقته الف تنكة فل وفي شرفة بيتنا الاسمنتي الحديث تنكة فل واحدة بقيت لي من « ريحة امي » ، هي فلة أمي، أسقيها وأدللها واخاف عليها •

واحاول في هذا الزمن ان اعوض عن تنكات الفل التي كان يعتني بها ابي بيديه ، « ويقصقصها » ويربيها كما يربينا على العز والدلال ، والتي كانت تسقيها امي الشاي البارد بلا سكر ، « والاجاز » تاتي به من عند « برو العطار » وتطعمها من حبات قلبها كما تطعمنا وتسقينا ، احاول اعادة الزمن الى الوراء ، بان أسقي فلة أمي بماء القلب ، بان ارش « دمعة المي » بالمازهر فترتد روحي الى صدري واتذكر اني مازلت بالشام ، اعوض مافات بان انفخ في صدور الدمشقيين الشباب الروح الدمشقية العظيمة التي تقدس وتحب الله والانسان والحياة والحب والارض والحيوان والنبات والماء والشمس والقمر والجبل والنهر •

لم اجد تشبيها لكلمات صباح قباني عن كتابي « يامال الشام »، احلى من المازهر • حبي للشام ، ولكل من يحب الشام ، لاحدود له يعادل حبي للانسان للانسانية للعالم للحياة •

واذا كان للمدن روح ، فانا احس احساسا صوفيا وفطريا حقيقيا عميقا بأني « روح الشام » منذ خمسة آلاف سنة مرت وحتى خمسة آلاف سنة آتية •

وكاني ماأتيت الى هذه الدنيا الا لاكون دمشقية ، افهم دمشق واحبها واكتب عنها وارسمها واحملها داخلي وامشي ، وأرسم لوحات حارة الالوان عن حاراتها وعن اهلها وحياتها وماضيها •

واذا كان قدر المراة أن تحب رجلا واحدا كاملا يسيطر على خط حياتها ، فانا اعترف امام التاريخ ، امام الكل ، بان عشقي الكبير هو عشقي «المدينة» واية مدينة ؟ هي دمشق اقدم مدينة في التاريخ • مدينة لها سر الهي قدسي، لها سحر تاريخي روحاني صوفي حضاري عربي ، لها علاقة صميمية بخط

اللانهاية النابع من الصحراء العربية وقبة السماء العربية ، بالقوس العربي بقباب الجوامع والكنائس ·

الشام تشد المؤمنين والمتصوفة ، لانها كما تؤكد العجائز المؤمنات من نسائها :

« الشام سرها مقدس والله حاميها » ، ولانها « شام شريف » كما يعتقد الحجاج المارون بها الى الاراضي المقدسة والى « القدس » والى « مكة المكرمة » لاداء فريضة الحج · ولانها المدينة الفاضلة كما يؤكد المهاجرون من سكانها اللاجئين اليها عبرالتاريخ، الذين اختاروها وطنا ثانيا لهم يضمهم بحنان وحب وكرم · فالشام قلب ماتعود الا أن يحب ويضم · ولانها المدينة التي مر بها ووصل اليها الانبياء والرسل والقديسون· جنوبها تماما عند « القدم » وصل النبي العربي محمد عليه السلام · وعلى طريقها على طريق «دمشق» وعلى الشارع المستقيم مشى «القديس بولس » ومرمن الباب الشرقي للمدينة لينشر الدين المسيحي في العالم · ولانها المدينة الجميلة ذات الطبيعة الاخاذة التي تشد السياح والشعراء والفنانين والعلماء والباحثين والمؤرخين والملوك وابطال التاريخ ، يعبون من سحر « اللوحة » التي تتعانق وتلتحم فيها بيوت المدينة العربية القديمة واحياؤها وحاراتها واسواقها وجوامعها وكنائسها ببساتين الغوطة موطن «فصل الربيع» في الدنيا ، بنهر بردى بفروعه السبعة : بجبل قاسيون الاجرد ببادية الشام تحيط بالغوطة ، بالسماء الزرقاء تضم المدينة بفرح بصفاء بحنان ،بالشمس تبعث فيها دفء الحياة وحرارة الحب · دمشق الشام هي « الحب» · ان قدري كامراة هو دمشق قلب سورية الحبيبة وقلب العروبة ، وعاصمة الابطال والحرية والياسمين ·

ان حبي لمدينتي قد سيطر على الازمنة الثلاثة في خط عمري · «فالشام» هي ماضي وحاضري ومستقبلي · وأما الزمن الرابع الذي يلي خط عمري ، فهو زمن متحد بالشام حتى درجة الديمومة والخلود · هو زمن «حي» سيتعشق الشام كازمنتي الثلاثة ، كما يتعشق « الصدف والعظم وعروق القصدير» خزانة امي المتوجة بتاج عال كتب عليه بالخط العربي كلمة اناحبها هي كلمة «ياقاضي الحاجات» . كما تتعشق حبات الصدف المبهر كالماس جهاز عرس امي « عزيزة » « وبيرو » ستي « ام عزيزة » وكما تتعشق الايات القرآنية الكريمة والاشعار العربية والحكم الشعبية ، الخشب «المحظوظ» المحفور المزخرف الملون في « كتابي وخراستين »حيطان « القصر » تلك الغرفة العالية التي كان ينام فيها « ابي فهمي » ، وكما يتعشق النحاس

عروق الفضة في «صدر ومنقل »ستي «أم فيمي» · وكما تتعشق الاساور الذهبية وخواتم اللؤلؤ والماس والعقيق والزمرد والفيروز اصابع الصبايا الشاميات وزنودهن ·

الشام ، المدينة القديمة تتعشق عمري كما تتعشق «عروق الياسمينة» خشبات الدرابزين المسوس على درج بيتنا العالي الذي تخيم عليه دالية العنب الزيني ، وكما تتعشق اوراق « الخميسة » حيطان وسقوف وشبابيك وبيوت حارتنا ، وكما تتعشق « حشيشة المي » وازهار « الاضاليا » « والمنوليا » ، واشجار الاكيدنيا والليمون الحامض والكباد والليمون الحلو والنارنج ودوالي العنب الزيني والاسود ، تراب احواض ديارات بيوت جيران العمر الطيبين الاعزاء الاحياء الاقرباء كالاهل واكثر : بيت عمي « أبو ماجد » عبد العزيز الكيلارجي ، الطبلة بالطبلة ، والقلب على القلب · وبيت الصباغ وبيت المرتضى وبيت عوض وبيت الليموني وبيت القني وبيت العشا وبيت الطرابزونلي وبيت ظريف افندي ، وبيت الدالاتية وبيت السقا أميني وبيت القحف وبيت الباشي امام وبيت الديري وبيت النحاس وبيت فوزي صبري بك وبيت غلا الحليب وبيت عصاصة وبيت ظاظا ، وبيت الترك ، وبيوت كثيرة أذكرها اذكر أبوابها ، ولا أذكر عائلاتها ·

تبدأ بنزلة القره ماني من سوق ساروجة « مواجه» حارة « قولي » ·

حارتنا ، حارة القره ماني لها قوس · على كتفها الايمن دكانة عمي « أبو راشد » البقال كامل الاحمدي واخيه مظهر الاحمدي ·

حارتنا ، تنتهي بحمام القره ماني وبدكانة مجيد الفوال وسوق العتيق على « ايدك اليمين » وتنتهي من « ناح » بيت المرتضى وبيت ظريف افندي على ايدك الشمال بخان الزيت والقطران من « ناح » بيت الدالاتية · ومن خان الزيت « بتنفد » على سوق العتيق وسوق التبن والزرابلية وسوق الهال عند السكة · وحارتنا « بتنفد » قبل خان الزيت على ايدك الشمال على سوق ساروجة عند حمام الخانجي وقصر العظم وطلعة سوق الهال وحارة السمانة ·

في حارة القره ماني ، في قلبها تماما . وبين المفارق الثلاثة كان يقع المركز الستراتيجي لشحاد حارتنا الطيب العجوز الشهير « ابو دعاس » ، الذي كان يتنافس عليه مع الشحاد أبو عبدو ، والذي يتبادل فيه الشجون حول الحياة والزوجة والاولاد مع أبو انور بياع الترمس والبليلة أبو السلة · وكان أبو دعاس يتسابق على احتلال « مصلبة » القره ماني مع

شحادة حارتنا وحارات الشام «المجدوبة » «اكرام» وامها · واحيانا يتزاول من مرور الشحاد المجنون الذي يطلب الحسنة شعرا ، في يده عصفور من الشمع مزين بالورود الشمعية ، مغنيا :

« عصفوري ياعصفور » مارا تائهابالحارات طالعا نازلا من الترامواىات المسافرة من المرجة الى الشيخ محيى الدين في الصالحية والمهاجرين والعمارة وباب توما والقصاع والميدان ودوما ·

ومازالت الشحادة « اكرام » تتفتل بملايتها السوداء المتسخة المرقعة في حارات دمشق الشعبية القديمة . وفي شوارعها البورجوازية الحديثة حتى اليوم ، وما زلت أعطيها « حسنة من مال الله » وتدعو لي « بالرزقة » وانا ابتسم لها بعين دامعة ، وارتفع سعر الحسنة من قرش سوري من خرجيتي الى ليرة سورية من راتبي ، بين زمنين يفصلهما ثلاثة وثلاثون عاما ، وبين حيين قديم شعبي اسمه «سوق ساروجة» وحديث ارستقراطي أسمه «أبو رمانة » ·

وعلى هذا المفرق في حارة القره ماني الذي جف قربه «السبيل» ، وكانت وما تزال تطل على الحارة « أخصاص » شبابيك « فرنكات » بيوت خمسة متجاورة بيت الترجمان وبيت الكيلارجي وبيت المرتضى وبيت عوض وبيت الصباغ ، تمتد وتختفي وراءها رؤوس البنات والصبايا والزوجات في هذه البيوت ، ترى المارة وتسمع حواراتهم وترى من يدق سقاطات الابواب النحاسية ، دون ان يميزها احد وكانها أشباح لكائنات شرقية حبيبة جميلة تدق لها القلوب ، وظلال لنساء محجبات وجنيات عربية عاشقة ، تجن بعاشقها ويجن بها ·

خط عمري من اوله الى مالانهاية يتعشق هذه المدينة العتيقة « الشام » كما تتعشق « السناتي » قمريات ومندلونات قاعات وصاليات ومربعات اهلياتي في حارات : البحصة والشالة وقولي والمفتي والورد والعبيد وبندق والسمانة « محل ماضوع القرد ابنه » . والعمارة، ومادنة الشحم والشاغور وباب بريد والقنوات والبريدي والسويقة وعسقلان وباب مصلى ومز القصب ·

تماما كما تتعشق « كشة الحمام » «أسطوح» حميماتي حارتنا ، وكما تتعشق المطر مزاريب اساطيحنا المطينة بالطين الاحمر والقش ، وكما تتعشق صغار قططنا المدللة « شامة » النوم والنفخ « والقراءة » في أعبابنا تحت اللحف في ليالي الشتاء المطرة وتحت الدلف وكما تتعشق الخرمشة والنط واللعب بكراكرنا وبين ايدينا وبين زريعات احواضنا ، والنوم والكسل

والمطمطة والرضاعة على فروة جلد الخروف الابيض ، الممدودة على قواطعنا او طراريحنا أو فوق سجادتنا او بساطنا أو حصيرتنا ، أو كما تتعشق اكل « الشخت » في مطابخنا ؛ او سرقة اللحم والسمك من مطابخ جيراننا ، عندما تكبر وتبدأ تقفز الطبلات الى بيوت الجيران ·

روحي تتعشق الشام كما تتعشق الدبابير والزلاقط عناقيد عنب داليـة مشرقتنا ؛ وكما يتعشق الحطب النار المجنونة الهادرة داخل « الحربة » تلك الصوبا العزيزة التي تشوى « الكستنا » في الرمـاد تحت بابها المشقوق في عز كوانين في « اوضة » قعدتنا وسهرتنا ؛ وكما تتعشق روائح قلي « البيتنجان المقطوف المقلي بالزيت » اجواء بساتين « المزرعة » حول مياه « عين الكرش » الصافية ، على بابور الكاز وفي مقلاة بيتنا ونحن برفقة امنا وابينا ايام الجمع وفي عطلة مدارسنا ·

الشام تتعشق عمري تماما كما تتعشق أمسيات الشام الغابرة وليالي الصيف الساحرة انغام أوتار آلة « العود » ، الآلة الموسيقية الدمشقية الحـان « البشارف » كبشـرف « طاطيوس » وبشـرف « حجـاز كار كرد » وبشرف « عثمان بك » وبشرف « سماعي » ، والحان الدولاب والتقاسيم والموال والاغاني ، المنتشرة كالسحر من عود « النحات » وريشة الملحن والموسيقي الدمشقي « صبحي سعيد » من ليوان بيتنا ·

الشام تتعشق عمري ؛ تتعشقه قبل ولادتي وعلى طول خط العمر وبعد الموت ·

الشام هي ربيعي وصيفي وخريفي وشتائي ·

والشـام هي أمـي وابي واختي واخـي وزوجـي وحبيبي وابني وابنتي وحفيدي وحفيدتي وجـدي وجدتي وصديقي وصديقتي وجاري وجارتي ·

الشام هي كل اهل الشام ، كل الذين عاشوا فيها وماتوا فيهـا وكل الذين يعيشون فيها وكل الذين سيعيشون فيها ·

الشام هي اقربائي ؛ هي أخوالي واعمامي وخالاتي وعماتي ·

الشام هي العائلات الشامية العريقة « المشرقية » التي انتمي اليهـا من أهل ابي : بيت الترجمان وبيت البصراوي وبيت السادات وبيت الحلبي وبيت شاهيني وبيت القطان وبيت الادلبي وبيت الشريف وبيت طالو آغا وبيت الصافي وبيت الطحان وبيت بركات وبيت المحتشم وبيت العابي وبيت الاستاذ وبيت الناظر وبيت جليلاتي ، وبيت شعبان وبيت جبري وبيت العجة وبيت الاسطواني وبيت عودة وبيت مراد ·

والشام هي العائلات الشامية « المغربية » الجزائرية الاصل التي انتمي اليها من أهل أمي في حي الميدان وحي السويقة : بيت الحبال وبيت الينيوي الجزائري وبيت البهلول وبيت الشريف وبيت خليناوي وبيت البحياوي وبيت اليعقوبي وبيت ظبيان وبيت دبا وبيت الطويل وبيت الهاشمي وبيت المجد وبيت بركات وبيت جمعه وبيت ساريج وبيت الطيب المغربي وبيت الطيب المبارك وبيت عمار وبيت شيخ مشرقة ·

دمشق الشام هي الاسر الدمشقية العريقة من جيراني واهلي والعائلات الدمشقية الكثيرة من المعارف والاقارب والاصدقاء ، فعائلات دمشق كلها تربط بينها صلة القرابة بسبب تزاوجها من بعضها اذكر منها : بيت القباني وبيت سكر وبيت جبري وبيت النوري وبيت المهايني وبيت حباب وبيت المحملجي وبيت الاشمر وبيت البيطار وبيت الميداني وبيت الطباع وبيت القوادري وبيت القوتلي وبيت البكري وبيت الزين وبيت الخرسا وبيت العابد وبيت اللحام وبيت القصاب وبيت دياب وبيت بقدونس وبيت الزهرة وبيت قشلان وبيت شفليل وبيت القضماني وبيت حمودة وبيت مراد وبيت حقي وبيت الادلبي وبيت الجلاد وبيت قطرية وبيت اكريبوز وبيت الحلبي وبيت الحمصي وبيت الحموي وبيت المرابط وبيت النحاس وبيت عربي كاتبي وبيت البني وبيت الطرابلسي وبيت القربي وبيت القلعي وبيت لوستان وبيت الشربجي وبيت الترك وبيت بوظو وبيت القطب وبيت ملص وبيت الخوري وبيت عويشق وبيت ملوك وبيت شامية وبيت الشماس وبيت ابو شعر وبيت سبع وبيت اسبر وبيت لويس وبيت الخباز وبيت قشيشو وبيت الشلبي وبيت فرح وبيت مالك وبيت قنحلفت وبيت كساب وبيت العبسي وبيت مشاقة ·

دمشق هي اهل الشام واهلي ·

ولدتني « امي عزيزة » اول مرة في حي « العمارة » في كانون اول ١٩٣٢ وكانت الدنية « تلج » · وولدتني « امي الشام » تاني مرة في حي « السبكي » في ٥ حزيران ١٩٦٧ وكانت الدنية « حرب » ·

وبين الولادة الاولى والثانية كانت الشام تولد داخلي وتتشكل ·

وبين نقطتين ، وبين بيتين ، وبين زمنين ، ولد قدري ككاتبة من خلال مدينتي العربية القديمة ·

وبين احياء دمشق العربية القديمة العتيقة الشرقية الطبع ، العمارة ، سوق ساروجه ، الميدان ، القنوات ، الشاغور ، القيمرية ، الصالحية ·

المهاجرين ، باب توما ، الحميدية ، وبين احيـاء دمشق الافرنجية الحديثة الغريبة الطبع ابو رمانـة ، السبكي ، المزرعة ، المالكي ، المزة الجديدة ، شارع بغداد ، التجارة ، تمت ولادة الحقيقة من التناقض ٠ وتمت ولادة كتاب «ياماال الشام» من احساسي بالخطر ، ومن خوفي على «الشخصية العربية للشام » من تهديد العدو الاسرائيلي بالاحتلال ، ومن تهديد معول الحضارة المعاصر المزيف بالابادة والهدم ٠

تمت ولادة « الشام » الاصيلة من رحم الروح عندي وصرت اما لاكبـر بنت ٠

يكاد « قدري » يضيعني حيرة ، بين ان اكون بنتا للشام أو اما روحية للشـــام !!

بين ان اسكن الشام او تسكنني الشام !! بين ان اكون جسدا بشريا روحه مدينة من البيوت العربية والبساتين والانهار والجبال ، او ان تكـون الشام « مدينة » بيوتها تارة من الطين والماء والخشب والقش واللـــون والحجر والرخام والزجاج اللون والزهر والشعر والشجر والحب ، وتارة من الاسمنت والحديد والالومنيوم والزفت والبلاط وحب الـذات وحب المـال . مدينة قديمة ـ جديدة ، تستوطن صدر امراة من لحمها ودمها ، امراة من لحم ودم ، مدينة روحها امرأة من نسائها ٠

مسؤولة انا عن الشام الاصيلة مسؤولية الفارس العربي عن الفرس العربية الاصيلة المنسوبة ٠ ومن يحب يعرف معنى مسؤولية المحب امـــام الحبيب ٠

مامضى من عمري لها ، تلك الفرس العربية الاصيلة المنسوبة ٠ ومـا تبقى من عمري لها ٠ وان قدر لي ان احمل مسؤولية تسجيل كل كلمة قالتها الشام وكل حكمة ، من خلال حبي واعجابي وقلمي ووهج الحضارة داخـلي ، فـانـا عنـد قـدري ٠

وما اكتبه عن الشـام لااكتبه انا ، وانما تكتبه روحي ، الشام نفسها ، العصفورة التي بنت عشا لها في صدري ، فيه تغني وفيه تطعم صغارها وفيه تنام ٠ القلم بيد اهلها الطيبين لابيدي ، الريشة بيد « معلميها» المجهولين في العمارة لابيدي ٠

لاشك في ان الله يحب الشام ٠

لاشـك في ان الله يحبني ٠

لاشك في ان الشام تحبني كما أحبها واكثر حتى تخصني بهذا الفيض الروحـــي ٠

والشام كمدينة لها شخصيتها المتميزة هي وتاريخها واهلها وبيوتهـا وعاداتها وتقاليدها ، انما هي رمز للتراث العربي العام « لبلاد الشام » التي تمتد من سقي الفرات الى سقي النيل كما جاء في راي العلامة المؤرخ الدمشقـــي « محمد كرد علي » في « خطط الشام » ٠

وكان كتابي « ياما ل الشام » لوحة من الحب اودعتها كل الحب للوطن عبر المدينة دمشق ، وكل التقديس لحضارة بلاد الشام عبر حضارة الشام ٠ لوحة رسمتها بريشة غمستها في قلبي وعقلي وطفولتي وشبابي ، وماضـــي وحاضري ، وعفويتي وفلسفتي ٠

في ربيع عام ١٩٦٩ صدرت الطبعة الاولى ٠

وفي خريف عام ١٩٧٨ تصدر الطبعة الثانية ٠

نفدت الطبعة الاولى من زمان ٠

واشتعل لهيب البحث عن « ياما ل الشام » واشتعل السؤال ، واشتعل الفرح في قلبي واشتعل سعر الورق في العالم ٠

وبكل فرح وبكل تواضع اقول : لشدة لهفة « عشاق الشام » على اقتناء « ياما ل الشام » كتابي « المحظوظ » ، كان لابد من طبعة ثانية سريعــــة تضم بعض الصور الجديدة وترد اللهفة وتسقي عطش الشوق ٠

وكنت خلال الاعوام التي مرت لخفي في الضلوع سرا اريد ان اكشف الستارة عنه عندماتكتمل بين يدي « القطع الجديدة الفولكلورية » عن الحياة الدمشقية الشعبية بلهجة اهل الشام العامية ، تكمل في الطبعة الثانية روح النصف الاول من الطبعة الاولى ، وهو النصف الذي كتبت فيه عن الشـــام بروح البيتالعربي الشامي المبني بطين الارض والمحبة ٠

الا ان نفـاد الطبعة الاولى مـن سنين ، ولهفة الناس على الكتاب ، قـد اجبراني على تاجيل نشر « القطع المثيرة الجديدة » حول ادق مافي حياة أهل الشام من نعومات وتفاصيل ، الى الطبعة الثالثة التي سابدا بها مباشرة بعد صدور الطبعة الثانية باذن الله ٠

وسوف تكون الطبعة الثالثة وقفا على اللوحات الشامية بلهجة هي بين العامية والفصحى ، دون الخواطر الادبية الفكرية والفلسفية التي جاءتباللغة

العربية الفصيحة • تماما كما اراد صباح قباني وكل المعجبين من اصحاب الرسائل الغالية على قلبي والتي سانشرها كلها في الطبعة الثالثة كوسام على صدر « ياMال الشام » ، هذا الكتاب الذي احبه الناس لانهم هم قد كتبوه• أحبوه لانهم يحبون أصالتهم وحضارتهم وتراثهم ومدينتهم وعاصمتهم ، لانهم يحبون كل مدينة وكل قرية عربية ذات نفس أصيل •

وكان عشق الفنان العربي السوري الكبير عبد القادر النائب ابن أريحا ـ حلب ، لفاتن الشام مدينة عربية حضارية الصورة والجوهر ، وكان اعجابه « بيامال الشام » ككتاب ، مبعث حظ كبير لي ولاسرتي الدمشقية •

فقد احب فنان «البورتريه » الاول في سورية ، «وملك البورتريه » كما سماه « العماد مصطفى طلاس » نائب القائد العام للجيش والقوات المسلحة وزير الدفاع في الجمهورية العربية السورية،احب عبدالقادر النائب ان يخلد صورتي ككاتبة شامية وكمؤلفة لكتاب « يامال الشام » وعاشقة للشام بلوحة زيتية يهديها لمن سوف يسأل عن الاديبة الشامية سهام ترجمان بعد مئتي سنة او ألف سنة • لاننا ـ يقول عبد القادر ـ كنا نتمنى في هذا العصر لو تركت لنا « ولادة » الشاعرة الاندلسية عاشقة الشاعر ابن زيدون وحبيبة ابن زيدون، لوحة فنية بريشة فناني عصرها، تخلد صورتها الحقيقية التي تغنى بملامحها الشاعر الاندلسي المحب • فقد عرفنا من شعره انها كانت بيضاء ذات شعر أشقر وعينين سوداوين • أتصورك ياسهام «ولادة» معاصرة ولدت هذه المرة ونبتت في الشام نبع الاندلس • وكانت لوحتي • وبلغ حب الفنان وفهمه لشخصيتي ابي وامي من خلالي وخلال ماقالاه لي في القطع الشامية ، مكانة تعادل حبه وفهه للشخصية الدمشقية ولدمشق مدينة وعاصمة نفخر بها ذات شخصية آسرة بين مدن الغرب والشرق •وخلد الفنان وجهي ابي وامي بلوحتين من الوان الباستيل الشفافة •

وهذا هو الحظ الذي دعت لي به « امي عزيزة » « ام صلاح » عندما قالت لي :

« روحي ربي يآتيك بالحظ ياسهام »•

وهذا هو الرضى الذي كسبته من « ابي فهمي » «ابو صلاحين »عندما كان يقول لي :

« الله يرضى عليها هالحلوة » وكان اسمي عند ابي الحلوة •

وكم يملأني شعور الفخر وكم تجتاحني السعادة بهذا اللقاء بين قلمي المتواضع وريشة عبد القادر النائب العبقرية •

وكم ستكون روحي راضية بعد الموت وبعد مئات السنين ان يحكى عني ككاتبة شامية بأنها التقت في عصرها مجموعة من أعظم الاساتذة والاصدقاء والادباء والشعراء والفنانين والعلماء والموسيقيين والمطربين والموهوبين والاثرياء بالروح والاغنياء بالعطاء والمحبة وحب الشام مثل زوجي الشهيد النقيب فؤاد محفوظ العسكري المثقف ابن قرية دير ماما ـ مصياف ـ حماه ، وابن حمص الصديق المثقف احمد اسكندر احمد ، والشاعر نزار قباني ، والصديقة ابنة طرطوس نجاة مرقبي خدام ،والفنان عبد القادر النائب والموسيقي صلحي الوادي والفنان عفيف بهنسي والدبلوماسي صباح قباني والفنان الرسام الراحل ادهم اسماعيل والاديب الراحل صدقي اسماعيل والفنان الرسام نعيم اسماعيل والعلامة الاثري خالد معاذ والاديبة سلمى الحفار الكزبري والضابط المثقف اللواء غازي ابو عقل ، والضابط العاشق لدمشق اللواء عبد الغني ابراهيم ، وابن دمشق البار اللواء عبد الرحمن خليفاوي ، والعقيد البحري الراحل عدنان لوستان ، والمثقف جورج صدقني ، والمهندس وليد ملحس ، والمربي الكبير الاستاذ نخلة كلاس ، ورجل المال والاقتصاد الراحل جورج الخوري ، واستاذة الفلسفة جولييت عويشق الخوري ، واستاذ الفلسفة الدكتور بديع الكسم وزميل الدراسة الجامعية احمد الخطيب ، والخياط الفنان علي صندوق ، والصائغ المبدع جورج ساركة ،وفنان الكاميرا الاول مروان مسلماني ،والاستاذ المترجم المثقف الدبلوماسي الراحل سامي الدروبي ، وعالم التراث والاثار الراحل عبد القادر عياش ، والشاعر محمد الحريري والدكتور الطبيب الراحل صبري القباني والطبيب الدكتور سليم حاصباني والمحامي نجاة قصاب حسن والصحفي نشأت التغلبي والاذاعي يحيى الشهابي والمذيعة عواطف الحفار اسماعيل والناقد سعيد الجزائري والمذيع الرسام مروان شاهين والممثلة منى واصف والممثل هاني الروماني والاديبة كوليت خوري والفنان خضر الشمار والروائي شكيب الجابري والشاعر سليمان العيسى والقاصة الشامية الفت ادلبي والفنان الرسام ناظم الجعفري والناقد محيي الدين صبحي والشاعرة نادية الغزي والفنان المؤلف والمخرج والممثل دريد لحام والناقد خلدون الشمعة وابن دمشق برهان قصاب حسن والطبيبة الدكتورة ماجدة بركات ، والمذيع توفيق حسن واستاذ الفلسفة الدكتور عبد الكريم اليافي ، والرائدة العربية الاولى الراحلة عادلة بيهم الجزائري واستاذ الفلسفة الراحل الدكتور جميل صليبا واخي رجل المصارف صلاح الدين الترجمان والدبلوماسي عدنان عمران ، والوزيرة الاولى الدكتورة نجاح العطار ، وزميلات المدرسة

وصديقـات العمـر دلال قطرية واحسـان محمودي وسعـاد غصن سلوم ، والشـاعرة عزيزة عازون والصديقـة امتثال لوستان والصديقة نايفة نصر والفنان الياس زيات والقصصي زكريا تامر والاديب جمال الغرا والملحن عبد الفتاح سكر والروائي حنا مينه وصوت فايزة احمد وصوت أسمهان وصوت فيـروز والشاعر بدوي الجبل والشاعر عمر ابو ريشة واستاذ الفلسفـة انطون المقدسي ، والديبلوماسية سعاد عبد الله وصديقات العمل رجاءالشيخ عطيـة وماري صودير عكل وامينـة حسـيبي والـدكتـور يحيى النص وصهري التاجـر مصطفى الشريف وصهري المستشار في الطيران المـدني فاروق حمودة واخي المهندس محمد علي الترجمان والروائي الـدكتور عبد السـلام العجيلي والشاعـر ابو سلمى والشاعـر شوقي بغدادي والقاص سعيد حورانية والطبيب الـدكتور محسن بلال والكاتب العسكـري بسام العسلي والـدكتور خلوصي الكـزبـري والشامي الاصيل مـأمون قضماني والصديقة امل جزائري هواش ، والصحفي المذيع الكاتب عبد الهادي البكار والدكتور شـاكر مصطفى وعالم الآثار الفنان شفيق الامام والكاتب الـدكتور حافظ الجمالي والقاص عـادل ابو شنب والشاعر ممـدوح عـدوان والاديبة قمـر كيلاني والاديب حسيب كيـالي والصحفي فـايـز الصائغ والشاعـر مروان ناصح والاديبـة غـادة السمـان ٠ هم بعض الدمشقيين وبعض مـن عشـق دمشـق وسكن فيهـا ٠ كل يحمل دمشـق علـى طريقته ويمشـي ٠

يسعدني أن يكتب عني بعد الف سنة بانني مررت من دمشق معهم فـي فترة زمنية واحدة ٠ عرفتهم عن قرب تعلمت منهم كلهم سر الحياة وسر النجاح في الحياه وسر حب دمشـق ٠

الذين اعرفهم في الحياة ولم اذكرهم ليسوا خارج الدائرة، هم معنا وكلهم في قلبي وعقلي ٠

كازرار الياسمين ، نحن ، من مر في دمشق في عصر واحد ٠ خيط خفـي يضمنا في عقد على صدر الشام العاجي ، تفوح منه عطور الياسمين التي تملأ رئتي المدينة ، واذا زر من أزرار ياسمين الشام لايعطي الا مع بقيـة ازرار عريشـة الياسمين التي تظلل دمشق عبر العصور ٠

وكم اشعر بالخجل والفخـر معا من مديح عشاق الشام ومعجبي كتاب « يامال الشام » عبر القلم كقلم صباح قباني وعبر الريشـة كريشة كل فنان ساهم بلوحاته في « يامال الشام » ٠

بهذا الفيض من الحب يأتيني من المحبين والاصدقاء والقراء الذين اعرفهم والذين لااعرفهـم ، لانني سجلت في كتاب ببساطة وعفوية « قصة عشقـي

لمدينتي دمشق » ، هو النبع السحري الذي اشرب منه كاس السعادة الذهنية الابدية وماء الخلود ، وغدوت اختال في شوارع الحياة ، مزهوة بالنصر على الموت والعدم · امنيتي الكبيرة ان اتحول الى اسطورة كالهة دمشقية معاصرة ستكتب لها الحياة الابدية ـ لشدة حبها للحياة ـ لانها احبت مدينتها حبا اسطوريا حقيقيا صادقا ، فرصدها هذا الحب لقدرها كالهة تعطي ولاتاخذ ، كعشتار الهة الخصب ومنيرفا الهة الحكمة ، وفينوس الهة الجمال في الياذة هوميروس واساطير ابيلا وماري وبابل وآشور وسومر واوغاريت ·

لقد خلدت عشتار ومنيرفا وفينوس مفاهيم ومعاني وقيم الخصب والحكمة والجمال ، واتمنى ان يتحقق بقلمي مع بقية الاقلام التي سبقتني ، الخلود لقيم ومعاني « الشام المدينة » بعد خمسة آلاف سنـة ·

يامن احببتم الشام في كتابي « ياما الشام » اسمحوا لي ان اربط بين اعمال الفنانين صباح قباني وخالد معاذ وعبد القادر النائب ومروان مسلماني وقلمي بخيط من « القصب الذهبي » اشتريته من سوق العقادين الواقع بين سوق الحرير وسوق مدحت باشا في دمشق ·

سانشر الرسالة التي كتبها لي الدكتور صباح قباني المستشار في سفارة الجمهورية العربية السورية في جاكارتا اندونيسيا من اقصى الشرق الاقصى حيث منابع الشمس والضوء والصبح والحكمة ، رداعلى هديتي «ياما الشام» له ولزوجته صديقتي العزيزة وزميلة المدرسة الشاعرة مها نعماني عام ١٩٦٩ ·

ونحن عام ١٩٧٨ ·

ارسلت رسالة لسفير الجمهورية العربية السورية في واشنطن ـ الولايات المتحدة ، الدكتور صباح قباني ، اطلب فيها الاذن بنشر الرسالة في الطبعـة الثانيـة ·

وعبرت موافقة الدكتور صباح قباني المحيطات والقارات ، من اقصى الغرب ، حيث سرير الشمس ، وطارت وهدت على هاتفي دمشقية الطبـع والاسلوب كستيتية تهدل بمحبة وحنان وسعادة :

ـ الو ياشام ··· احكوا امريكا على الخط !! وعرفت أنه صباح قباني قبل ان يتصل الدمشقي بالدمشقية والصوت بالصوت ، وقبل ان اتلقى موافقته الحارة وتهنئته باعادة طبع « ياما الشام » ·

ـ الو ياسهام مرحبا ·· !! كيفك ·· !؟

ـ الو أهلـين وسهلين ياصباح كيفك وكيف مهـا والبنات !! ؟ اشتقنا وعتبانين عليكن ؟

ـ الو ٠٠ حق معك نحنا مقصرين ٠٠ مشتاقين للشام وللاهل ٠ مهـا بتسلم عليكي ٠ طلع الزهر بالغوطة ياسهام ! اسمعي ٠٠ انا موافق على طبع الرسالة ٠ ايمتى رح ينتهي الطبع ! ؟ سهام ٠٠ دخيلك انتبهي للاخطـاء المطبعيـة ! ؟

وابتسمت لان صباح لايدري المفاجأة ٠

صباح لايدري اني قررت نشر رسالته كوثيقة اعتز بها في الطبعة الثانية كما هي بطريقة التصوير ، فخط صباح ينساب على الاسطر بعذوبة كروحه المتالقة الفياضة المرحة ، كصوره الادبية ومعانيه العميقة ٠ والاخطاء المطبعية الوحيدة ـ ان وجدت ـ ستكون اخطاؤه هو في رسالته الغالية الي ٠ واتمنـى ان تكون « خربشاته » في الرسالة هي اكبر خطأ في كتابي وماأحلى هـذا الخطا ٠ ومن يحتفظ برسالة تسع سنين لن يسمح بالخطأ ان يمسها ٠

الجديد الثالث هو الصورةالتي احبان يثبتني فيهاالى الابد فـي بساتين دمر والهامة بكاميراه الفنان المصور مروان مسلماني ، لشدة اعجابه «بعشقي» لبساتين الشام في الغوطة وفي المزرعة ودمر والهامة والربوة وقدسيا ووادي بردى والزبداني وبلودان والتل ومنين وعين ترما والجريد والحواكـير بالمهاجرين ٠ هـذا العشـق الـذي تجسـد في وصفي لذكريات السـيران والصيفية في دمر مع اهلي في قطعة « يرحم اهل اول » ، وفي دفاعي عـن البساتين والشجر والزهر التي تتعرض في هذا الزمن للابادة ليحل محلهـا عمارات عالية من الاسمنت والحديد ٠

وكان حظي من كاميرا مروان مسلماني عظيما ٠ وكان الغلاف الاخير من الطبعة الثانيـة ٠

الجديد الرابع هو الغلاف الاول من كتاب يامـال الشام ٠ انه لوحـة « العرباية والعربجي والخيل والعيلة الشامية » ، والكل في نزهـة صيـف يمرون امام جامع « التكية السليمانية » وصدر الباز ، على طريق الربـوة ودمر ، في العصر الذهبي للشام الوادعة الجميلة الخضراء النظيفة الطيبة ، وهي تحمل اهل الشام وزوار الشام للبساتين والفياض وضفاف الشادروان « وتخوت » نهر بردى ٠ كانت تحملهم « بالعربايات » على ايقاع حوافـر الخيل ومواويل ليلى ياليل عيني ياعين ٠

الجديد الخامس في هذه الطبعة مجموعة من الصور الفوتوغرافية عن بيوت دمشق العربية ، ومجموعة من الصور التاريخية المخطوطة مأخوذة من مجموعة الدكتور يوسف سمارة الخاصة القيمة ومن مجموعة الفنان مروان مسلماني ، عن فنانين المان وانكليز رسموا دمشق بالريشة عندما زاروها منذ مئة سنة ونيف ٠

القطعة الجديدة السادسة التي افخر واعتز بها فهي قطعة « السفر برلك» التي تلقيتها بكل تفاصيلها من فم أبي وفم امي مؤلفي القطعة رحم الله التراب الذي ضمهما ٠

قصة السفر برلك اخذتها بحرفيتها عن والدي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان عن اشتراكه في الحرب العامة الاولى ، وبلهجته الشامية المرحة المحببة الى قلبي ٠

جلست على «القاطع» في غرفة ابي عام ١٩٧١ وكان مريضا وطلبت منه ان يروي لي تفاصيل اشتراكه في حروب البلغار وشنق قلعة والسفر برلك ٠ وبدات اكتب واسجل ٠ هو يحكي وانا اكتب واكتب واسجل بسرعة البرق كلماته حرفا حرفا ٠ وكلما يبست يدي وكلما نشف حلقه واحس بالتعب ، كنا نتوقف واسكب له كاسا من « الشاي الخمير » من ابريق الشاي الطيب الذي يحبه ابي ويصنعه باتقان بيديه ويحليه « بالسكر عمومي » ويغطيه بالبشكير حتى يختمر ٠ فقد كان الشاي من اختصاص ابي في بيتنا ٠

وجلست الى جانب سرير امي في غرفتها وهي مريضة عام ١٩٧٣ ،والقلم والدفتر بيدي وبدات اسجل تفاصيل ذكرياتها عن حالة الشام وعائلات الشام ايام الجوع بالسفر برلك ، هي تحكي وانا اكتب واسجل كل كلمة بلهجتها العذبة المتفجرة بالحنان والامومة والطيبة ٠ وعندما تتعب اطلب منها ان تستريح واقدم لها كاسا من الشاي الذي كانت تحبه من يد ابي ٠ ثم أعود فاسجل المعلومات الموجعة المذهلة عن ايام قاسية لانعرف عنها شيئا وعاشتها في طفولتها وانحفرت في ذاكرتها ٠

حدثتني امي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري عن السفر برلك وتكامل حديثها وحديث ابي ٠

ومات ابي عام ١٩٧١ وماتت امي عام ١٩٧٣ ٠ وتعانقت ريشة عبدالقادر النائب وقلمي على واجب تخليد ابي وامي رمز كل اب وام في الشام ٠

انشر « السفر برلك » القطعة التي اعتز بها ، للمـرة الاولى ، وانا ارفع قلبي وعيني ويدي لسماء الشام ان تنزل الرحمة على تراب « ابي فهمي وامي عزيزة » في تربة الباب الصغير فـي حـي الميـدان في الشـام ·

ومازلت اطلب رضى اللهوالوالدين من ابي وامي‌وهما في القبر والجنة·

فمن « الحياة الشعبية الذهبية » التي عشتهـا في ظل اسـرة عـربيـة دمشقية كريمة عريقة تمكنت ان اعرف « سر الشام » ، وتمكنت ان اصل الى سر الحياة وسرالحب وسر الخلود ·

واكبر الحب ان نحب أسرتنا واهل حارتنـا واهل وطننا اولا · واعظم الحب ان نحب بيتنا وبيت جيراننا وبيوت حارتنا ومدينتنا ووطننا ·

نحب كل الناس وكل المدن ، لو احببنا اهلنـا اولا ومدينتنا اولا ·

سواء اكانت مدينتنا صغيرة ام كبيرة ،

سواء اكانت قريتنا قريبة ام نائية ،

سواء اكان حينا فقيرا ام غنيـا ·

وحب الانسانية كلها يبدأ من حبي الحقيقي لانساني انا اولا ، كما هو لاكما يجب ان يكون ، فليس للحب شروط ·

وحبي الحقيقي لمـدن الاخرين وقرى الاخرين يبدا من حبي الحقيقي لمدينتي اولا · ومن لايحب المكان الذي ولد فيه لن يعرف لذعة الحب الحقيقي لاي مكان· ومن لايحب مدينته لن يحب حب الاخرين لمدنهم · وحبي لدمشق لاينفي حبي لمدن وقرى الاخرين ، وحبي للشام « المدينة » هو حبي لبلاد الشـام من سقي الفـرات الى سقي النيل · وحبي لابن الشـام هو حبـي للانسان العربي من المحيط للخليج ·

اعتـرف · انا مريضة بحب الانسان الدمشقي الشعبـي الفقير الاصيل وبكل انسان اصيل فقير · وانا مريضة بعشق الشام مسقط راسي ولااحب ان اشفى · ولن يبهرني الجديد اذا كان مزيفاوبلا هوية عربية ، ولن ينسيني وفائي للقديم وللعريق · وكما يقول المثل الشامي « اللي مالو عتيق مالـو جديد » والذي يلهث وراء الجديد مخلفا وراءه التاريخ رافضا الاستناد على اعمدة الحضارة يسقط · وانا لا احب ان اسقط · وليس من طبعي اناسقط · انا طالعة ابدأ نحو الحضارة العربيـة · والحضارة العربية مـاض وحـاضر

ومستقبل · ولن تنسيني مدينة دمشق الجديدة الشام في المزة ، الشام في أحيائها الشعبيـة والشام « داخل السور » ، ولن ينسيني شارع « ابورمانة» مدينة ماري ومدينة تدمر ومدينة أوغاريت ومدينة لاوذيسيا ومدينة بصرى ومدينة ايبلا ومدينة افاميـا · مستحيل ·

ولن تنسيني السيارة متعة الركوب بالعربة علـى ايقاع حوافر الخيل العربية الاصيلة ·

الشام ، جزء من الحضارة السورية القديمة ، تسكن صدري كالروح ولن تفارقني الشام الا عندما تفارقني الروح ·

والشـام قطة بيضاء سمينة مدللة اسمها « شامة » تنام في عبي فيالليل « وتقرأ وتنفخ وتكتب » ·

واكتشفت عندما طار الكتاب وسافر كالريح الى العالم ، انني لست وحدي ، انتم معي ، أنا أنتم ، وصورتي هي صورة الكـل ·

« ياما ل الشام » نبع صـافي السريرة وكل واحد فيكم « نرسيس » يرى في مـرآة النبع ذاته الجميلـة ويحبها حتى درجةالفناء ويرمي نفسه في « نبع الشام » حتى لو كان يسكن آخر الارض ·

« وثورة الحنين » التي اثارها ياما ل الشام في ضمائر أهل الشـام وعشاق الشام من العرب السوريين واخوتنا العرب في الوطـن العربي وفي المهجر والمغترب في مشارق الارض ومغاربها من استراليا حتى كندا وامريكا الشمالية وامريكا الجنوبية ، لهي ثورة تدل على خلود هذه المدينة اقـدم مدينة في التاريخ ورمز المدينة العربية في الوطن العربي ·

انهـا ثورة حنـين الى المدينة العربية الاصيلـة ، الى تقاليد البيت العربي العريق الى اخلاق الاسرة العربية العريقة في المدن والريف والصحراء من الارض العربيـة ·

ان اهتمام المستشرق ميشيل باربو البروفسور في المعهد الوطني للغات الشرقية في باريس ، بدراسة « ياما ل الشام » ، والاخذ عنه في دراساتـه ومقالاته ، وزيارته الخاصة لي في بيتي في دمشق عا م١٩٧٣ للسؤال عـن شرح الامثال الشعبية الشامية الواردة في الكتاب وعن نداءات الباعة فـي اسواق وحـارات الشام ،

وان لهفة المستشرقين الاجانب وجامعات العالم وكل من يهتم بقضايا التراث والفولكلور العربي من الطلاب الجامعيين العرب والاجانب ومن اساتذة مادة التراث في العالم الغربي ،

ومـا عبر عنه من أعجـاب وفرح حقيقي المواطن العربي السوري وابن دمشق جان كساب الاستاذ في معهد اللغات الشرقية التابع لجامعةالسوربون في باريس ، وانكبابـه على الاستعانـة بقطـع الكتاب لتدريس « اللهجـة الشـامية » لطلاب المعهد المـستشـرقين .

وما لمسته من اعجاب المواطن العربي السوري التاجر الدمشقي المغترب في هيلسينكي ـ فنلندا ، عبد المجيد عرار ، ومحاولاته الجادة لمساعدةالمستشرق الفلندي الكبير البروفسور آرامز سالونين رئيس جمعيـة الصداقة العـربية الفنلندية ، والبروفسور آرو ، على ايجاد طريقة سهلة لتدريس « اللهجـة الشامية العامية » لطلاب جامعة هيلسينكي من عشاق اللغة العربية الفصحى، واللهجات العربية العامية لكل مدينة وقرية عربية ، وذلك بتسجيل القطـع العامية من كتابي بصوته على شريط تسجيل ، ثم مساعدته للبروفسور آرو في تفسير الامثال العامية وشرحها للطلاب ،

كل هذا وغيره كثير كثـير ، قد منحني القوة على متابعـة الرحلة مع دمشق الشام اقدم مدينة في التاريخ ، على طريقتي الخاصة وبلهجة اهلي اهـل مدينتي .

وأن اعاد «صقر قريش» الدمشقي الاموي «عبد الرحمن الداخـل بـن معاويـة » ، امجاد الشام والامويين في عمران الاندلس وحضـارة الاندلس ،

فأنا احس بأني امتداد له عبر التاريخ . أموية أنا كعبد الرحمن الداخل تحاول اعادة بنـاء دمشق الجديدة على صورة دمشق القديمـة لتوفر عنصر الديمومة للحضارة وللروح في هذه المدينة العظيمة . تحاول أعـادة رسـم عمران الشام وتصويرها بالقلم وبالقلب للحفـاظ علـى اسلوب العمـارة الدمشقية العربية ، وعلى هوية الانسان العربي ، بعد ان كاد الحريق الكبير ياتي على ماتبقى من اصالتهـا وروحها ومعالـم حضارتهـا .

□ □ □

جاكارتا ٣٠/٥/١٩٦٩

رسالة صباح قباني

العزيزة سهـــام :

لاازال اتساءل ٠٠ ايهما احلى : الشام ؟ أم كتابك عن الشام ؟ ٠

واكاد اظلم هذا الذي دفعته الى الناس حين اسميه كتابا ٠ انه بالاحرى قصيدة عذبة ، صلاة شفافة كتبتها في حب دمشق بقلمك الذكي الوفي ـ وما اقل الاوفيـــاء لدمشق ٠

لاادري لماذا تذكرني سطورك بقطعة من سجادة عجمية ثمينة كانت عند عم لي ٠ كان عمي هذا يقطن أيام الثورة السورية في زقاق سيدي عــامــود (مكان الحريقة الآن) ، وكان بيته آية في الفن الشامي العريق بزخارفـــه وهندسته، وبما كان يغص به من تحف ، وزبادي صيني ، وسجاد عجمي ٠

وحين قصف الفرنسيون الحي وحدثت الحريقة الكبيرة ، اتت النار على بيته وراحت تلتهم كل مــا فيه بلمــح البصر ٠

وركض عمي مــع الراكضين ، تحت جنح الليل الذي اضاءتـــه النيران ، لينجو بنفسه وبأسرته ٠ ولكن قبل أن يجتاز الباب ، توقف لحظة ، والتفت الى الـــوراء ليلقي على البيت المحترق نظرة اخيرة ، نظرة أودعها كل مافي قلبه من حزن واسى وحب وذكريات ٠ وفجاة طارت قطعــة ملتهبة الاطــراف مــن سجادة القاعة وسقطت الى جانبه ٠ فما كان منه الا ان اطبق عليهــا بكلتــا يديه دون ان يبالي بالنـــار المشتعلة فيها ، وراح يخمد لهيبها باصابعه ، ومن ثم ضمها الى صدره وانطلق بها وهو يحس وكانه يضم كنوز الارض ٠

ومرت الايام ٠٠ وساءت حال عمي ٠ وقطن في بيت اسمنتي متواضع في ضاحية المزة ٠ الا ان قطعة السجاد الصغيرة المحترقة الجوانب ظل لهـــا مركز الصدارة في منزله ٠ كانت رمزا حيا لبيته الذي ضاع ٠ كانت تتمثـل له فيها زخارف بيته العربي الجميل ، ودياره الرحبة ، وأحواض زهــــره وياسمينه ، ونافورته الصادحة ٠٠ كانت هي بيته ٠



الفنان خالد معاذ ـ دمشق

كتابك ياسهام هو قطعة السجادة الثمينة التي انقذتها باصابعك الجريئة من الحريق الكبير الذي ما انفك يلتهم دمشق • انقذتها لنا ـ لكل الذين يعرفون كيف يحبون دمشق ، ولكنهم ماعرفوا ـ مع الاسف ـ كيف يعبرون عن هذا الحب •

في كتابك رايت نفسي ، رأيت طفولتي وصباي الاول في « مادنة الشحم » و « البزورية » و « معاوية » • في كتابك سمعت صوت ابي ، وعبارات امي ، وتصايح اخوتي ، ونداءات أهل الحارة • وشممت روائح الياسمين والمضعف والشب الظريف التي كانت تملأ ارض ديارنا •

الجراة هي اهم سمات الكتاب في نظري •

فالعامية الشامية التي صورت بها دمشق والدمشقيين لم تقف دونها اعتبارات كثيرة خطرت بذهنك حتما وانت تكتبين • فلا بد انك تصورت كيف سيتساءل المتسائلون المتادبون :

« حاملة فلسفة وتكتب بالعامية ؟ »

« بنت مثقفة ويرد على قلمها عبارات نابية نقلتها كما هي من الحارات والاسواق والحمامات » ؟ !

كل هذا على ما أظن ورد الى خاطرك الا انك حزمت أمرك ، واسقطت كلمة « ياعيب الشوم » من الحساب ، ورحت تكتبين عن دمشق بعفوية ، وبلغة عذبة منسابة كانسياب المياه الصافية من فم سبع نحاسي على بحرة دمشقية « تسبح فيها بطيخة وزهرات ياسمين » •

الا أن هذه الجراة وهذه العفوية افتقدتهما في القسم الثاني من الكتاب الذي بدا بيوميات فتاة دمشقية • لماذا هي يوميات « فتاة » وليست يومياتك انت ؟ هنا بدات « ياعيب الشوم » تطل براسها وتقف كالسلك الشائك بينك وبين الذين يقرؤونك •

عن دمشق : كتبت بروح البيت الشامي الرحب المفتوح •
عن نفسك : كتبت بروح المنزل الاسمنتي الحديث ، حيث كل ما فيه مغلق ، مغلق ، فلا نسمة تلعب ، ولا ياسمينة تضحك ، ولا نافورة تصدح •

الحواريات العاطفية الفلسفية بينها وبينه في آخر الكتاب عميقة لاشك ، ذكية لا شك ، الا انها ليست من « مال الشام » • فهي يمكن ان تجري بين اي شاب وفتاة في اي بلد في هذا العالم •

خفقات قلب الفتاة الشامية لم نسمعها على حقيقتها بعد · كيف تحب ؟ كيف يتسلل الحب الى قلبها بحياء وحذر ؟ كيف تقول لمن تحب « احبك » دون ان تقولها له ؟

كل هذا لم تسجله اية كاتبة سورية بصراحة وعفوية وانفتاح · فالكاتبات المخضرمات عندنا كتبن بلغة الرجال ، ولم يكتبن بلغتهن ولذلك حجبت الكليشات الرجالية والعبارات الانشائية المكرورة عن اعيننا عواطفهن الحقيقية ، ولم نحس بحرارتها ولا بزخمها ولا بنكهتها ·· الخاصة ·

اما الكاتبات المحدثات فاستعرن عواطف البطلات الغربيات في الرواية الفرنسية والانكليزية والامريكية ، والبسنها أردية شرقية · فبقيت هذه العواطف بين بين ، « لاشرقية هي ولا غربية » · وبقينا نحن في مكاننا لم نكتشف شيئا ولم نعرف شيئا ، وظلت عواطف الفتاة الشامية سراء مخبوءا تحت حجر كبير ، ولا من ترفع الحجر ·

ملاحظتي هذه لا تنقص شيئا من روعة كتابك ولا من عذوبته · انه يذوب حلاوة كمشمشة حموية من غوطة دمشق ·

مها تشارك في ارسال الشكر على هديتك القيمة وفي التعبير عن عن اعجابها البالغ ·

ولك منا اصدق المحبة والود ·

صباح قباني



صورة رسالة صباح قباني

ق.ب ١٩٦٩/٥/٣٠

العزيزة سلام :

مرة أخرى أشكرك — أيهما أحلى : الشام ؟ أم كتابك عن الشام ؟

وكان أعلم هذا الذي دفعته إلى الناس هنا ؟ [illegible] إنه ذاكرة مضيئة عذبة ، وصلاة أمانة كتبتها في حب وشوق تعليقك الذكي الواعي — وما أقل الأوفياء لدمشق .

لا أدري لماذا تذكرني سطورك المقتطفة من سيارة كبيرة فخمة كانت تنقلكم [illegible] كانت تلك هذه تلك أيام الثورة السورية في زقاق سيدي عامود (زقاق الحريقة الآن) ؟ وكانت بقية آثار [illegible] في الحريق نرى أطرافه وهندسته ربما كانت يقعد به من تحت ، ونادي صيفي وسباق الخيل .

وهنا يقف [illegible] الحريقة

الكبيرة ، أخذت النار على جثته ، وراحت تلتهم كل ما فيه بلمح البصر

وركض عمي مع الآخرين تحت جنح الليل الذي أضاءته النيران ،

ينجو بنفسه وبأسرته . ولكن قبل أن يجتاز الباب ، توقف

لحظة ، والتفت إلى الوراء ليلقي على البيت المحترق نظرة

أخيرة — نظرة أودعها كل ما في قلبه من حزن وأسى وحب

وذكريات . وفجأة طارت قطعة ملتهبة الأطراف من

ستارة القاعة وسقطت إلى جانبه فما كان منه إلا

أن أخذها بين كفتي يديه دون أن يبالي بالنار المشتعلة

فيها . وراح يطفئها بأصابعه . ومن ثم ضمها إلى

صدره وانطلق بها وهو يحس وكأنه يضم كنوز الأرض

ومرت الأيام . وساءت حال عمي . وقطن في

بيت بسيط متواضع في ضاحية المزة . إلا أن

قطعة الستار الصغيرة المحترقة الجوانب ظلت لا

تحتل الصدارة في منزله . كانت رمزاً حياً لبيته

الذي ضاع . كانت تمثل له ذكرى زمان ذهب

العرب الكبير . والإمارة الرحبة ، والمحافظ زهرة دمشق ، والخوري

المعاودة فاتت في بيته .

كتاباتي عن دمشق هي قطعة من السجادة الشامية التي أتقنوا

في حياكتها الكبرى من "الحريق" الكبير الذي ما انفك يلتهم

دمشق . أتقنوا بها – لكن الذين يعرفون كيف يحبون

دمشق ، ولكنهم ما عرفوا – مع الأسف – كيف يحبون

من هذا الحب

في كتاباتي رأيت نفسي ، رأيت طفولتي وصباي الأول

في "حارة الشحم" والقنوات والبزورية ومعاوية . في

كتاباتي سمعت صوت أبي ، وعبارات أمي ، وقصائد

الهيل ، ونداءات أهل الحارة ، وشممت روائح

الياسمين والقمح والشاي الطريف التي كانت تملأ

أرض ديارنا .

المرأة – هي أهم سمات الكتاب في نظري فالعاطفة الشابة
التي صورت في رسمه والمشتهى لم تقف دون اعتبارات كثيرة
خطرت بذهنك حتما وأنت تكتبه فلابد أنك تصورت كيف
سيتناول المحللون الثائرون : " – حالة فلسفة وكتب
بالعاطفة ؟ " – حيث تتفقه ويرد على قلمك عبارات
نامية تطفو في من الكائنات والأصوات والكلمات ؟

كل هذا على ما أظن ورد إلى خاطرك ، إلا أنك
هزئت أمرك ، وأشعلت كلمة بالحب الشعوبية منه
الكتاب ، وجعلت كتبه من رسمه بعفوية ،
دافئة عذبة منسابة كانسياب المياه الصافية
من فم سبع فناسي على حبرة ورشفة "التي فيها
بلهفة وذكريات يحييها" .
إلا أن هذه المرأة وهذه العفوية افتقدتهما
في القسم الثاني من الكتاب الذي بدأ بيوميات

فتاة دمشقية . لماذا هي يوميات "فتاة" وليست يومياتك
أنت ؟ هذا سؤال "بائع السوس" تحمل رأسه وتقف
فاصلاً مشكوكاً بينك وبين الذين يقرؤونك .

عن دمشق : كتبت بروح البيت الشامي الرحب المفتوح .
عن نفسك : كتبت بروح المنزل الإسمنتي الحديث حيث كل
ما فيه مغلق . مغلق ، فلا نسمة تلعب ، ولا ياسمينة تضحك .
ولا نافورة تقهقه .

الحوارات العاطفية الفلسفية بينها وبينه في آخر الكتاب
عميقة بلا شك ، ذكية بلا شك ، إلا أنها ليست
من "حال" الشام . متى تمكن أن تجري بين أي شاب
وفتاة في أي بلد في هذا العالم .
صفحات قلب الفتاة الشامية لم تشرحي لنا حقيقتها
معه . كيف تحب ؟ كيف يتسلل الحب إلى
قلبها بهدوء وهدوء ؟ كيف تقول لمن تحب
"أحبك" دون أن تقولها ؟
كل هذا لم تسجله أية فاتنة سورية بصراحة

والعفوية والانفتاح . فالكاتبات المغربيات عندنا كتبن
بلغة الرجال ولم يكتبن بلغتهن . ولذلك غابت الكتابات
الرومانسية والعبارات الانشائية المكررة عن أعينهن وعواطفهن
الحقيقية ولم نحس بحرارتهن ولا بفرحهن ولا بشكواهن الخاصة

أما الكاتبات الجديدات فاستعرن عواطف البطلات الغربيات
في الرواية الفرنسية والانكليزية والأمريكية وألبسنها
أزياء شرقية . فبقيت هذه العواطف بين بين
«لا شرقية ولا غربية» . وبقيت هي في مكانها لم
تكتشف شيئاً ولم تعرف شيئاً . وظلت عواطف
الفتاة الشرقية سراً مخبوءاً تحت حجر كبير ، ولا
تنتظر من يزيح الحجر .

ملاحظتي هذه لا تنقص شيئاً من روعة كتابك ولا
من عذوبته . إنه نموذج حلاوة كتابة عفوية
من عاطفة وفن
سهى تشارك في إرسال الشكر على هديتك القيمة
وفي المقبل من أجزائك السابع
ولك منا أصدق المحبة والود

٧/١/ م

يا مال الشام

يا مال الشـــام يا الله يا مالي　　طال المطـــال يا حلوة تعـــالي
طال المطـــال واجيتي عالبـــال　　ما يبلى الخـــال عالخد العـــالي

* * *

طـــال المطـــال طـــال وطول　　الحلوة بتمشي تمشي وتتحول
يا ربـــي يرجـــع زمـــن الاول　　يوم يا لطيف ما كان على بالي

* * *

طال المطـــــال وعيوني بتبكي　　وقلبي ملان مـــا بقدر بحـــكي
يا ربـــي يكـــون حبيبي ملكي　　يوم يا لطيف ما كان على بالي
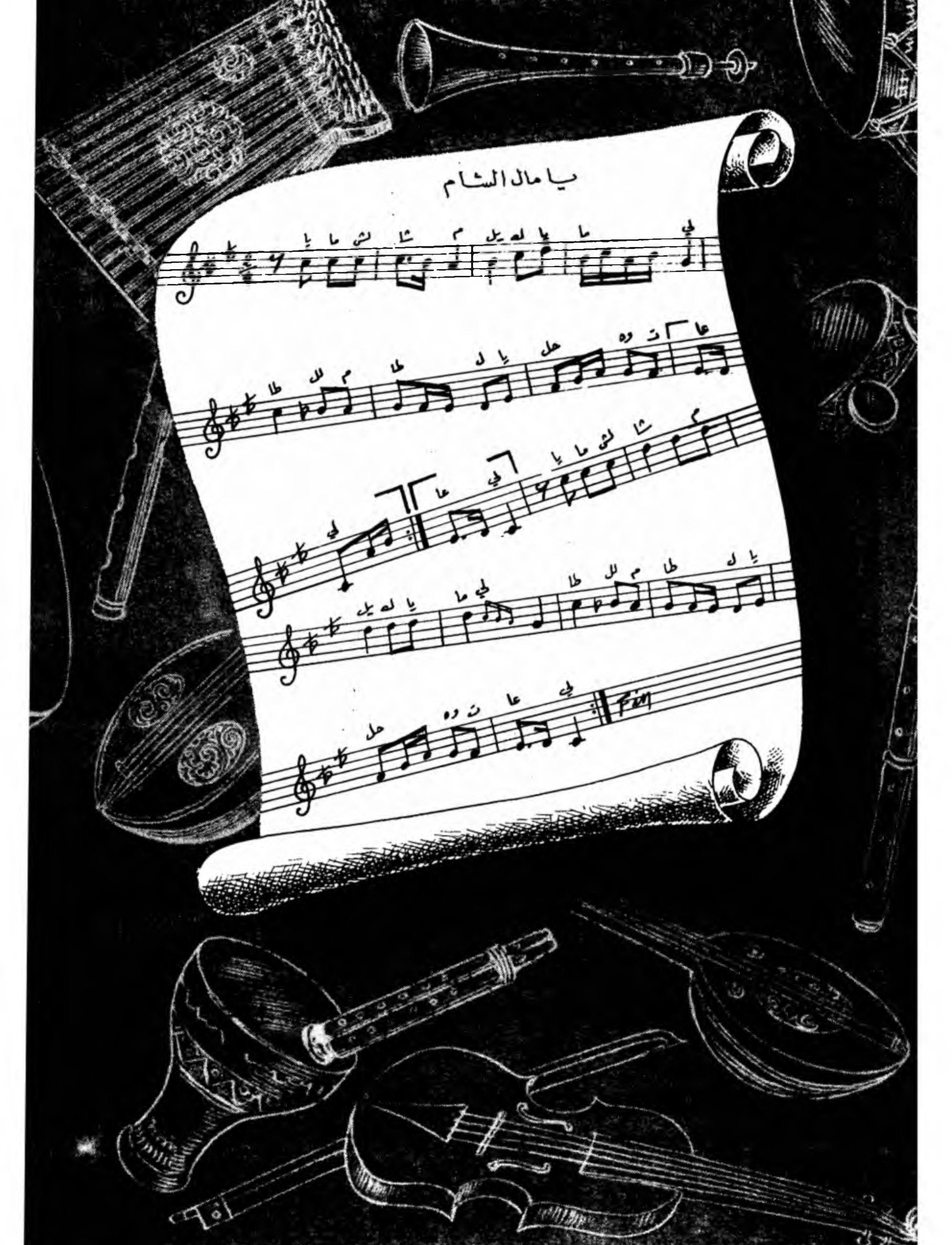
* * *

طال المطـــال ومـــا شفناهم　　يوم الاســود يوم الودعنـــاهم
يـــا ربـــي تجمعنـــي معـــاهم　　يوم يا لطيف ما كان على بالي

* * *

اغنية دمشقية اصيلة قديمة الفها ولحنهـــا الفنان الدمشـــقي الاصيل ابو خليل القباني . . .

رحل الفنان العظيم . . . وما زال وسيظل لحن يا مال الشـــام خالدا خلود دمشـــق .



يا مال الشام
Fin

أنا رجعية

كلما كبرنا .. كلما افتقدنا الطفولة وملاعب الطفولة . وكلما سرت في شوارع دمشق الحديثة ، كلما اشتد بي الحنين الى حارات دمشق القديمة. وعندما تقفز طفولتي الى شعوري ، بيدها كرة صغيرة وفي رجلها قبقاب ملون صغير ، وانا في طريقي الى حي عتيق ينام فيه بيتنا العتيق ، او الى سوق قديمة قديمة تفوح منها رائحة الشام المدينة المعتقة ، اكتشف بان التصاقي بكل ما هو قديم اشد بكثير من تعلقي بما هو حديث . واكتشف بان الحقيقة الوحيدة الجوهرية في نفسي هي الحقيقة التي ترافق طفولتنا ، وكاني بالطفولة تعي ما يدور حولها وتلتصق به كصورة من صور الاصالة لا تريدها ان تتغير . وهذه العودة الى الماضي تؤكد لي ان الطفولة الواعية الصافية ترفض سلفا كل ما سيأتي به الغد .

انني أحن الى الماضي ، الى صفائي ، الى الطفلة التي كانت طفلتين، طفلة تلعب وطفلة تراقب من تلعب .

اراها الآن جيدا تلك الطفلة التي احبت الماضي واختزنته من اجلي جوهرة صافية خالية من كل تزييف كحجر عقيق ثمين احتفظت به امي عن جدتي وجدتها وجدة جدتها كرقية ضد مفاجآت الحياة المقبلة .

طفلة تحب اللعب والنط على الحبل مع بنات الحارة في حي سوق ساروجة على أرض حجرية بين جدران مهترئة وابواب خشبية قصيرة مزينة بالمسامير ، وقرب اكوام من قشر البطيخ والزبالة في الصيف ، وعلى طبقات من الطين وفي برك من ماء المطر في الشتاء ، في حارة ضيقة جدا جدا بيوتها من شدة القرب تكاد تقبل بعضها بعضا ، جدرانها من شدة الحب تلتصق ببعضها .. وخلف نوافذها واخصاصها الخشبية العالية تختفي عيون الحريم الفضولية الساحرة .

وترفض تلك الطفلة ، الصبية الآن ، رغم قناعتها العقلية بقانون



الفنان ناظم الجعفري ـ دمشق

التطور، ترفض الابنية الجديدة العالية المصنوعة كعلب الكرتون، والشوارع العريضة الاسفلتية الملساء ، والفيلات الانيقة المتباعدة ، والجيران الذين يمرون دون كلمة « صباح الخير » .

انا . . . انا ابنة دمشق العتيقة التي تنام بخجل وهدوء وبقناعة هناك في حضن الغوطة تحت عين جبل قاسيون الذي كان يحمل في قمته وفي صدره وفي سفحه ما يبعث على الايمان والرهبة : كرسي الداية ، قبة السيار ، الاربعين « أهل الكاف » ، قبر الشيخ محي الدين بن عربي . وطار « كرسي الداية » بمدفع فرنسي ، ولا يزال اهل الكهف في الاربعين يغطون في نوم عميق ، ونفيت قبة السيار عن « حواكير الصبارة » وزرعت البنايات بدلا عن الصبارة . ووصلت الشوارع الحديثة حتى مزار الشيخ بن عربي ، وعلى راس الجبل الاجرد ارتفعت مكان كرسي الداية محطة التلفزيون العربي السوري ، وعلى عامود التلفزيون العالي ضوء احمر يغمز لنا بعينه الحمراء في الليل .

انا واحدة بين ابناء دمشق الذين زرعوا بخطواتهم منذ الصغر على ارض احيائها الحجرية « الفرزة » النافرة كارض من البيض القاسي ، وعلى دروب اسواقها وغوطتها وبساتينها ، خريطة فرح التصاق الانسان بأرضه باسواق بلده ، بسوق الحميدية واسواقه الصغيرة : الخجا والحريقة والعصرونية والحرير والقيشاني والسلاح والمسكية والخياطين وباب بريد، بسوق مدحت باشا واسواقه الصغيرة المتفرعة: الصوف والقطنوالنسوان والبزورية . بسوق العتيق واسواقه الصغيرة : خان البطيخ وخان الزيت وعلي باشا وطلعة جوزة الحدبا وسوقساروجة وسوق الهال .

طفولتي متعلقة بأحياء الشام العتيقة ، بالميدان ، بالشاغور والتيمرية والقنوات وسوقساروجة والعمارة وباب توما والقصاع والشيخمحيي الدين والمهاجرين . . . وبحارات الشام . . تولي . . الورد . . الشالة . . السمانة . . ستي زيتونة . . العقيبة . . بوابة الآس . . السبع طوالع . . النوفرة . . بحرة الدفاقة . . المناخلية . . باب سريجة . .

ولا زلت حتى الآن احن الى بيتنا في حي سوقساروجة الذي كانوا يسمونه « استنبول الصغيرة » لشدة عراقته وجماله واصالته . في هذا الحي العريق خلقت. حملتني امي في حارة « تولي » وولدتني في « العمارة » وارضعتني في « المناخ » وسكنا عدة بيوت آخرها بيتنا العزيز في حارة القره ماني . واهلنا يسكنون حارة « الورد » وحارة « الشالة » وحارة

« البحصة » وحارة « السمانة » وحارة « العقيبة » وفي « مز القصب » وفي « داوراغا » وفي « مادنة الشحم » .

لم يكن في بيتنا حمام كغالبية بيوت الشام القديمة . لهذا تمتعت بطفولتي بحمامات دمشق الشهيرة .

وكانت زيارة حمام السوق الاسبوعية متعة كاملة لي ولاخوتي لا تقل عن متعتنا في « سيران » . وكم وكم تزحلقنا على ركبنا على بلاط الحمام الواسع الذي تغطيه رغوة الصابون وتيارات الصابون التي لا تنقطع ، وضحكاتنا البريئة تتردد في مقاصير الحمام وتتصاعد مع البخار الذي يعشعش في الحمام كالضباب ، وترجع قباب الحمام المنورة « بنور الله » الداخل الينا من « القماري » الزجاجية الكثيرة ، صدى تلك الضحكات فما يزيدنا رجع الصدى الا اصرارا على الضحك والعبث ، لقد كان حمام القره ماني مسرحا دائما لافراحنا وملعبا رائعا من ملاعب طفولتنا . ولن انسى ابدا حمام « الورد » وحمام « الجوزة » وحمام « فتحي » وحمام « الخانجي » وحمام « ملكة » في الدرويشية اجمل حمامات دمشق . حرمت منه لانه كان مخصصا للرجال فتفرجت عليه من بابه عندما كنت طفلة وذهبت لاتادي لابي لاقول له كلمة . . . !! وفتحت باب الحمام ، حمام ملكة بحذر وطالعتني صورة مدهشة تصعق النفس لشدة سحرها ، وطبعت الصورة في ذهني ، وهدمت من الدرويشية .

كنا قبل الحمام نستعد للرحلة المغرية بفرح عظيم . نذهب الى الحمام ببقجة الملابس النظيفة وبقجة « غراض » الحمام : الطاسة ، كيس الحمام الحلبي ، الصابون الغار الحلبي ، الليفة ، الترابة الحلبية الحمراء المطيبة ، الدريرة الناعمة ، المشط الخشب ، مشط « سن السمك الابيض » ، الحجر الاسود الخفان الناعم الذي ينظف الكعب ، القباقيب . كما نحمل بقجة المناشف النظيفة والفوط الخمرية المقصبة المقلمة ، والشرشف الابيض النظيف الذي نفرده تحتنا على مصاطب الحمام ونجلس عليه عند طلوعنا من الحمام لارتداء ملابسنا التي كانت تحرسها الناطورة . هذا عدا ما تأخذه لنا امنا في بقجة خاصة من انواع المآكل الطيبة نتناولها بشهية بالغة في الحمام كالبرتقال في الشتاء وعرايس الزيت والزعتر والزيتون الاسود والمخلل « اللفت » . وكانت اطيب اكلة نأخذها معنا المجدرة بالزيت . وفي الصيف كان ابي يرسل لنا البطيخ الاحمر وسطل العرقسوس البارد الذي ينعش القلب في جو الحمام الملتهب . وكانت البلانة تساعد امي بتغسيل رؤوسنا وتفريكنا مقابل قروش معدودة ، وتدخل المعلمة اكثر من مرة لتسأل عن راحتنا « وتونس » زبوناتها بكلمات

ترحيبية،والاجسام البضة البيضاء تلتف حولها فوط الحمام ، وترتمي نهاية كل فوطة على كتف صاحبتها الايسر ، فتزيد هذه الاجسام جمالا على جمال، وكانها تماثيل من المرمر الابيض لفت بفوط خمرية مقلمة بخيوط القصب الذهبية . وجو الحمام يبعث على البهجة . فيهذه المقصورة عروس،وعلى ذلك الجرن عجوز « تنفض » الحنة عن راسها فتسيل على ارض الحمام ساقية سوداء مقرفة كنا نتحاشاها بقفزات سريعة تشبه قفزاتنا عن ساقية صغيرة في بستان ، وعلى « بيت النار » الحامي وسط الحمام الذي تطل عليه ابواب المقاصير بشكل دائري تجلس بصبر نافد « نفسا » قد اكملت الاسبوعين وجاءت « لحمام الفسخ » فدهن جسمها كله بلون اصفر غريب تنبعث منه رائحة نفاذة ، وزغاريد تنطلق من مقصورة العروس ، وخناقة حامية بين عدة نسوة على جرن واحد كانت تنتهي بالضرب بالطاسات ، وجرن مجاور تجلس عليه زبونة واحدة مع اولادها تتمتع بمياهه بلا مشاكل مع الناس لانها اخذته « جرن حماية » ودفعت فيه مبلغا عاليا ، وطفل « بولول » ويبكي في حضن امه بعد ان دخلت رغوة الصابون في عينيه ، وسيدة « تسكب » على راسها عدة طاسات اخيرة ثم تتوضأ ، وام «تعرض» على طفلها عند البلوعة عله يتعلم وتقول له : ااا ح ... اااا ح ...!! فمع تكرار المحاولة سوف « يعلم » ويقلع عن عادته في ان يعملها في « حفاضاته » . وفي ذهنها تعد له مؤامرة جديدة لتفطمه عن « بزه » وسوف تدهن حلمة ثديها بالصبر او بالبن ليقرف من ثدي امه ويبدا بتناول الطعام؛ والى جانبها على جرن قريب ام تسكب على راس آخر طفل من اطفالها عدة طاسات علامة الانتهاء من الحمام وتقول له : « ايديك عشرة ورجليك عشرة وعلى قلبك عافية ونشرة » . وامراة بدينة تقف مجاة لتلحق بابنتها الهاربة وتضربها وتشدها من شعرها وتعيدها الى الجرن ، وقد نسيت فوطتها بسبب عامل السرعة والغضب فسترت عورتها بالطاسة . وحامل تسير متثاقلة ، يظهر ان هذا هو « شهرها » !! ، وام لعشرة اولاد نقدت المياه الباردة على جرنها فاخذت تصرخ « بارد .. بارد .. بارد » !! وبلانة تركض حافية نحوها بسطل ماء بارد تحمله بيدين سوداوتين من اثر صبغة الحنة ، قادمة به من بحرة البراني النظيفة ، وصبية تدق راس كرنب على طرف بلاط الحمام « فتفلعه » نصفين ، وفتاتان ترش كل منهما الاخرى بالماء

البارد . وأم تقول لابنها : تعا تقبرني بقيانلك دورين لـــه ما ساويتلك الا تلت تمام . وعندما يغسل الراس « اول تم وتاني تم وتالت تم » فهذا هو الدور.ولا بد لكي يصبح الراس نظيفامن ثلاثة ادوار يأخذ الطفل بينها فترات لعب واستراحة . وفي متصورة مقابلة دق على قفا الطاســـات وتصفيق مبلول « ورقص وخلع على ابو جنب » . وصرخات حادة من عدة نساء بسبب دخول زبونة جديدة الى الحمام ومعها عدة اولاد وبينهم « طفل » بل « صبي » في العاشرة يطلبن مغادرته حمام النسوان :

— ما بيصير يفوت عالحمام .. قد « الشنتير » مو صغير منوب .

— يا أختي والله صغير ..!!

— لا مو صغير . هادا صغير . طـــلاع يا ولد احسن ما نولول نلم رجال الحارة ..

— والله ما طبق السبعة ..!!

— المسخ .. لأ عم يرضع .. روحي جوزيه ..!!

— لا تروح تجيب ابوه احسن ..!!

— طلاع ولاك ... طلاع لبرة ...

— مالي طالع ...!!

وتحتدم المشاجرة وترتفع الى درجة السباب بين ام الصبي وزبونة لسانها سليط :

— طلاع عم تلك ...! ولي عليك شو « جنر » !!!

— مالي طالع .

— ورصاص اللي يخلع رقبتك والله ما تفوت لكسرك ...

— احسني ارفعي « مكسورتك » عليه ، ما فشرتي شو مقطوع ما في حدا وراه ..؟!

ـ اي بدي العن ابوك على ابو اللي فوتك عالحمام طلاع لبرة «ولا» !!

ـ يا عيب الشوم عليكي شو نورية ما بتستحي !!

ـ واحدة متلك نورية .. الواه الواه عليكي انت شو آدمية ياللي بتجيبي معك رجال على حمام النسوان !!

ـ والله والله ما تفوتي انت وياه قدم لحتى ساوي جلدك وجلد ابنك دربكات .

ـ لك شو هاد يابنتي انتي وياها .. اخزو الشيطان .. طلاع يا ولد لبرة . طالعيه الله يرضى عليكي رح تطفشيلي زبوناتي ، ابعتيه مع ابوه قبل الضهر ، صار شب ما شا الله ويخزي العين .

ـ امشي لك ابني امشي ، حتى « المعلمة » اجت مع الرزيلة ، اي والله ما بقينا ندوس ها لحمام بعمرنا .

ـ انا رزيلة .. اي الله معك دربن يسد ما يرد .

ـ يو العين تطرقك انت و « هالمنطق » .

ـ ان شا الله قامتك وعشرة من حارتك .

ـ يوه يوه تقبروني على هالمرا . بتعرفي ، انتي الواحدة احسن شي ما ترد عليكي خليكي عم تعوي مثل الكلبة ، امشي لك ابني يبعتلا حمى هزتلي بدني .

ـ يو الحمى تاخدك ...!!

ـ لك حاجة بقى افرطوها ، يي شو قلبكن حي وروحكن طويلة .

يا الله يا جماعة يا الله كل مين على جرنو ، تفضلي معي لبرة والله انا ما بريد زعلك بس يا اختي صعبة ، النسوان « بالزلط » وابنك كبير تقبريني بيفهم كل شي ، ما بجوز وانتي ما بتريديها. تعا حبيبي روح هلأ انت عالبيت وبكرة بتجي مع ابوك لحمام الرجال انت صرت شب رح يطلعلك شوارب ، وانت والله ما بتروحي زعلانة والحمام على حسابك والله ما بخليكي الا رضيانة، فوتي انت وهالصغار عالحمام وان شا الله حمام الهنا سلف ..!!

ويخرج الصبي وينتهي المشهد العنيف .

شيء واحد كان يخيفني في حمام السوق : الصراصير الحمر الكبيرة التي تنتشر على جدران وسقف وبحيرة الوسطاني الجدارية وحول « بلاليعها » . اما المنظر الذي كان يصعقني ويجعلني اهرب « لعند امي » فهو منظر المراة التي تعلق « دود العلق » على ثدييها ورجليها فيمتص دماءها ويتدلى من جسمها سمينا متخما ، تماما كما يعلق الرجال العلق قرب آذانهم بعد ان يشتروا العلق من « الحلاق » طبيب المدينة المنقرض الذي كان يجمعها في قطرميز كبير زجاجي . واسال امي :

— لماذا تعلق الدود على بزازها يا امي ؟

— يا امي يمكن معها « بلغمية » شو بدنا فيها الله يعينها ، انت وينك هربانة ! تعي لهون لحتى غسلك راسك بدنا نروح حاجتكن لعب !! اندهي لاخواتك وتعو قوام .

— يا امي الله يخليكي بس شوية .. عم نتزحلق على ركبنا على بلاط الحمام محل ما في صابون كتير !!

— يا الله حاجة الله يرضى عليكن تمست الدنية !! واعود لانادي اخواتي وابتعد عن « ام العلق » في طريقي والتصق بالجدار .. يا لطيف .. كم هو منظر مرعب ومهما كان منظر كاسات الهوا التي تتعمشق بلحم الظهر لشفاء السعلة ، ومنظر الاوراق الصفيرة تشتعل داخلها وتكاد تحرق الظهر بنارها ، فان منظر « العلق » لا يعادله منظر .

كنا كل يوم خميس عندما تنتهي مدرستنا ونشعر بالفرح لان عطلتنا من المدرسة ستمتد الخميس بعد الظهر ويوم الجمعة كله ، نبدا بالاستعداد لرحلة الحمام بعد الغداء يحدونا الامل بقضاء فترة حلوة نتزحلق فيها على الصابون وننفخ بالونات الصابون في سقف الحمام ونتراشق بالماء البارد ونلعب مع بقية الاولاد ، وفي زحمة هذه الاحلام المغرية نتساهل في حمل الانتقال ويحمل كل منا « بقجة » سواء اكانت كبيرة ام صغيرة .

اما « المشكلة الخالدة » فهي التي تبدا ملامحها بعد نهاية كل حمام . من سيحمل بقجة « الملابس الوسخة » وكم تشاجرت مع اخواتي لحظة الطلعة من الحمام بينما امي تحاسب المعلمة التي تتربع على الطراحة عند مصطبة المعلمة وراء باب الحمام تستقبل القادمات بكلمة اهلا وسهلا وتودع الرائحات بكلمة حمام الهنا ، وتعد الرؤوس الكبيرة والصغيرة وتقرر « الوفا » الاجرة التي تتناسب مع عدد افراد الاسرة ومع كون الام زبونة لهذا الحمام ام انها ضيفة عابرة . وكانت مشاجرتنا تنتهي بامر من امي بان تحمل كل واحدة منا بقجة الملابس الوسخة فترة من الزمن ولمسافة من الطريق على ان تاخذها منها الاخرى لمسافة جديدة الى ان تصل الى البيت ونحن نلهث من التعب والاعياء . ورامسا على فرشاتنا، النعاس يكاد يقتلنا. المهم اننا وصلنا الى بيتنا .

✍ بيتنا ... لا زلت احن ومهما كبرت الى بيتنا . بيت عربي واسع هرم ، لا تزال حتى الآن تنام وتصحو في صحنه ليمونة وكبادة ونارنجة ودالية وتينة وياسمينة كبيرة يهر منها الياسمين كالثلج ، وبحرة يتدفق منها ماء بردى وعين الفيجة وتسبح فيها بطيخة وزهرات ياسمين .

وفي بيتنا احواض ورد وارطاسيا وهرجلية وهوا ونفنوفة وخبيزة وسكة وعطرة وشمشيرة وزدابية وياسمينة عراتلية . بيت تقفز اليه من اساطيح الجيران تطط الشام السمينة الحلوة المدللة اللا مبالية ، بيت دمشقي تلعب بين ارجائه ذكرى صور اولاد قطتنا العزيزة الحلوة «شامة» الزيتونية : « عنتر » الاشقر و « فلة » البيضاء كالقطن و « زيتون » المنقط بالابيض والاسود والذي طلعت على خده شامة كامه ، و « عطرة » الرمادية العفريتة « اللعيبة » التي تقرا في الليل ، و « عبدان » الاسود الذي يجلب الحظ والذي اكله الهارون قبل ان يكبر ، وقد سالت جدتي ام امي يومها وكانت زائرة عندنا ، ودموعي لا تنقطع على « قطي » عبدان الصغير الذي اكله الهارون ليلا دون ان ندري ثم هرب الى اساطيح الجيران من « طبلة » بيتنا :

ــ لماذا ياكل الهارون قطنا الصغير يا ستي ..! الم تقولي يا تيتي انه ابوه !! فكيف ياكل الاب ابنه ؟..

فاجابتني جدتي الطيبة رحمها الله برصانة اقنعتني :

ــ لانه لا يريد ان يتربى اولاده على « سفر » الناس !!

من على « اسطوح » بيتنا كم طير اخي الصغير الحبيب طيارات ورق ملونة مربوطة بخيط طويل وجعلها بمهارته وبمساعدة الهواء تحوم حول البيوت فيركض الاولاد الصغار في ديارات الجيران ومشارتهم لرؤيتها وهي تحلق عاليا .

اما نحن البنات فكنا نربط بخيط قصير زيزا ملونا جميلا من رجله ونطيره في « المشرقة » ونلعب به في مشرقتنا تحت دالية العنب او عين الشمس . الزيز لطيف وجميل وله صوت جميل ... اما الدبور والزلقطة فهما الد اعدائنا عندما نحاول ان نتعربش على السلالم الى دالية بيتنا في المشرقة لنقطف عنقود عنب حلو بلدي لا زالت طعمته حتى الآن تحت اسناني . وقرصة الدبور والزلقطة لم يكن لها دواء في بيتنا الا سن الثوم .

اما باقي حيوانات وحشرات بيتنا ... فانا اخاف حتى من ذكرها . في بيتنا ظهرت الحية والعقرب والعرتيلة وام اربع واربعين والحردون والجردون وابو بريص والحرباية والفارة والبزاقة والنملة والصرصور الذي اكرهه اكثر من الحية . ومن كثرة « الحيايا » فيبيتنا العربيالجميل.. خفنا .. فهربنا الى بيت حديث لا تخرج الحيات من جدرانه ، ولكن جيرانه لا يسلمون على بعضهم . هناك في ذلك البيت تكمن حقيقتي ولن اتخلى عنها في سبيل شارع انيق نظيف مترف في دمشق الجديدة وبيت يرتفع عن سطح دمشق بعشرات الامتار . انني ملتصقة ببيت دمشقي ارضه ملاصقة لارض الشام الحبيبة ، وادفع اليوم ثمن الهواء العالي ، ادفعه شوقا وحنينا الى بيتنا هناك .. بيتنا الذي تتحرك بين جدرانه الحيات وتطير فوق عريشته وداليته الدبابير والزلاقط والنحلات . يظهر انني انمو نحو الطفولة .. نحو الماضي !!

بيننا العتيق لن انساه ..

وحارتنا القديمة ..

تعيش بضميري لؤلؤا ومرجانا ، اغنية شعبية غنيتها مع بنات الجيران من رفيقاتي ، وكنا نمسك بايدي بعضنا بعضا ونرقص في حلقة ونغني امام باب بيتنا كما كانت تغني امهاتنا وجداتنا امام ابواب بيوتهن :

يا ستي عرجا عرجا
يا مفتاح الطبنجا
خبيتو ورا الصندوق
اجا خيي سرقو
لبسني من حلقو
حلقو شقلي بقلي
حلقو طير عقلي
يا بنت الملوكي
جايين يخطبوكي
على شقفة طينة
بتعمر مدينة
مدينة مدينة مدينة
وشو جابك لحارتنا
حارتنا لولو ومرجان
حارتكن قمل وصيبان

ونغني اغنية ثانية ولا نشبع :

علبابا علبابا
والجامع توابا
عطونا عروستنا
ما منعطيكن ياها
الا بالف ومية
يا كعكة ويا تمرية
كعك الشام غالي
تسلم دقن خالي
خالي بالبرية
عم ياكل تمرية

قلتلو طعميني
قاللي لعشية
اجيت عشية
ضربني بالططرية

ونلف وندور ونغني ونغني :

يا ستي وستيتينا
جوات البساتينا
في رمانة حامضة
تقطف وتطعمينا
حلفنا ما مناكل
حتى يجي البابا
والبابا عند العسكر
جايبلي طبق سكر
دوبو واسقونا
وتغدو والحقونا
على حمام البارد
الله يضرك يا ضرة
متل ما ضرتينا
شفت عمي من بعيد
حاكاني بالتركي
خلا عويناتي تبكي

من خص شباك بيتنا كنت أمد راسي لارى مصدر ضجة الاولاد في الحارة . انهم يركضون حول « ضبضبت » ويصيحون ضبضبت ... ضبضبت ... أنا لا اعرف اسمه الحقيقي ... لانه لم يعرف بين الناس الا بهذا الاسم الذي يعني ان السماء قد اكفهرت واقترب البرق والرعد والمطر ، ووصول « ضبضبت » معناه وصول الغضب اعوذ بالله .

و « ضبضبت » رجل معتوه يحب بطنه . يسير في الازقة ويسأل كل من يمر امامه « ايمتى يا سيدنا » ويعني بسؤاله : متى يموت عندكم ميت

لناتي وناكل عندكم . . ؟! ويتشـاءم منه اهل الشـام ولكنهم يضحكون . وعند « ضبضبت » ذاكرة عجيبة فهو يحفظ اسماء آخر اموات المدينة وعناوين بيوتهم ويســـجل عنده ... اربعين كل ميت وسنويته وخميســـه والايام الثلاثة .

اما في الشـتاء المثلج ... فان احلى ما احبه في الثلج « السـويق » وهي الاكلة المفضلة عند نزول الثلج . والسـويق هو الثلج مع عصـير البرتقال او الثلج مع الدبس . وضحكنا مرة حتى غشينا على نكتة احد الاقرباء : في يوم ثلجي غطى فيه الثلج كل دمشق وارتفع حتى المتر ارســـل لنا قالبا من « الكاتوه » الكبير كهدية !! والتفت الاسـرة حول الكاتو وكل طفل يحمـل صحنه وملعقته وينتظر ، وبدأ ابي يقسم لنا القالب . . وكانت المفاجأة تحت الكريمة قالبا من الثلج !!

ويقولون في دمشق لا تاكل الثلج اول سقوطه . انها حكمة شـعبيـة تقول : « اول مرة سم وتاني مرة دم وتالت مرة كول ولا تنهم »

ويسـقط الثلج . . وتقول لنا امي : كل سـنة وانتو سالمين تقبروني ان شـا الله سـنة بيضـا . ونركض الى باب الزقاق بالقباقيب ويتزحلق احدنا . . ونضحك عليه . . ولكننا نبدأ بالمسـير على الثلج الهش بحذر خشية السقوط والشماتة ، لنتفرج على الجوقة التي تغني للثلج بين الحارات وفي الاسواق وتجمع المال :

يا الله المطر يا الله الغيث
والسـنة بيضـا يا بيضـا
وان شـا الله بيضـا يا بيضـا
الله يرزقو
آمين . . .
الله يعطيه . . .
آمين . . .
الله يسـتر على حريمو . . .
آمين . . .
والسنة بيضـا يا بيضـا
وان شـا الله بيضـا يا بيضـا

ويكون واحد من الاولاد « البابا حسن » كما يقول ابي قد شلح ملابسه عاريا وظل « بخلقة ربو » ودهن جسمه بالدبس ولصق عليه كله القطن الابيض فيظهر كالجني الابيض او الدب الابيض او انسان الثلج ، ويسير مسحوبا من رقبته بحبل يردد السنة بيضا يا بيضا ، ويردد معه باقي افراد الجوقة الفقراء .. وان شا الله بيضا يا بيضا ..

على رأس كل واحد منهم وظهره قبعة كبيرة واقية من الثلج هي عبارة عن كيس من الجنفيص الكبير يلبس على شكل « كابيشون » «الترانشكوت» معطف المطر . ويفرح الناس بالجوقة ويرحبون بها ويتفاعلون باغنيتها ويدفعون لها . ولا تتحرك من مكانها امام اي دكان في السوق قبل ان يدفع لها صاحب الدكان ضريبة البرد والثلج والدعاء . وطبعا يأخذ رجل الثلج العاري الذي تعرض للبرد اكثر من رفاقه ، نصف الارباح . ونغلق الباب ونصعد الى المشرقة لنصنع من الثلج المتراكم رجلا كبيرا من الثلج ونزينه بطربوش ونحمله « بصطون » ابي ، عصاه المعقوفة التي كان ينساها مع الطربوش عند اكثر من بيت وحلاق . فاقلع عن لبس الطربوش وحمل البصطون بسبب مشاكل الضياع هذه ، ولكنه ظل في الشتاء ينسى « الشمسية » ويبقى طويلا قبل ان يتذكر اين نسيها !!

ولا يمكن ان يمر انسان تحت نافذتنا دون ان يأكل « طابة » من الثلج من شبابيك واساطيح الجيران ولن انسى كيف حاول الجنود السنغال الفرنسيون في سنة ثلجية ان يقلدوا ابناء الشام بلعب الثلج فاخذوا يضعون الحجارة داخل كرات الثلج ويضربون بها الناس في الشوارع وكان لعب الاستعمار كرة ثلجية بيضاء داخلها حجر اسود .

الشتاء في الشام دنيا غنية عميقة الابعاد تلتقي فيها فلسفة الانسان بحكمة الطبيعة .

يقولون عندما تنزل « المطرة » و « حب العزيز » في مدينتي :

— الله يبعث الخير . ويغني الاولاد في الحارة هذه الاغنية اللطيفة :

يا مطرة زخي زخي على قرعة بنت اختي ، بنت اختي جابت صبي سمتو عبد النبي ، حطتو بالكانونة طلع عرق ليمونة ، حطتو بالطنجرة طلع صحن مجدرة .

وفي شهر ايلول :

— ايلول ذنبو مبلول

وفي شـهري تشرين الاول وتشرين الثاني :

ــ ما بين تشرين وتشرين صيف تاني .
الدهبيات بتشـارين .

ــ بعاق الجدي ولا سـواد المنقود

وفي شـهري كانون الاول وكانون الثاني :

ــ اذا غاب عنك العنب والتين عليك بميـــة كوانين . ويقولون عن كانون الاول كانون الاجرد ، وعن كانون الثاني كانون الاصم عود ببيتك وانطم .

وفي شهر شباط :

ــ شباط ما على كلامو رباط بشـبط وبلبط وريحة الصيف فيه .
المستارضـات منوا قوم عاد .

وعن شهر آذار :

ــ خبي فحماتك الكبار لعمك آدار .

وعن شـهر نيسان :

ــ مطرة نيسـان بتحيي قلب الانسان .

عقارب نيسـان .

وفي شـهر مايس :

ــ ما دام النصراني صايم البرد قايم .

وفي شـهر حزيران :

ــ قزة وسـنبلة ومشـمشـة .

ــ حزيران طباخ المشمش .

وفي شـهر تموز :

ــ بتموز بتغلي المية بالكوز .

وعن شـهر آب :

ــ آب اللهاب . اذا اجا آب الصيف عاب .

ويضم الشتاء في مدينتي اربعـــة « سـعودات » تعبر عنها الكلمـــة الشـعبية :

ـ سعد الدابح ما بيخلي كلب نابح .

ـ سعد بلع السما بتمطر والارض بتبلع .

ـ سعد السعود بتدب المية بالعود وبيدفا كل مبرود .

ـ سعد الخبايا بتتفتل فيه الصبايا .

تبدأ « الشتوية » في دمشق « بالمربعانية » وفي نهاية « الخمسينية » نهاية التسعين يوما اشهر الشتاء الثلاثة يطل الربيع وتحتفل الشام « بنيروز » ببساتين الشام والغوطة .

وتتفتح ازرار الربيع على الارض وعلى الاغصان وفي العيون والقلوب والشفاه . زهر اصفر وابيض وشقشقيق احمر بين الحشيش الاخضر . وزهر تفاح ونجاص ومشمش على اشجار الغوطة ينادي السيرنجية من اهل الشام بعطر لا يقاوم واغراء لا يرد وتميل الشام نحو الغوطة بقدها المياس وتسيل كتطعمة من الثلج اذابتها حرارة الشمس ووهج الحب والزهر . وان ضاع منك انسان في الربيع فستجده في الغوطة حتما ، ولا يمكن ان تنزل اسرة من غوطة دمشق الا ومعها « عرق زهر » علامة الربيع الضاحك يطل من نوافذ السيارات يحيي المدينة.المرحة المقبلة نحو الصيف، تماما كما يفعل « انسان الثلج » الصغير عندما يركب على مقدمة كل سيارة في الشتاء ، عند طريق عودتها من نزهة محببة الى الدمشقيين في سهول الصحراء والزبداني وقرب جبال وادي بردى والزبداني وبلودان وابو زاد المغطاة بالثلوج كالقشدة تغطي صحن الكنافة الملوقة .

فانسان الثلج الصغير هو ايضا علامة نزول الثلج في مصايف« المدينة المرحة الصاحية » عندما يحل عليها الشتاء .

اف ... يا لطيف شو « شوب » ..!!

ويبدأ الصيف ... وينتشر « الشوب » ونهرب الى البساتين .

ومن بيتنا كنا ننطلق ايام الصيف الحارة الى اقرب البساتين الى حينا.

ونفتح الباب ونخرج مع « خروفنا » لنقوم بسيران في بستان المزرعة عند طرف « عين الكرش » التي تنبع منها مياه رائعة عذبة باردة . ونفرد البساط على حشيش البستان ثم نفرد عدة السيران من الشنطة الجلدية البنية التي خصصها ابي للسيارين ، وتبدأ امي وقريباتنا بقلي البيتنجان والكوسا على المقلاية والببور فتنتشر رائحة البيتنجان المقلي بالزيت ،

وتعطر المكان روائح الفتوش والسلطات والكبة النية والبطيخ الاحمر الذي يقسمه ابي حزوز حزوز لنا وتبقى « اللبة » لـه وللضيوف ، بينما تحتفظ امي بالبزر الاسود لتحمصه لنا لايام الشتاء وسهراته الطويلة .

لم تكن المزرعة وعين الكرش وحدهما مسرحا لنزهاتنا . فكل يوم جمعة تقريبا كنا نقضيه في مكان ، فنعزم الاهل ونخرج طفات كبيرة الى صدر الباز او الشادروان او الربوة او دمر والهامة على ضفاف بردى ننتشر ونتغلغل بين حور وصفصاف النهر ونعيش احلى ايام العمر ونلعب ونركب المراجيح المعلقة على الاشجار ونقطف الجوز ونكسره بالاحجار وناكله .. ثم ننسى ونفرك اعيننا فنصاب بالرمد ... لا يهم .. ومن شجرة تين الى شجرة رمان كالجراد ... ونصعد الى جبال دمر ... ونهبط الى « قناية المزة » ... ونسبح الى ان نقتل الحر وشهوة الاطفال للسباحة والماء البارد في صيف حار ..

آه .. ليت الزمان يعود .. ونعود اطفالا .. ونسمع الكبار من اهلنا يقولون لبعضهم بعضا عند نهاية السيران :

ــ ان شا الله « القمرة » الجاية منطلع سيران سوا .

في بيتنا العتيق في سوقساروجة عرفت تقاليد الشام الشعبية في شهر رمضان المبارك وعيد الفطر السعيد . ولا طفل في حارتنا يفطر .. ولحظة انتظار مدفع الافطار هي لحظة كثيفة متعددة الصور ، واحلى صورها لقاء افراد الاسرة قبل المغرب بلحظات حول مائدة الافطار العامرة بالمآكل والخشافات والقمر الدين والنقوع والشوربا . اما في السوق فان الصحون تكاد تتطاير فوق الرؤوس من شدة « الزحمة والعجقة » عند الفوال « مجيد » وعند حمصاني راس الحارة لصنع التسقية بالزيت والتسقية بالسمنة وصحن « المسبحة » . والخباز يدفع بالارغفة الساخنة للايدي المتلهفة ، وعلى الفيجة يتقاتل الاولاد من يعبيء سطله وحقه قبل غيره ، وصغيرة تعود الى البيت سعيدة وبيدها « طبق الجرادق » يا للي الهوا رماك يا ناعم رغيف رمضان الشفاف المرشوش والمزوق بخيط من الدبس لتكون له طعمة لذيذة وهو يقرط تحت الاسنان . واب عجوز يعود الى بيته من دكانه وفي يده الخبزات وعدد من ارغفة « المعروك » خبز رمضان ، وفي اليد الاخرى محرمة فيها « شوية فواكي » .. وتحت طربوشه « محرمة » بيضاء مبلولة .

ويضرب المدفع وتشتعل انوار المآذن ويؤذن « المغرب » ويصرخ

الاولاد في السوق وفي الحارة : هيه .. هيه .. هيه .. وتركض القباقيب الصغيرة نحو البيوت وتغلق الابواب وتسكب الطناجر في صحون ، وتطفأ البوابير ، ويخيم على المدينة سكون كامل وتنقطع الطرقات .

وقبل ان يطل رمضان باسبوع يخرج « الشوام » الى البساتين لوداع ايام الاكل والسيارين بتكريزة رمضان قبل ان يحل رمضان . وفي رمضان لا بد ان يصلي الناس صلاة العشاء و « التراويح » في الاموي .

ويظل « ابو طبلة » مسحر رمضان عندما يمر على السحور يغني وينقر على طبلته وعلى الابواب لايقاظ ابو محمد وابو ياسين وابو عزات ، وعندما يدق على الابواب بعد مدفع الافطار لجمع الطعام لاولاده والفقراء من اقاربه ومعارفه ، يظل ابو طبلة حلم اطفال حارتنا يلتفون حوله لسماع اغنية خاصة يغنيها لهم قرب العشاء :

شرم برم حالي غلبان
عالضراير والربة
وربوا على قلبي دبلة
ومن جورهن بعت الطبلة
وصرت داير غلبان
الله بلاني بالقرعة .
وسنانها سنان الضبعة
حبلت وجابتلي سبعة
تلت قطاط واربع فيران
شرم برم حالي غلبان
اخدت وحدة من جسرين
ما بتاكل غير جوز وتين
قالو لي روح يا مسكين
بكرة بتصفى بلا نسوان
شرم برم حالي غلبان

ويسير ابو طبلة في طريقه ... والاولاد يلحقونه في الحارة ويغنون :

ابو طبلة مرتو حبلة شو جابت ما جابت شي

جابت جردون عم يمشي ....

ومسحر رمضان في دمشق في الليل وعند السحور لوحة دينية تبعث على اليقظة براحة وايمان :

يا نايم وحد الله . . يا نايم نكور الله . . .

اوموا على سحوركن . . اجا النبي يزوركن . . .

يا صايم وحد الله . . يا صايم اذكر الله . . .

يا صايم قوم وحد الله . . وصلي على النبي العدنان . . .

يا مؤمنين ياللي تحبو الله والنبي . . .

قوموا اعبدوا الله وصلوا على النبي . . .

شهر فضيل عند الله . . شهر عبادة ومحبة وغفران . . .

يا سامعين الصوت الله الكبر والصلاة على النبي . . .

يا نايم وحد الله . . يا نايم اذكر الله . . .

* * *

يا نايم وحد الله . . يا نايم اذكر الله . . .

نيال اللي تعبد ربو وصام . . طار رمضان متل الطير . . .

يا رب اغفر للمؤمنين . . يا رب انصر الاسلام والمسلمين . . .

يا للي فاتك الصوم والصلاة . . قوم جدد عهدك مع الله والنبي . . .

يا نايم وحد الله . . .

* * *

نزلت دموعي على خدودي كبيضة الحمام . .

يا شهرنا اودعتنا هذا عليك السلام . .

* * *

وتاتي وقفة عيد الفطر بعد طول انتظار وامل ونسمع مدافع وقفة العيد وتقول امي : يي ثبتوها . يا اولادي كل سنة وانتو سالمين . . « روحوا بوسوا ايدين ابوكن » ونركض نقبل ايادي امنا وابينا ، نقبل اليد ونضعها على راسنا ونعايد عليهما ونبدأ بترديد اغنيتنا المعهودة : « شعل ضو انطفا ضو قال المدفع بو بو بو . . . » ثم نصعد الى النوم المبكر نغرق في احلامنا . ويطول الليل . . والحذاء الجديد والثوب الجديد والشريطة

الجديدة على مخدة كل طفل تنتظر الصباح واطلالة العيد بنوم قلق متقطع ، نحلم بالعيدية من الاهل والاقارب ، والحرية والالعاب المغرية والمآكل الطيبة ، وعندما نعود مع فجر العيد مع امي وابي من زيارة الاموات في البرية بعد تادية واجب شكل اغصان الآس والورد على شواهد قبورهم ، نقف في شارع النصر مع الناس وقرب « تم سوق الحميدية » لنتفرج على السلامك .

وعند العودة الى البيت تدخل امنا العزيزة الى المطبخ لتطبخ لنا الفخدة والرز والملوخية اكلة اليوم الاول التقليدية في بيتنا ، ويبدأ ابي باستقبال الرجال من المعايدين :

اهلا وسهلا .. كل عام وانتم بخير .

احياكم الله لامثاله .

كل سنة وانتو سالمين .

ان شا الله العيد الجاية بعرفات .

وتوزع القهوة على الضيوف ، امي تنقر باب المطبخ وابي « يتناول » منها صينية فناجين القهوة « لانها ما بتطلع قدام الرجال الغرب » . ثم ينقر باب المطبخ من الداخل .. ويتناول منها صينية فيها صحون « الغريبة » و « البرازق » و « المعمول » بالجوز والفستق و « الكرابيج » والناطف والسكاكر والسيجارات . ويذهب ابي ليرد المعايدات ، وتاخذ امي من الضيوف الرجال كروت المعايدة من ورا الباب . ونحن الاطفال نطير احرارا في عالم مسحور لا احد يسالنا الى اين ؟؟ لا احد يرافقنا للمراقبة ..!! نفتح الباب ونخرج بلا اذن نركب عربة الاحلام الوردية « الكراجة » التي يقودها حمار او انسان لا فرق ، غربة « العتال » في الاصل وقد زينت في العيد بالاوراق الملونة ، وصار لها مقعدان يصطف عليهما الاولاد ويتمسكون بخشباتها ، وتقفز بنا طائرة « روحة رجعة » حتى « السبع بحرات » بس في شارع بغداد ، ثم تعود الى سوقساروجة والاغنية التي تلازمنا وتلازم العربة في كل عيد ، اغنية « يا اولاد محارب جوجو » هي النغمة المحببة لنا في كل رحلة نقوم بها مقابل قرش .

صاحب « الكراجة » يقول ونحن نردد وراءه :

يا اولاد محارب جوجو . شدو القوالب جوجو . قوالب صيني جوجو . شكل الفليني جوجو . علي ما مات جوجو . خلف بنات جوجو . بناتو

بيض جوجو . شكل العفاريت جوجو . بناتو سود جوجو . شكل القرود جوجو . يا اولاد محارب جوجو .. يا اولاد محارب جوجو » .

اغنية كاغنية الشيطان نرددها كالببغاء وراء الرجل ، ليس لها من معنى الا انها اغنية العيد في دمشق . ومن لا يركب « العرباية » ويغني يا ولاد محارب فهو طفل لم يعيد حتما .

ويطلب الاطفال من صاحب « العرباية » ان يسرع ويغرونه باعادة الكرة بكلمات لطيفة :

« قويها منجدد .. قويها منجدد .... »

ويسرع الرجل ... ونجدد ولا ننزل من العربة الا بصعوبة بالغة .

وننزل من العربة لنركب المراجيح ونشتري اللعب من الدكاكين التي استطالت حتى تجاوزت الارصفة وناكل على الكراسي القش « الواطية » الفول النابت مع الملح والكمون ؛ والمخلل والشرك وليلة الله والملبن و « الملوا » وكنت افضله « على فلفل » وكانت له عدة انواع « على عسل » و « على ليمون » و « على قرفة » . ونذهب الى « الحريقة » فنركب الجمال وندخل الى الخيام المنصوبة لنتفرج على « الضبع » وعلى ام راس مقطوع وهي تتكلم !! وعلى ايدين ورجلين !!

وتمر ايام عيد الفطر الثلاثة ... ونابى ان نقبل بفراق العيد ولا بد ان نودعه في اليوم الرابع في « جحش » العيد والدموع تكاد تفضحنا اسفا على هذا « العيد الصغير » . وفي عيد الاضحى المبارك تذبح « الخرفان » ولكن فرحتنا بالعيد يشوبها شيء من الحزن على خروفنا الصديق الذي عشنا معه اكثر من شهر في بيت واحد واطعمناه الحشيش وكنسنا له اوساخه واخذناه عدة مشاوير ... وربطناه من درابزين الدرج ... وصعدنا به الى المشرقة ... ثم صحونا لنجده مذبوحا ... وقالوا لنا ذبحناه وسناكله ... ونفرق منه على الفقراء !! ومن يومها وانا اكره اللحم ... ولي في طنجرة الكوسا المحشي كوسايات في راس كل « كوساية محشية » قشة تدل على انها محشوة « رز بلا لحمة » لمن لا تحب اللحمة ، ويضحكون على « السفرة » : انها لا تاكل الا كوساية « ام آمنة » !! ولا اضحك .. لقد ذبحوا يوما صديقي الخاروف الطيب !!

ويمر العيد الكبير .. وتشتعل دمشق بالزينات استعدادا لعودة الحجاج من مكة المكرمة ، « وتقطع » النساء ملابس جديدة من سوق الحميدية لمباركة الحجي ، وتزين الابواب والحارة كلها بالسجاد وورق الكينا

والصفصاف والورق الملون والانوار ، وترسل الهدايا الى بيت الحجي من المعارف والاقارب اكياس طحين ورز وسكر وتنكات سمن وزيت ، ويذبح خروف عند عودة الحجي وبين قدميه وافر هاربة من منظر نافورة الدم الى بيتنا واغلق الباب . وتوزع زوجة الحجي الهدايا : « مسابح ومراوح ومكاحل » وعدة تمرات وكؤوسا من ميـة زمزم . والشبان عند الباب يرددون :

ـ حجاج مكة وردت علينا .

والنساء يستقبلن الحجي الذي يرتدي « الابيض » بالزلاغيط :

اوها اهلا وسهلا يا ضيوف
اوها ومشكلين بالسيوف
اوها لو عرفناكن ايمتى جايين
اوها لحضرنالكن الخاروف
لي لي لي ليش

اوها يا مرحبا واهلا بعينك هالكحلا
اوها يا نخلة طويلة سدت باب المعلا
لي لي لي ليش

اوها مشمش مشامش تمشينا على حارتكن
اوها والقلب ينقط دمي طول غيبتكن
اوها وان اجا المبشر يبشرني بسلامتكن
اوها لاعطيه روحي وفرق من هديتكن

كم من الصور الشعبية الحية وكم من اللوحات الفنية لاحت لي من خص نافذة « فرنكة » بيتنا ، البارز الى الامام في حارتنا البسيطة المتواضعة هي عندي اغلى من اللؤلؤ والماس .

وتعود بي الذكريات فالتقي بطفلة صغيرة نشيطة جريئة كالصبي ، تحمل السلة القش وتركض لتشتري لامها الفواكه من دكان « ابو مستو » واللبن والقشدة والسكر والشاي والجبنة والاريشة والحلاوة والدبس والسمن والزيت من بقال سوقساروجة الشهير « ابو راشد » والخبز التنوري من تنور « ابو علي » في سوق العتيق والفول المدمس من دكان « مجيد » الفوال قرب حمام القره ماني في سوق العتيق والخضار من دكان

« صلاح » الخضري واللحم من عند « ابو امين » في « طلعة » سوق الهال والخبز المرقد والمشروح من فرن « ابو صلاح » مواجه جامع الورد . اما كيس حطب « القباقيب » الناشفة فقد كنت اذهب لاشتريه وادفع ثمنه كالكبار ثم يحمله لي الحمال من « منشرة » جوزة الحدبا . وكيس الفحم كنت اشتريه كما يوصيني ابي من الفحام الذي لا اعرف اسمه والذي يبيع الفحم والدق قرب حمام القره ماني قرب بائع اللبن والحليب « هاشم » . واما البابونج وبزر القطونة وبزر الكتان والزهورات وشربة زيت الخروع « أف » ، والمراهم فقد كنت اشتريها كما توصيني امي من عند «برو العطار» في سوق العتيق . وابريق الماء التنك وتنكة الزيت وسطل العرقسوس فقد كنت الحمها عند السمكري بسوق العتيق . اما البيض والدجاج والسلل والمقشات والمكانس والقفف فقد كنت اعرف كيف انقيها من عند احسن البائعين في سوق التبن .

التبن ..!! من التبن والطين .. صنعت بيوت الشام .. وقبل ان يطل الشتاء وياتي ايلول بذنبه المبلول كنت اشم رائحة الطين .. يتكوم في الحارات .. تحمله الاقدام والايدي الى الاسطيح تعيد ترميمها بطينة جديدة « على وش الشتي » حتى لا تدلف السقوف على « اوض النوم » فنضطر الى وضع الطناجر والاطباق تحت الدلف الى جانب فرشات النوم.. وصوت الدلف .. نقطة وراء نقطة يؤرق ليلتنا .

واغمض عيني استعيد اللوحة .. الصوت والصورة والرائحة معا : « الطيان يشمر عن ساقيه الملوثتين بالطين الاحمر الذي عجنه بقدميه ، يحمل من الحارة الى البيت قفة الطين على راسه يدخل بها من الباب صائحا منبها نساء البيت ليأخذن له طريق :

ــ يا الله ... طيانة ..!! » .

شكرا لاهلي لانهم منحوني دون ان يدروا تجربة ثمينة . شكرا لابي لانه من سوقساروجة ، وشكرا لامي لانها من الميدان . شكرا لاني عشت احلى ايامي في تلك الاحياء الشامية العريقة .

الشام ....!!

الشام عندي ... بيت عربي وديار مفتوحة .. وبحرة ماء دفاقة بسبعين نحاسيين يخدق منهما الماء البارد ، وامراة جميلة تشطف الديار في يدها سطل ومقشة . قبقابها يرن على البلاط الحجري واساورها الذهبية الرفيعة تخشخش في معصمها .. وضحكتها تجرح القلب .. بياضها بياض

الفل ، وعيناها بلون العسل ، تعبيء سطلها من البحرة وتسفحه على الارض وتشطفها بالمقشة ... بينما رفيقتها تعبيء سطلا ثانيا من النهر وترش الزريعة وتسقي الاحواض ، وتغسل الشجر . ورائحة البيتنجان المقلي بالزيت تعبق في البيت وفي بيوت الجيران .. وسيدة ماهرة تدق الكبة في جرن الكبة ، وسلفتها تدق في الليوان الرطب على العود تتحرك الاساور الذهبية الناعمة في يديها مع حركات العزف بريشة الطائر على اوتار العود. وحماتها تقشر الثوم « بالفي » وبنت حماها تدق على يد البير في المطبخ تملأ واعة كبيرة بالماء للجلي ، وضرة حماتها « تتمشق » الدالية على سلم وتقطف ورق العنب الطري تحضره لطبخة « يبرق » في اليوم التالي ، وولد ملعون يدق على الباب ويهرب ، وصوت خرير المياه في النهر المسافر عبر البيوت يبعث على الراحة ، و «ستيتية» «تبقبق» بسعادة في المندلونوتقول كما تفهم لغتها النسوة العجائز كوكو كوكو وحدو ربكو .. كوكو. .كوكو.. ... الله .. الله .. وتتذكر كنة زعلها مع حماتها فتقول لسلفتها من قلب مجروح : انا متل « ستيتية » ما حدا حط علي الا بلاه الله بالعمى .. ايه الله ينتقم منها عم تعلم جوزي علي ..!! وبنت تكسر بفردة قبقابها على حجر الدرج الاسود بزر المشمش الذي جمعته من مائدة الامس ، وعدة اولاد يلعبون الطميمة في الديار الكبيرة ، وصبية متفتحة كزر ورد في هذا البيت تقطف ازرار الياسمين وتصنع منها بالابرة والخيط عقدا لصدرها فقد يحضر « الخطابين » اليوم !! ولا تنسى ان تشك عرق ياسمين اخضر بالازرار وتشكل راس امها ، ورجل ينادي في دكانه على بضاعته ثم يعد « الغلة » وهو يحلم بان يسكر « الغلق » ويعود الى بيته الرطب في نهار حار بيده سطل عرقسوس بارد وفي الاخرى بطيخة ، وثائر يختفي خلف جذع شجرة من اشجار الغوطة في يده بندقية ستصطاد مستعمرا فرنسيا ، وشيخ في الجامع الاموي يصلي ويدعو الله ان ينصر الاسلام والمسلمين،ونسوة بالملايا السود الحبر يملأن سوق الحرير والقيشاني « والقطع والدرع » شغلهن الشاغل ... المتعصبات منهن بالملايا الزم السود والبيض ، «والمتموضات» بالمانطو الاسود وفوقه على الراس الفوتانية والمنديل بطاقين . ورجل يصيح من الشارع عربجي ... ورا .. ورا ..!! وكرباج يحاول الوصول من مقدمة العربية الى ظهر صبي معلق خلف عربية خيل .. يترك حصانيها وسخهما في الشارع فيبعث رائحة كريهة ، ووقع حوافر حصانين مسافرين بمشوار شمة هوا للربوة وغداء في دمر . وآذان الظهر من مأذنة قريبة ، وصغار وصغيرات بالصداري السود يتفتحون كأزرار الفل في الشوارع ، ولحظة انصراف الاولاد من المدارس لفرصة الظهر . .وترين يطنطن ..

وكمساري يزمر .. وبردى يجري .. وستارة مخملية تهبط فجاة .. تؤكد لي ان دمشق كانت تعيش خلفها بسعادة لا مثيل لها دون ان تدري .
وتختفي دمشق العتيقة في الظل ...

انني اتساءل .. كيف لا يخاف الناس على دمشق الاصيلة ؟ كيف يهربون منها الى العلب الكرتونية الجديدة !! كيف يسمحون لتلك العلب المزيفة بغزو ماضينا العريق وصورة اصالتنا .

اتمنى لو اضم احياء الشام العتيقة واسواقها وحماماتها واهلها الى صدري ، اضغط عليها بين ذراعي لامنع عنها زحف المدنية المزيفة ، ولاحميها من مخالب وحش التقليد السطحي كأم حنون تخاف على طفلتها من طوفان ساحق .

لا باس .. كنت طفلتك يا دمشق .. واصبحت طفلتي المدللة الاثيرة .. انني احبك يا شآم .. احبك اكثر من اي شيء في العالم مع انني لم أر العالم بعد .

انت يا دمشق فوق كل احتمال .

شآم ما المجد

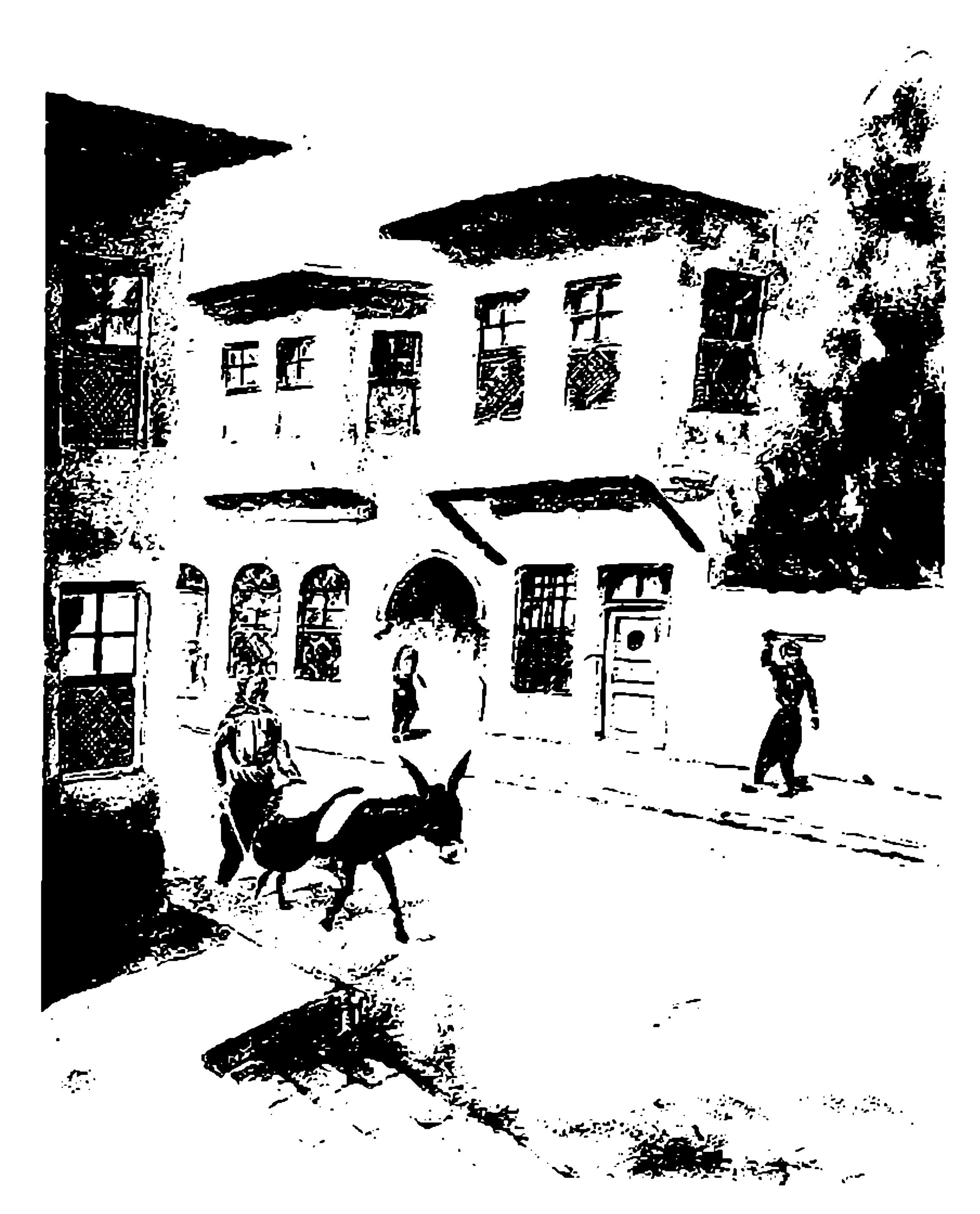
اسابيع واسابيع وانا اقف في مكاني استجمع قوتي اتحفز بوجه احمر كالشوندر ، لاقفز جدار الصمت العالي قفزة لها معنى جديد يسجل لي رقما عاليا بين ارقام المتسابقين المتحمسين . واخاف خوف الفارة البيضاء من عين الحكم الثاقبة ان تلحظ لمسة من طرف اصبع من اصابعي لخشبة حاجز الصمت او من سقطة كاملة ترميني مكسورة الساق والقلم تحت الحاجز وتحت عين الحكم الحيادي .

خائفة من صمت الحكم والحكم هو امين المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والنقطة الرابحة في السباق هي الشام .. والمتسابقون هم اصحاب الراي والفكر والقلم الذين هبوا لتلبية نداء المجلس من اجل انقاذ دمشق « العتيقة » التي تفوح من حاراتها الضيقة رائحة الزمن ، ويتفجر من كوى اسواقها عطر التاريخ .

وادى بنا الحوار الى فريقين ، فريق يحب الشام « ككل » ينام داخل الاسوار على بعضه كراس ام على راس رضيعها ، كحدب الاهل على بعضهم في دار شامية عتيقة .

وفريق بهرته دمشق الصبية ببيوتها النظيفة وشوارعها الاسفلتية العريضة ونوافذها العالية وشرفاتها الانيقة ، فراح يتقزز قرفا من منظر المدينة « الجدة » ويطالب بموتها حالا باسم الجمال والنظافة والصحة وعلم الهندسة وانسانية القرن العشرين !! ومستقبل النسل الفقير الذي يتكدس في ازقتها مع قشر البطيخ واكوام الزبالة ، منتظرا بصبر نافد حركة مساواة سريعة سريعة مع اطفال شارع ابي رمانة العظيم!!! امل الاطفال والشباب والشيوخ !!

ولكل فريق وجهة نظره في الدفاع والهجوم ، عرضها في لقاءات قصيرة وفي مجالات مختلفة ، وظلت دمشق تنتظر مصيرها بين كفتي ميزان دقيق ،



الفنان خالد معلا ـ دمشق

رجحت فيه اخيرا كفة الذين ينادون « بدمشق » داخل الاسوار « ككل » .
تبقى البيوت والاسواق القديمة والاماكن الاثرية والحوانيت والخانات والحارات الضيقة المسدودة والمفتوحة ودكاكين الاغباني والبروكار والنحاس المزخرف والخشب المصدف والجلود المدبوغة ، ولم يوافق اي انسان مسؤول او فنان او مواطن دمشقي او عاشق للشام القديمة على فكرة الهدم السخيفة ، ومن يريد ان يخطط ويبني للاجيال الجديدة فليتفضل الصحراء امامه .

لا .. لن نهدم بيتا عتيقا من الطين والخشب لرفع بناء شاهق من اربعة طوابق من الشمنتو والحديد تطل نوافذه على جيران الحي الآمنين ، كعين شاب جريء وقح لا يرعى حرمة للتاريخ العربي العريق الذي ترك لنا بيوتا عربية عالية الجدران مفتوحة القلب ، لها لقاء لا ينتهي مع السماء الزرقاء مع الطمانينة مع الله . ولن نسمح بقطع شجرة من اشجار بيوت دمشق مقابل اناء من الزهر يزين شرفة حديثة .

لا .. لا نريد نحن ابناء دمشق ونحن من يحب دمشق ان ترتفع فوق دمشقنا عيون جريئة تكشف ، باسم العلم ، سترها وسر غموضهاوسحرها الخاص بها بين مدن العالم ، سحر يدفع الشهقات الى صدور اصحاب الرؤوس الشقر والعيون الزرق ، الناس الغرباء الذين يبحثون في ارضنا عن مفتاح العودة الى الاصالة الانسانية المكتنزة بعبير الروح لا المادة !! المادة التي قدمت لهم على طبق العلم « القطار السريع » و « السندويتش » و « دور اللقطاء » ، ونفتهم باسم الكهرباء والذرة عن الانسان والاسرة والجامع والكنيسة ، عن البيت الذي تعشش في جدرانه الطينية المطرزة بخيوط القش اللامعة وفي سقوفه التعبة العاجزة عن احتمال قطرات المطر العنيدة ، نفتهم عن المعاني الحقيقية للانسان .

نفتهم عن هذا كله فلجأوا الينا لا ليرتدوا بسخط عن نسخة مشوهة مقلدة لحضاراتهم ومدنياتهم الحديثة ، بل لتسكن نفوسهم في ظل سقف سوق الحميدية الرطب في الصيف الحار ، الناشف في الشتاء المبلول ، او لترتاح

في كنف جدران « الاموي » التي تعربشت على احجارها التاريخيـــة حول الجامع اسواق القوافين والقباقبية والصاغة والمسكية والنوفرة ، او لتهدأ مخاوفهم تحت شجرة كباد او عريشة بنفشى او دالية عنب زيني تخيم على باحة من باحات قصر العظم او اي بيت من بيوت الشام لم يتحول بعد الى متحف يزوره السواح لان اهله رفضوا مغادرته الى دمشق الجديدة وظلوا متمسكين به كتمسك الانسان بروحه .

جاء الغرباء الينا ويجيئون ليسكنوا الى جوار اعمال التاريخ الاسلامي والعربي ولتهدأ نفوسهم التي يدوي فيها صدى انطلاق صاروخ الفضاء ، في ظل مدينتنا المترفة بالفن العربي الانساني السمح . ولا افهم لماذا لا نرتاح نحن اليها ، ولا نعاني تجربتهم في ظل حضارتنا المتمثل في صورة اقدم مدينة في التاريخ !! مع اننا ندرك خطر تجربتهم مع منجزات مدنيتهم الحديثة لو داهمنا فجأة ، واكون متفائلة جدا ان لم اقل انه قد داهمنا على البعد وبدأ يكتسح شعور جيلنا الطالع المتعلق بروؤس خنافس الانكليز وارداف شقراوات الامريكان .

لماذا لا نرفع العصا في وجه من لم تحفر التجربةالانسانية في نفسهآبارا ارتوازية تفجر ذهبا يحمي « الحقيقة » في هذه المدينة من ان تموت الآن او بعد عشرين او مئة سنة !؟

دمشق القديمة قد تنهار بعد عشرين سنة بفعل خطوات ثمانين الف نسمة تمر عليها اليوم .

فلماذا لا نستمع الى صوت المهندس العربي الشاب الفنان الذيوقف بيننا فجأة ليعلن رايه بصراحة وقوة في وجه « ايكوشار » المهندس الفرنسي الذي خطط ويخطط لدمشق حديثا !! لنسمع صوت المهندس العربيالذي لم تخدعه مظاهر البناء الحديثة في الغرب فوقف يقول « لا » باسم كل انسان عربي .

لا .. دمشق القديمة يجب ان تبقى كما هي صورة لقوميتناوانسانيتنا وتاريخنا ، طبعا بعد ان نمر بريشة الفنان منا وقلم المسؤول فينا علىالشام

داخل الاسوار والابواب التاريخية لدمشق ، فنسقط عليها النور والعلم والصحة والسعادة . وما الذي نخسر ان ظلت « دمشقنا » نظيفة متجددة لا تفنى يعمل على حفظها من يد المستقبل المجهول ، الراي العام ونخبة من الاخصائيين الذين لم يسقطوا من حسابهم ضرورة توفر اسباب المدنية الحديثة الاساسية التي تكفل لسكان الشام العتيقة الشرط الانساني .

لقد تبنى امين المجلس الاعلى فكرة المهندس العربي للوقوف في وجه كل مخطط يقدمه لنا « ايكوشار » الفرنسي او اي مهندس اجنبي لتخطيط دمشق او حلب او حمص او حماه او اللاذقية او السويداء او دير الزور او الرقة او درعا ، يهدف الى شق الشوارع في قلوبنا ورفع علب الكرتون فوق رؤوسنا .

ودعا نخبة من الدمشقيين ومحبي دمشق ليقرروا بانفسهم مصير مدينتهم ، لان تقرير مصير مدينة قضية اكبر من ان يبت فيها انسان واحد أو اثنان او عشرة ، انها مسؤوليتنا جميعا امام التاريخ المقبل والاجيال القادمة التي ستطوينا . فلنذهب ولنترك لها ما تركه لنا الاجداد ، ولن نحرم احفادنا من مدينة التاريخ المعجون بالخشب والطين والمادهب والعرق الاخضر والروح والفن العربي ، لنقدم لهم بديلا عنها مدينة تشق صدرها طولا وعرضا شوارع « آباء الرمانات » !!!

انا مع دمشق القديمة بكل قوتي ، واؤمن بان كل من تحدث باسم الفريق الآخر وباسم نظافة حارتنا القديمة لانقاذها من الجرذان والذباب ورائحة الزبالة قد اخطأ عندما رفع اصبع « اللا » لانه دخل في التفاصيل الصغيرة التي هي من واجبات البلدية ، ونسي ان يستعمل فكره للدفاع عن القضية التي لا تعني دمشق وحدها ولا عددا من سكان دمشق ، بل تراثا عربيا كاملا..

وهذا هو عيب من عيوبنا نحن العرب ، نسرع بالقاء « اللا » النقدية من خلال تجربتنا الفردية وننسى ارباح القضية .. ننسى دمشق .. ننسى التراث .

وارجو لجنة تخطيط دمشق ، واسال المهندسين العرب والاجانب ان يترفقوا بدمشقنا العزيزة ، وان يتركوا مأذنة الجامع الاموي الحلوة « مأذنة العروس » مطلة كالعروس على سوق « المسكية » الذي اشترينا منه كتبنا العلمية ودفاترنا واقلامنا الملونة والواحنا الحجرية ، ومطلة على سوق « القباقبية » الذي لبسنا منه بفرح عظيم قبقابنا الخشبي الرخيص ذا السير المقصب الملون والمسامير الذهبية ، هذا القبقاب الذي دفعنا صوته الرنان العذب على ارض حارتنا المعتمة في ليل الشام الماضي ، بلا خوف ، ونحن في طريقنا لنملأ من « فيجة » الحارة « حق الماء » البارد ، دفعنا وحملنا كي نصل الى نقطة « الوسط » في درب الحياة العربية الجديدة ، حيث اصبحنا ندرك ونحن في شرفة منزلنا الانيق العالي في دمشق الجديدة والتي اغرت آباءنا بالرحيل عن دمشق القديمة ، ان القوة الدافعة للانسان الحقيقي فينا قد تفجرت هناك في تلك المدينة ، وفي بيت سقفه اعمدة خشبية مسوسة ، وسطحه الطيني المهترىء يدلف في الشتاء على فراشنا ونحن صغار نيام في فراش يلتصق فيه وجه طفل منا برجلي اخيه في ليلة باردة ممطرة من ليالي دمشق .

وستثبت الايام المقبلة نحونا ، لمن يقول اهدموا بان مدينتنا العتيقة « الباقية » سوف تقدم ثروة بشرية لا تتخلف عنا .

نعم انا بنت الشام العتيقة .

ترى كيف كنت اكون لو لم اعش هناك !! من يدري ربما كنت ارقص الهالي غالي في مربع دمشقي او في كهف مخملي حديث جدا جدا تحت الارض ، ويصبح على كل من يريد ان يتعرف الي ان يرفع « الغرة » الخنفشائية عن جبيني ، الستارة المزيفة التي تخفي الوجه الحقيقي الضائع .

وتحية مني باسم الشام الى المجلس الاعلى والى الفريق الذي رفع صوته بقوة وصدق ليضع الراي العام امام مسؤوليته .

انني متفائلة .. وسنترك الشام كما استلمناها وافضل لاحفاد

احفادنا . وعندما سيمر احدهم في حارة ضيقة مسقوفة بالبيوت المتعانقة، لتستقبله من فوق جدران بيت من البيوت الشامية رائحة زهر الليمون والياسمين والليلك ، فسوف ينتشي بسحر العطر مرددا : الله .. الله .. وسوف يبتسم مترحما على من عمر هذه البيوت المفتوحة القلب لله وللانسان وعلى كل من حافظ على الشام وسقى بيوتها وحاراتهاواشجارها وازهارها واناسها بمياه الديمومة والحب والمجد .

وتغني فيروز ويعزف الرحبانيان وينشد سعيد عقل ويسقط القلم من يدي ويركع قلبي للفن العظيم يغني لدمشق ويخلد دمشق :

قرات مجدك في قلبي وفي الكتب
شــآم ما المجد انت المجد لم يغب

ويلخص شوقي مجد دمشق فيقول في بيت من الشعر معلق في سقف سوق الحميدية ..

وعز الشرق اوله دمشق .

* * *

سمية وهند وكلثوم

يا لطيف ....

حريقة .. حريقة .. حريقة ...!!!

وتلتفت دمشق بأسى بالغ نحو اللهب الاحمر الذي يهدد ما تبقى من بيوت المنطقة ، وتنهار حتى النهاية جدران جامع « دك الباب » العتيق في طريق الصالحية .

ويلتفت مع دمشق قلبي الطفل ، ويقفز بي كارنب مذعورة نحو المكان الذي حدده لي عن بعد عمود الدخان الاسود المخيف .

وعندما تفتح الطريق المبلولة بخراطيم سيارات الاطفائية للمارة ، امر معهم والخوف يملأ قلبي مما قد ارى ، ينصحني بالعودة . فانا ، وليس من يعلم ، املك ثروة ضخمة قرب الجامع واخاف ان تكون السنة النار القبية الحاقدة قد تناولتها . لا .. لم تكن غبية الشرهة ، وكأنها قد ترفقت بي وبالاجيال التي رافقتني في رحلتي الطويلة لاقتناء هذه الثروة .

الناس يتدافعون يبكون ، وانا ابتسم للوحة الرخامية الصغيرة المعلقة فوق باب خشبي عتيق يصعد اليه الانسان بثلاث درجات ويدخل منه الى جنتي .

تبتسم لي اللوحة تبتسم لي « الكلمة الباقية » « زبيدة » .

بقيت اذن ثرية رغم كارثة المصلين المؤمنين باحتراق الجامع ، ورغم كارثة السكان الآمنين بانهيار بيوتهم وتشردهم .

بقيت لي « زبيدة » بقيت لي « طفولتي » ولم تحترق .

— يا لطيف ... شوفوا .. غبرة .. غبرة ..!!



الفنان نعيم اسماعيل ــ انطاكية

ـ اين ..؟

ـ في المنطقة المحترقة .

ـ قرب زبيدة .

واسير هذه المرة بخطوات عجوز بلا عكاز ، يرافقني صوت خطواتي وانا طفلة صغيرة ، ارتدي صدريتي المدرسية السوداء وياقتي البيضاء المنشاة وشريطة عريضة حمراء تهتز في منتصف راسي كعرف الديك ، جيب صدريتي منفوخ بالزعبوب ، تحت ابطي حقيبتي الجلدية البنية التي تحول لونها الاصلي ، بفعل انتقالها من اختي الى اخي الي ، الى لون بني باهت .

وصلت ، الحمد لله . لا .. لم يصل الهدم في المنطقة المحترقة الى « زبيدة » بعد . ولم تتحول جدرانها الى غبار ثائر يعمي عيون المارة .

ولكن « الحادث » قد منح المهندس قوة خارقة لتنفيذ مخططه الكبير لتجميل دمشق . وستتحول هذه الاطلال كلها الى ساحة من اجمل ساحات دمشق تصل اهم شوارع المدينة ببعضها . فيرى ابن آخر بيت مطل على بساتين شارع « ابي رمانة » بنت آخر بيت مطل على بساتين « المزرعة الجديدة » . وعندما يطل ابن حي « المهاجرين » من شرفته فسيرى الصبية الجميلة المطلة من شرفة بيتها في شارع « بغداد » ويبتسم .

ولكن .. مالي وهذه الساحة الفسيحة !! وهل نسيتني لجنة تخطيط المدينة ، وهل تجاهلت حياة اجيال بكاملها حيكت « نصف » حياتها الاولى في « زبيدة » !!

واخضع للاخبار الجديدة الصادقة : لا بد من الهدم حتى نتمكن من البناء . ستدخل « زبيدة » في مخطط الهدم .

وانا ... لماذا يهدمون « قصري الذهبي » ولماذا ينزلون بالمعاول على راس طفولتي السعيدة بلا رحمة !!

عشت في مدرسة « زبيدة » الابتدائية للاناث خمس سنوات وتخرجت منها عام ١٩٤٥ عشرون عاما وثلاثة اعوام وما زلت اذكر ادق تفاصيل حياتي فيها وكأنها تمر بي الآن .

زبيدة عندي .. باب خشبي كبير بردفتين ، الى جانبه باب حديدي

كبير له ثقوب كثيرة صغيرة كنا نختفي خلفه ، نحن البنات الصغيرات ، نراقب منه بفرح صبيان المظاهرة الثائرة ضد فرنسا ، القادمين لتحريض بنات مدرستنا على الاضراب ، باب عجوز عجوز اظنه لم يفتح منذ كنت انا تلميذة في زبيدة .

وان وقفت اتذكر ... اجد نفسي انكر باحة شتوية يصعد منها درج معتم الى الطابق الاعلى حيث درست الصف الاول والصف الثاني والصف الرابع . اما الثالث والخامس فقد درستهما على مقاعد الغرف الداخلية المطلة على باحة هذا البيت العربي الكبير الذي تحول الى مدرسة للبنات الصغيرات .

كان مطبخ المدرسة يواجه غرفة « المديرة » وفي هذا المطبخ الواسع البسيط الرطب عرفت معنى الاشتراكية للمرة الاولى في حياتي. كنت اشترك مع رفيقاتي في الطعام. فأطعم هيفاء زيتونا اسود « فريك » وبيضامسلوقا، وتطعمني من طبقات « صفرطاسها » الاصفر النحاسي ، كبة لبنية وملوخية ودجاجا . كانت هيفاء الوحيدة المدللة على امها ، وكنت واحدة من خمسة اخوة واخوات . كنت أحب هيفاء وما زلت . وظلت هيفاء رفيقتي في الدراسة من الصف الاول الابتدائي حتى تخرجنا من كلية الآداب قسم الفلسفة معا . ان هيفاء جمال الآن مفتشة كبيرة وناجحة في وزارة التربية .

وتعود بي الذكريات ، واجد نفسي في باحة المدرسة الصيفية ، قرب حنفيات ماء الشرب والوضوء . وهنا الى يمين الباحة كنا نلعب لعبة « نط الحبل » وهناك الى اليسار قرب نوافذ صفي « الثالث » يعيش في مخيلتي الركن الذي كنا نتسابق على حجزه مع الصباح الباكر الباكر لنحور على ارضه بالطباشير مربعات نلعب فيها لعبة « الحجر » .

وكم ضحكت وضحكت مع اختي الصغيرة في سرنا ، عندما كان ابي يقف بنا حائرا امام « البزم » بائع احذية الاطفال الشهير في سوق الحميدية، عاجزا عن رد الجواب وتفسير الظاهرة للبائع الطيب الماهر الذي كان ينظر مع ابي الى الاحذية في اقدامنا متسائلا والدهشة تلازمه :

ـ اريد ان اعرف كيف اهترأ بوز الحذاء من الامام بهذه السرعة ، والله يا اخي اعطيتك احذية من احسن « جلد ممتاز » !!؟ ثم كيف يمكن ان يهترأ بوز الحذاء خلال اسبوع واحد !!؟ ولماذا الرجل اليمنى فقط !! وينظر ابي معه الى بوز كل فردة من احذيتنا وقد تحولت الى لون ابيض ، ويحرك يده متعجبا ، « ويصفن » ابي والبائع طويلا . . ولا تفسير !!

الحجر يا ابي .. الحجر .. آه لو كنت تدري يومها لقتلتنا شر قتلة!! اننا ندفع الحجر ببوز الحذاء اليميني لنكسب بيتا جديدا ضد رفيقاتنا .

وهذه الابواب والنوافذ ، كم امسكت بخشبها بلهفة حتى « لا اموت » عندما تحاول احداهن اللحاق بي ولمسي في لعبة « عيش » !!! ونمل لعبة عيش ونلعب لعبة « الطميمة » ونتغلغل داخل المخابيء السرية ولكن جرس الدرس يحرمنا من متابعة اللعبة .

ولكن .. اين رفيقاتي العزيزات !!؟ اين سمية حبال واين كلثوم نوري وهند حكيم وسعاد حافظ وهيفاء جمال !!؟ ضيعتني عنهن دروب الحياة .

لن انسى ابدا كم شدتني « كلثوم » العزيزة كي « اخاوي » « سمية » العزيزة، وكم شدت « هند » « سمية » كي تخاويني.وعند منتصف الطريق، النقطة المحددة للصلح ، كانت كبرياء الطفل فينا تشتد وتشتد معها الرغبة في المقاومة كما تشتد معها الرغبة في التنازل ، واخاف وتخاف سمية حتما ، ان تمل كلثوم وهند هذه الكبرياء المشدودة كوتر ، فتقع كلتانا في ناحية ، فنقترب ونتصافح « واخاويها » بلمس اصبع السبابة في يدي اليمنى باصبع السبابة في يدها اليمنى ، ويزول الخصام الذي بدا بلمس خنصري الايمن لخنصرها الايمن تتبع تلك الحركة كلمة « خاصيتك » تعلن فيها كل منا موقف الخصام والقطيعة .

وفي مدرستي « زبيدة » عرفت الظلم للمرة الاولى في حياتي ، كان دور المعلمة « حياة خانم » بقرع جرس الفرص بين ساعات الدروس ذلك اليوم. وحياة خانم معلمة صعبة شديدة البأس خلقت والعصا بيدها . ويشاء سوء حظي ان انال الدرجة الاولى في الامتحان الاول للصف الثاني ، فتناديني معلمتي المحبوبة الدمثة الفاضلة امام الصف كله وتعلن تعييني « عريفة » للصف بدلا من التلميذة « باكزة » العريفة السابقة الظالمة الزنجية الطويلة الغبيـة .

وفي الباحة وبعد قرع الجرس وانتظام الصفوف تنتقم باكزة لنفسها فتحاول اخراج قدمها عن مستوى اقدام تلميذات الصف الثاني المهذبات المطيعات ، رغم تهديدي بالمسطرة للرجل المتمردة على خط النظام الذي صنعته انا من اقدام التلميذات باتقان بالغ والذي ستلاحظه باعجاب « حياة خانم » في جولتها التفتيشية . وعندما تفشل انذاراتي واقول لها بصوت مسموع امام صفوف المدرسة الصامتة .

— حياة خانم .. باكرة تخرج رجلها عن الصف !!

وتحدث مفاجاة ...

وتشدني « حياة خانم » من شعري الى وسط الباحة لتتسنى رؤيتي لكل تلميذات المدرسة ولاكون عبرة للجميع ولكل من تسول لها نفسها التطاول على معلماتها المحترمات . وتبدا بشتمي قائلة :

— يا قليلة الادب .. هل انا رفيقتك ..!! هل انا زميلتك ..!! ساريك واعلمك اداب السلوك ! انتظري هنا الى جانب الحيط لتري ما سافعله بك بعد ان تمر الصفوف وتتفرج عليك !! ستكون عقوبتك شديدة ، ساعلق على راسك راس حمار من الورق ، ستديرين وجهك الى « الحيط » وترفعين رجلا واحدة ويداك الى الاعلى ..!!

ولما مرت الايام على دموعي ونفسي الطيبة المظلومة الحائرة التي تجهل سر هذه العقوبة ، عرفت من مديرتي الطيبة التيكانتتحبنيوتقدرني، ان ذنبي كان لتلفظي باسمها « حياة خانم » وكان علي ان اناديها « معلمة خانم » . ودافعت عني مديرتي ، والكلمة الاخيرة طبعا لها ، ولم تتفرج علي المدرسة لمدة اسبوع وانا اركب راس حمار باذنين واقفتين !!

وان نسيت .. فهل انسى بعدهذه السنين فضل مديرتي المحترمة الغالية « سنية قباني » صاحبة اجمل وجه واطيب قلب واوسع صدر، وهل انسى معلماتي العزيزات القديرات ماري سبع واديبة شاكوش وعزيزة كيلاني والفت غزي ووصال مولوي ، والمرحومة رئيفة ناشد !؟ وهل انسى وجه الحجي العجوز الطيب ذي اللحية البيضاء الذي يحرس الباب ، وهل انسى حنان « محافظتي » الطيبة « ام راشد » !؟

لا . .لا .. ابدا لن انسى تعبهن وعطفهن وفضلهن . لن انسى اول كلمة شكرا سمعتها طفلة « صغيرة » من معلمتها « الكبيرة » عندما اعدت للمخبر خريطة العالم واستلمتها مني معلمتي المسؤولة عن المخبر . ولن انسى كيف حرمت مديرتي القديرة الجميلة الورعة التقية التي لا تقطع صلاة ولا صوم ، على المعلمات ضرب التلميذات ، وكيف عاقبت بشدة المعلمة الظالمة « ثريا خانم » التي ضربت كفي اختي الصغيرتين بالعصا حتى ادمتهما. ولن انسى كيف سقطت على ارضالمدرسة في الشتاء عندما تراكم الثلج على البلاط وتحول الى جليد فالتوى اصبع يدي وظل يحمل بعد خمس وعشرين سنة ذكرى الالم وذكرى السقوط .

لن انسى وجوه بائع الزعبوب وبائع البوظة دامر وبائع البوشار والقضامة والبزر وبائع الدفتر والسفينة واللوح والمسطرة والقلموالريشة.

ولن انسى وقوفي مع رفيقاتي دقائق طويلة متمردة تحت « مزراب » المدرسة في يوم ممطر من ايام دمشق المطرة السخية الماضية !!

هل انسى ..!؟ ومن ينسى ..!؟

اين سمية وهند وكلثوم وهيفاء وسعاد . اسرعن يا رفيقاتي البعيدات الكبيرات الي ، اسرعن بقلب طفلة مثلي لا تنسى ، لكي نقف معا عند باب مدرستنا الحبيبة « زبيدة » ونفتح ايدينا الصغيرة الكبيرة، كل واحدة تمسك بيد رفيقتها نصنع جدارا من الوفاء والمحبة نمنع المعاول من هدم ملاعب طفولتنا ومهد عقولنا ، اسرعن يا رفيقاتي الي ، كي نمسك بخشب باب المدرسة العتيق ، لنلعب مع من يحاول لمسنا او لمس باب مدرستنا لعبة « عيش » .



واتمتع بأمي

استولت أمي في الفترة الاخيرة على مشاعري وافكاري واهتماماتي ، وإن كانت في البداية هي الارض والتربة الحمراء الخصبة في نفسي ، وكل ما على السطح من نباتات واغصان وازهار واشواك يستمد حياته منوجود امي في كياني . بل هي لحمة نسيجي وسداه ، وكل ما عليه من زخرفة وتطريز انما هو الطبيعة الثانية .

أمي .. شيء كبير كبير في حياتي .

كلما عدت من العمل مرهقة الفكر متعبة العضلات النفسية التي تكافح يوما كاملا من اجل حياتنا في الغد ، اجدها عند الباب تستقبلني بكلمات فرحة مشرقة مزغردة تعبر عن فرح الام الدائم بعودة اولادها اليها طال الغياب أو قصر . والاهلا والسهلا من أمي عند الباب لا احلى ولا اصدق ولا اشهى .

دائما .. ومهما تاخرت ، يكون لهيب الطعام متصاعدا في انتظاري .. ودائما عند الصباح أعود الى اليقظة مع انسياب الصوت الحنون من شق الباب ، الصوت الذي احبه ولا اريده ان يتغير .

جاءت اختي مرة .. وفتحت الباب بشدة وصرخت بكلمات نشيطة استمدت قوتها من مطلع الشمس وزقزقة العصافير وزعيق الباصات وتهديد عقارب الساعة مع شيء كثير من التانيب والضجر والسرعة :

— يا الله .. تأخر الوقت .. قومي .. هذه المرة ساتركك ولن اعود ثانية .

واحسست بالانزعاج والالم . كانت اعماقي التي لا تنام تنتظر بلهفة



الفنان عبد القادر النائب ـ أريحا ـ حلب والدتي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول للجزائري

صوت امي الحبيب الـــذي يتسلل الى منـــامي يؤكد لي اســتمرار طفولتي المدللة .

ـــ يا الله يا ماما .. يا الله يا بنتي الله يرضى عليك .. قومي يـــا امي .. حتى لا تتاخري . .حضرت لك الفطور والشاي .. غسلي وجهك والحقيني لنتحدث لقد اشتقت اليك .

غيابي عن امي اثناء نومي في الليل يجعلها تشتاق الي .. وكانهـــا تتمنى ان تظل معنا وتلغي ساعات الليل من حياتها وحياة اولادها لتمد في عمر لقائها بهم وتضاعفه .

ولقائي بامي قليل قليل وكثيف كثيف . انا اتمتع بامي لا كما يتمتـع الناس . انا اراقبها بشدة .. انظر في عينيها .. في شعرها .. في ثوبهـا العتيق الذي تفوح منه رائحة المطبخ .. في ابتسامتها الطيبة .. في آمالها الظاهرة والخفية .. في مشيتها .. في نومها .. وهي لا تشعر بي .. لا تعرف انني اغرف من جمالها الالهي ، واختزن صورا لها لا تنتهي ..

. اتمتع بها وهي تداعب اخي وتقبله من رقبته الخلفية وتسأل عن صحة اخي الثاني وتنتظر بلهفة وفرح وقلق من يقرا لها آخر رسالة وصلت منه ..

اتمتع بها وهي ترد على الهاتف بصوت متردد مبحوح ناعم ، اتمتع بها وهي تشوي اللحم وتقلي الخضار ، وتجلي الصحون والملاعق وتذوب تعبا وراء آلة الغسيل وتنشر الغسيل وتلملمه عن الحبال .

امد يدي لاساعدها فترفض بشدة وباغلظ الايمان فاحترم ايمان امي المتدينة المتعصبة لاسلامها واسكت وابتعد عن ميدان عملها . امي تتعب.. وانفاسها تلهث ، ولكنها لا تشكو من عملها اليومي المرهق من اجلنا .. من اجل اسرتها التي كبر اطفالها وما زالوا اطفالا كبارا يلتصقون بالبيت باحضان الام التي تضم البيت كله .

عندما اقترب من امي .. لاهمس في اذنها اسرار البنت لامهـــا .. اشعر بانها سعيدة .. تسمعني وتحبني وتقف الى جانب آرائي ومواقفي ، تراني اجمل فتاة في الوجود . وعندما اضحك من هذا الراي وتلك المجاملة واذكرها بالمثل الشامي العامي الذي يدين عين الام على ابنها : يا امي المثل يقول : القرد بعين صاحبو غزال !! تضحك معي من المثل ولكنها لا تسحب كلمتها . وينمو الغرور السعيد في قلبي .

قالت لي مرة :

— اخاف على يديك ... « والله ما رح خليكي تجلي الصحون » . وانظر انا الى يديها المتعبتين المعروقتين الخشنتين في اللحظة نفسها .. وابتسم من سخرية الايام .. ولا انسى ان ترف يدي يشرب من شقاء يديها .

وترد بحنان غامر :

— انا لا ادللك .. بل اوفرك لايامك المقبلة .

— ولكنك يا امي تتعبين واخاف عليك !

— لن اتوقف عن العمل من اجلكم الا عندما اقع .

وتوقفت عن الحوار معها حتى لا ابكي بصوت عال .

وخرجت من فمي كلمات تالية لا علاقة لها بنا ، ثم عدت الى غرفتي والى نفسي . لقد اكتشفت سر سعادة امي وسعادة الامهات كل الامهات من خلالها ، وعرفت لماذا تثور في وجهي عندما ادخل الى مطبخها .

امي سعيدة لانها تعاني ارهاقا شديدا من اجل اسرتها .. لانها تزحف رغم تقدمها في السن لتقدم لنا شيئا عظيما قد يراه الناس واجبا يوميا عاديا يتجسد في طبق « كبة لبنية » او في قميص مغسول ومكوي ، او في بلاط ممسوح ، واراه انا حادثا عظيما تصنعه الام وهي لا تريد مقابلا له الا فرحة حقيقية في وجوهنا وكلماتنا . همها الاول ان تقدم لنا خدماتها .

احسست بثورة امي الداخلية على ما يسلبه الآخرون منها في اكثر من مناسبة . ماذا يبقى لها لو اخذت انا منها عملية طهي الطعام مثلا !؟ وقررت ان اظل طفلتها التي تنقر على طبقها الفارغ بالملعقة الصغيرة بلا توقف ، اعلانا مصرا عن الجوع لطبق من يد امي الماهرة . فكيف احرمها في هذه السن من شيء تقدمه للحياة بعد ان منحت الحياة رجالا علمتهم كيف يسلكون طريق الحياة بمحبة وشرف ؟

لن افعل .. وقلبي يتلفت حولها يخاف عليها، يتمنى لو يتوقف ليمنحها من دقاته الشابة مزيدا من قوة الحياة .

امي .. تبحث في النهار عن المتاعب .. لا تهدا لحظة واحدة ، فلو كان العمل في بيتها منتهيا لخلقت اعمالا جديدة . هي دائما في شغل .. كالعامل

الذي يتسلق جدران العمارة الجديدة المقابلة مع صياح الديك لا ينزل منها الا مع آذان المغرب .

امي دائما في مكان الضحية .. ونحن دائما مثقلون بالديون . وامي تتمتع بذكاء فطري يلفت النظر رغم توقفها من سنين بعيدة عن القراءة . لها حس مرهف ونفس شفافة وعاطفة متفجرة ، ودماء جزائرية مغربية تتدفق حيوية وثورة وتمردا . ذكاؤها الانثوي مشحون بالمرح والحب والفهم معا . انها سائرة على خط الحياة النامي ، انسانة غنية مثقلة بتقاليد الماضي وابتكارات الحاضر ، تتمسك بالامس وتساير اليوم وتتوقع الغد .

بالعين تفهمك .. وبالقلب تضمك . وبالتضحية تاسرك .. دائما ابكي عندما اسمع فيروز تغني مقطعا من أغنيتها « لا تعتب علي » يقول :

حلفتني امي ما حاكي حدا

قالتلي يا أمي اياك العدا

أنت مش حدا

ولا انت العدا

انت اللي في عيني

رابية من الزهر

واختنق بالدمع في كل مرة تغني فيها فايزة احمد مقطعا من اغنيتها للام يقول :

ست الحبايب يا حبيبة

يا اغلى من روحي ودمي

يا حنينة وكلك طيبة

يا ربي يخليك يا امي

ثرت مرة في وجه امي لانها وضعت على مكتبي اشياء لا تخص غرفتي . وبعد حوار شديد من طرفي وضعيف من طرفها ، اغلقت الباب في وجهها بشدة ولجأت الى سريري ارتجف من الغضب « والالم » الذي يهددني بوصوله الكامل !!

وفي سريري نمت .. حاولت ان انام .. واخفقت المحاولة . ندمت وتألمت لان امي لم تفعل شيئا سيئا ضدي . وتمنيت لو أعود اليها لاقبلها

في شـعرها ووجها وعينيها ويديها وقدميها واقول لها بحب لا مثيل له : امي .. لا اقصد .. انا مريضـة .. الالم يضـنيني واكتم الآه حتى لا ازعجك .. هذا كل شيء . ولكنها سبقتني .. مدت رأسها بعد دقائق من الباب بحنان غامر وذكاء نادر وقالت لي بصـوت يبتسم ويعطف ويضـم :

— تقبريني ... جبلك كاسـة شـاي سـخن واللا بدك كاسـة « نعنع » .. سخن !!؟

وان كنت انسـى فلا انسـى الحكاية اللطيفة التي كانت تحكيها امي لي ولاخوتي الصـغار قبل ان ننام لكي ننام . فلا تزيدنا الحكاية الا يقظة ورغبة في السهر والاسـتماع الى مزيد من الاغاني والحكايا . وكانت حكـايـة امي اسـلوبا للتخلص من الحاحنا وليسـت حكاية حقيقية ، وهي حكايـة كل ام شـامية لاولادها :

« احكي لك حكاية وبنتي رايحة جاية على بلاط الحمام والحمام فيـه حرباية والحرباية بالاسـطوح والاسـطوح بدو سـلم والسـلم عند النجـار والنجار بدو بيضـة والبيضـة بطيز الجاجة والجاجة بدها قمحة والقمحـة بالطاحون والطاحون مسكرة والميات مقطعة ، رحت لعند خالتي ام حسين عطتني تفاحتين اكلت تفاحة وخبيت تفاحة اجت عمتي السـراقة سـرقتهـا وطلعت تركض هية تركض وانا اركض طبـنـا بخراها خراهـا تمر وحنة يا ربي تموت الكنة لاعمل عزاها رنة واطلع لفوق المنبر وقول الله اكبر » .

وعندما ترفض اختي ان تنام كانت امي تهلل لها حتى تنام بسـريرهـا الذي تهزه امي بيدها مرة وتشـده « بالحبلة » مرات ، مرددة الاغنية الحلوة التي لا انسـاها :

اوللا يا اولاني
يا ربي لا تنسـاني
من فضـلك يا رحـاني

*

اوللا يا اولاني
راح الحج وخلاني
خلاني بالبرية
ستي زينب ورقية
ورقية نزلت عالشـام

شـي لله ياشيخ رسـلان
يا حامي البر والشـام

*

اوللا يا اوليتي
وسـقالله يومن جيتي
كانت امك فرحانة
وبشـرو البابا فيكي

*

اوللا حدبو ندبو
اوللا قط صـغير
اوللا تطشـو دنبو

*

نام يا ابني نام
لادبح لك طير الحمام
يا حمام لا تصـدق
عم كذب على ابني حتى ينام

*

هزو لميمونة وما كانت تنام
ومدللة وجعنونة وما كانت تنام

*

اوللا يا ماما اوللا
نام يا ابني نام
والله عين الله ما نامت
واحبابنا بالسـفر يا ابني
وقلوبنا والله اشـتاقت

*

اوللا يا ماما اوللا
يا ستي ويا بنتي
غاب القمر فين كنتي

غاب القمر ونجومو
ما يضوي علي غير انت

*

اوللا يا ماما اوللا
يا سكان البرية
ستي زينب ورقية
ستي زينب حملة حملة
ستي زينب يا ام الشملة

*

اوللا يا ماما اوللا
يا ستي ويا ست الكل
من نقدك بربط وبحل
ومن نقدك بكسي العريان
ومن نقدك بطعمي الجوعان

*

ناموا يا غنم ناموا
وان شاء الله ما بتنضاموا

*

اوللا يا اولاني
يا ربي لا تنساني
من فضلك يا رحماني

*

وكم لاعبتنا امي لعبتنا المفضلة ، نحن الثلاثة ، اختي واخي الصغير وانا وكم ضحكنا وفرحنا بلعبتنا الحلوة « طيمشة منيمشة » ، وكنا نجلس على ركبنا امام امي ونمد ايدينا الصغيرة على ركبنا وننتظر امي حتى تمس باناملها بالدور يد كل واحد فينا وتقول :

« طيمشة منيمشة بعتتني ستي عيشة لاشتري بصل وقع الكوز انكسر حلفت معلمتي لتعلقني بالشجر والشجر نقوط فلوس خبي ايدك يا منيحة يا عروس ام الحلقة والدبوس » .

وعندما كانت تمس كلمة الدبوس يد احدنا كان عليه ان يخفي هـذه اليد وراء ظهره . وهكذا تستمر اللعبة الى ان تبقى بين الايدي الصغيرة الممدودة يد واحدة ، فتكمل امي اللعبة وتغني « طيمشة منيمشة » وتلمس بيدها يد ابنها وانفه . . . ونقلب على ظهورنا من شدة الضحك وامي تضحك معنا ، وضحكتها الصبية لا تزال تملأ سمعي حتى اليوم . ومن احلى مداعبات وحكايات امي اللطيفة المسلية ، حكاية واغنية يا باح يا باح يا عرق التفاح اجا العصفور ليتوضا لقالو ابريق فضة . . هي كمشتو . . وهي دبحتو . . وهي طبخنو . . وهي اكلتو . . وهي قالت وين حصتي . !؟ بالطاقة . . دبليلي وين بنام !! ببعبوطك بدي نام . . . !! وتكركرنا امنا عند رقبتنا . . . ونضحك ونضحك . . . ونطالب ثانية بلعبة واغنية يا باح . . يا باح التي تلامس فيها يد امنا يد واحدنا . . وتعدد اصابعه واحدة واحدة . . كل اصبع لها دور . . هي كمشت العصفور وهي دبحتو . . واخيرا تلامس اصابع امي زند طفلها الابيض الحساس الصغير حتى تصل لرقبته وتكركره .

ما احلى امي وما اطيبها .

قالت لي امي مرة وانا احرك لها اللبن على النار بالكبجاية :

ــ يا امي انتبهي . . حركي اللبن منيح حتى ما يفرط . .

ــ يا امي علميني شلون بتطبخي « الكبة اللبنية » !؟

ــ انا بغسل « البرغل » تمين وبصفي المي وبخليه غمرو مي باردة وبرشلو شوية ملح وبتركو لحتى ينفش . وبفركو بايدي وبفرك معو اللحمة الهبرة المدقوقة مع ملح وفلفل وكمشتين طحين يا اما شوية نشا . وبدقهن كلهن بجرن الكبة يا اما بحطهن دور بالماكينة ، وبكون محضرة على جنب حشوة الكبة : دهنة مدقوقة مع الجوز والبصلة والملح والفلفل وبحشي فيها الكبب الصغيرة . وبكون نقعت الرز بمي سخنة وملح نص ساعة ، بعدين بصول الرز بمي باردة وبسقطو بطنجرة عم تغلي فيها شوية ملح . ومتى ما شفتي الرزة نبتت مو دابت يعني طريت طراوة بتنزليه على الارض .

بحرك اللبن علبارد مع بيضة ونشا وشوية مي وبرفعو علنار حتى يقلب ، وايدك لازم ما تنقام منو لانو اذا دشرتيه وقلتي بيغلي لحالو بيفرط اذا ما حركتيه بالكبجاية ، وقت بيغلي وبيقلب منحط فوقو الرزات ، واذا صاروا الرزات متل الجبولة بحركهن بالمي الباردة وبسكبهن فوق اللبن

وبحركهن شوي شوي حتى ما يعلقو لبين ما يغلي اللبن . متى ما غلى بتسقطي الكبة وبتحطي الكفكير بالسفل ومنحركو حتى ما يلزق الرز بالسفل ومنحركهن شوي شوي . ولبن الكبة اللبنية ما بيتغطى لا هو ولا اكلة « شيخ المحشي » ولا اكلة « الشاكرية » خلوها ببالكن يا بناتي . بتكوني نقعتي الطرخون. اليابس وبتعصريه من المي ، ووقتن بكون اخضر بتغسليه وبتحطيه فوق اللبن والكبة حتى يغلي اربع خمس غلوات ، بتطالعي كباية بصحن وبتدقي عليها اذا طبطبت بتكون استوت . وانتبهي اذا غليتي الاكلة كتير كتير بتفرط الكبة . انت بدك يكون الك عيار بتمك اذا لقيتيها مريقة بتنوصي الببور وبتكتي فوق اللبن نشا مع مي شوية شوية وبتحركيه مع اللبن شوية شوية حتى ما يخرز يا اما بتنزلي الطنجرة وبتحركيه لانو اهون وما بعود بخرز لانو اذا خرز اللبن ما بتعود بتتاكل ومالو تدبيرة .

بتنزلي الكبة علارض وبتحمي معلقة سمنة حتى تطلع دخنتها وما تنزع لك طعمة الاكل وبتسكبيها فوق اللبنية .

بتجيبي الكفكير وبتسكبي الكبب قبل الكل بزبادي يا اما بطنجرة يا اما بصينية ، بعدين بتحركي الرز واللبن وبتسكبيهن فوق الكبب .

يا بنتي اكلة الكبة اللبنية الها كمالة ، الكبة بالصينية والكبة المقلية بالزيت والكبة المشوية عالفحم والبابا غنوج والبيتنجان المقلي والسلطة .

الكبة بالصينية هينة . بتدهني الصينية بالسمنة وبترقي الكبة قراص قراص وبتمدي اول وش عالصينية وبتعصري اللحمة والصنوبر والبصل والجوز من السمنة وبترشي هالحشوة على وش الصينيةوبتكبسي بايدك عليه بعدين بتمدي الوش التاني من الكبة . وبتدوبي نتفة نشا وبترشيهن عالوش حتى تركزي الصينية تمام بعدين بتكبسيها بايدك حتى تلزق وبتملسيها . رشي عالوش شوية عصفر وملسيهن بايدك المبلولة وقطعي الصينية تقطيعة البقلاوة ، وبعد ما بتشويها بالفرن حتى يحمر الوش بتبخي الوش بالمي وبتغطيها وبتحمي السمنة وبتحطيها فوقها .

مشان الشوربا تبع اكلة الكبة . بتحطي العدس والبصل ومعلقة سمنة وشوية ملح ، وبتعبي نص الطنجرة البريستو مي . بتتركيها ربع ساعة بعد التصفير بتنزليها وبتحطيها تحت المي الباردة ، بتصفي باللي بالطنجرة بمصفاية ناعمة وبتدوبي كمشة طحين بشوية مي وبتحركيها معها . وبترشي فوقها فليفلة حمرا حلوة وحدة وعصفر وملح وفلفل وسمنة من سمنة

حشوة الكبة بالصينية . وآخر شي بتحمي شوية سمنة وبتطشيهن فوق الشوربا .

بعدين بترقي الكبة وبتاخدي اللحمة والصنوبر والجوز والبصل وبتحشيهن بقلب القراص وبتساويهن كبب كبار هيك اصولهن . وبتحمي الزيت لتطلع دخنتو وبتنوصي النار حتى ما تتلدوع الكبب وبتقليهن حتى يحمرو .

والمشوية لك بنتي ما بدها شي بترقي القرص وبتحطي بقلبو الدهنة المدقوقة مع الجوز والبصلة والملح والفلفل وبتحطي معها حبات الرمان الحامض . وبتساوي قرص تاني على كمك متل القبة وبتطبقيه فوق القرص الاولاني المسطح وبتلزقي القرصين سوا وبتملسي طراف قرص الكبة وبتشوي القراص يا اما بالفرن متل ما بيعملوا هالايام يا اما على منصب فوق منقل فيه نار فحم متل ما كنا نشويهن من زمان وشو كانوا يطلعوا طيبين .

قلت لامي :

ــ يا امي بدي اتعلم منك كمان « البابا غنوج » و « الفتوش » .

ــ يي ما في اهين منهن . البابا غنوج اكلة طيبة كتير مع الكبة . وكبة بلا « بابا غنوج » يعني مو كبة . بتشوي البيتنجان عالنار بايدك بيتنجانة بيتنجانة . بعدين بتحطي البيتنجانات المشويين بالمي الباردة راسا وبتقيمي القشرة المحروقة وسط المي حتى يضل لون البيتنجان ابيض متل الفلة . وبتدقي البيتنجانات بالهاون وبتحطي معهن رشة ملح الليمون وتوم وزيت وبقدونس مفروم .

مشان الفتوش بتكسري الخبز اليابس وبتبليه بالمي وبتصفيه بالمصفاية . بعدين بتحطي فوق الخبزات خيار مقطع وبندورة مفرومة وفليفلة وبتلة وزيتون اسود ونعنع اخضر وبترشي نعنع يابس وبصلة مفرومة وتوم وخل وزيت بلدي . خلص هي هية الشغلة اي والله ما في اطيب منو .

ــ يا امي الله يخليكي . . . بدي اتعلم منك كمان اكلة الكوسا المحشي والبيرق والمكدوس والحبوب . . !

ــ انا بتشرين اول بجيب البيتنجان البلدي حجمو وسط لا كبير ولا صغير يعني شي عشرة كيلو بيتنجان .

بحط ملات المعجن الكبير مي وبحط البيتنجان وهية المي باردة وبرفعو علنار وبغطيه وبجللو داير مع لفت بشاشية يا اما ببشكير عتيق حتى يحبس عليه البخار ويغلي. بترفعي الغطا وبتدسي البيتنجانة ومتى ما صارت طرية مو منوب تدوب يعني وسط ولا مجلدة قاسية ، بتنقليه كله بالكفكير راسا للمي الباردة بتكوني محضرتيها بواعة كبيرة . برد بحط الوجبة التانية للبيتنجان بنفس المي الغليانة واذا نقصت بزيدها مي باردة .

بتسكبي علبيتنجانات اللي انسلقوا مي مرتين تلاتة اربعةلحتى يبردو . وهنة بوسط المي بتقيمي الدناديش من راس البيتنجانة وبتخلي راسها مدور . بتحضري صحن الملح . وبتبدي بتمسكي كل بيتنجانة وبتحفريها من نصها باصبعتك وبتحشيها ملح . وبتبدي تصفي البيتنجانات بالسلة وبين كل طبقة وطبقة ملح يعني كمشة ملح مشان تتصفى ميتو ويمسك بالملح ما بعود بدوب . متى ما انتلت السلة بتحطي على وشها شاشية وفوقها صحن وفوق الصحن ايد هاون تقيلة وبتحطي تحت السلة طنجرة وكل شوي شقي عليها وكبي منها المي.وبتخليها لتاني يوم.تاني يوم بتفردي البيتنجانات بلكن واسع . بتكوني محضرة التتبيلة . جوز مدقوق مع فليفلة حمرا حدة طرية وفليفلة حلوة وملح قليل وتوم مدقوق ، وبتحشي البيتنجانات بالتتبيلة وبتمسحيهن بشاشية نضيفة مبلولة بالمي . وبتصفي البيتنجانات بالقطرميز وكل اربع صفوف بترشي شوية ملح لتاني يوم حتى ينزل منو المي . وعشية بتحطي لهن زيت زيتون بلدي غمرهن . انتبهي لازم تحطي تحت القطرميز واعة لمدة عشر تيام وكل يوم بتشقي عليه واذا شفتي انو الزيت علي بتنقصي من الزيتات والزيت بيعلا لانو البيتنجان بيكبر بينفش ، وبتضلي عم تشقي علمكدوس جمعتين تلاتة بجوز ينقص الزيت بقوموا بعفنو ما فيها خصارة تناوقي تنويقة . وهيك بكون خلص ما بقى بدو شي ودوقي وشوفي ما اطيبو وكل سنة وانت سالمة .

ــ يسلم تمك يا امي . . هلا بدي اتعلم طبخة « المحشي » .

ــ علمتني ياه الله يرحمها « ام جودت » . قالتلي مرة وكنت لساتني صغيرة عروس وما بعرف اطبخ : قالتلي احشي الكوساية وهية واقفة ولا تخضيها وخلي شوية عند راسها فاضي بتطلع فرجة . ايه الله يرحمها والله كان طبخها طيب . والله يابنتي الطبخ « نفس » وفي ناس كتير ما بتحسني تحطي اكلهن بتمك لانهن مالهن نفس عالطبخ .

شوفي يا بنتي اكلة المحشي بالشام منساويها بالصيف بتكون الخضرة تازة وكتيرة . بتجيبي مشان طبخة كبيرة اذا كان عندك عزيمة عشر كوسايات وعشر يقطينات وعشر بيتنجانات وعشر فليفلات كبار حلوين وحدين .

وقت بدك تحفري اليقطين بتحطي بالمحفرة ملح حتى ينحفر معك قوام وبعد ما بتحفري اليقطينة من الطرفين بتقشريها بالسكين . بعدين بتحفري البيتنجان والكوسا والفليفلة . والفليفلاية بتحزي راسها بطرف السكين وبتكبسي غطاها لجوة وبعدين بتسحبيه لبرة وبتقيمي منها البزر وبتحشيها بحشوة المحشي وبتغطي راسها بغطاها . ولحتى تحضري المرقة لازم تعصري شي كيلوين بندورة حمرا وتحطيلهن شوية ملح وملح الليمون وهنة باردين . ولحتى تحضري الحشوة بتجيبي كيلو ونص لحمة مفرومة ودهنة مفرومة وكيلو رز وملح وفلفل وعصفر وشوية كمون خشن وصنوبر .

بتنقعي الرز بمي سخنة مع شوية ملح وبتصوليه بمي باردة . بعدين بتخلطي الرز مع اللحمة والدهنة والعصفر والملح والفلفل والكمون وبتبدي بتحشي الكوساية وهية واقفة وبتخليها ناقصة عقدة اصبعة ، وبتعملي نفس الشي مع البيتنجان واليقطين والفليفلة ومتى ما غلت المرقة عالنار بتركزي ملحها وبتسقطي فيها الكوسايات واليقطينات والبيتنجانات والفليفلايات وهية عم تغلي . ووقت بيستوي المحشي بتحطي فوق المرقة نعنع يابس وتوم .

اي والله مهما قالولي ما في اطيب من اكل الشام واكلة المحشي لا تاكليها غير ببيت شامي ولا تنسي من اكلات المحشي اليبرق والسلق واليخنا واليلانجي بالزيت .

ــ دخلك يا امي شو تغيرت الدنية ما عاد حدا طبخ من اكلات الشتي خبيصة بالدبس والجوز ولا حبوب بدبس وحبوب بسكر والله بتذكر بصغري كنت امشي « بسوقساروجة » واللا « بسوق العتيق » و « بجوزة الحدبا » و « بباب الجابية » و « بالعمارة » وكل عشر دكاكين كنت لاقي بياع حاطط تدامو حلة حبوب والناس عم تاكل عندو . يا حين هديك الايام . يا امي طبخيلنا حبوب والله جايه على بالي اكلة حبوب . . !!

ــ على عيني تقبريني . . . اسمو هلا وقت الدبس والله بدي اطبخلكن بكرة لونين حبوب بدبس وحبوب بسكر ، انا ما بحبو الا بدبس .

ولك بنتي الحبوب هين ولازم تتعلميه بكرة بموت وحتى ما تشتهيه من ايد حدا رح علمك ياه .

بجيب القمح المقشر وحمص وفاصولية حب وفول يابس . بعد ما بنقيهن وبغسلهن بنقعهن بمية سخنة كل شي لحالو مدة ١٥ ساعة قبل بليلة. بفز على بكرة قبل الكل بسلق القمح لحالو والحمص لحالو والفاصولية الحب لحالها والفول بفقشو وبقسم كل فولة نصين وبسلقهن . ومتى ما استووا بوضب طنجرة كبيرة بحط فيها الحبوب مع بعضها مع مية السلق . وبخليهن يغلو سوا ومتى ما خثروا ، بكون محضرة كيلو دبس ومدوبتو بمي باردة علنار شوي شوي متى ما داب الدبس بكتو فوق الحبوب وبتركو لحتى يغلي مقدار ربع ساعة حتى يتشرب الحبوب الحلو منيح متى ما لقيتو خثر بنزلو وبسكبو بزبادي حتى يبرد وبرش فوق كل زبدية شمر ويانسون وجوز مبشور . هادا حبوب الدبس . وحبوب السكر بتحليه بالسكر عواض الدبس وبترشي عليه نقطة مازهر، وبتسكبيه بالزبادي بعد ما بيغلي وبيختر وبتخليه هيك حتى يبرد بتزوقي وش الزبادي بالقلوبات المقشرة الجوز واللوز والبندق والفستق الحلبي والصنوبر والرمان الحلو وجوز الهند المبشور .

ـ طيب يا امي شو هنة اكلات الشام كمان .

ـ الحراق اصبعو . الطباخ روحو . يهودي مسافر ، شلباطو ، ستي ازبقي ، اكلة فتة المقادم ، والحنانى والتشة . اللحمة المشوية والمعاليق . مقلى بالفول . الرز بالفول . الفولية باللحمة . بيتنجان مقلي . منزلة باحمر . يقطين بطحينة . مفركة بكوسا . مفركة ببيض . مفركة بفول . ـكمور . مفركة بيتنجان. مفركة بطاطا . بسماشكات ورز. ومنزلة الزهرة . فتة مكدوس . ورشتاية . الكنافة البصمة . والكنافة المدلوقة . والقطايف عصافيري . والقطايف المقلية بالسمنة « مطبقات » . حليب بالوظة . وهيلطية . برك بلحمة . برك بجبنة . فتة بسماشكات . لبنية بالقشطة . حبوب بدبس . حبوب بسكر . رز بحليب . زنكل . عوامة . بوراني . ومتبل بيتنجان . تسقية حمص بالسمنة . تسقية حمص بالزيت . مسبحة . فول مدمس . كمي باللحمة . زنود البنات . منزلة باسود . سمك مقلي وسمك مشوي وطرطور . سلطة خيار باللبن . سلطة بالخل. الفتوش . البابا غنوج . والكبب بانواعها : اللبنية والمشمشية والصينية والمقلية والمشوية والنية والكبة حميص . والجدي بزيت والشاكرية ، والمحاشي ، وشيخ المحشي باللبن والليالانجي بالزيت . واللحمة المقمعة ،

واللحمة المدللة : وداوود باشا وعساكرو ، ولحمة مقرطة ، ولحمة بخل ، ونخدة ورز وهي منبطخها بالعيد .

والاسلام بالشام يا بنتي بيطبخوا « بعاشورا » ويوم « راس السنة الهجرية » « ابيض » حتى تكون السنة كلها بيضا ، مثل اللبنية وشيخ المحشي والشاكرية والرز بحليب والحبوب بحليب والقشطة ، وبيعملوا بشهر رجب « ليلة الله » وبشعبان « غريبة » وبرمضان « برازق » . والمسيحية بالشام الهن اكلات طيبة بعيادهن . بيطبخوا « بعيد الميلاد » جاج وبساشكات وكبيبة مسلوقة بالشوربا ومحاشي. و « براس السنة » بيطبخوا متلنا ابيض حتى تصير السنة بيضا لبنية ورز بحليب والماسية وقشطة . وبعيد « الغطاس » بيعملوا خبيصة بدبس وجوز وبخوت يعني برك بلحمة واريشة . وبعيد « سبت العازار » بيعملوا « حريرة » بالوظة رز ونشا على وشها دبس وجوز ويانسون . وبيعملوا بعيد البربارة « سليقة » وقطايف . وحلو وزفر « بالكرايز » وباحد « الشعانين » بياكلوا سمك . لكان يا بنتي الاكل بالشام الو اصول . ويمكن اكل الشام أطيب اكل بالدنية . معليشي منتعب بالاكل بس مناكل اكلة طيبة نضيفة على درسنا . نعمة .. الله يديمها ولا يزولها .

تركت امي في المطبخ وعدت الى غرفتي اكتب :

امي دنيا لا اول لها ولا آخر

امي سماء خضراء ترتع فيها الغزلان

وامي ارض زرقاء تعبق بها الغيوم

وامي محيطات كبيرة تلعب فيها الاسماك الملونة

امي الماضي والحاضر والمستقبل .

امي الزمن .

امي دم الحياة في عروقي

ولن اطلب من الله الا امي

نعمة .. الله يديمها فوق راسي .

أوها يا عريس لا تعبس

وصلتنا « التساكر » بطاقات الدعوة من « ناح » اهل العريس . عزيمة رجال .

بطاقتان . وطرت من الفرح لان امي اختارتني هذه المرة لتأخذني معها الى العرس .

وكويت « الروب » الساتان الازرق المكشكش والشريطة الزرقاء لازين بها شعري . وكنت حاضرة قبل موعد العرس بثلاث ساعات .

وارتدت امي الصبية الجميلة من « تفصيلات » عرسها الانيقة « التفصيلة » المخملية السوداء السواريه وهي من خياطة خياطتها الشهيرة « فهمية خانم » وزينت صدرها بمية الماس عريضة ، وتدلى من اذنيها زوج حلق طويل من الماس الحقيقي النادر وهو هدية من « ستي » ام امي لامي. وشكلت راسها بوردة طبيعية حمراء وحلت معصمها بسوار من ازرار الياسمين الطبيعية ، وكانت قد « تفندرت » وجملت وجهها وصدرها ورقبتها وظهرها وزنديها « بالسليماني » ، وكحلت عينيها بالكحل الاسود الفاحم وطلت خديها وشفتيها بحمرة خفيفة .

ووقفت انظر الى امي بحب واعجاب وفرح . امي جميلة .. لا ارى اجمل من امي .

وعندما دق ابي « سقاطة » الباب دقات سريعة قوية معروفة يطلب منا فيها أن نفتح بسرعة ونمشي لانه احضر لنا « عربابة » من ساحة « المرجة » ، رمت امي على ظهرها المعطف الاسود وغطت راسها ووجهها بالمنديل الاسود النميك وامسكت بيدي وسرنا خلف ابي الى « العربية » السوداء التي تنتظرنا في راس الحارة لتقلنا الى بيت العرس .

ومن فرط سعادتي وفرحتي كدت اقبل العربجي ابو « الطربوش » الخمري وحصانيه العزيزين الاسود والابيض . يا لسعادتي ساري العروس لن احول عيني عن العروس .

ووقفت « العربانة » في راس الحارة الضيقة ، ونزلنا منها ومشينا على الاقدام حتى باب العرس الذي التم حوله اولاد الحارة . وكان الحجي المسن يجلس على كرسي من القش « ينطر » الباب ويأمر الاولاد بالابتعاد عندما وصلت اليه قبلنا بلحظات « طفة » نسوان من المدعوات مع اولادهن الرضع . واخذ العجوز يناقش ويجادل النسوة ويصر على منع من لا تحمل « تسكرة » من الدخول ، وكانت احداهن تحلف وتؤكد له انها من « ناح » بيت العروس ولا يجوز له ان يمنعها من الدخول . . . !! والا فانها ستحرد وتعزف عن حضور العرس ويكون هو السبب . . !!

ووصلنا . . . امي وانا . . . تسبقنا بطاقتان . . . وفتح لنا الطريق وهو يرحب بنا ، ودخلنا بلا مشاكل مع ناطور الباب . ورفعت امي منديلها عن وجهها ولعلعت زغاريد بيت اهل العريس تستقبلنا ضيوفا اعزاء في اول الدهليز الذي يشتعل بحبل طويل من الكهرباء . وبعد تبادل التهاني والقبل اخذت احداهن منديل امي ومعطفها ودخلن بها الى الديار مهللات مرحبات الى الصدر الى احسن صف من صفوف كراسي الخيزران والى احسن كرسي في الجهة اليسارية من الليوان حيث تجلس « مداعي » بيت العريس ، لان « مداعي » بيت العروس يجلسن عادة الى يمين الليوان وفي صدر الديار تكريما وتقديرا وواجبا . . هكذا الاصول .

اما العروس فلها الصدارة الاولى في الليوان .

كانت جالسة على « الاسكي » العالي المزين بالسجاد والورود والانوار ولوحات كبيرة مضيئة مكتوبة بخط جميل : « الله » « محمد » « ما شاء الله » . « عين الحسود تبلى بالعمى » .

وغير بعيد عن الاسكي كان ينتصب بكبرياء « سبت » العروس مغطى بقماش من « الشيفون » الزهري الذي يخفي تحته طبقات من الملبس والسكاكر والشوكولاته على شكل ليرات ذهبية ، ولعب من السكر الملونة وآلات موسيقية حلوة الطعم . انه ينتظر بصمت حتى يصل العريس ويفتحه ويشعل انواره ويطعم العروس « ملبسة » ثم يقذفان معا حبات الملبس والسكاكر على المدعوات ، لتصاب بالعدوى كل من لم تتزوج بعد .

وجلست مبهورة الانفاس .. امي تسلم على جاراتها في المقاعد الخلفية وتتبادل التحيات والسؤال عن الصحة والاحوال عن بعد مع قريباتنا ، كما تتبادل التعليقات مع جارة ظريفة خفيفة الدم حول جمال العروس « وغندرتها » وتطلق النكات المرحة مع هذه المجموعة وتلك ، وترن الضحكات النسائية العذبة الرقيقة مع رنين الاساور الذهبية الناعمة في اجواء الديار العربية المفتوحة على السماء الصافية ذات النجوم الفضية وتعشعش هذه الضحكات في اشجار الليمون والنارنج والكباد والليلك وعرائش الياسمين ودوالي العنب . وسيدة تطلب كاس ماء بارد وثانية تنادي من شباك « الفرنكة » في الفوقاني من البيت ، على من لها طفل ملفوف « بقنداقة » حريرية مطرزة بازرق ان تصعد لترضع ابنها لانه يكاد يطق من البكاء وقد يوقظ بقية الاطفال !!! وثالثة تصرخ بحدة في وجه جارتها الامامية لانها عادت بكرسيها الخيزران الى الخلف فجاة فداست رجل الكرسي طرف تفصيلتها السوارية « التول » فمزقتها ..!! والعروس تجفف بطرف منديلها الابيض المطرز ، العرق عن وجهها من شدة وهج حرارة الكهرباء واللوكسات حتى لا يسيل الكريم « وتنتزع » غندرتها، وام العريس تستقبل مع بناتها « طفات جديدة » عند الدهليز « بالزلاغيط » والاهلا والسهلا ، وعجوز لها وجه « منور » تراقب الصبايا بسرور وهن يتفتلن في ارض الديار وحول البحرة بسعادة وتتمتم بكلمات متواصلة ترافق حركات اصابعها وهي تدفع حبات المسبحة الصغيرة الناعمة في يدها البيضاء النظيفة .. حبة وراء حبة . واطراف سطوح البيت المطلة على ارض الديار تنبيء رغم العتمة بوجوه الجارات غير المدعوات وقد اختفت خلف الاغطية البيضاء على الرؤوس . وانا شاخصة بعينين ثابتتين في وجه العروس اجمل انسانة في الدنيا كلها ..!!

اذن هذه هي العروس ..!! يا الهي كم هي باهرة ..!! فكم قالت لي امي « يا عروس » عندما كنت اقضي لها « غرضا » والبي طلبها بسرعة!! وكم كانات اخي الصغير بكلمة « الله يرضى عليك يا عريس » عندما كان يملأ لها « حق الماء » من « فيجة » الحارة ..!!

اذن فالعريس والعروس هما ذروة المجد الانساني .. وآخر الطريق الطويل .. والمثل الاعلى عند الناس الذين تزوجوا والذين لم يتزوجوا بعد ..!!

العروس حلم البنات الصغيرات ، والعريس حلم الصبيان الصغار ، ويكبر الصغار ويتحقق الحلم .

العروس باحساسي الطفولي مخلوقة فذة خارقة للطبيعة .. ملاك باجنحة لا تطير .. ليست كالناس جميعا .. شيء اعلى .. هي مركز العالم ونقطة النهاية .. طير ابيض جميل وسط مجموعة من الغربان السود . العرس في قلبي وبصيرتي وعيني هو « العروس » فقط وكل ما عداها في الظل ..

ربما كنت اراها باهرة لشدة ما يلتمع على راسها وفي صدرها وعنقها واذنيها ويديها من قطع الماس الحقيقي القديم ، وما يزينها من ورود وقرنفل وياسمين .

وكنت رغم صغر سني احس بالحقيقة الخفية واحلل الامور ويتلاشى انبهاري للحظة او لحظات ثم اعود مبهورة . الماس ليس لها .. عيرة !!

نعم يا عروس .. كنت اقول لها بقلبي ، انا اعرف من ستي وامي ان اكثر عرايس الشام يستعرن الماس من العائلات الدمشقية التي تملك قطع الماس النادرة القديمة !! ثم يعاد الماس الى اصحابه بعد انتهاء مناسبة الفرح !! وانا لن اصدق ان هذا الماس كله لك او لامك ، لانني لن اصدق ان هذه الثروة من الماس ملك لامراة واحدة !! وكان العروس تقرا ما بنفسي فتعدل « الوطيف » الماسي في صدرها . وتذكرت « ام حسني » السيدة الطيبة التي تسكن في حي الميدان عند آخر الخط . وشرد ذهني . عند آخر محطة يقف بنا « الترين » بعد رحلة طويلة ممتعة من ساحة المرجة حتى « ميدان فوقاني » . واركب مع ستي ام امي في الترين بسعادة بالغة اجلس حتما الى جانب النافذة اتفرج على باب الجابية والسنانية وجنازة متجهة الى تربة باب الصغير وشواهد القبور الرخامية ترتفع فوق دك التربة الى يسار الترين ، ثم يقف الترين عند جامع الشيخ حسن ، ويستمر في رحلته عبر حي الميدان ، الى السويقة فالنحاتين حيث حواصل الخشب والرخام ودكاكين « معلمين » الصدف والموزاييك ، وجهاز عروس يحمله « العتالة » على كراجة : كراسي وكنبايات صدف وخزانة صدف ببابين وبيرو صدف وطرابيزات وقشوة ومرآة « وقبقاب العروس » وكلها من الصدف . ويقف الترين عند باب مصلى والشيخ عثمان ومحمصة القضامة والبزر والمسلخ، ثم يسير بنا الترين مارا بالمجتهد سيدي صهيب حمام فتحي بوايك القمح ،

القرشـي الجزماتية آخر الخط . . . فانط انا من المقعد الخشبي قبل ان يقف الترين واصرخ بصـوت عال : هاوس . . هاوس . . هاوس عمو . . مع انه كان « سـيهاوس » بصورة طبيعية فنحن عند آخر الخط . وننزل ويحول سـائق الترين « السـنكة » وتشتعل شرارة كهربـــــائية وارتعب ، ويزمر الكمـــاري « بزميرته » الرفيعة ، ويعود الترين الى المرجة . انـــه رجل عظيم قادر على قيادة الترين من الطرفين !! لكن الحمد لله اللي ما طلـــع المفتش لانو ستي ما قطعتلي ورقة . . . !!

واسـير وانا انظر الى الخلف . . وسـتي تسـحبني وانا مشدودة الى الترين، الى نغمات جرس « الترين » اللطيفة يعزفها قائد « الترين » برجلهبضربات خفيفة محببــــــة ينبه بها الناس بان « الترام » قادم . وتشـــدني سـتي الله يرحمها :

ـ امشـي لك تيتي وصـلنا . . هادا بيت خالتك ام حسـني . . ما بقى غير نشـختين !!! انظر الى راس العروس المشع واتذكر وجه « ام حسـني » السـيدة العجوز التي تملك « مجمعا » من الماس الحقيقي ياخذ العقل وهي تعيره بكامله لكل من تطلبه « عيرة » لابنتها في ليلة عرسـها. وكانت امحسـني تدعى الى العرس فتسـلم القطع لاهل العروس ليلة العرس في بيتهـــا ثم تستلمها عند الفجر بعد نهاية العرس وتعود الى بيتها . وكان « مجمـــع » ام حسـني على ما اذكر يضم قطعا نادرة تزين الراس والعنق والصــــدر والاذنين واليدين والزند والاصـابع . وللقطع اسـماء حلوة كاشـكالها : زنابق طيور ، مشـط للراس ، مية الماس للصدر ، مشط بايداعشر نجمة ، دالية ؛ بروش الماس ، عرق لولو ودهب ، ملة ، شمسـية ، غزال رقاص رهـــاج ، خاتم زيتونة ، اسـوارة حية ، ابرة والابرة قطعة ثمينة تشك في صدر الثوب اوراقها خضر . حلق طوال ، حلق بحرية ، حلق بريشة . حلق خرس مدور مثل الفلة ، اسـاور لولو والماس ودهب رقاع .

لا بد ان يقدم العريس لعروســه قطعة مجوهرات ثمينة امام الناس وهي تجلس على الاسـكي عدا ما سـوف يقدمه ابو العريس وام العريس وقريبات العريس ، ولا بد انهم قد علموا العروس ان تقول لعريســها عندما تنفرد به في مخدعها :

ـ لن اكلمك حتى تعطيني حق شـعري !!

وسوف تطالبه بثمن شعرها الطويل الجميل بطريقة مغرية لطيفة كما علموها :

فتاح جزدانك وعطيني حق شعري

ويا ريش دردر على ضهري

وانا صبية باول جهلي

والليل طويل على مهلك ومهلي

ولا بد ان يقدم لها العريس حق شعرها بالليرات الذهبية . اما صبحة العرس فقد سمعت انهم علموها ان تقول لعريسها :

بسعد صباحك ياللي صبحتني انا اليوم
لشلحك البدلة الرسمية ولبسك قميص النوم

وانا رغم صغر سني كنت « كالخلد » اعرف كل عادات الكبار ، والاصول ان يقدم العريس صبحة العرس لعروسه — وهي تختلف حسب ذوق العريس — واكثر الاحيان تكون : مناشف ثمينة ، فوطة حمام قصب ، بقجة « تقيلة » مطرزة بالصرما ، طاسة حمام ، شحاطة ، قبقاب، بودرة وحمرة .

والعروس تقدم لعريسها صبحة العرس : جوز جرابات ، جزدان ، محارم ، شقفة جوخة ، بيجاما ، روب دي شامبر ، منطوفلة .

كل هذه الصور الجميلة لم تذهب الخوف من نفسي على هذهالعروس الجميلة فانا اعرف ان العادة ان يقوم العريس بحركة عنيفة تثبت قوته ورجولته وبأسه حتى تخشاه العروس وتحترمه من الليلة الاولى .

وتتأكد مخاوفي ، وتهمس مدعوة باذن جارتها كلاما يدق قلبي له ، فقد سمعته بحرفيته :

— مسكينة . . هلأ اول ما بيجي العريس وبيطلع مع العروس لمخدع النوم ، واول ما تحكم عينو على عينها بدو يلطشها كف حتى تاخدلو«روزة» ويكون فايز عليها .

— والله ما بتعرفي حسب شطارتها ، اذا اجا وطلع عالاسكي وسبقتو ودعستلو على رجلو قبل ما يدعسلها على رجلها « بتكبسو » من اول ليلة .

— تقبريني ، العروس صغيرة وعاقلة ما رح يطلع بايدها، والعريس عسر يمكن يضبعها من ليلة الدخلة .

— لا تخافي امها شاطرة يمكن علمتها كل شي ، اي والله والله انا عزموني على « حمام الليل » وعلى « ليلة النقش والحنة » وعلمناها شو تقول للعريس انا وبنات خالتها وبنات احما اختها درية ، ورح تكون قدو وقدود .

— يوه .. شو علمتوها .. بالله تحكيلي لبين ما يجي العريس ، يو الاريشة ليش ما عزموني عالحمام . احكيلي ان شا الله انبسطوا بالحمام ..!!

— بي شو انبسطنا والله كنا منشتهيكي ، والله اهلها عملولها حمام مدلل . هادا يا ستي قبل الحمام عزموني على ليلة الحنة واتحنوا العروس والصبايا قدامي .

— دخلك والله أنا ما بعرف شلون بتصير الحنة ، انا وقت عرسي ما تحنيت ..

— بعرف تقبريني هية عادة قديمة وبطلت هالايام وما عاد حدا تحنا الا القليل القليل . اي والله أنا قبل عرسي بليلتين تحنيت حنة شي ظريف كتير . وبتذكر ستي أم امي شلون قعدت تنقشني وتعلمني شو قول للعريس اذا سالني شي سؤال .

قبل كل شي جابت ستي شمعة عسلية ولبانة وسيختهن سوا على نار المنقل وصارت تغط القشة بالشمعة العسلية واللبانة وترسم على ايدي وزنودي ورد ومثلثات ودويرات وحجب و٣ تفاحات والغزال الملتفت ، وتعلمني على كل رسمة شو قول للعريس اذا سالني : شو اسمو هادا ؟ وبتذكر علمتني على نقش الزنود هالكلمة :

— نقشك شميلة وعليه الميلة
يا فرحة عريسك مبارح والليلة.

وقالتلي اذا سالك شو معنى هالتلت زهرات توليلو :

— وقعنا بالحب تلاتتنا انا واختي وجارتنا .

— عانقني لعانقك وان ما عانقتني بخانقك .

— عرق زداب وقلبي عليك داب .

ـ مخدة ابن العم .

ـ عبيد عبيد كلم سيدك خوابي النيل بتريدك .

ـ قاعد قبالي وقاعدة مقابيلو ويا شبه الاموي اذا شعلت قناديلو وطول الليل بغنيلي وبغنيلو .

ايه الله يرحمها ويرحم « الطراب » اللي ضمها .
بعدين يا ستي جابت ستي الحنة الحمرا وجبلتها بالمي البـاردة وعجنتها وصارت تدهنلي ايدي وتلف الاصـابيع اصبعة اي واصبعة لا بشرطوطة ولفت الباهم وحدو . وتاني يوم الصبح قامتلي الحنة وقلعتلي الشمعة وغسلت ايدي وبعدين اجت دهنتلي اضافري وايدي « بالغشوش والزرنيخ والدبس » ولفتلي ايدي بورق التين شي ربع ساعة بدك تقولي ، قال حتى يصير النقش اسود غامق ويبين بياض الايدين والزنود ، والله كان شي حلو وبياخد العقل .

سقا الله ذكرتيني بليلة عرسي يا حسرتي كنا غفـل وبتذكر شلون علمتني امي قول للعريس اول كلمة ليلة العرس وشو تعذبت حتى حفظتها :

قشر السمك التزم
اصل لزومي معك
طقت قلوب الاعادي
لما نظروني معك
تفنى عضامي ولا تفنى المحبة معك .

وبتذكر علمتني قول لعريسي :

بدوب جسمي كل ما بتجو على بالي
كما يدوب الحصى بروس الجبال
اسالوا المبتلي لا تسالوا الخالي
اسالوا الثريا والسبع نجمات
يا نجمة الصبح تنبيكن على حالي

ـ اي ما حكيتيلي علحمام ؟

ـ جليتك بالحكي تقبريني . هادا يا ستي اهـل العروس اخدوا الحمام من بابو . وعزموا المحبين والاهل واللازم اللازم . انا بعرسي اخدنا

جرنين تلاتة حماية وحطينا على باب المتصورة فوطة من خوفنا على حالنا من عيون الناس . ووقتها ساوينا كبة نية ، اخدنا اللحمة المدتوقة وكل « اواتيل » الكبة بصلتها وفلفلها وملحها والبرغل والسلطة وكلو حضرناه بالحمام . وبعتلنا ابي سطل عرقسوس وعشر بطيخات حطيناهن ببحرة الحمام بالبراني بالمي الباردة . والله والله صرنا نغني ونرقص وندق على ضهر الطاسة . وانا لاني العروس قعدت على جرن « الاسطه » بتعرفي انت انو جرن « الاسطه » ما بيقعد عليه غير زبوناتها . والله غسلتلي راسي « الاسطه » ودللتنا « معلمة الحمام » دلال ودلال ، وما في غير « هالبلانة » عم تزق مية باردة لانو ايامنا ما كان في « زنبوعة » مي باردة فوق الجرن ، ما في الا « زنبوعة » مي سخنة . وبتعرفي كنا اهلية بمحلية وانبسطنا بسط وبسط . وبعد الدخلة رحنا مع بيت اهل العريس على حمام الغمرة وبتذكر كان « الوفا » و « الصابون » والاكل على بيت اهل العريس . يي سقا الله شو زلغطولي بهالحمام زلاغيط وزلاغيط :

اوها ام العريس الله يعطيكي
اوها والسعادة بتواتيكي
اوها وعقبال فرحتك بالكمالة
اوها ومنجي منكافيكي
لي لي لي ليش



اوها ام العريس انا جوعانة
اوها وبدي صفيحة مامرة
اوها وان شا الله بتضلي سالمة
اوها وديارك معمرة
لي لي لي ليش

— دخلك وان شا الله كان حمام عروستنا ظريف ..؟

— يي اي والله . دق عود ورقص وصوات حلوة وضيافة راتبة صفيحة وفواكي وليمونادة وهالصبايا عم تتفتل بالحمام بالفوط القصب وانفردت مناشف شي جخ كتير وبعد الحمام انصفت الصبايا علمصاطب ولبسوا لبس حلو كتير وكانت العروس بيناتهن عم تضوي وعملولها تفتيلة حوالين البحرة ، وما خلوا حدا يدفع ابدا ، حرام والله الجماعة تكلفوا . اي تسلملي العروس حلوة قمر مصور وصغيرة بيلبقلها الله يبيض بختها .

ــ دخلك ان شا الله مــا يكونوا نسيو يعطوها خميرة عجينـــة حتى تلزقها علباب قبل ما تفوت لبيت حماها حتى الله يركن بالها ويبيض سعدها!! اي والله والله انا ليلة عرســي اجت واحدة بتقربنا « حبيلة وليدة » وناولتني « الخميرة » على ورقة خضرا حتى الزقها على باب بيت العريس قبل مــا ادعس قدم حتى تكون جوازة الدهر وكل ايامي خضرا . ورشـولي ملــح من العين ، اي والله والله قبل ما يحاكيني كلمة عريســي وقتن طلعنا علــى مخدعي ، مد ديل بدلتي البيضـا الطويل وصلى عليه ، ومن يومها والله حياتنا متل السمن والعســل .

ــ شـوفي شـوفي مدري مين اجا ..!!

والتفت انا مع المراتين لارى من الذي حضر فقطع الحديث المتــع وحرمني من تفاصيل كثيرة ..!!

فوج جديد من المدعوات مع اطفالهن الرضـع ومع كل واحدة « بقجة » ملابس كبيرة . وصـعدن الدرج راســا الى الفوقاني وبعضـهن دخــل الى قاعــات البيت المخصصة في الطابق الاول لارتــداء الاثواب « الســواريه » الملفوفة في البقج المطرزة بالصرما والقصب .

دخلت المدعوات الى القاعات بالملايا الســود كالاشباح وخرجن منها بعد فترة كالحوريات « بالتفصيلات » الملونة « الســواريه » المقصبة بعروق الذهب او الفضـة والمزينة بالورود وقطع المجوهرات الثمينة . وكـــانت « التفصيلة » الاكثر اناقة على جسم صاحبتها البض وقوامها الفــــارع وبياضـها الناصـع تسرق اهتمام المدعواتبالعروس وجمالها وثوبها الابيض. وطبعا لاسم الخياطة اهمية بالغة تلك الايام . فهذه تخيط عند بيت«فركوح» وتلك لا يقبل « اسبر دادا » بتفصيلتها اقل من مئة ليرة ذهب وثالثة لا تخيط الا عند « مدام روز » بالقيمرية .

والذي كان يدعو الى دهشتي وانبهاري ان كل صبية ومدعوة كانت تغير ليلة العرس اكثر من ثلاث او اربع تفصيلات غاية في الذوق والفن ، تصعد بثوب وتنزل بثوب تختال كالطــاووس تلفت الانظار وتثير كلمـــات الاعجاب « ان شــا الله ما يعدم » وتبعث البهجة في النفوس التي تحييزوجها عن بعد « ان شــا الله بيتهنا » .

اما العرائس الجديدات والتي لم يمر على زواجهن اكثر من ســنة فانهن يرتدين في البدء التفصيلات « الســواريه » البيضـاء ويتشكلن بالورد الابيض كالعروس تماما ويتفنن في العرس كالملائكة .

وايقظتني من احلامي العذبة وعالمي الملون بالوان الثياب الجميلة في ليلة العرس يد سيدة طيبة هي يد أم العريس وهي تدفع الى حضني الصغير بصرة سكاكر وموالح ، منديل ابيض فيه بزر وتضامة وملضمينا وفستق ولوز وبندق وملبس وراحة وقرص فستق على سكر . صرة لكل مدعوة حتى تتسلى في « الليلية » التي سوف تمتد حتى مطلع الفجر . لامي صرة ولي صرة . وحلفت امي بان صرة واحدة تكفي لنا نحن الاثنتين ، وتضايقت ، الا ان ام العريس ، والحمد لله ، حلفت الا ان تعطيني صرة خاصة . كم هو شيء عظيم ان يأخذ الانسان « الطفل » صرة كاملة له وحده !! آه . . . انها ليلة من ليالي العمر السعيدة .

لاحظت ان صدر العروس الحلوة يعلو ويهبط كثيرا ، ولم افهم سر هذه الظاهرة . . !!

حاولت ان اسأل امي . . ولكنني خفت ان تغضب لانها اشترطت علي الهدوء التام في العرس وقلة الحركة وعدم الكلام حتى تأخذني معها مرة ثانية . وبلعت السؤال مع انه كان يشغلني كثيرا ، ما بال العروس هل هي خائفة . . .؟ ولماذا . . .؟ وهل يمكن للانسان ان يخاف في هذه السهرة وهذا البيت الذي اراه قطعة من الجنة !؟ وتيبست في مكاني مع ان رغبتي الحقيقية كانت ان اثب طائرة في الهواء لاحط كالطير الى جانب العروس او عند قدميها كما تفعل الصغيرات في العرس امام عيني وانا اتحرق غيرة . العروس خجلة لا ترفع عينيها الى المدعوات اللواتي يحدقن بها طيلة الوقت . . وكرسي العريس الى جانبها ينتظر وصول صاحبه .

وسمعت همسة مثيرة ادارت الرؤوس بالطرب سلفا . قيل ان بيت العريس قد احضروا لعرس ابنهم جوقة طرب ولم يعرف احد بعد من ستكون المطربة . وقالت لهن امي ضاحكة : يمكن بنات مكنو !! مع ان بنات مكنو جوقة نسائية قديمة سمعتها امي في طفولتها . وردت عليها جارة لها ترد النكتة : لأ يمكن « رمزية البقة » يا اما « بدرية نمل بدني » يا اما « جميلة واخلع » . وقالت لها امي وهي تكاد تغشى من الضحك :كل شي الا « نظمية الخنة» دخلك بتطالع الروح دق عودها ظريف لاكن يا اختي لبين ما تدقلها شي دقة بتطقق القلب ما بتدق الا حتى تتعشى وحتى تقدميلها باكيت سيجارة واذا حبت بايدك خاتم وما عطيتيها ياه بتحرد وبتبطل تدق بي تقبروني ما بحسن عليها . وردت ثالثة قائلة : ان شا الله تجي ام حلمي مع انوكبرت، لاني بحب منها لبس الرجالي وغنية « يا حلالي ويا مالي يا ربعي تردو علي » وغنية « جربوني بحيك وبغزل » ، وان شا الله ما يعدم عليها الشروال

والميتان والشال والحطة والعقال والشوارب العيرة .. وهمست سيدة رابعة في اذن جاراتها المرحات : يو لا والله انا ما بحب صوت ام حلمي ان شا الله يجيبو « مكية السمرة » يا اما « ناجية كلشن » يا اما « فهمية قاعاتي » يا اما « بدرية النترة » ! وان شا الله يجيبو واحدة معها جوق بقاقة عود وقانون وكمنجة ودربكة ودف وفقيشات حتى ننبسط .

اخبار مغرية ... وطار النوم من عيني . ولكن صبايا العرس لا بد وان يرقصن رقصة التفتيلة مع العروس ويدرن بالعروس حول البحرة الرخامية الكبيرة التي « يطف » منها الماء ، وينساب من نافورتها بنغم رتيب يوحي بالسعادة .

العروس في الوسط وعدد من الصبايا يفوق العشر يسير خطوة واحدة على نغمة واحدة .

وانطلقت اغاني « التفتيلة » ترن في اجواء العرس والعروس بين الصبايا بالبستهن « السواريه » الملونة ، تمشي خطوات متعثرة خجول لا ترفع عينيها عن الارض ، وتبدأ الاغنية الاولى للتفتيلة بكلمات غامضة تعبر عن الفرح بنغم هادىء : هيها .. هيها .. هيها ...

وكان هذه الكلمة الغامضة « هيها » تشير الى العروس التي تمسك بيديها الصبايا قائلات :

« هذه هي عروستنا » او « ها هي العروس » .

وتكرر مجموعة الصبايا وهن يتمايلن يمينا ويسارا في حركة ناعمة واحدة :

هيها .. هيها .. هيها ...
هيها يا ست ويا بنت
كم مية قبض بيك
وتعذبنا لحتى رضي خيك
ويجعلك ان شا الله مبروكة
علينا وتتهني بعمرك
لي لي لي ليش

*

هيها يا ست ويا بنت
قيمي هالغطا وارميه
حرقة ابو اللي حيكو
واللي سعالك فيه
ان كان بيت ابوكي
بسمار اقلعيه وخديه
لي لي لي ليش

*

هيها قومي اطلعي عالقصر العالي
وبحياة ابوكي هالغالي
حلفت وقالت ما بطلع
الا بجوق المغاني
لي لي لي ليش

واغنية حلوة ثانية لعروس الشام :

اسم الله اسم الله يا زينة
يا ورد جوة الجنينة
زهر القرنفل يا عروسة
والورد خيم علينا

*

قومي العبي بحبل اللولو
وافردي شعرك على طولو
خليهن يحكو ويقولو
آه يا حلاوة يا عسلية

*

قومي العبي بعرق الالماس
واللولو حارس هالبزاز
الله يجيرك من كلام الناس
آه يا حلاوة يا شامية

*

قومي العبي بقميصك
كل العزبان على كيفك
الله يخلي عريسك
آه يا حلاوة يا عسلية

وتتابع الصبايا رقصة التفتيلة ولا يتعبن :

عالدلالي عالدلالي
هالنقلة نقلة غزالي
لبست بدلة وشلحت بدلة
وتحت البدلة شي ضوالي

*

عالدلالي عالدلالي
هالنقلة نقلة غزالي
لبست شلحة وشلحت شلحة
وتحت الشلحة شي ضوالي

*

عالدلالي عالدلالي
هالنقلة نقلة غزالي
لبست لولو وشلحت لولو
وتحت اللولو شي ضوالي

واغنية ثالثة للعروس :

عالنايمة عالنايمة
لا تجعزوا هالنايمة
عالنايمة ومرحرحة
والخصر زي المروحة
عالنايمة ومحناية
وتعيشي عمرك مهناية
عالنايمة نومك نوم
ويا حبيبة قلبي دوم

ولولا هالصلاة والصوم

لكنت بعبك نايمة

عالنايمة عالنايمة

لا تجعزوا هالنايمة

لا بد من « التفتيلة » في كل عرس ، لا بد ان ترقص العروس حتى « يفتل » حظها ويرقص طيلة حياتها الزوجية .

واعيدت العروس الى كرسيها الفخم في « الاسكي » العالي والدقائق تمر عليها ساعات ، او ان الساعات تمر دقائق لست ادري ، فالعريس مخلوق غامض جميل ومخيف محبوب ومرهوب . . !!

الكرسي الخالي الى جانبها ينادي صاحبه ، وهي تنتظر بشوق ولهفة ورهبة وصول الانسان الذي اختاروه لها والذي ستراه الليلة وتكلمه لاول مرة .

وتسمع من بعيد هرج ومرج واصوات رجال واطلاق رصاص في راس الحارة . . يظهر ان « عراضة » العريس قد وصلت من التلبيسة ، والشبان يسيرون في الحي حول العريس يرددون في الليل السعيد الذي طار فيه النوم من عيون الجيران :

« صلوا على محمد ونبي واغضي وعادنا وبيض الله وشو . . صلوا على محمد ونبي واغضي . . . . »

وترد النسوة في العرس على الرجال « بالزلاغيط » عند الدهليز ، ووراء باب البيت تستقبل العريس امه واخواته وعماته وخالاته وقريباته كلهن .

ويجتاز العريس عتبة الباب ثم يمر بالدهليز ويطل على ارض الديار بطوله الفارع واناقته البالغة وطقمه الاسود وطربوشه الخمري وابتسامته الخفية تحت شاربيه الكثيفين . وترتفع ايدي المدعوات بالاغطية والمناديل واطراف الاثواب السواريه لتغطي الرؤوس والصدور والزنود العارية .

وتهمس ام العريس في اذن ابنها العريس :

— تقبرني بلا هالطربوش ، قيمو والله بلا طربوش احلى ما عاد حدا حط طرابيش !!

ــ لا ما رح قيمو ، شــو نقام الشرف مــن راسنا حتى نشــــلع الطربوش !!؟؟

ويمشــى خطوتين ....

وتحدث في العرس مفاجأة !!

وتنقلب الضحكات الى دموع سخية تهر على الخــدود ، وتتحول الزغاريد الى حوار حاد بين اهل العروس واهل العريس .

ويتوقف قلبي عن الخفقان .. واقف علــى الكرسي الخيزران لارى بسهولة ما يجري هناك عند آخر البيت ولاطلع على تفاصيل الخلافولاسمع ما يدور من حوار بين جبهتين :

العروس بكل جمالها الاخاذ وعظمتها واقفــــة على الاسكي ترتجف وتنتظر ..!! والى جانبها تقف اخواتها المتزوجـــات وعمتها الكبيرة .. فامها ميتة .

وعند اول الديار يقف العريس بكل وقاره وصمته تمسك بمرفقيــه امه واخته الكبيرة تقســمان بالايمان المغلظة « بالعظيم بالقسـيم » ان العريس لن يتحرك خطوة الى الامام حتى تأتي العروس اليه ..!!

ومن الجهة الثانية تقسم اخت العروس الكبيرة والدمعة تكاد تخنقها ان اختها لن تنزل من مكانها ولن تتقدم خطوة الى ان يأتي العريس اليهـا ويسلم عليها ..!!

وترتفع الاصوات من هنا ومن هناك .. لا العريس يتكلم ولا العروس تتكلم ولكل منهما محام يتكلم باسمه بلا تفويض . ويحتد الحوار ويتـأزم الموقف ويرفض كل طرف ان يتنازل عن كلمته ويؤكد تمسكه بموقفــه حتى النهاية ..!!

ويكاد العرس ان يتحول الى مأتم ، ويكاد الغنــــاء ان يتحول الـــى دموع ، وتكاد الزغاريد ان تتحول الى شتائم .

وبحكمة الله تقف بين النساء سيدة مسنة فاضلة ترتدي ثوبا ازرق وتتلفع بغطاء حريري ابيض وبيدها مسبحة وتعلن بهدوء الحل الوسط :

تحضر العروس الى عريسها حتى منتصف الديار ويحضر العريس الى عروسه حتى منتصف الديار ويتصافحان ثم يأخذها من يدها ويصعدان الى الاسكي معا .

ولقي الراي الحكيم صدى طيبا عند الطرفين ، ونزلت العروس عن الاسكي ، واختها تمسح عن خديها دموعا قاهرة ، ووصلت الى نقطة الوسط وصافحت العريس وعاد بها الى عرشها المتوهج بالانوار المتلالئة والازهار النضرة الفواحة وعلق في عنقها مية الماس ثمينة وسط تصفيق المدعوات وزغاريد الصبايا ، ثم شكل على صدر ثوبها الابيض قرنفلةحمراء قطفتها له اخته من باقة زهر تزين الاسكي فتطفت احداهن للعروس زهرة زنبق ابيض وقدمتها للعروس فاخذتها العروس وشكلتها في عروة ياقة بدلة العريس وسط رياح التصفيق الحاد العاصف ، ثم فتح العريس ستارة « سبت » الملبس الزهرية الشفافة واطعم العروس من الملبس واكل معها ملبسة وبدآ ينثران الملبس على المدعوات وقطع السكر الملونة وليرات الذهب المعباة بالشوكولاته والالات الموسيقية التي صنعت من السكر واخذت انا منها ليرة ذهب شوكولاته « وعود وكمنجة على سكر » .

وازداد الضغط حول العروس والعريس وهجمت الصبايا نحواالليوان في مجموعتين على راس كل مجموعة سيدة تتقن الزغاريد ، وكانت المجموعة تبدا الزغرودة بكلمة « اوها » وتقول السيدة الماهرة الوصفة ، وتنهي الصبايا زغرودتها بكلمة « لي لي لي ليش » :

اوها يا عريس لا تعبس
اوها فريد البقجة والبس
اوها شواربك عروق الريحان
اوها وسوالفها عروق النرجس
لي لي لي ليش



اوها ببيتنا رمانة
اوها حامضة ولفانة
اوها حلفنا ما منقطعها
اوها ليدخل عريسنا بالسلامة
لي لي لي ليش



اوها سعيد يا واحد
اوها محمد ياتنين

اوها واللي ما بيصلي عالنبي
اوها يعدم العينتين
لي لي لي ليش

*

اوها عاللعلعي عاللعلعي
اوها يا صبايا تجمعي
اوها يا ليل طول طول
اوها ويا شمس لا تطلعي
لي لي لي ليش

*

اوها حصنتك بياسين
اوها ويا زهر البساتين
اوها يا مصحف صغير
اوها على روس السلاطين
لي لي لي ليش

*

اوها شو هالنهار اللايق
اوها وفرحتلنا الخلايق
اوها وطقت قلوب الاعادي
اوها ولمن حقت الحقايق
لي لي لي ليش



اوها ديارنا كبيرة
اوها ودرج الحمام فيها
اوها وام العريس فرحانة
اوها والله ربي يهنيها
لي لي لي ليش



اوها يا عريس ربتو مبارك
اوها يا عريس السبع بركات
اوها وان شا الله لما يجبك الصبي
اوها وبتكمل الفرحات
لي لي لي ليش

*

اوها جبينك بيلمع
اوها ادانك بتسمع
اوها ما منطلع من هون
اوها لتطعمينا ما ها لمجمع
لي لي لي ليش

*

اوها رفاع راسك واقشمها
اوها قبل ما تفرد مجمعها
اوها وان كان لك صاحبة اهجرا
اوها وباب القهوة لا تعبرا
لي لي لي ليش

*

اوها يا جماعة كلكن
اوها وما نسينا فضلكن
اوها واليوم عنا
اوها وان شا الله بكرة عندكن
لي لي لي ليش

*

اوها العريس يا واحد
اوها اخوه يا تنين
اوها يا خرزة زرقا
اوها ترد عنهن العين
لي لي لي ليش

ووسط « الزلاغيط » التي ضجت بها الحارة ، صعد العروسان درج البيت الى « مخدع » النوم واشتغلت « الوتوتة » بين النسوان .

وهمست واحدة في اذن جارتها مازحة:

ــ يا ريتني « برغشـــة » لاتخبى بشعر العروس واسمع شو عم يقوللها العريس . . !!

ــ اي والله عروس حلوة . . ان شا الله بيتهنا .

شوفي . . شوفي شلون عم يشدو الجلايل علشبابيك حتى ما نشوف شي !! هاها هاها . . .

وبغيـــاب نجمي العرس عن الانظار صفا الجو للمدعوات وبـــدأ « دوزان » العود بعد ان حلفت ام العريس على احدى المـــدعوات الا ان تعزف لهن ليتمتعن بعزفها المنفرد ولترقص ولتغني على عزفها صبايا العرس ريثما تحضر المغنية وجوقتها ، فعزفت لهن رقصة « ستي » وشدت اخوات العريس اكثر من مدعوة شابة لحلبة الرقص ، فهذه تتمنع وتلك تتدلل ولكن لا بد ان ترقص كل واحدة في نهاية المحاولة .

وطلب من ام الصوت الحلو في العرس ان تغني لهن « يا مال الشام » و « ميجانا وعتابا » و « ليالي » ويا طيرة طيري يا حمامة فاطربت وانتزعت الآه من الحناجر :

يا طيرة طيري يا حمامة	وانزلي بدمر والهـــامة
هاتي لي من حبي علامة	هالاسـمر ابو الخــــال
يـــكفي عـــذابي	وشـــــــرع الله
انـــــا على ديني	جننـــــتيـــنـــــي
على ديني العشق	حـــــــرام والله

*

علي وطـــيري يا حمامة	وانزلـــي بدمر والهـــامة
هاتي لي من حبي علامة	سيجارة وبصـــة نـــار
يـــكفي عـــذابي	وشـــــــرع الله
انـــــا على ديني	جننـــــتيـــنـــــي
على ديني العشق	حـــــــرام والله

*

يا طـــيرة علي واقليلـــي وانـــزلي ببيت محبينـــي
ايش ما حكو نمي اقليلي واحكيلي عللي صـــــار
يـــكمى عــــذابي وشــــــرع الله
انـــــا على ديني جننـــــتيـــنـــي
على ديني العشـق حــــــرام والله

*

يا طيرة طـــيري ستيتية وانزلي ببيت الاهليــــة
هاني لي منهن حنيـــــة تطفـــي بقلبي النـــار
يـــكمى عــــذابي وشـــــرع الله
انـــــا على ديني جننـــتيـــنـــي
على ديني العشـق حــــــرام والله

*

نزلت دموعي على كتفي من يوم فراقك يـــا ولفي
تربـــي علي وانحـــدفي يا حلوة يا ام الخـــــال
يـــكمى عــــذابي وشـــــرع الله
انـــــا على ديني جننـــــتيـــنـــي
على ديني العشـق حــــــرام والله

*

نزلت دموعي محترقـــة وانا الهويانة بالسرقـــة
يا ماما ما اصعب الفرقة على الفرقة ومالي ضيان
بـــكمى عــــذابي وشـــــرع الله
انـــــا على ديني جننـــتيـــنـــي
على ديني العشـق حــــــرام والله

*

نزلت دموعـــي وانا باكي واحترت بامري لمين حاكي
وانـــا لربي شـــــاكي من حر الشـوق والنـــار

يــكفى عـــــذابي   وشـــــــرع الله
انـــا على ديني   جننــــتيـــنـــي
على ديني العشق   حـــــــرام والله

وانتهت الاغنية ترافقها الآهات وحاولت المدعوة ان تترك العود الا ان الف يمين والف عظيم قد الحا عليها من اجل اغنية يا حنينة فغنتها راضـية . واهتزت ريشـة العود وانطلق الصـوت الحلو .

يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة
شو هالزمان اللي انقلب من بعد الهوى

❋

ويا رايحة عالدرس وبايدها المسبحة
وجاية من الدرس هويانة مـــوســحة
ودخلك يا يامو وشـو هالمصـلحة
وحبي وعشـقي لعينك انا
ستي انا وعيني انا وحياتي انا
والله لاضـمك ضـم اللولو بعنقي انا
يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة

❋

يا حنينة يا امة الاسـلام حبيبتي لمينها
ويا جناح الطير هدب عينيها
ويا سعد مين شمها وضـمها
زاد بعمرو عشرين سنة
يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة

❋

مساكين اهل الهوى شـو تيتمو
بعد ما كانوا كواكب عتمو
عطيتهن سر للحبايب ما كتمو
يا حسرتي مين عاد يكتم سرنا



يا حنينة ويا حنينة ويا حنينة

شو هالزمان اللي انقلب من بعد الهوى

ثم وقفت الصبية المرحة الذكية الحلوة « ام سـامي » لتعـدد بعض الاقوال الغزلية القديمة وترقص رقصتها المشهورة المضحكة التي تقوم على تقليد المدعوات : « يورم خديجة بلمام » تبدأ ام سـامي الاغنية بصورة طبيعية لا تبعث على الضحك يورم خديجة بلمام . . . يورم خديجة بلمام . . جملة تركية تدل على ان خديجة ضائعة منها وتبحث عنها وتقترب من كل واحـدة في الليلية وتـالها : شـفتيلي خديجة ؟ وترد عليها احداهن دون إن تدري ما ينتظرها ، بلهجة طبيعية : لا والله ما شـفتا . . وتقلدها ام سامي بالصوت وحركات الوجه واليدين : لا والله ما شـفتا !!! يورم خديجة بلمام . . يورم خديجة بلمام . . . ويأتي دور الثانية والثالثة والرابعة : شـفتيلي خديجة ؟ وتأتي الاجابات هذه المرة مختصرة ومرسـومة خوفا من التقليد :

— لا يا عيني ما شـفتا . . .

— لا والله . .

— مبارح شـفتا . . .

— لا . .

— لا . .

— الله يجمعك فيها . . ما كنتي انتي وياها اولت مبارح . . ؟؟

وتقلدها امسـامي :

— الله يجمعك فيها . . ما كنتي انتي وياها اولت مبارح . . ؟!

وتضج السهرة بالضحك . . لا فائدة ام سامي تقلد كل سيدة مهمـا كانت ذكية ولكل واحدة حركة مضحكة حتما .

ويحلفن على ام سـامي الا ان تغني اغنيتها « الظريفة » وهي واقفـة ترقص . وتـقـال : انو غنية بدكن ؟!! على عيني وراسـي !! وتتعـالى الاصوات : بدنا غنية « الف الوف » . . . ويدق العود ويشتد التصفيق مع مطلع الاغنية الغزلية الغريبة وتبدأ الجوقة :

الف الوف والفتا

وال ب بالمعنى بينتا

وال ت تنيتا وتلتا

وال ث ثبتنا عالغالي
ايام انقلبت ليالي

*

حرف الالف الف المحبوب لحضـيني
وال ب انبليت بحبك يا ضـيا عيني
درت العرب والعجم والترك يا زيني
شـاهدتهم ما حليلي غيرك بعينية

*

وال ت توتا عالاله صـورك يا زين
وال ث ثابت بحبي ما ينشـف دمع العين
دمعن سـليتو ودمعن سـال عالخدين
راقب الهك وشـوف الذي جرى بية

*

وال ج جسـمي انضـنى من الشـوق والهجران
وال ح حلو المباسـم سـبا لبنات الشـام
انا لصـير شـبه العنيسـي واسـرح مع الغزلان
لاجل ريم الفلا راخي الحسـينية

*

وال خ خليت عقلي شـال من راسـي
وال د دوبت جسـمي ليش يا قاسـي
لو كنت تعلم بالصـد والهجران يا ناسـي
ما كنت ذوقت جسـمي لوعة الكية

*

وال ر رمحك الرديني قدك الميال
وال ز زعلان ليش ريت الزعل ما كان
انا سـهران لاجل محبوبي وليلي طال
ونومي شـرد يا حلو ما عاد يحضر لعينية

*

وال س سرك لغيرك قط ما بسمح
ان ردتني عبد للخدمة انا بطلع
وان ردتني محبوب للعشرة والكيفية

*

وال ش شعرك لديلك آه من ميلك
وال ص صدك صبغ لوني كما ليلك
اظن يا بدري ما اجينا على ميلك
بالوعد يا كمون بسقيك بالمية

*

وال ض ضحكك صبغ لوني بحقاتك
وال ط طيب جروحاتي بحياتك
آه يا حلو من بوسة من شفيفاتك
ما عاد ينزل بقلبي شربة المية

*

وال ظ ظبي شرد عني يا حلو مين ردو
وال ع عفت الاهل والاوطان لاجلو
حاطط « سليمي » شاماتو على خدو
هو تربابة كفي ما هو صيد برية

*

وال غ غضبان يا محبوب صالحنا
وال ف فريد البهاء يا محبوب سامحنا
واقعد على زادنا وبالله مالحنا
لتصير بيننا عشرة للحشر مطوية

*

وال ق جسمك قد جسمي قد
وال ك كف الجفا ما عدت اطيق الصد
اوعدتني يا حلو تجي نهار الحد
كم مضى حد بحد بحدين بمية

*

والن نوحو على ما صار بحالي
واله هادا جزا مين يعشق الغالي
انا بحبكم ضاع عقلي وراح رسمالي
لا شي حصلي ولا شي طلع بايدية

*

والو وحياة راسك ما بقالي حال
والل الف لا تكلفني الى قيل وقال
ان كنت عاقل اتبع درجة العقال
لا تعشق شب فني ليصفي لك النية

*

والي يا ربي يا رحمان يا غافر الزلات
صلي وسلم على من جاء بالآيات
واغفر ذنوبي لان الكل مزحيات
من نظم فكري صنفت الالفية

*

الف الوف والفتا
والب بالمعنى بينتا
والت تنينا وتلتا
والث ثبتا عالغالي
ايام انقلبت ليالي

ثم وقع الاختيار على صبية سمراء طويلة نحيفة « مجذبة » فوقفت تحت الحاح « ام سامي » الظريفة المرحة التي انتهى دورها ، لتغني اغنيتها الشامية المشهورة اللطيفة التي تبعث على الضحك لما يرافقها من حركات مثيرة ناعمة ومضحكة . ودق العود ، وشذ احد الاوتار وخرج النغم نشازا « فدوزنته » صاحبة العود وعاد اللحن سليما ، وبدات الصبايا بالعد والوصف وراء الصبية السمراء ، فكل الصبايا كورس جاهز ذكي سريع الحفظ ، وعاونت الدربكة العود وقالت السمراء :

يا قضامة مغبرة ويا قضامة ناعمة
شوف عيني شوف
شوف روحي شوف
شوف حركاتي شو ناعمة

*

جبلي الحمرة بالورقة
تلتلو شفايفي ما بتلقا
قاللي تعي يا رشقة
وحمرني وانا نايمة

*

جبلي البودرة بالورقة
تلتلو خدودي ما بتلقا
قاللي تعي يا رشقة
وبودرني وانا نايمة

*

جبلي الشلحة بالورقة
تلتلو جسمي ما بيلقا
وقاللي تعي يا رشقة
ولبسني وانا نايمة

*

جبلي السوتيان بالورقة
تلتلو صدري ما بيلقا
وقاللي تعي يا رشقة
وزررلي وانا نايمة

*

وفجاة انقطع جو التصفيق والضحك والرقص والغناء بسبب دقات شديدة على الباب .. وركضت صبية نحو نساء العرس تقول ان الرجال يريدون العريس ليأخذوه لسهرة التلبيسة فترة صغيرة!!وصعدت عدة نساء

« لمخدع » العريس والعروس ونزل العريس بعد مدة ليرافق الشباب وكأن قوة قاهرة قد اقتلعتـــــه من جذوره . ودخلت على العروس بعد خروج العريس « الماشطة » السيدة المختصة التي تعتني بثياب العروس وشعرها وزينتها وتكون مسؤولة عن جمالها طيلة ليلة العرس ، ولا يجوز لاحد ان يرى العروس وهي « تتفرع » وتشلح وتلبس الا «الماشطة» رغم كل فضول العيون على الباب . ونزلت العروس بثوب « سواريه » مخملي اسود اللون يكشف صدره الواسع عن بياض بدنها تزينه وردة سوداء مقصبة ، وله « شاحط » ذيل طويل انيق ، واكمام طويلة مشقوقة شقا طولانيا تنفتح عن بياض زنديها ، وتثبت عند المعصم بازرار ناعمة .

وسارت نحو كرسيها على الاسكي كالملكة .

وتقول « ست ختيارة » : حوطتها بالله . . .

ومن اجل خاطر العروس وقفت صبيتان ، شقراء وسمراء تتبادلان الاتهامات معا امام العروس والمدعوات بمرافقة العود والدربكة عن طريق اغنية لطيفة تمدح فيها كل واحدة منهما نفسها ولونها وتذم الاخرى وتبدآن الاغنية معا بهذا المطلع :

تعي علفي تعي علفي
انا عابز اشوفك لحظة
وما بتحني شوي .

*

السمراء : والسمرة قالت الله واكبر
كل الزكاوة نزلت علاسمر
روحي يا بيضة يا شوربة العسكر
كل اللي يحبوكي مرجوعن الي

*

الشقراء : والبيضة قالت انا رز بحليب
كل ما برد كل ما لو بيطيب
روحي يا سمرة يا عود القضيب
كل اللي يحبوكي مرجوعن الي

*

السمراء : والسمرة قالت انا اصلي عربية
كل ما تلفتت في الي تحية
روحي يا بيضة يا اجنبية
كل اللي يحبوكي مرجوعن الي

*

الشقراء : والبيضة قالت انا عيوني كبار
مكحلين من الله وشعراتي طوال
روحي يا سمرة يا شعرك شعر الجوار
تلت ساعات بالحمام ما بينبل بالمي

*

السمراء : والسمرة قالت انا لوني بلون البن
يا شراب الامرا معجونة بالفن
روحي يا بيضة يا مكنسة الجن
على ايش حبوكي على لونك هالني

*

السمراء والشقراء : تعي علفي تعي علفي
انا عايز اشوفك لحظة
وما بتحني شوي

وعندما انتهت الاغنية لاحظت ان العروس تضحك قليلا وتداري ضحكتها وكأن شيئا من خجلها قد ذهب ، واتتها الشجاعة على الابتسام فظهرت بابتسامتها اجمل بكثير من قبل .

وبنزلة العروس كانت جوقة المغاني قد وصلت . وغنت المغنية عدة اغاني دمشقية قديمة اذكر منها اغنية يا سمك يا بني وتقول كلمات الاغنية :

يا سمك يابني	خصمو يجنني
تلعب بالمية	لعبك يعجبني

آه يا سمك يا بني

صـــيادك شــاطر   بيــاعك مـــاهر
تجبر بالخـــــاطر   يا جميل واصلني

آه يا سمك يا بني

يا ســـــمك ياندا   يـــا لون الفضـــة
والعمر اتمضـــى   وانت مخـــاصمني

آه يا سمك يا بني

يا ســمك يا احمر   يـــــا لون العنبر
تمشـــي وتتمختر   مشـــيو يجننـــي

آه يا سمك يا بني

ثم انطلقت المغنية بموال ويا ليل يا عين تشـق صوتها القوي العـــالي ليل دمشق الربيعي الساحر ثم غنت :

يا برق سلم عليهن وقلهن يرضـو
ليلي ليلي يا عيني
واستعجلوا بالجواب آه عشــاقكم مرضـو
ليلي ليلي يا عيني

*

وحياة عيونك انا تايب لوجه الله
عن المعاصي وعن الحب لا والله
هاتوا المصاحف لنحلف نحلف بكلام الله
والتم يحلف والقلب يقول لا والله



انفتح الهوى خمنت غايبي جاني
ركضت فرحان وضحكان
استلقيت الباب بحضاني
آه تاري الهوى غرار
حبيبي ما جاني

وعصف الطرب بالرؤوس وطلبت المدعوات المزيد المزيد من الطرب ولم تبخل عليهن المطربة بشيء وغنت لاحدى العرائس المدعوات وكانت على ما يبدو حاملا باشهرها الاولىوتتوحم .

وهذه المرة لم تتوحم على اكلة بل على اغنية ، ولبت المغنية رغبتها وغنت لها اغنية « الحلوة بتتوحم عالعنب » .

على بياعينو هالعنب
حلوة بتتوحم عالعنب
جبلي وجبلي يا ماما جبلي
خلق الالماس ريتو يلبقلي
خود الماسك وجبلي العنب

*

على بياعينو هالعنب
حلوة بتتوحم عالعنب
جبلي وجبلي يا ماما جبلي
حلق اللولو ريتو يلبقلي
خدو بيعو وجبلي العنب

*

على بياعينو هالعنب
حلوة بتتوحم عالعنب
جبلي وجبلي يا ماما جبلي
الطوق الدهب ريتو يلبقلي
خدو بيعو وجبلي العنب



وصعدت العروس الى مخدعها بعد ان عاد العريس من سهرة الرجال . وبقيت عنده فترة ثم نزلت ترتدي ثوبا ازرق بلون السماء ، وكانت تحلي شعرها بحبال من اللؤلؤ ، واقتربت منها الصبايا يهمسن في اذنها اسرارا تبعث على الحياء والابتسام كما يبدو ، وانا ارى العريس وهو يرفع طرف الستارة خفية ولا تظهر الا عينه ، ليتفرج على العروس وهذه البهجة التي اضفاها نزولها الى العرس .

ولاحت لي من بعيد صواني « البوظة بالفستق » تكاد تتطاير فوق الرؤوس ، وفرحت جدا « عرس بلا بوظة وبلا ملبس يعني مو عرس » . كانت المختصة بالاعراس « فوتيكا » هي المسؤولة عن تقديم ضيافة « الايمع » للمدعوات ومن واجبها ان تفرق للكبير والصغير ، وويل لها ان نسيت صفا من المدعوات او مدعوة فان اهل العرس لن يتخلصوا من « الحكي والتعييب » بعد انتهاء العرس .

وصعدت العروس الى عريسها لتاكل معه « كاسة الايمع » ثم عادت الينا ترتدي ثوبا ورديا زهري اللون ، وذهب ما تبقى من عقلي بسحرها . وفي كل مرة كانت تصعد لتغير ثوبها وتنزل الينا كانت تزداد بهاء والقا . واذكر انها صعدت مرة ولم تنزل .. وسمعت ان « داية » بيت اهل العروس معزومة وموجودة في العرس ، ولم افهم سر حضور الداية مع ان احدا لا يطلق ولا يعاني آلام الولادة !!!

واطفئت الانوار في مخدع العروس والعريس. وارتفعت « الزلاغيط » من « الديار » فجاة ، ثم عادت جوقة المغاني للعزف والغناء والرقص .. وكأن العرس لا يريد ان ينتهي ، وعادت المغنية تمسك بالعود وتغني ونطلع بهذا الموال قبل اغنيتها الحلوة بتميل بتميل هالسمرة :

دخلت باب الجنينة
رد علي البلبل
والياسمين اشتكى
والورد قال اعبر
يا سجرة المنتهى
شو حملك قرنفل
قالتلو قلبي داب
عالحبايب ما بقى يصبر



بتميل بتميل هالسمرة
وعينها على ميل هالسمرة
روحي السمرة عيوني السمرة
حياتي السمرة بضو القمرة
شعلت تنديل



انا البنفسج انا البنفسج انا المصبوغ بالنيلي
على الشب اللي قاعد مقابيلي
كسرتني يا حلو كسر الفناجيلي
وانبليت بعشرتك الله يهنيني
بتميل بتميل هالسمرة ...
وعينها على ميل هالسمرة ...

وهمست جارتي العجوز باذن جارتها قائلة :

— قرب الصبح يطلع .. ان شا الله ما تكون العروس نسيت شو علمتها تقول للعريس عند وش الصبح ..!!

— دخلك شو علمتيها ..؟

— علمتها تقول لعريسها كلام حلو كتير :

يسعد صباحك يا كتلة افرنجية
يا قش عنبر يا خلقة الهية
لو قدمولي بدالك من الف لية
انا ما بهوى بدالك ولا الي بحدا نية

*

ليمون ليمون انت احلى من الليمون
محبتك بقلبي يا جوهر المكنون
وان هويت بدالي عالي لما دون
بكون خصمك النبي جوات الحرم مدفون

*

مرقت على ساقية شط غالب شط
لقيت سنامل دهب بايدي بتنحط
وحياة مين علم الغزلان الامز والنط
لعبوا بعقلي متل ما بيلعب هالقلم بهالخط

« ادن الصبح » ... وانسحبت السيدات للفوقاني لتادية صلاة الصبح .

و « جهجه الضو » .. وبدات العصافير تزقزق على شجر الليمون والنارنج المزهر واغصان زهرة المانوليا التي تعطر الصباح برائحة الجنة . وبدات المدعوات بالحركة لتبديل الثياب ولبس الملايا السود والمناديل السوداء الكثيفة « وضب » ملابس السهرة في البقج وايقاظ الاطفال وحمل الرضع استعدادا للعودة الى منازلهن مع الفجر . وفوجئت المدعوات بان اطفالهن جميعا بلا استثناء قد « بللوا » فرشات النوم . وخجلت كل واحدة من طفلها امام اصحاب البيت ، ولم يكتشفن حتى اليوم ان احدى الصغيرات قد افاقت في الليل فاكتشفت انها « عملتها » دون ان تدري ، وحتى لا تقتلها امها في الصباح اخذت ابريق الماء وبللت « حفاضات » الاطفال كلهم ، وضاعت جريمتها وسط جرائم المجموع ، وليس احد افضل من احد .

شقشق الضو .. وخف الضغط وودعت الكراسي الخيزران الفراشات الملونة . وفضح نور الصباح تشور البزر الاسود والابيض والفستق والماء المسفوح على الارض والملبس المكسر بين الكراسي . انتهت الليلية ..

ووقفت ام العريس واخواته وعماته وخالاته وبنات خالته عند الدهليز لوداع الضيوف . وقد حلفت ام العريس على بعض المدعوات من اهل العروس ومن اهل العريس يعني اللازم اللازم لتناول طعام الفطور وكانت صواني « البفاجة » والحلويات والحليب السحلب الساخن والكعك التازة قد وصلت كلها مع طلعة النسوان من الباب ، من عند ابو حرب احسن بفجاتي بالشام .

وشددت ام العريس الدعوة واعتذرت امي بشدة بسبب اضطرارها للعودة الى اخوتي الصغار ، ودعي جميع من في العرس لحضور مباركة العروس « بالخمسة » بعيون الشيطان « وبالستة » . ووعدتها امي بالحضور يا اما يوم الخمسة يا اما يوم الستة ...

وقبلت الجميع وودعتهن بحرارة وصدق قائلة الجملة التقليدية :

— مبارك ما عملتو ان شا الله جوازة الدهر وعقبال البكاري .

— اصحي ما تجي عالمباركة.

— بجي تقبريني والله بتشرف .

— يو ميت اهلين وسهلين .

— بهالقامة وبهالعين .

— سلميلي عالافندي وبوسيلي الصغار .

ـ يي الله يسلمك .

ـ خاطركن .

ـ مع السلامة .

وسرت نسمة الفجر الباردة في اوصالي ... وكنت اتمسك بيد امي اجرجر قدمي من شدة النعاس والتعب .

اما اهل الحارة فاظن انهم قد افاقوا على اصوات النسوة المرحات العائدات من العرس وحدهن بلا رجال في زمن تخاف فيه المراة من سطوة الرجل وحكم الرجل . سرت مع امي ومجموعة من المدعوات في حارات دمشق الآمنة ، المناديل شبه مرفوعة عن الوجوه الجميلة لان الحارات لا تزال « فاضية » والرجال المتعصبون لم يخرجوا الى دكاكينهم واعمالهم بعد ، والصباح الجميل يطل على دمشق السعيدة .

ليلة لن انساها ... سقا الله ..!!

عدنا الى البيت وفي جعبتنا الف صورة وصورة ... وكان ابي في انتظارنا .. وصل مع اخي قبلنا بقليل . وكانا « معزومين » على التلبيسة التي استمرت فيها السهرة مع المطربين « لوش الصبح » . وحكى ابي لامي ولنا ما جرى في التلبيسة وابريق الشاي الساخن يدور من كاس الى كاس .. والنوم عصفور وطار من العيون .

جرت التلبيسة ببيت عم العريس . طبعا لم يحضر ابو العروس ولا اخوتها ولا احد من اقربائها « فهذه هي الاصول » .

بعد الظهر ذهب العريس مع بعض اصدقائه الى حمام السوق . وحول السابعة مساء ذهب مع اصدقائه واقاربه واولاد عمه لبيت التلبيسة .. وقد قدم له عمه التلبيسة « نقوط » وبيت عم العريس في الحارة بيت كبير . وقد دعا العم لتلبيسة ابن اخيه خمسمائة « زلمة » . المدعوون جلسوا على الكراسي الخيزران في الديار العربية الواسعة ، اما العريس فقد دخل راسا من الباب الى القاعة الكبيرة في بيت عمه وكانت تعج بشباب الحارة واولاد عم العريس الشباب . اما « الكبارية » « المقدرين » من الاقارب والضيوف فقد جلسوا في صدر الليوان وتربيا منهم جلس « الموالدية » المنشدون المدعوون لقراءة « مولد النبي » . العريس صغير عمره عشرون سنة . ونطت امي فقالت لابي : اي والله العروس صغيرة عمرها خمستعاشر سنة وحلوة .

وعاد ابي يكمل الرواية اللطيفة :

دخل العريس للقاعة ليرتدي ملابســـه وكانت « بقجة » ملابســـه بيضاء ومطرزة وفتحها الشباب وكان كل ما فيها جديد وقبل ان يخلـــع العريس ملابسه ليرتدي ملابس العرس بدا الشباب العراضة ، ووقف هو يستعد لارتداء ملابســه تختلط ابتسـامة السـعادة عنده بعرق الخجـــل وسط عراضة الشبان :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا وهيه وما شا الله .

وارتفع صوت مجموعة ثانية :

شنكليلة شنكليلة

من هالليلة صارلو عيلة

*

عريس الزين يتهنا

يطلب علينا ويتمنـــا

عريس الزين يا غالي

افدي بالروح والمـــال

*

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا وهيه وما شا الله .

*

لتفرعلو لتفرعلو

بالقميص والطاقية

*

سعيد باخد سعدية

عريسنا ما ياخذ الا الصبية

عريسنا ما ياخد الا النشمية

ميدان وشاغور واحد

اللهم صلي على خير البرية

*

واخذ اصحابه واصدقاؤه يداعبونه ويشكونه بالدبابيس وهو يذوب من الخجل ولا يحتج . وتقدم الحلاق فمشط له شعره وعطره بالكولونيا واصبح مستعدا للخروج امام الضيوف .

وخرج العريس للديار وقبل ايادي والده واعمامه الكبار ووضعوا له كرسيا جانب والده وعمه ، واستمر « المولدية » في قراءة مولد النبي ، بينما الشبان يقدمون القهوة المرة والماء مع المازهر ويدور صبي صغير يرش المازهر من القمقم الفضي عل كاس من يريد مازهر.

وعندما جلس العريس بين الناس بدأ اولاد عمه بتوزيع كاسات البوظة بالفستق ، وكان بعضهم في المطبخ يعبيء الكاسات بالبوظة من « طرنبة » الايمع « اللي جابوها من عند بكداش بالحميدية » .

الحقيقة اولاد عمه شباب يرفعون الراس ما شا الله له اربعة عموم ولكل عم عشرة شباب والله كانوا زينة التلبيسة . وبعد البوظة وزعوا « صرر الملبس » « بسبت »قش واسع ، كل ضيف اخذ صرة .

وعندما قارب الليل ان ينتصف اخذوا العريس لبيت العرس ، لبيت « ابو العريس » الذي يشع بالاضواء والجميلات والزغاريد وعروس العمر ، « لانو العريس بدو يسكن مع اهلو » وضعوا العريس بالنص امسكه ابوه من يد وشقيقه الاكبر من يد . واحاط بهم الاقارب اعمامه واولاد اعمامه واصدقاؤه وشباب الحارة . وبايديهم « اللوكسات » يتقدمهم رجل يطلق العيارات النارية في الليل الهاديء ورجلان يلعبان لعبة السيف والترس واحد الشبان يردد وتردد معه العراضة :

صلوا على محمد ونبر واغضبر وعادنا وهيه وما شا الله .

يا سباع البر حومي
اشربي ولا تلومي
اشربي من بير زمزم
يا سلام ويا سلام
يا سلام اضرب سلام
عللي مظلل بالغمام
الغمامة غمتو وما لمتو
غمتو عالشيخ رسلان
شيخ رسلان ياشيخ رسلان
يا حامي البر والشام

وفتحت نوافذ عالية وارتفعت اخصاص خشبية وامتدت رؤوس كثيرة تتفرج على العريس والعراضة .

وصلت العراضة امام بيت العريس وبدات تردد :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا وهيه وما شاالله . وكانت راية وراية العريس بيض الله وشو . . . .

عريس الزين يتهنا
يطلب علينا ويتمنا
عريس الزين يا غالي
افديه بالروح والمـــال

*

خفي رجلك يا بنية
والعزبان هجمت علي
يا اهل العدية
هيه هيه
صلوا على خير البرية
هيه هيه
راية ابو العروس
وراية سعيد ومحمد وعبده
وبيض الله وشن

وزغردت النسوة من الدهليز :

اوها سعيد يا واحد
اوها محمد يا تنين
اوها واللي ما بيصلي عالنبي
اوها يعدم العينتين
لي لي لي ليش

ورددت العراضة على الباب :

مكحولة العين ونير واغضير وعادنا وهيه وما شا الله .

ودخل العريس بين النسوة مع ابيه ، وعادت العراضة لبيت التلبيسة وظلت السهرة معقودة حتى الصباح ، وبعد ان ظل العريس مع عروســـه

في العرس ساعة عاد للتلبيسة وجلس قليلا مع المدعوين من الشبان الذين قضوا السهرة بين طرب ونكات وتسلية بينما انصرف الكبار في السن ، ثم انسحب العريس عائدا الى عروسه .

وقد سمع ابي من احدهم في التلبيسة ان والد العروس « وقت فصل النقد » طلب من والد العريس « نقد » مهرا مقدما مئة ليرة ذهب انكليزية لا رشادية ولا عثملية . فرد والد العريس : حاضر .. بس اللي بدو يطلب مية ليرة بدو يدفع مقابيلها مية ليرة .

فرد والد العروس :

ـ تكرم عينك مية وليرة .

واتفقوا على ان يكون «المتأخر» نصف القيمة . وقبض اهل العروس قبل الكتاب « وطالعوا » بالنقد كنبايات صدف مطعم وسجادة وفرشات ولحف . ومرت ستة اشهر بعد ان كتبوا « الكتاب » حتى حددوا موعد العرس وطبعوا « الكروت » .

واضافت امي على معلومات ابي قائلة لابي :

ـ هادا يا سيدي اهل العريس شي اكابر كتير . وداروا كتير وخطبوا كتير وما خللوا بيت ما دقوا بابو وما كانت بنت تعجبهن ، هي سمرة وهي نحيفة وهي طويلة كتير وهي قصيرة تعبوا كتير حتى لقولو « طلبو » .

ـ ليش شو كان « طلب » العريس ..!!

ـ بدو العروس بيضا شقرا « مكبسة » لا نحيفة ولا سمينة . هيك لحتى شافوا هالبنت واجوا وصفولو ياها لابنهن قامت عجبتو وقاللهن اخطبولي ياها وما شافها لليلة العرس لانو اهلها متعصبين كتير .

وام العريس ست بتفهم متأنة مرتبة شي راكز تمام وكل كناينها حلوين . ووقتن كانت تدور تخطب كانت تعرف من زيارة واحدة اذا كان اهل البنت راتبين والا لأ . كانت من كتر نضافتها وقتن تفوت لبيت حدا تقلب السجادة يا اما الحصيرة بدون ما حدا يشوفها لحتى تعرف اذا كانوا الجماعة نضاف واللا وسخين . واذا لقت فردة قبقاب هون وفردة قبقاب هون وفردة شحاطة هون اذا فاتت لبيت حدا على غفلة ، ما كانت ترجع لبيتهن ابدا لانو البنت بدها تطلع متل امها « شرمة » وكانت تطلب كاسة مي من البنت واذا جابتها بلا صحن ومالها منشفة ومبلولة كانت تقول هالبنت « شرمة ورشلة » ما بخطبها لابني ، وكانت وقت تفوت على بيت

ونجي البنت لتسلم عالخطابين كانت ام العريس تبوسها لتشم اذا كان الها ريحة تم ، وتعانقها لتشوف اذا كان الها ريحة عرق بشعة . وعزمت ناس كتير على حمام السوق لحتى تشوف البنات بالحمام على طبيعتهن وترجع توصف لابنها جسم البنت . بعدين شافت هالبنت وصار النصيب . طبعا اول زيارة ما شربوا قهوة وقالوا لاخت العروس ما منشرب قهوة حتى ناخد نصيبنا . ووقتن شافوها اول مرة ما قالوا هنة من بيت مين لحتى يعتمدوا عالعروس . بعدين قالوا نحنا بيت فلان . ولما سالوا عن اهل البنت وعرفوهن « اوادم » راحوا تاني مرة ، وتالت مرة عطوهن صورة العريس واسمو وقالولهن : هي عنواننا اسالوا عنا وعن ابننا وايمتا بتريدو لنجي ناخد الجواب ؟ وبعد كام يوم رجعوا اخدوا الجواب بالموافقة وصارت الخطبة وعملوا جمع رجال وفصلوا النقد واختلفوا بالاول « مكفاية » واللا « بكلف » بعدين قالوا لا « مكفاية » بالمية ليرة دهب على قبقابها . ويوم انكتب الكتاب ببيت ابو العروس حضروا الاهل بس وما عزموا حدا غريب. وقدمولها اهل العريس اسوارة وخاتم الماس وروب مع « كلفو » . لاكن والله بهالعرس صار شي ظريف كتير وحطوا ما فتح ورزق لنشوف بكرة بالمباركة شو رح يعملوا !؟

فسالها ابي :

— ليش ايمتى المباركة .

— بالخمسة وبالستة .

— هي مباركة النسوان ؟

— اي .

— ويوم « السبوع » .

— يوم السبعة رح يساووا عزيمة اكل لابوها ولعمومها وخوالها واخواتها واصهرتها وولاد عمومها وولاد خوالها .

— انا معزوم . . !!!

— لا . بكرة بيعزمك صهرك متى ما جوزت بنتك ان شا الله بحياتك يا ابن عمي .

— الله يحفظك وانت سالمة .

ومرت الايام . . . وفي ليلة من الليالي لبست امي ملابسها بسرعة واخفتني من يدي . . . والنوم يكاد يقتلني . . . الى اين يا امي . . ؟

وكانت مفاجاة . . . وقفنا امام بيت العرس الذي عشت فيه ليلة من ليالي الف ليلة وليلة . . . ماذا عرس جديد . . !!

وسمعت اصواتا جارحة تشق الليل ، ونسوة كثيرات مرتبكات في الديار يرحن جيئة وذهابا ، وبخشوع وصمت ورهبة دخلنا الى غرفة الانسانة التي تصرخ وتستغيث في « المربع » الذي نطلع اليه من العتبة على نف عال ، وقد فرشت ارضه بحصيرة كبيرة وفوقها سجادة كبيرة وحول الجدران اصطفت كراسي طقم الصدف والخزانة الصدفية الكبيرة المطعمة بالصدف المصري وعروق الفضة . وقد جلست « داير ما دور » « المربع » سيدات عديدات مسنات وصبايا . وعلى ارض الغرفة في الوسط فرشتان واحدة فوق الاخرى وعليهما تتلوى « العروس الجميلة » سابقا من آلام الولادة وقد اصبح شكلها مرعبا وباعثا على البكاء . والتصقت بظهر الكرسي قرب الخزانة كان احدا صفعني في احلى احلامي .

والمسنات يسبحن بالمسابح ويقران الآيات القرآنية ويبسملن ويطلقن الدعوات : يا ربي تفك عسرها وتخلصها بالسلامة .

وقالت واحدة للاخرى بهدوء :

— « بكرية » وما بصير ما تتعذب .

— مسكينة تعسر معها الطلق كتير .

— يي الله يقيمها بالسلامة .

— مسكين جوزها راح بالليل جاب الداية وحملها الفانوس « وكرسي الداية » .

والطلق يشتد . . طلقة حامية وطلقة باردة ، والصرخات تشتد وتشق سكون الليل . وانا « الطفلة المرعوبة » اتمسك بيد الكرسي وابكي وحدي والداية تروح وتجيء وترفع شرشفا عن ساقي العروس ، ثم ترخيه ووجهها لا يزال متجهما .

وهمست واحدة باذن الاخرى :

— خليها تتعذب احسن ما يقولوا ما حبلت ، بكرة بتلد وبتقوم بالسلامة وبتنسى كل وجعها .

وزوجها المسكين كما لاحظته من وراء ستارة نافذة المربع بروح وبجيء في ارض الديار لا يدري ما يفعل مرة يسخن للنسوة في المطبخ الماء . . ومرة

يناولهن قنينة الزيت والملح والليمون ، ويرفض بشدة رجاء والدته ان يذهب خارج البيت حتى تنتهي الولادة فيبعثون خلفه ويبشرونه !! وفجأة وقفت الحامل ببطنها المنفوخة وسارت حول الفراش العالي تمسك بخاصرتيها وتلف وتدور وتصرخ وتلفظ كلمات نابيـــة كأنها خارجة من انسانة مجنونـــة غير مهذبة :

— « ولي » على قامة الجواز واللي بيتجوزوا ، والله بعمري ما بقيت احبل .. بعمري ما بقيت عيدها . يلعن ابـــو الجواز .. يلعن ابوكن رح موت .. دخيلك يا ربـــي .. لك ببوس ايديكن خلصـــوني . دخيـــل رجليكن انا ..

واعادتها الداية الى فراشها وهي تقول لها :

— الله يرضى عليكي طولي بالك هلأ بتقومي بالسلامة قولي يا الله واكبسي وعيني ولدك وصلي عالنبي .. هانت .. ما بقى الا القليل . لك بنتي ليش ما رضيتي تقعدي على كرسي الداية مو كان اهين لك ؟!

— ما بدي .. ما حبيتو .. خليني اولد على فرشتي آخ ياربي ... اجت اجت ... آه دخيلكن .. دخيلكن ... اخ يا امي ... وينك يا امي ...

وعند الفجر وبعد آذان الصـــبح ولدت بالسلامة امام جميـــع « المدعوات » لحضور الطلق من اهلها واهل زوجها واللي ما بينعزم عالطلق بيعتب كتير وما بعود بيدوس بيتهن . وكأن الطلق وليلـــة الولادة سهرة لطيفة يجب ان تحضرها كل العمات والخالات وبنات العمات وبنات الخالات والسلايف وبنات الاحما والضراير ..!! وزال العبوس .. ولاحت ابتسامة على وجه الداية وقالت :

.. اللهم صلي عالنبي الهاشمي العربي كامل مكمل « صبي » ..!!

وابتسمت « العروس » المسكينة لاول مرة منذ اربع وعشرين ساعة فقد بدأ معها الطلق من صباح اليوم السابق . وقطعت الداية حبل السرة وربطته بخيط ، وظلت قلقة لا تتكلم حتى نزل « الخلاص » لان الخلاص اذا « لطش » يا لطيف بموت النفسا !! وظل الهدوء مخيما حتى نزل الخلاص وتدفق وراءه نهر من الدم وكاد يغشى علي !!!

ولعلعت الزغاريد وبشروا العريس بصبي : مبارك ما اجاك يا ابو « محمد سمير » ، وقلبت ام العريس الحماية وجهها لانها كانت تريد ان

تسمي الصبي عبد الغني « على اسم جدو » ولكن الكنة كانت تفضل اسم « سمير » لانه اسم جديد وحلو ووعدها زوجها بتلبية رغبتها . وهكذا انكسرت كلمة امه . . . !!!

والتفتت الداية الى الطفل تنظفه وتقطر له بكل عين نقطة ليمون وترش على جسمه لا ادري مساحيق محضرة على « القشوة » طرابيزة المولود وهي طاولة من الصدف فيها عدة بيوت لادوات المولود والولادة : الآس الناعم والملح والكمون والقطن والمقص والخيط لربط السرة .

وافاق الجيران على الزغاريد ، يظهر ان كنة بيت الجيران قد ولدت وجابت « صبي » !!!

وبدات الحركة في المطبخ وتفرغت بعض الصبايا من الكناين وبنات الاحما لتحضير سفرة الخلاص « للضيوف » اللواتي سهرن الليل بطوله . وانتقلن للمربع الثاني لتناول طعام الفطور وقد مد على صينية مستديرة كبيرة من النحاس المزخرف المطعم موضوعة على كرسي من القش منخفض وجلست النسوة حول الصينية التي اصطفت فيها صحون الجبنة البيضاء المغلية والجبنة بالزيت وطابات اللبنة بالزيت والزعتر والزيت والزيتون الاخضر والاسود والمكلس ومربيات المشمش البلدي والخوخ والجانرك والبيتنجان والكباد والكرز والقشطة والعسل والمكدوس والاريشة والجبنة الضرف والحلاوة والدبس والطحينة والحليب والشاي والخبز التنوري والشعيبيات والفواكي .

تم تحضير كل شيء ولم يبق الا الحليب . ودخلت احدى الكناين الى المطبخ ونظرت الى « الكانونة » وشهقت وصرخت في وجه سلفتها :

— يي يي يي طف الحليب وما شفتي ، وين عقلك . . هلأ وقت تحكي مع الجارة وتتركيني لحالي والضيوف عم يستنو . . يا لطيف شو قلبك بارد!؟

وكانت « الكنة » الثالثة في هذا البيت هي المسؤولة عن تحضير الشاي وكاسات الشاي وغلي الحليب . ولكنها نسيت كل شيء عندما سمعت صوتا يناديها من وراء الجدار فركعت على ركبتيها قرب النهر الذاهب من مطبخهن الى مطبخ بيت الجيران وخفضت راسها حتى كادت تلمس سطح النهر واخذت تعطي صوتها للجارة التي نادتها من فوهة فوق النهر اسفل الجدار تسألها وتصيح عليها :

— صباح الخير يا جيراننا ، شو هالزلاغيط عندكن شو ولدت عروستكن . . !!؟

— صباح الخيرات يا جارتنا .. اي والله ولدت .

— « قمحة » واللا « شعيرة » ..!!؟

— لا والله « قمحة » ..

— بي والله فرحتلها اللي جابت « صبي » مبارك ما اجاكن .

— الله يبارك فيكي عبال عندك ...

— والقايلة .. شو عم تعملوا .. بدكن معاونة ..!!

— يعينك بالعافية والله عم نحضر صفرة الخلاص تفضلي فطري معنا بحياة الله !!

— بي ان شا الله صحتين وهنا والف عافية والله جوزي لسه ما راح على شغلو ما بحسن اجي حتى يروح من غير شر .

— خدي خدي مني جارتنا .

— شو بدي آخد تقبريني ..!!؟

— اشتهيتلك هالبردقانة وهالتفاحة رح ابعتلك ياهن بالفهر ... خدي .. وصلوا ..؟

— يو .. بسلمو هالايدين .. بي .. وصلوا وصلوا . العمر .. هلأ خاطرك تشكلي آسي جوزي عم يندهلي ..!!

الحليب والشاي يسكب في الكاسات ... بينما زغاريد الفرح بكلماتها « الموجهة » تنطلق من ارض الديار من قريبات العروس « ام الصبي » لتؤكد ان خلافا حادا او شبه شجار خفي كان قد وقع بين اهل العروس واهل العريس ، بسبب ما كانت تسمعه العروس من بنات حماها وسلايفها في البيت من « تسبيع وتلطيش » من انها لم تحبل بعد او انها لن تحبل ، او انها لا تحبل « عاقرة » ، بينما تمدح كل سلفة تغار من العروس الجديدة بنفسها ، لانها حبيلة وليدة وقد انجبت خمسة اطفال « وهلأ حبلة » !! لا فائدة .. هذه هي نتيجة « السكنة » مع بيت الاحما . حماية وعم وبنات احما وسلايف كلهن ببيت واحد ، كل ابن يسكن مع زوجته واولاده في غرفة فلا بد ان تقع « الغيرة » ويحصل « الناقردي » . لقد دخلت العروس الصغيرة الحلوة « ام الحظ » الى البيت لتثير مكامن الغيرة في القلوب . ويظهر ان ام العريس التي كانت تخشى ان تموت قبل ان تفرح بولد لابنها الصغير ، هي التي كانت وراء الهمسات . ومع انها

تريد ان تخطب لابنها ان لم تحبل زوجته وكم وكم رمت كلمات نمدح بقيـة « الكناين » اللواتي حملن من ليلة الدخلة ، بينما عروسـة ابنها « الآخراني » لم تحمل بعد مضـي اكثر من شـهر . وكم قال الابن لامه :

ــ يا يامو عيب تحكي هالحكي وانا رجال ما بتجوز غير مرة واحـدة وبحياتي ما بعمل متل عمي اللي انجوز اربع نسـوان حتى صـار بيتو من الضراير جحيم ؛ طولي بالك بكرة بتحبـل والله بيبعتلنا صبيان وبنات ، لساتها صغيرة يا امي . . .

ــ ابدا . . . هي ما بتحبـل . . . . وانـا ما بخليلك ياهـا والسـما زرقا . . !!

ــ يا امي الله يخليكي . . . ما بدي مشـاكل مرتي بحبها وعاجبتني!!

حديث جرى بين الابن وامه منذ تسعة اشـهر ، وجاءت الزغاريد لترد الكيد والشماتة والمؤامرات ، وجاءت ولادة الصبي ، ولم تمر سنة بعد على العرس ؛ لتخرس همسات الشك بقدرة العروس على الحبل :

اوها ولدت وقامت
اوها على فراشـها نامت
اوها الك الحمد يا ربي
اوها اللي ما شـمت فينا شـامت
لي لي لي ليش

*

اوها صلوا على محمد ووقتو وسـاعتو
واللي ما بيصـلي على محمد تطق مرارتو
لي لي لي ليش

*

اوها مبارك والسبع بركات
اوها بتستاهلي يا داية شـورة حرابرية
وزيارة محمد والكعبة المجلية
لي لي لي ليش



اوها طبخنا لبنية وحشيناها شراطيط
اوها والناس بتنقط بالدهب
اوها ونحنا منقط بالزلاغيط
لي لي لي ليش

*

أوها ياما دبكو برجليهن
اوها يا ما تغامزوا بعينيهن
اوها وقالو فلانة ما بتحبل
اوها حبلت وقلعت عينيهن
لي لي لي ليش

*

اوها يا ما قعدو مجنبي
اوها ويا ما حرتو قلبي
اوها قالو فلانة ما بتحبل
اوها حبلت ونصرني ربي
لي لي لي ليش

*

اوها يا ما لعبوا بالصقاق
اوها يا ما لعبوا بالكماب
اوها وقالو فلانة ما بتحبل
اوها حبلت ونصرها رب الخلاق
لي لي لي ليش



ودار الخبر بين الاهل والمحبين « انو فلانة جابت صبي » ، ودعيت النسوة للمباركة يوم الخمسة والستة . وذهبت مع امي .بيت العرس نفسه ولكن العروس هذه المرة غير موجودة . البيت « يطف ويدلق » بالنساء والصبايا يرتدين احلى الازياء ويتشكلن بالزهور بسبب مجيء الصبي « وقومتها بالسلامة » . والمباركة بالقاعة اللي فيها جهاز العروس الصدف . ومع دق العود والرقص كانت الصبايا من قريبات العريس والعروس واخواته واخواتها يوزعن فناجين « الكراوية » الكبيرة بسبب ولادتها في الشتاء . ولو كانت « الدنيـــة » صيف لوزعوا شراب التوت الشامي او شراب التمر هندي او البوظة بالفستق . وكان شراب الكراوية

المغلي محلى بجوز الهند واللوز والجوز الميشور والفستق الحلبي والصنوبر والبندق ، سبع قلوبات وكانت كراوية « مدللة كتير » .

وعندما تنتهي مجموعة من المدعوات من تناول الضيافة كانت تذهب لغرفة « النفسا » لتبارك لها وتنقط المولود بقطعة ذهبية ، وتكون اما ليرة ذهب او « مخمسة » او نصف ليرة معلقة بشريطة وشكالة ، فتعلقها بتنداقة الطفل النائم الى جانب امه . واذا كان المولود ذكرا كان النقوط مصحفا ذهبيا وان كانت بنتا كان النقوط قطعة ذهبية رقيقة كتبت عليها جملة « ما شا الله » تعلق في صدر المولودة « بسنسال دهب » .

وكانت اكثر الهدايا ليرات ومصاحفا . والنفسا جالسة في فراشها وقد اشرق وجهها بالعافية والسعادة والنصر ولبست ثوب عرسها الابيض الذي علقت اطرافه على الجدار بشكل دائري فاصبحت « النفسا » داخله كالوردة ، وقد ارتدت ثوب عرسها حتى يراها « اللي ما شافها بعرسها » ووضعت على كتفها حورانية من الفرو الابيض . وزينت شعرها وصدرها بالماس واللؤلؤ ووردة قرنفلية حمراء وجملت وجهها بالالوان الساحرة التي اعادت لي شيئا من ذكرى جمالها ليلة عرسها .

وكل واحدة تتقدم منها تقبل الطفل وتنقطه وتقبل امه وتقول لها :

— مبارك ما اجاكي .

— الله يبارك فيكي .

وتخرج طقة نساء لتدخل « طقة » جديدة .

وعند باب غرفة النوم كانت توزع قطع الشوكولاته والملبس والراحة.

وبعد اسبوعين من المباركة اقاموا حفلة طهور الصبي وعزموا الرجال والنساء على الطهور واثناء حضور « المطهر » اخذ الرجال ينشدون عند العصر :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا ..

وظلت احتفالات الطهور سبعة ايام بلياليها وذبحوا خاروفا واقاموا ليلية غنت فيها فهمية بنت الحصري ، وظلت السهرة قائمة للفجر .

وكانت فكرة طهور الصبي وعمره عدة ايام هي فكرة الاب ، لانه رفض ان يتعذب ابنه كما تعذب هو يوم طهوره وهو في السابعة من عمره ، ولبسوه الثوب الحرير الابيض الطويل « للارض » ووضعوا على رأسه

الطربوش المزين باللؤلؤ والماس والورد حتى يفرح بنفسه وينسى لحظة الالم ، ولكنه احس بالالم رغم صرخات الرجال المفاجاة حوله مرددة :

صلوا على محمد ونير واغضير وعادنا هيه وما شا الله . .

وان نسي الاب الشاب شيئا فلن ينسى ابدا كيف ضحكوا على عقله واقاموا له مهرجانا فخما والبسوه ثوبا حريريا فضفاضا وزينوا راسه بطربوش محلى بالماس واللؤلؤ والورود واركبوه حصانا سارت امامه صفوف رفاقه من طلاب « الكتاب » تردد نشيدة : سلام سلام سلام . وسار الموكب في سوق الحميدية والسنجقدار والمرجة وعاد به الى الدار حيث اكل مع المدعوين ورفاقه من تلاميذ الكتاب الحلويات ثم ادخلوه الى غرفة خاصة والتم حوله الرجال وامسكه « المطهر » بقوة وطهره . فصرخ وبكى ولم تشغله جملة « نير واغضير » عن آلامه . وظل بعدها يسير اياما واياما في الحارة وهو يرفع ثوبه الطويل بيده من الامام وطربوشه الثقيل فوق راسه يعلن « للرايح والجاية » انه « مطهر » الصلاة عالنبي .

ولكن هذه المظاهر البراقة كلها لم تخدعه ولم تخفف شيئا من اوجاعه عندما كان يريد ان يبول . وانقذت ذكرى الالم ابنه الصغير من ذكرى مماثلة .

ومر اسبوعان على الولادة وبدات استعدادات الرحلة للحمام . لا بد من « حمام الفسخ » للنفسا بعد اسبوعين . ودعينا الى حمام الفسخ . وكان على « النفسا » ان تثبت في هذا الحمام قوة ارادتها وتتحمل حرارة الجلوس فوق « بيت النار » الذي لا تجرؤ قدم حافية على لمسه او المسير عليه لحظة واحدة . احجار سود حامية كالحديد المحمى مدت عليها منشفة لتجلس عليها « النفسا » . ودهنت احدى السيدات من القريبات جسم النفسا كله « بالشداد » لتعود الى قوتها وصحتها . والشداد منبح كتير لانو فيه بيض والبيض جبار . . وخليط الشداد من بياض البيض والدبس والزنجبيل يدهن به جسم النفساء كله .

كما جلست « النفسا » على خليط صفار البيض والكمون ليشد عروقها وجسمها وترجع كانها بنت . وكلما تحملت الحرارة كلما عادت الى جسمها اسباب الصحة والقوة لتعود الى خدمة بيتها وزوجها وابنها وبيت حماها . فقد كان لها دور كبقية الكناين وستكون مسؤولة في احد ايام الاسبوع عن شطف الديار والمشرقة والدرج وسقي الزريعة والجلي والطبخ . .

كنت اراقبها بدهشة ... كيف يمكنها ان تجلس على بيت النار الذي كنا نخاف منه نحن الاطفال ! ونجرب قدما ثم نقفز الى الطرف الثاني من « خط النار » والقدم المحروقة تلهب دموعنا . يا حرام الله يساعدها !!

وبعد ان انتهت من هذه الجلسة الحامية اللامعقولة ، جاءت « الاسطة » لتغسلها بنفسها . فغسلت لها شعرها وسرحته وضفرته ضفيرتين . وفركت لها جسمها وليفتها بالليفة والصابون وساعدتها بحمام طفلها واخذتها للوسطاني ولبست لها طفلها وقدمته لها لترضعه من الثدي النظيف .. ورضع الطفل والعرق يكده من جو الحمام الخانق بينما امه الجميلة الذي يتفجر وجهها بحمرة الصحة والنظافة وحرارة بخار حمام السوق ، تبتسم في وجهه باشراقة لن انساها طيلة عمري .

وفي الوسطاني مدت سفرة الاكل والتم حولها اهل النفسا وبيت حماها .. وقشر الكرنب والبرتقال يتناثر هنا وهناك بين ارجل الداخلات والخارجات بين البراني والجواني ، وقلبت الصبايا طاسات الحمام ، وتألفت فجأة فرقة موسيقية غنائية تبعث في الحمام جو المرح والطرب ترافقها الزغاريد المرحة التي تؤكد النصر :

اوها ولدت وقامت
اوها وعلى فراشها نامت
اوها الك الحمد يا ربي
اوها اللي ما شمت فينا شامت
لي لي لي ليش

وتبدا احداهن الرقص على ايقاع النقر على ظهر الطاسات والتصفيق والضحكات العذبة تملأ الافواه وتثير فضول زبونات الحمام .

ولم يكد يبلغ عمر الصبي سنة ، حتى دق باب بيتنا ففتحته لاجد صبيا صغيرا يحمل « زبدية صيني » كبيرة مغطاة. تناولتها منه وقلت ما هذا ؟ قال:

— هدول من بيت فلان بسلمو عليكن وبتولولكن ان شا الله صحتين وهنا وعبال عند ولاد ولادكن .

فتحت امي الغطاء عن الزبدية فوجدت منظرا مبهجا ، وابتسمت وقالت بفرح : يو يسلملي طلعو سنانو الله يخليلهن ياه . تعو يا ولاد كلو « سليقة » بالظاهر طلعو سنان « محمد سمير » . وهجمت مع اخواتي على صحن السليقة ، القمح المسلوق المزين بالسكر والرمان والجوز والفستق . وطارت الزبدية .

ومر يومان وسكبت امي للجماعة بنفس الزبدية من طبخة « الحبوب بالسكر » التي طبختها لنا وارسلتها لهم مع اخي الصغير . وهــــذه هي العادة عند سكان دمشق لايمكن ان يعود الصحن لاصحابه فارغا .

وحلاوة السليقة تحت « طعمة سناني » بدأت افكر !! كم هي سعيدة مدينتي !! كم هي مرفهة ومدللة مدينتي . . الافراح لا تنتهي . اليس كذلك يا امي . .؟؟ سؤال كبير واكبر من سني !!؟

وتنهدت امي التي كانت تدق على البير لتخرج الماء وقالت لي وهي تاخذ سطل الماء لتسقي حوض الزريعة :

ـ ايه يا بنتي . . . انتو شو شفتو . والله مرقت عالشــــام ايام سودا متل الفحمة وقديش يا حسرتي راحت شباب وعــــالم ايام الثورة بالشام وبالغوطة . والله كنا نشتهي لقمة الخبز وقضينا كتير من الحكم التركي وبحيــــاتي ما بنسى شلون علق جمــال باشا السفاح الشهدا الثوار « بالمرجة » ، وصارت كل الناس تبكي عليهن بالدموع . لكان انتي محسبة انو كل ايامنا كانت عراس وزلاغيط وفرح واكل طيب !! من وقت وعينــا عالدنية وصوت الرصاص باداننا !!

ومرت ايام . . . وذهبت الى المدرسة . . . وعلى طريقي الى المدرسة كنت ارى « السنغال الفرنساويين » المرعبين الذين جاءت بهم فرنسا الى دمشق ليقتلونا . . . صفرطاسي في يد وشنطتي في يد . . التصق بالجدار امشي بعيدا عن عين السنغالي الذي « توصيني » امي منه .

وتمر ايام وايام . . . ونزور بيت « العروس » التي لم تعد تبتسم . . . لقد التحق زوجها بالثوار ضد فرنسا . انها تبكي وتصلي ليل نهار ان يعيد اليها زوجها صاحب بيتها ابو ولادها . . وان ينصرو على « عدوينو » . كل مهمتها الآن ان تتغطى « بالملاية السودا » وتمشي مع بنت حماها بــين الحارات تخبي تحت ملايتها سلة الاكل لجوزهــا الهربان ولرفقاتو الثوار ضد فرانسا . وتحت الاكل بالسلة القش كانت تهرب « الصلاح » وتمرق قدام الحارس الفرنساوي السنغالي من غير ما يشك فيها انو عما تهرب بواريد ورصاص ، وما كان يخطر على بالو انو النسوان عم تهرب الثوار من فوق الاسطيح ، وعما تهرب الاسلحة وتوصلها تحت الملايــا وتحت صحون الطباخ روحو والتين لعند الثوار .

واحتفلت الشام « بالعرس الكبير » عام ١٩٤٥ .

واخذتني امي واخذت بقية اخواتي للعرس . الدعوة عـــامة لكل الشـعب وحفلة العرس في سـاحة « المرجة » .

المشاعل تنير دمشـق كلها . « المعازيم » يركبون العربايات والسـيارات الكبيرة والصـغيرة واسـاطيح البلدية و « المنزل » والفنادق والارصـفة واعمدة الكهرباء وحديقة المرجة وعامود الخط الحديدي الحجازي ودرابزين نهـر بردى وكل الممرات والمفارق المؤدية الى السـنجقدار وزقاق رامي والسـرايا والبحصة وسـوق العتيق . وجبل قاسـيون تاج من الماس يشـع على راس العروس . والعروس السـعيدة الباهرة اسـمها « الشـام » .

وامتد « عرس الحرية » في سـاحة الشـهداء الليل بطوله . الشام كلها كلها كانت معزومة على ليلية « الجلاء » التي احياها حتى الفجر جوق من المغاني والآلاتية لمع بينهم رفيق شـكري وسـلوى مدحت وسري طنبورجي وسلامة الاغواني ومـاري جبران وعدنان راضي وسـعاد محمد ونجيب السراج وفتاة دمشـق ومحمد محسن وتحسين جبري ومصطفى هـلال وصبحي سـعيد وفايز الاسطواني وتيسـير عقيل وزكي محمد ومحمد النحاس ويحيى النحاس ومحي الدين الزعيم ومحمد العاقل .

وامتد عرس « الاستقلال » في سورية حتى الفجر .

● ● ●

اكيدنيا يا حلوة

كان ابي ولا يزال يناديني في بيتنا وامام الضيوف : يا حلوة !! ولم اكن حلوة ، والكلمة اكبر مني « كشروال » رجل على طفل .

كانت هذه الكلمة في طفولتي تغسل نفسي كزخات مطرة نيسان على زر ورد . انا الحلوة : وماذا عن جمال اختي الصغيرة الذي يؤكد انها الحلوة . كنت الزنجية في البيت وكانت الشقراء . وجدوني في كيس الفحم، كما يمزحون امام الضيوف ، ووجدوها في علبة اللبن .

لماذا « الحلوة » اذن . . !!

لانني كنت الصغيرة « الذكية » التي تتميز بذاكرة عجيبة تعرف مكان قبقاب الاب الضائع ومكان المقص المجهول ، والتي تملك قدرة خاصة على تغطية فوضى البيت باعادة الاشياء المفقودة الى يد الاب الصارم المرتب .

وكانت يد ابي تمتد الى يدي الصغيرة تلتقط المقص فتنهي هذه الحركة مني شبح مشكلة وزوبعة شجار ، وتؤكد انني البنت « الحلوة » في البيت. ويكافئني ابي : ما في منها هالحلوة !!

وهكذا استطاع ابي بتسميته وتدليله لي ، قلب مفاهيم الحلاوة في نفسي . فصدقت اني حلوة لذكائي وذاكرتي رغم اني اقل اخوتي واخواتي حلاوة ، وتحول اسمي في افواه اهل البيت وفي اذني ، الى صورة من صور الحلاوة تجسد في يوم من الايام بفاكهة من احلى واشهى فواكه الشام .

يذكرون في بيتنا هذه الحكاية الطريفة عني : كان ابي يحملني على يديه ويمر بي من سوق « العتيق » ، لا يتجاوز عمري السنتين . وينادي احد بائعي فاكهة المشمش الهندي « الاكيدنيا » على بضاعته المصفوفة بالحارة بعناية : يا حلوة . . يا حلوة . . اكيدنيا يا حلوة . . !!

وتجيبه الطفلة :

ــ نعم . . . نعم . . . نعم . . .!!

البائع ينادي يا حلوة ... وانا اصرخ ... نعم ... ويضحك ابي الشاب ويشدني اليه ويحاول اسكاتي : اسكتي فضحتينا ..!! فالرجل لا يناديك ..

ولكنه يا ابي كان يناديني ...!!

وضمن حكايات ابي ونوادره وذكرياته الضاحكة تقفز هذه الحكاية عني .. وتذهب دهشة الضيوف وسط امواج الضحك .

وتضحك الصبية « في » الآن على « الطفلة الذاكرة » الصغيرة الذكية .. واشعر بان بيني وبين « الاكيدنيا » حكاية لطيفة منحتني مع الايام شعورا بالحلاوة والمرح تستحق عليه ان تكون عنوانا لهذه القطعة الحلوة التي اعتز بها ، فهي ليست من تاليفي .. انها من تاليف مدينتي الحبيبة .. الشام ..

وكلما نادى بائع الاكيدنيا : يا حلوة .. ابتسم . وكثيرا ما انزل الى سوق العتيق او الى سوق الهال امر بين الباعة والناس والعربات والحمير اسبح في بحر من نداءات باعة الشام . واستيقظ احيانا على مناداة احد الباعة على بضاعته وهو يسوق حماره وينتقل بها بين احياء دمشق الحديثة، فانسى انني هنا ، واتصور انني في بيتنا القديم في حارتنا القديمة هناك .

واشعر بالثورة تغلي في .. عندما اطل من الشرفة لانادي البائع واساله عن السعر فلا اجده !! انا متاكدة انه كان ينادي !! عندما وصلني نداؤه كان تحت بيتنا ولما مددت براسي لاناديه ، كان قد بلغ آخر الشارع . ما الفائدة .. يا للخسارة .. انه يركب دراجة احتراما للقوانين التي تحرم مرور الحمير في الشوارع الانيقة !!

وفي مدينة دمشق الجديدة النموذجية .. في منطقة « الفيلات » في « المزة » ، ذهبت لارى مبهورة الانفاس الى الاناقةو الثراء والجمالو الهدوء. وبين « الفيلات » الساحرة الملونة التي تتعربش على جدرانها الملونة اغصان النباتات والورود وآيات الترف ، لفت نظري بناء ابيض كبير كبير فخم حوله حدائق غناء ، يقوم وسطها كباخرة ، يتمدد على الحشيش الاخضر كقط كبير ابيض مدلل على سجادة مخملية خضراء .

ــ ما هذا البناء ؟

ــ انه سوق كبيرة على الطراز الحديث لمنطقة الفيلات ، وطار عقلي.



الفنان الياس زيات — دمشق

تخيلت عندما ينتهي بناء السوق ؛ ويسكنه اصحاب البقاليات كيف يمكن ان تكون عملية الشراء الحديثة .

تحضر السيدة بنفسها، ومعها شنطة خضار من النايلون الملون المفرغ . تدخل من باب المبنى الفخم . هدوء مطبق . الهمس هو لغة الانسان الراقي . تأخذ السيدة بيدها عربة معدنية صغيرة فارغة لها عدة طبقات . تمر بين ممرات السوق . تختار ما هي بحاجة اليه من علب اللحم والخضار والفواكه والسمن والجبن والزبدة والصابون والقهوة والسكر والشاي والمربيات . الثقة مطلقة في هذا المكان الراقي . لا احد يسرق . لا احد « يفاصل » لا قطعة بندورة اكبر من قطعة،لا تفاحة ناضجة ولا تفاحة « معاينة » لا تنكة سمن ولا تنكة جبن ولا علبة تشطة ولا « قدرة لبن » ولا ضرف « اريشة ». على كل علبة سعر ثابت يوفر وقت المفاصلة بين الشارية « الانيقة » والبائع « الجنتلمان » . الآنسة التي تحصي القطع في نهاية المطاف وتكتب الفاتورة كالخرساء . الموظفة التي تتقن العزف على الآلة الحاسبة كالخرساء ايضا . « الكيس » الرجل الواقف وراء الصندوق يتناول الفاتورة بوجوم . لا حوار في هذا المكان . راحة تامة للجميع !!

هل نحن في دمشق ام في لندن ؟؟ هل نحن في الشام ام في موسكو ؟؟ هل نحن في « سوق الهال » ام في « سلفريدجز » ام في « جوم » ؟

اذن لن يمر الحمار تحت نافذتنا !! ولن نسمع صوت البائع لن نسمع صوت الماضي يمتد عبر الحاضر الى المستقبل . فنحن نقطع الدرب باسلاك مكهربة على ما صنعه الاموات .

لن يمر الحمار تحت نافذتنا . . ولن تمتد رؤوس النساء الملفحة بالاغطية البيضاء من الابواب والشبابيك « لتفاصل » البائع الذي ينادي على البندورة والبطاطا والبصل والفول .

لن ياتي البائع الينا . علينا ان نذهب اليه .

سينتهي البائع الجوال وسينتهي حماره الصابر تحت حمله الثقيل . وسينتهي حتى الحوار الممتع بين صوت امراة تشتري وصوت رجل يبيع يفصل بينهما باب خشبي شبه مفتوح .

المراة : بقديش بعت يا اخي . .؟

البائع : عالذمة بعشر قروش .

المراة : يوه . . لا والله . . بقرشين !!

البائع : شو بقرشين يا اختي شو عما نبيعك فجل .

المراة : يالله بيمشي الحال !!
البائع : لا والله الفرق كبير .. خدي من غيري اختي .. حاق حاق!
المراة : ليش طبعك عسر .. اي نحنا زبوناتك !!
البائع : على عيني وراسي لو بتوفي خديهن بلا حقهن
المراة : تسلم يا اخي .. بس ...
البائع : يا اختي بدنا نتسبب مشينا ..
المراة : هلأ شو قلتلي ..!!
البائع : استغفر الله على هالنهار ... بسبعة يا اختي ..!!
المراة : لا ما اتفقنا .. ما بقى بدي (تحاول اغلاق الباب) .
البائع : آخر كلام بخمسة ..
المراة : لا والله .. كتير بخمسة ...
البائع : اختي .. وينك .. باربعة .. والله برسمالو
المراة : بتلاتة .. ان عجبك زنلي نص رطل .
البائع : والله ما بيوفي بهالسعر .
المراة : هلأ زين وما منختلف .
البائع : شو حكينا باربعة !!
المراة : بتلاتة ..!!
البائع : ما بيوفي الله وكيلك ...

وينهق الحمار بينما الرجل يضع في كفة الميزان زنة نصف رطل حديد، ويضع في الاخرى حبات البندورة ، ويحاول الرجل ان ينادي على « البندورة الحمرا الريانة » الا ان الحمار لا يريد ان يتوقف ، فيشتد غيظ البائع ويصرخ في الحمار :

— لك خراس .. هلأ يا انا عم نادي وبيع يا اما انت ..!! تفضل خود طربوشي واشتغل محلي ..!!

ويعود البائع للمراة الشامية :

— شو امرتي يا اختي ؟
— متل ما قلتلك .
— استعنت عليكي بالله . يا الله هاتي واعة .. استفتاحة مباركة .

وتمد يدها بالطنجرة ترن فيها ثلاثة قروش ، والرجل ينادي :

— بندورة ريانة .. حمرا وريانة هالبندورة .

ويمتد راس امراة ثانية من نافذة مقابلة :

— بقديش بعت يا اخي ..!!؟؟

وابتسم للذكرى .. ويتنافس الباعة في راسي وتضج اصواتهم ونداءاتهم على بضائعهم ، واغوص في الكرسي الاسفنجي الاحمر«المودرن» واغمض عيني اتخيل نفسي جالسة على القاطع في ليوان بيتنا ، او على كرسي من الصدف في قاعة بيتنا الكبيرة الرطبة ، استمع من بعيد الى سيمفونية شعبية يشترك في تاليفها وتلحينها وادائها ابناء الشعب الطيبون من الباعة الفقراء في اسواق الشام وحاراتها وازقتها وانمت ، ويبدا العزف ويبدا الغناء :

العنب — يا حينو ودعو .. ما بقي بهالكرم غير الحطب والورق ..

العنب الزيني — زيني مدري برمقلي يا عنب ..

العنب الدوماني — الزيني الماس والاحمر دباس ..

العنب الحلواني — حلواني ديراني يا عنب ..

العنب الديراني — ديراني مدري حلواني هالعنب..

العنب الاسود — طلعوا العبيد علينا بالليل يا اسود ..

العنب البلدي — بلدي بيتنا هالعنب ..

التفاح — نيرباني يا جناني ..

التفاح الاحمر — يا مال ازمير ..

— مال ازمير فتح باب البحر علينا يا رايق كول وانعيش قلبك من هالتفاح ..

— مدري كولدن مدري ستاركن هالتفاح ..

التفاح السكارجي — بخر الشورة يا رايق ..

— زبداني هالتفاح ..

التفاح السكري — شغل الزبداني يا تفاح ..

الزعبوب — من هالعجوة يا زعبوب تمر محنا يا زعبوب البزر بن يا زعبوب ..

حب الآس — حبلاس كل ما حلي غلي طاب اكلو ..

المـوز	— بابو المية الوقية يا موز .. — كول ابو نقطة ..
اليوسف افندي	— شغل طرابلس هـالافندي راس الملك .. — يا افندي اكل الوزر ..
البرتقـال	— القشرة ناعمة هاليافاوي .. — شغل عكا وصور هالبردقان .. — قشر مالو هاليافاوي ..
البرتقال المغربي	— سكري مغربي هالبردقان ..
برتقال ابو صرة	— ابو صرة هالبردقان ..
الكريفون	— كل حبة بابرة هالكريفون ..
الليمون الحامض	— بلدي بيتنا هالليمون ، انا حوشتو من عند بديعة خانم ..
الليمون الحلو	— ابيض هالليمون الحلو شـغل الجناين ..
الـدراق	— طاب يا غتمي هالدراقن نصب الملوك ..
الدراق الزهري	— دشروا البقلاوة واجو علشانو طاب يا زهري ..
الاجـاص	— يا رايق هادا عتماني هالنجاص .. — يـا رايق هادا مستكاوي هالنجاص .. — يـا رايق ابو زبلـة مافي منو هالنجاص، كول وانعيش قلبك ..
السفرجل	— بلديـات ايمن اكل دعالي يـا سفرجل بلديات .. — بلديات الله يحييك ياللي اصـلك طيب داوي العليل .. — يا رايق لا بالاوان .. — يا رايق كول وانعيش قلبك مـن هالسفرجل .. — شغل الزبداني واشرفاني ..
المشمش الهندي	— اكيدنيا يا حلوة ..

« الاكيدنيا »

— من عالي الدنيا هالاكيدنيا ..
— يا حلوة ليكة هي الاصـــــلية يا حلوة ..

المشمش البلدي

— بكرة بطعميك فريكو يا بلدي ..
— ماورد يا بلدي كبب ..

المشمش الحموي

— حموي بيلبقلك الدلال ..
— ما بيلبقلك غير محــــارم الروز يا حموي ..

المشمش العجمي

— عجمي مال العجم ..

التوت الشامي

— روق دمك يا شـامي ..
— بروق الــــدم وبيزول الهـم يا يا شـامي ..

التـــين

— ابيض مـــن بياض اليـاسمـــين هالتين ..
— شغل مضـــايا يا تين لاكن بالاكل شـهوة ..
— بعل يا تين عســل ياتين ..
— دق الحديد بيرجع يا تين شريحة ..

الصـــبار

— هية مزاوية يا حلوة ..
— بــــاردة وعالنده شـــغل المزة هالصبارة ..

الـــكرز

— شغل استنبول هالكرز ..
— مال حمانا هالكرز ..

القضب

— تعا مص مص هالقصب مص ..

الرمـــــان

— يا ملاشة تعا ملشو حلوهالرمان يا ماوردي ..
— حلو هالرمان يا ماوردي للمفطوم دوا يا حلو ..

البطيخ الاحمر

— يا اخضر عالمكسر ..

البطيخ الاصفر

— عالحلاوة الشمام يا عسل ..

الكرمنتينـــا

— كرمنتينا عوامة ..
— يا كرمنتينا بلا بزر ..

جوز الهند
— خدلك جوزة من هالهند ..
— عوض وحمل يا مال الهند ..

الجانرك
— يا مال الربوة الجانرك ..
— والله ولا وحدة من الربوة يا مال الربوة ..

العوجة
— هية هليون يا عوجة ..
— ما بتحمل سنانك ياعوجة قلبة خيار يا عوجة ..

العقابية
— مال الشام يا عقابية ..

التمر
— بيداريا يا تمر مال بغداد ..

العجوة
— مال المدينة العجوة يا تمر ..

الزبيب
— اشلميش يا زبيب ..

الجوز
— قلبو ابيض يا جوز ..

الكستناء
— يا مال الروم جديدة ..
— يا مال وارنا جديدة هالكستنا ..
— مو طيب المخ الا بالحمض لاوي ، جديدة هالكستنا ..

البندورة
— حمرا ريانة ..

الباذنجان
— اسود بلدي يا ريان ..
— يا ريان يا هبر اسود ..

الفاصولياء
— بلا نسر هالفاصولية ..
— بلودانية يا فاصولية ..
— عيشة خانم كول وبيس ..
— مالطية حرير ..
— هليون يا فاصولية هليون ..

الكوسا
— موز يا كوسا ..
— تحت اليبرق يا كوسا ..
— للابلمة يا كوسا ..

السبانخ
— ادن الجدي يا سبانخ ..

البامية
— كول وبيس يا عيار ..
— مال استنبول هالبامية ..

الملوخيـــة	ـ متطوفة يا ملوخية طروات ..
	ـ للمونة هالملوخية ..
البطاطا	ـ هية للمونة يا بطاطا ..
	ـ مال زحلة يا بطاطا ..
البطاطا البيضاء	ـ بيرودية يا بطاطا ..
البطاطا السوداء	ـ هية كمي يا بطاطا ..
الفـــول	ـ العشرة بورقة يا فوالة ..
الفول النابت	ـ استوى وطلعت ايدو هالنابت..
	ـ طلعت ايدو هالنابت يا شباب ..
اليخنـــي	ـ يخنى واطبخ والجارية بتنفخ ..
النعنـــع	ـ عازتو عازة بالبيت يا نعنع ..
اللفت	ـ يا كباس هاللفت.. ابيض وناهي يا لفت ..
الفليفلة	ـ للكبيس هية الفليفلة ..
	ـ خيار مكبس يا فليفلـــــة عبـــي التطرميز ..
	ـ حلوة وحدة يا فليفلة ..
الخبيزة	ـ خبيزة طرية .. خبيزة طرية ..
البـــابونج	ـ عالبابونج عالبابونج ..
الانكنـــار	ـ ارضي شوكي الانكنار ..
عكوب الجبل	ـ ابيض وبايض يا عكوب الجبل..
الـــكماة	ـ سمرة بنت العرب ..
البراصـــيا	ـ عالبراصيا عالبراصيا ..
اليقطـــين	ـ هادا للمحشي اليقطين ..
البزاليا	ـ بزاليا جديدة وخضرا ..
الجـــزر	ـ يا حلاوتو دبس بقلبو ..
	ـ خيار الشتي مال القابون يـــــا حلاوتو ..
البصـــل	ـ يا عيار البصل مال الحتيتة ..
	ـ يا مال حزرمة البصل ..
الثـــوم	ـ ببلاش الردي يا توم ..
	ـ بيرودي يا توم كمــواني ياتوم ..
	ـ ولا عازة الجارة يا توم ..
الفجـــل	ـ الفجل فجالة يا الله عليهن ..

الخيـــار

— اصابيع بدرية يا خيار ..
— ما بليتو جاري بلو..طري وجديد هالخيار ..
— ازرق نيلي يا خيار جديد ..
— اصابيع البوبو يا خيار ..
— من كفر سوسة والعين محروسة يا خيار ..
— العتيق مرمر يا خيار ..

السلق

— طري وجديد يا سلق ..

البقلـــة

— كول وبيس البقلة طراوات ..

الزهرة

— تبيلو تبيلو .. تبلو باللبن يـــا زهرة ..

القثـــاء

— على ضو القمر مادة يا قتة ..
— يا قتة باردة .

الخس

— الله الدايم .. يا مال اللوان يـا خس العشرة الكبار ..

الطرخون

— ابن الزنى يا خاين ..

الشوندر المسلوق

— يا سليقة الشوندر ..
— بردان تعا صوبي ..
— يا بردان يالله دوا للسعلة ..
— طاب واستوى هالعسل ..
— استوت العسلية يا وليد ..

الحبوب المطبوخة

— عســـل بشهدو هــــالحبوب هالعسل ..

حورصنين :

— حورصنين يا نفع ..

شراب عرق السوس :

— هلا عبينا وعالنبي صلينا .. تعا دوق هالعسل ..
— كركب روي كركب روي عالطويلة والقصيرة ..

الذرة المسلوقة

— هية بيضــا هالدرة يا وليد تـــازة وريانة ..

قضـــامة

— تطرميزات مكسرة يا قضامة .. قشر رمان يا قضامة ..

مـــلابس

— اواعي عتق للبيع ..

الجبن الابيض

— عكاوي وامراوي هالجبن ياعيار ..

الجبن القشقوان	– مال ازمير يا قشقوان مـــدري بلغارية ..
الحليب	– حليبوهب .. حليبوهب ..
الحليب المطبوخ	– سحلب وحليب سخن ..
الزيتــون	– اسود هالزيتون.. مكلس الزيتون حبلاسي هالزيتون .. كول وزيت من هالزيتــون .. اخضر مفقش هالزيتون .. جلط الزيتــون .. استنبولي الزيتون ..
	– هادا للمونة الزيتون ..
الــزيت	– الزيت بلدي هالزيت ..
خبز رمضان	– بالسمنة والسكر يا معروك ..
	– بالسمنة والحليب يا معروك ..
	– هادا للصايمين يا صايم ..
	– معروك.. معروك.. معروك ..
كعك رمضان	– ياللي الهوا رماك يا ناعم ..
الكعك بالدبس	– يا كريم .. تمـــاري وكعك .. تماري وكعك ..
الحطب للمدافيء	– اوعى الحطب..اوعى الحطب..
المقشـات	– بيتيـــات هالمقشات شـــغل كفرسوسة ..
الترمس	– ترمس .. ترمس .. ترمس ..
الحمص المسلوق	– بليلة .. بليلة .. بندق ..
السكاكر	– حلي سنونك يا ولد ..
البوشار	– عبيها للجيبة بوشار ..
البوظـة	– على باكر يا شباب اكل البوظة على باكر الصيت النا وبطل شاكر ..
مصلح البوابير :	– مصلح بابور الكاز ..

هل يمكن لهذا التراث الشعبي ان يموت ..!! لا والله لن يموت ، ولن تتوقف هذه السيمفونية عن العزف لانها سيمفونية اصـــيلة كاصالة شعبنا وبلدنا .

وسيظل الباعة في دمشق ينادون اكيدنيا يا حلوة ولو صعد الى الفضاء الرائد العربي السوري الاول ..!!

أنبوبة

كنت اول طلعتي .. اهتم بالمظاهر .. يهمني ان نظهر امام النـــاس باكثر مما نحن . اعلق اهمية كبيرة على الاصل واعتز بكـل ما يثبت ماضي العائلة العريق ، واتمسك بشجرة العائلةوبافرادها « الاغوات » السالفين، واتباهى بمراكز رجالها « البكوات » و « الافندية » الحاضرين ..!!

ابي .. دخل الحرب اكثر من مرة . حرب البلقان ، حرب شنق قلعة، حرب السفر برلك ، حرب الثورة العربية الاولى في الحجاز ، عمل كضابط في الجيش التركي في قمم الجبال التركية المغطاة بالثلج والصقيع ، وســـار على قدميه تسعين يوما في الرمال المحرقة في صحراء التيه ..

ولما انتهت الحروب ، وعـــاد ابي موظفا مدنيـــا ظللت اتمسك بفكرة نضاله العسكري والثوري واقول لمن يسألني : ابي كان ضابطا !!

وعمي رحمه الله ، يقولون لي انه كان ايضا ضابطا في اليمن وهــذا امر يدعو للفخر ايضا !!

وابن عمنا دكتور كبير يرفع الراس ...!!

كنت رغم حالة اسرتي المالية المتواضعة جـدا ، اعيش ، كالعرب ، على امجاد الاسرة الماضـــية وعلى التفاخر بالاوقاف التي وقفها الاجـــداد للاحفاد ، وبالماضي المزدهر الغابر الذي كانت تباهي به العمات ، وبنات العمات ، وبنات خالة ابي من عجائز الاسرة امام الشبانوالصغار فيجلسات العائلة وسهراتها . بهذا الماضي كنت اكافح امام الناس الغرباء ، الحاضر الذي لا يحمل الا اطــــلال « شجرة الاسرة » التي تبدأ باسم الآغـــــا الجـد الاول .

وابي الشخصية الظريفة في الاسرة الكبيرة ، والذي يباهي بنفســـه وبابناء عمومته بين مزح وجد ، بانهم « بيت السبع وزر » ، قد خذلني احد الايام انا الطفلة الطالعة نحو المراهقة والشباب بحس مزدوج يختلط فيـــه الالم من الفقر ، بالعنفوان والشعور القوي بالانتماء الى اصل عريق .



الفنان وليد عزت ـ دمشق

كنا في سهرة في بيتنا ، وعندنا ضيوف غرباء من طبقة اعلى من طبقتنا واكثر جاها . كانت زيارتهم لنا مدعاة فخر وسرور . ولا ندري امي واخوتي وانا الا وابي قد هرب من رقابة عيوننا وبدأ يتكلم ويتكلم ويحكي لهم بلهجته اللطيفة واسلوبه الشيق المرح حكاية خاصة جدا عن طفولته التعيسة ، هكذا مرة واحدة وبلا مبرر . وللمرة الاولى اسمع الحكاية مع الناس الغرباء وكانني واحدة منهم والدهشة تلف صمتي .

ونظر كل منا في وجه الآخر بغيظ خفي ، امي واخوتي وانا ، واخذنا نطلق الضحكات المفتعلة امام الضيوف نشجع بها المواقف المضحكة في الحكاية المخزية ، ونحن في داخلنا نفور من شدة الخجل والغضب ، ونفرك ايدينا بعصبية ونغمز ابي تارة ، وننظر في وجهه بلهفة تارة اخرى نستجدي منه التفاتة الى عيوننا القلقة عله يفهم قصدنا ويغير الموضوع . . !! من قال ذلك . . !! والله لم يحس بنا ابدا ، او هو تعمد تجاهلنا . كان يتابع رواية الحكاية والضيوف يخيم عليهم الصمت المريب !!

قال لهم ابي بالحرف الواحد فجاة وبلا مقدمات وبلا مناسبة وبلا مبرر بلهجته العامية الشامية البسيطة :

« كنت صغير عمري شي ست سبع سنين . مات ابي وتجوزت امي . الي خالة كانت تحبنا كتير كانت كل يوم تجي تاخدني من عند امي للكتاب بالبلطجية عند باب الجابية . أي نعم . يوم من الايام هربت من الكتاب ولعبت مع ولاد الحارة بالصقاق طول النهار ووقتن سالتني امي ليش رجعت قلتلها صرفنا الشيخ . ما تاريلك الشيخ بعت ورا امي وسالها ليش ما اجا الولد اليوم على الكتاب !! بعتت امي خبر لخالتي وقالتلا لازم تاخديه لعند الشيخ حتى يطعميه « فلقة » .

اجت على بكرة خالتي اخدتني لعند الشيخ قالتلو هادا كان هربان ولازم تعملو فلقة ولازم تبيتو الليلة هون وتدهن ادانو بالدبس مشان تاكل ادانو الفيران . والمكتب كان متل مدرسة كبيرة وبطرفو في « ولي » . وانا سمعت هالكلام قمت خفت . قلت الليلة بدي بات هون والفيران تاكل اداني؟ يا لطيف !! قعدت طول النهار فكر بالهربية . اجا لبالي بال . قلت لحالي يا ولد قول للشيخ بدك تطلع لبرة . اجيت للشيخ قلتلو بدي روح عالدستور قال طيب : تعا يا ولد تعا يا محمد تعا يا احمد ، تنين قدي بمرتين بعتهن حراس معي . قمت انا استحقيتها قلت بدو يبيتني صحيح . الخلاصة طلعت من الكتاب ووراي تنين طوال من ولاد الكتاب . قعدت قدام الحيط ترفصت مشان طير مي وقفوا واحد من هون وواحد من هون . انا عم فكر شلون

بدي اهرب منهن اجا لبالي بال اكمش كمشتين طراب ، بايدي هي كمشة وبايدي هي كمشة من قدام الحيط . ونزيت بعجلة ضربت بهادا بوشو الطرابات وبهادا بوشو الطرابات وانعمت عيونهن وما عادوا يشوفوني ؛ ويا ايدكم هربت . فكرت ان رحت عالبيت قدامي قتلة وبدي ارجع عالكتاب وكمان بدي بات بالكتاب وتاكل اداني الفيران . شو بدي اعمل فكرت في الي اخ بدوما باش شاويش رديف . قاللي عقلي هروب لعندو يا ولد . شممت الخيط ودكيت صرمايتي وقلت يا ايدكم على طريق دوما .

وانا ماشي بهالطريق صح لي طنبرجي ولك وين رايح يا ولد !؟ قلتلو على دوما . قال انا من دوما . قلتلو رايح لعند اخي وكلهن بيعرفوا اخي باش شاويش ، قال لكان طلاع معي لوصلك . ركبت معو بالطنبر حتى وصلنا لدوما . وصلنا لدوما دوغري لبيت اخي دقيت الباب دقيت دقيت ما حدا رد ما شوف الا الجارة طلعت قال شو بتريد يا ولد قلتلها بيت اخي هون ، قال اخوك نزل عالشام مو هون عشية بيجي . دشرت وصرت دور بسوق دوما وانا ميت من جوعي ولد جوعان وصارت الدنية بعد الضهر اي لوين بدي روح بدي اشحد عيب ما بصير صرت دور بصقاقات دوما . لقيت باب مفتوح وواحدة مرا قاعدة ورا التنور مثل « الفداوي » قاعدة عم ترق هالخبز بهالتنور وريحتو طالعة تازة . لك شو بدى قلها شحديني عيب !! مشيت لقدام شوية رديت من جوعي وريحة الخبز رجعت . رجعت وقفت علباب وانا مخجول شلون بدي قلها شحديني بعدين من جوعي يعني بكل خضوع قلتلها خالتي يا خالتي عطيني شقفة خبزة . ما تاريلك هالملعونة واحدة زعرة دوما ونزت حملت محراك التنور ولحقتني يا ملعون يا كافر هربان من البلد وجاية تشحد عنا لحقتني تقتلني قمت انا ركدت لآخر الصقاق ما حصلتني . ورجعت وهي عم تسبني وتبهدلني . انا من جوعي وريحة الخبز وقفت متل القطاط من بعيد عما اتناوق على هداك الباب واذ ما شفت الا هالمرا طلعت وفاتت لتاني بيت مشتيتها . انا شفتها اغتنمت الفرصة وركدت متل الطير ودوغري علـى بيت التنور . تطلعت لقيت دستة خبز وعكمت عشر خمستاعشر رغيف وحطيتهن تحت باطي واجيت بدي اطلع قمت سمعت زقزقة باب تاريها طلعت من هداك البيت وجاي على بيتها. انا من خوفي ما عدت اقدر اطلع خفت تكمشني . ما دوبي الا اهرب للمربع ياللي بصدر البيت اي وين بدي روح ! تطلعت لقيت بالمربع كندوش ومشتيتو كتبية . كندوش كبير خشب قريب للسقف تبع قمح . تعربشت علكتبية وفتحت باب الكندوش من فوق ولقيت فيه قيمة نصو قمح لحشت حالي فوقو وكنيت . هديك فاتت لقت الخبزات ناقصين عشر خمستاعشر رغيف: والله لالعن ابوه والله لادبحو . صارت تسب وتبهدل وحملت محراك التنور

وطبقت الباب تغلتو ولحقتني بصقاق دوما فكرهـا انها تكمشني وتضربني تكسرني وهي عم تسب وتبهدل وتقول سرق الخبزات هالحرامي . انا كنيت وسط الكندوش سمعان لاكن مالي غضران اتنفس .

انا ما عدت سالت عن عياطها من جوعي بديت آكل خبز . هي فاتت علبيت : والله ما شوفو لادبحو !! النتيجة خلصت الخبز وطبقت الباب وفاتت علمربع بس مو فهمانة انو انا وسط الكندوش . في بخش صغير بالكندوش انا عم اتناوق عليها منو . شلحت ولبست روب مبقع احمر ومعطتوشها بالحمرة وتغندرت وتكحلت وانصمدت على هالطراحة .صارت الدنية العشي وانا قاعد وكانن وهديك قعدة .

واذ الباب يطرق ، فزت فتحت الباب وصارت تاهل وتسهل .. اهلين وسهلين .. اهلين وسهلين .. وصل للمربع ، طول سجرة وشوارب تخان اعوذ بالله بخوف ، قلت هادا جوزا الظاهر . ما شوف الا طالع من جيبة شروالو تنينة عرق من هون وتنينة من هون. طالعهن وحطهن بالارض فزت وضبت صفرة وحطت مخلل وزيتون وقضامة وبزر ، صفرة مازة ، بدو يسكر الزلمة . قعد يشرب وضلوا قاعدين بيطلع ساعتين وهنه عما يتغمو على بعضهن وهوة عما يسكر قام دق الباب .فزت بجمزة قالتلو اجا جوزي. هداك التاش : وين بدي روح ؟ قالتلو مالك الا تطلع على هالكتبية وتنزل بهالكندوش . انا لما سمعت تخرطت المصارين تبعي ورحت قعدت بقرنة الكندوش متل حكاية اذا كنت قطة والخبزات تحتباطي عابطهنما دشرتهن، هداك طلع تعربش على الكتبية وبووو ... نزلك على هالكندوش . هداك لمن شافني ما بقي يعرف هوه انا عفريت جني مينو انا شو جابني للكندوش ! والرخر استلم قرنة من الكندوش وقعد يطلع فيي وانا عما طلع فيه نحنا التنين خايفين من بعضنا وخايفين نحكي .

هديك لملمت الغراض قوام ولملمت الصفرة ولبست اواعي البيت وراحت فتحت الباب . هداك قاللها ولك ليش لهالق لفتحتي ! قالتلو كنت نايمة عالطوطاية عم بستناك نعست نمت .

الخلاصة هداك الرخر قعد طالع تنينة من جيبتو وقعد يشرب التاني حطتلو صفرة بس هديك وشها مقلوب خايفة ، ونحنا بالكندوش مخرطة مصارينا لانو جوزها مصلح ومعو بارودة وعلى جنبو فرد وخنجر الرخر شقي الضيعة ملعون .

الخلاصة وهوة عم يشرب ما بعرف انا صدف معي شرقتوبدي اسعل .. هه .. اعمل هيك اني اغضر ضبط حالي عبث . سعلت . انا سعلت

من هون وهداك فز على حيلو وقاللها ولك مين في هون ؟ هديك ما غضرت تعطي جواب . . هادا طويل حط ايدو براس الكندوش وسحبو وقلبو على الارض وانو ينزل القمح كلو . انا صار القمح عند رقبتي . هداك فز على حيلو قاللو ولك شو عم تعمل هون يا ترس ! آه يا بنت الكلب . وقاللوا امشي قدامي لشوف . قفل المربع وقفل باب الصقاقواخدو وراح ما منعرف لوين . غاب بيطلع ربع ساعة ورجع فتح وفات قاللها يا بنت الكلب لكان بغيبتي عم تدبري زبونات مو هيك ! اجا لعندي سحب الخنجر قاللي يا بتحكيلي شو جابك وشو جاب هالزلمة لهون ومنين اجيتو انتو التنين يا اما بدبحك وسحب الخنجر علي وبيطلع طول الخنجر نص ضراع اعوذ بالله . انا من خوفي ومن شوفتي للزلمة وكنت لما اسمع بالسكران بنص الطريق وانا ببيتنا نايم بالفرشة كنت خبي وشي . وانا من رعبتي صرت ولول بالمقلوب وانا عم اصرخ بالمقلوب والسكران وبايدو الخنجر فوق راسي ، ما شوف الا امي عم تقوللي باسم الله حولك وحواليك يا ابني . تاري كل هالشغلة صارت معي بالمنام . فزيت لقيت حالي بالفرشة » .

وانفجر الضيوف بالضحك للمفاجاة اللطيفة ، وضحكنا وتنفسنا الصعداء . لقد كانت النهاية تبرئة لماضي ابي . ويضيف ابي بعد ان يستيقظ من ضحكاته التي تصل به الى حد الاغماء لانه ورط الناس بحكاية لا أصل لها مدة ساعة من الزمان :

يقول ابي :

ــ هذه الحكاية حفظتها وانا طفل صغير في العاشرة من عمري عن الحكواتي الشهير الظريف « ابو علي انبوبة » وكان يروي حكاياته المضحكة في قهوة « مصلبة العمارة » من سبعين سنة ، وكان في الاربعين من عمره .

قصصه كلها كذب في كذب ، وكلها عن ظهر قلبه ، يدخل من قصة ويخرج من قصة .

وابو علي الحكواتي رجل مضحك بدرجة متناهية . قصير من الرجال وله نقن . وعندما يصعد الى تخته العالي في « القهوة » ويلتم حوله الناس بعد العشاء ، كان يبدأ حكاياته المضحكة وينط ويحرك يديه ، و« المصاطب » في « القهوة » مشكوكة بالناس شك على الداير الداير . واللي واقفين اكثر من القاعدين على الكراسي القش « الواطية » المصفوفة . ولا ابالغ اذا قلت انو اكثر من ميتين شخص كانوا يسمعوا الحكواتي كل ليلة على ضو الكازات « نمرو ٤ » .

كان ابي يحكي حكاياته اللطيفة ويغرق في ضحكة حقيقية تصل به حتى درجة الدموع والشهيق ، ولا اشك بانها لا تنفصل عن ضحكته الاولى لدى سماعه الحكاية الطريفة الاولى عن الحكواتي انبوبة لاول مرة في حياته .

كم يحب الانسان الماضي ويحن اليه فيشده معه اينما سار على ارضية الزمن فيلفي بتمسكه بالذكرى ، حقيقة مرة كبيرة اسمها « الشيخوخة » .

يقول ابي :

ــ اضحكوا .. فرحوا قلوبكم يا اولادي بالضحك فهو سر العمر الطويل الرضي . لا تكربوا حالكم بالهم .. فالهم كالدرج العالي منشار العمر ..

● ● ●

يرحم أهل أول

منذ عشرين سنة ...

كان المطر يهطل فوق دمشق بغزارة والمزاريب تبلل ثياب المارة وتهدر في الحارات « نازلة » من جدران البيوت وسطوحها بلا وعي .

لتنزل المطر . لا فائدة السهرة عندنا ولن يتخلف احد . ابي قد اشترى كل شيء ، الكنافة والقشدة والقطايف من « باب الجابية » ، والفواكه والموالح من سوق « العتيق » وسوق « علي باشا »، وامي مشغولة باعداد صينية الكنافة « المدلوقة » بالقشدة ، تفرك خصل الكنافة بالسمن الحموي على النار ، وابي يؤدي وظيفته بصف القطايف « العصافيري » في جاط كبير ودهنها بالقشطة « الايمع عرب » ، وتعليقاته المرحة لا تكاد تنتهي وتصل بامي حتى الضجر الحقيقي ، وطوال فترة التحضير لم تنزل من فمه عبارات الادعاء بالشطارة والمهارة والتفوق على امي : انا حضرت كل شيء .. لم يبق عليك الا ان تغلي « القطر » للعصافيري !!

على المدفاة « الحطب » كانت تحمر صينية الكنافة البصمة وتشوى عند باب المدفاة وعلى « الصفوة » الساخنة حبات الكستناء وعلى طرف « المنقل » النحاسي وبين الجمر الاحمر والرماد الحار تستكين « ركوة » القهوة ، وعند طرف الغرفة وعلى « الكتبية » تصطف بعناية صحون البرتقال واليوسف افندي والبزر والقضامة واللوز والبندق وفستق العبيد والفستق الحلبي والزبيب والجوز والتين اليابس .

ليست وليمة كما يبدو .. انها مآكل خفيفة لتسلية السهرة والساهرين في ليلة « جمعة » ممطرة باردة طويلة من شتاء الشام . ونحن الاطفال في سرور غامض ، نخدم تحت ايدي امنا وابينا بلا ملل ولا كسل ، فالسهرة الليلة عندنا وسوف نلعب حتى نشبع مع رفاقنا ورفيقاتنا من بنات واولاد عماتنا واعمامنا القادمين مع اهلهم حتما . لا طفل يبقى في البيت حتى الرضيع يحضر السهرة .

منذ عشرين سنة اخترق أبي التقاليد ، وعود العائلة كلها بمرحه ومنطقه العملي في الحياة وذهنه المتفتح ، ان تكون اللقاءات والسهرات



الفنان خالد معاذ ـ دمشق

والزيارات والسيارين في الغوطة وفي بساتين دمر وعلى ضفاف بردى . لقاءات مختلطة ، النساء مع الرجال مع الاطفال . وممنوع بامر ابي جلسة النساء وحدهن والرجال وحدهم بين الاقرباء . « الاستقبال » استقبال النسوان الشهري ممنوع بين النساء و « المقهى » ممنوع بين الرجال . وكل منهم كان يقتنع ويطيع وينفذ ويسمح لزوجته ان تظهر سافرة في السهرة . اما في الطريق فلا بد ان « ترخي » على وجهها المنديل الاسود طاقين .

ومع انني كنت صغيرة .. لا زلت اذكر بالتفاصيل الصغيرة مصيف العائلة في « دمر » كل سنة واكثر من اربعين خمسين « نفس » يستاجرون بيوت الفلاحين في دمر ويقضون الصيفية بين حور وصفصاف نهر بردى يمرحون بين البساتين المثمرة بالرمان والجوز وتختلط اصوات ضحكاتهم السعيدة برائحة شوي اللحم وقلي « الزنكل » وطبخ الرز بالفول ودق الكبة النية وصنع السلطة والتبولة ونغم العود وقرقعة زهر الطاولة وكركبة الاركيلة وصياح الاولاد وهم يسبحون في مياه بردى وضحكات النسوة وشماتة الصبايا بالمغلوبين في لعبة « البرجيس » على البسط المفروشة على الارض الترابية الرطبة التي يتراكض فيها النمل ، وتتسلق اشجارها مرة حرباية ومرة حردون ومرة قطة . ووسط هذا الجو اللطيف يكاد طفل جميل اشقر ازرق العينين ان يغرق ولا ينقذه الا صراخ ابن خاله الجميل الصغير الاشقر الذي ولد معه في سنة واحدة ، ويحملونه من النهر ، ثم يتغير الموقف المرعب الذي هز الاسرة ، ولا بد ان ياكل الطفل « قتلة » قوية بسبب عصيان الاوامر والسباحة في مكان « غميق » من النهر . وتعود النسوة والرجال الى دق طاولة جديد على « شرط » جديد ، وبكاء الطفل شبه الغريق ما يزال يتعالى ، وطفلة جميلة في مثل عمره بيضاء بشعر خرنوبي وعينين بنيتين تضحك قرب الشجرة شماتة بابن ابن عمتها ، فلماذا لم ياخذوها معهم لتسبح في نهر بردى !؟ ولماذا لايسمح بالسباحة الا للصبيان فقط !! ويزداد بكاء الطفل !! وتصرخ امه :

« والله اذا بدك تضل عم تبكي لحتى قوم كسرك !! »

ويرمي ابوه الظريف المرح الزهر بكل هدوء ويقول لزوجته «برطابة»:

— طولي بالك يا مرا .. ولد صغير .. شو جبنا .. دوشيش ..!!

ويركض طفل عفريت نحو اهله هربا من البستاني ابو احمد الذي يلحقه ويحاول الامساك به ليضربه بقضيب رمان لانه يسرق « القرعون » ويخبص « بالفصة » ويضرب الخاروف بالحجار ، ويركب حمار البستاني بلا اذن ويصعد به نحو سكة قطار الزبداني ...!!

ومجموعة من الصبيان يقفزون فوق السياج وينطون فوق « الدك » بشكل سري لركوب مراجيح قهوة « قصر شمعايا » بلا مقابل .

وشاب يلحق بصبية يخيفها بحية يكمشها من راسها بعد ان وجدها في جبل « دمر » تكاد خواصره تطق من الضحك عليها وهي تهرب مذعورة كالفــأر . .

وتصل « عربايات » جديدة للبستان تحمل زوارا من الاهل معزومين على « الرز بالفول » والسلطة باللبن والكبة النية ، من الشام ، لتنــاول الغداء في دمر عند عائلتنا الكبيرة . وام تحلف من بعيد على ابنتها الصغيرة الف يمين والف عظيم اذا بتحاكي الصبيان حتى تساويها « شقفتين » !! وبعض الصبايا « يخوضن » بالنهر ويغسلن ارجلهن البضة الجميلة بالمياه الباردة العذبة ، وتصرخ احدى الفتيات :

« راحت البطيخة . . راحت البطيخــة . . . الحقوهــا يااولاد . . لاقولها يا اولاد . . . »

ويكاد البطيخ الاحمر والعنب البلدي ان يتثلج في مياه النهر انتظارا واستعدادا للغداء ، ويسترق شاب نظرة الى حبيبة قلبه ويخفي حبــه بالضلوع خوفا من امها وابيها . وانا هل كنت العب . . ام انتظر الطعام . . ام اسجل هذه اللوحات الرائعة للمستقبل . . لست ادري . . !!

ورغم صغري . . ما زلت اذكر سهرة من السهرات الشتوية اللطيفة التي لن تتكرر ، وتبتل عيني بالدمع اسفا عليها وعلى ما مضى من ايام الخير والبساطة والفرح والطمانينة .

دق باب بيتنا . . ونحن في الطابق الثاني . وركضت تحت المطر الى « المشرقة » وامسكت بطرف الحبل المربوط « بدرابزين » المشرقة وشددته ففتح الباب ودخل الضيوف الى الديار المبلولة ، واستقبلتهم من فوق عبارات الترحيب من امي : يو ميت اهلا وميت سهلا ميت اهلا وميت سهلا، اتفضلوا اطلعوا لفوق .

وصف الضيوف « الشماسي » في « الليوان » الصيفي الذي نستعمله في الشتاء لصف « الحطب » ، وصعدوا الدرج الحجري المكشوف الينــا والكلمات تتناثر بينهم وبين امي وابي « على هالليلة شو مطرة يخزي العين » على طول الطريق بين الديار والدرج والمشرقة والداور . خلعوا احذيتهم في «الداور» لانها كانت ملوثة بالطين ودخلوا على السجادة بجواربهم . ولست

ادري الآن كيف كانت « الفرنكة » تلك الغرفة المتواضعة في بيتنا تستوعب هؤلاء الساهرين كلهم !!

وبدات السهرة ، بعد تبادل قبل المجاملة بين النساء وعبارات الاطمئنان عن الصحة والاحوال ، بلعبة « البرجيس » على ارض السجادة والكل فريقان ، احدهما ضد الآخر . كل فريق « يزرك » للفريق العدو بعبارات الشماتة وتثبيط الهمة والشعور بالتفوق . ويتعالى الصراخ عندما ترمي احداهن « الودع » فتأتي « بدست » و « دستين وثلاثة » وعندما تستعد لترمي الدست الرابع تبدأ المشاغبات من الفريق الآخر بكلمة : « دودو . . . دودو . . . دودو . . . » ولكنها تأتي « ببنج » وفريقها يكاد ينط من الفرح ، بينما يسقط الفريق الخاسر في هوة اليأس .

وقد يكون الشرط « سهرة » او « سيران » ولا بد من تنفيذ الشرط . ثم يقترحون لعبة « السلطة » وهي لعبة عائلية مرحة . ويأخذ كل منهم اسما : انا البندورة . وانا البقدونس ، وانا الزيت . وانا البصل . وانا الثوم . وانا النعنع . وانا الليمون . وانا الملح . وانا الخيار . وانا الخس .

وتبدا اللعبة يبداها احدهم : نريد ان نصنع سلطة لكن بندورة « في » زيت « مافي » . وبسرعة يرد الزيت : زيت « في » ملح « مافي » . ويرد الملح : ملح « في » ليمون « مافي » وينسى « الليمون » نفسه ، ويخرج « الليمون » من اللعبة ويقدم للمشرف على اللعبة قطعة تخصه ساعة او خاتما او علبة دخان او سوارا او فردة حلق . ويتحول الرابح الاخير في اللعبة الذي لا ينسى اسمه الى حاكم يأمر فيطاع . ويسأله حامل اشياء الساهرين وهو يمسك بقطعة من القطع بيده في الخفاء تحت منديل : بماذا تأمر صاحب هذا « الفرض » ؟ ويأمره ان يتحول الى « مكتبة » فورا . ويضج الساهرون بالضحك . وعلى يديه وركبتيه يمشي المحكوم حتى منتصف الغرفة ، ويتقدم منه اثنان من « السهيرة » المرحين ويبدا كل منهما بمحاسبة الآخر على ظهر المكتبة ، ظهر الرجل الذي تحول الى مكتب . وينفتح بينهما حساب تجاري عقيم ، ويرتفع الجدال الى شجار ويحتدم الخلاف ويخبط احدهما بشدة على المكتب محتجا ، فيثور الآخر ويجيبه بضربات أشد ، والمكتب المسكين يتحمل هذا الحساب بصبر نافد مضحك .

ولن انسى كيف تحولت احداهن الى علاقة ملابس واحذية ، وكيف حكت ثانية حكاية مضحكة ، وآخر كان عليه ان يرقص ، وثالثة عليها ان تغني ولو كان صوتها بشعا . ويصيح احدهم « متمألسا » عليها :

« يا عيني صوتها مذكور بالقرآن » . ورابع عليه ان يؤذن كالديك ، وخامس عليه ان يقلد الدجاجة ويبيض عشرين بيضة . . كاك كاك كاك !!

وتستوي الكنافة والدجاجة ما زالت تبيض وتبعث الدموع الى العيون من شدة الضحك ، وتمد سفرة « الضيافة » وتمتد السهرة وتأخذ لعبة « جمل ماشي علمماشي اجيت لكشو خطف شاشي » دورها بين الصبايا والشبان . ويلعب الرجال دق طاولة زهر ، ثم تمسك احدى النساء « العود » وترفع عجوز « الدبكة » الى حضنها وترتدي صبية « الفقيشات » باصابعها وتهتز النفوس طربا على « رقصة ستي » والتصفيق الايقاعي يزيد من حلاوة الرقصة . وينتهي الرقص وتغني صبية كالبلبل اغنية « يا مال الشام » فيسيل الطرب في العروق كالشهد وتلمع عيون الشبان وتحمر على الصبية ..

وتحلو السهرة ويحلو السمر ... والمطرة نازلة بشدة واحدى العجائز تقول والمسبحة في يدها :

— الله يبعت الخير .

— الله يعيننا عالرجعة يا عمتي ...

ويابى احد الشبان الخبثاء الا ان يفتح سيرة « القائمة » متسائلا عن آخر الاخبار ؟!

وللعائلة الكبيرة « قائمة » تصف فيها اسماء الاكبر سنا فالاصغر . والاكبر هو الاقرب والمرشح عن جدارة للرحيل « للباب الصغير » !! يعني للآخرة !!

ولكن الاخبار الاخيرة تؤكد ان تعديلا جذريا يجب ان يجري على القائمة . فالمسن العجوز الاطرش « ابو خليل » المشهور بنزول جواربه على « الصباط » ، لا زال حيا يرزق رغم التسعين وقد سبقه لباب الصغير ابو عبدو مع انه في سن اولاده .

وهنا يقفز « ابو رفيق » الشايب ويرجوهم بحرارة يختلط فيها المزح بالجد ان يطمنوه عن دوره في القائمة . ويتلاعب الشبان « بالنتيجة » ، وتبدو على وجه « ابو رفيق » علامات الخوف والذعر ويقهقه الشبان وتنثني الصبايا من « كتر » الضحك . فابو رفيق رجل يخاف الموت ويتمسك بالحياة كتمسكه بوليمة عامرة بالماكل الشامية الشهية .

وفي كل سهرة يزورون بدوره في القائمة ليرصدوا حركات وجهه ومخاوفه من « الموت » .

ويضحك الكبار : ابو عدنان وام عدنان وابو صلاح وام انور وام فؤاد وابو محمود وابو حسن وام حسن ... ولكن ابو رفيق لا يضحك !!

وبدق الباب .. في الليل وتحت المطر .. « شحادة » تطلب حسنة ، وينزل احدهم ويعطيها ما فيه النصيب ويغلق الباب ، ويعود بسرعة الى السهرة الدافئة . ويدق الباب ثانية .. وتعود الشحادة تطلب حسنة لاطفالها الايتام ، ويعودون لاعطائها من طعام السهرة ، ولكنها للمرة الثالثة تدق « سقاطة » الباب بشدة وبعنف والحاح . وهنا تحدث مشادة بين الشحادة اللحوح المحجبة بالاسود وبين احد اولاد عمتي الذي نزل اكثر من مرة تحت المطر من اجلها ، .. واصحاب البيت وضيوف البيت ينتظرون ، ثم تحدث المفاجاة .. وترفع الشحادة عن وجهها الحجاب البالي الاسود وتدفع الباب وتدخل متهقهة ضاحكة وسط دهشة الجميع . لقد كانت فطمة ابنة ابنة خالة ابي .. انها دائما الصبية الذكية الحلوة المرحة باساليبها المبتكرة في كل سهرة ، ويلتهب الضحك .. ودخان مدفاة السهرة يعبيء المشرقة وينطلق من بوري « الصوبا » ناشرا رائحة حطب مبلول يشتعل ، وتمتد السهرة الناجحة تتحدى مزاريب المطر ، والعتمة الموحشة في حارات الشام الضيقة على طريق العودة واقدام الصغار النيام تنجر على الارض الحجرية الموحلة جرا .

وكثيرا ما يتوسط الحلقة في سهراتنا احد الكبار المتقدمين في السن والقدر ويمسك بيده « المعرقة » ويعلن رغبته بفتح باب الامثال . وكل من تخونه الذاكرة ويتاخر بذكر مثل من الامثال الشعبية الشامية سياكل ضربة قوية بالمعرقة التي لا ترحم .

وببدا عادة كما يلي :

يقول : مثل ساير

يجيبه آخر : ما متلك ..؟

يقول : بيضة اليوم ولا جاجة بكرا .

يبدا بنفسه ثم ينتقل الدور الى افراد الحلقة في السهرة ، كل يلقي بمثله بسرعة تحميه من عقاب المعرقة . وكنت الاحظ ان الامثال الشامية الدقيقة التي تخص حياة المراة والحياة الاجتماعية كانت من اختصاص الجدات ، وان حفظها وروايتها في مكانها المناسب في الحديث فن تتقنه المراة الشامية اتقانا معجزا .

وبين نساء السهرة تبدا ام انور بمثل يعتبر من احلى وادق الامثال الشامية العامية :

● رايحين جايين مفاتيح القاعة ضايعين .

- هين فلوسك ولا تهين نفوسك .
- قال ياماآمنة بالرجال مثل المية بالغربال .
- لو شاف الجمل حدبتو لوقع انقصفت رقبتو .
- على خشتو راقع بشتو زبال وشاكل وردة .
- عرج الجمل من شفتو .
- كوم حجار ولا هالجار .
- قاللو شو فوتك لبيت عدوك ؟ قاللو محبي جواتو .
- يا افتحو وافتخر يا اطبقو وانستر .
- بيت كبير وحيطانو حمر وجوانو شي بيقصف العمر .
- سكر بابك وآمن جارك .
- عينو بالطبق وادنو لمين زعق .
- الحبل دلال والطلق غية والتربابة يا بلوة البلية .
- قرعة بمشطين وعمية بمكحلتين .
- خليه بالقلب بجرح ولا يطلع لبره ويفضح .
- طرشة علباب تتسمع .
- يا مستعجل وقف لقلك .
- ساعة الك وساعة لربك .
- اذا بدك تحيرو خيرو .
- اذا بدك تحرمو اسألو .
- قرعة تحفف مجنونة .
- شجرة بداري بتحل الي والا لجاري .
- الدبانة مو نسه بتغلط منافس .
- لا تركب حمارة وصاحبها بالحارة .
- ان شفت الاعمى طبو مالك اكرم من ربو .
- حامل السلم بالعرض .
- اجا للعميان صبي قلعو عيونو باللحمة .
- من بعد الام حفير وطم .
- راح المبتلي لعند المبتلي يطلب دوا للعافية .
- بدعي على ولدي وببغض اللي بقول آمين .
- كل طلقة براحة .
- القلة بتحمل الآغا سلة .
- حيل مفلس على مفلس ترى العجب .
- الحي مطموع فيه .
- قاللو يا فرعون مين فرعنك ؟ قاللوا ما في حدا يردني .



الفنان لؤي كيالي ـ حلب

- ما بعد الصبر الا المجرفة والقبر .
- طلعت الحشيشة على راس لساني .
- القمح اللي مو الك لا تحضر كيلو بتتغبر دقنك وبتتعب بشيلو .
- متل سيران الكلاب غيرة وقلة واجب .
- كل قمحة مسوسة الها كيال اعور .
- الف قولة جبان ولا قولة الله يرحمو .
- رضينا بالبين والبين ما رضي فينا .
- تاللهن الكلب الف قولة هشت ولا قولة ناولو .
- مين خلف ما مات .
- انت امير وانا امير ومين بدو يسوق الحمير .
- لاتبلي ولا تطعميني .
- طبعك ردي غالب ودنب الكلب اعوج لو حطينو بميت قالب .
- اللي بينشرى ما بينشهى .
- هاللي بدك تخدمو طيعو وهاللي بدك ترهنو بيعو .
- وردة بتخلف شوكة .
- الموت مع الناس رحمة .
- الضحك من غير سبب من قلة الادب .
- الحية اذا جاعت بتعض بطنها .
- الكلام بينداق متل الطعام .
- اللي بيدق الباب بيسمع الجواب .
- البطن ما بيحمل منيتين .
- قلبن حب ما بغض .
- كون ديب ما بتاكلك الدياب .
- البدوي أخد تارو بعد اربعين سنة .
- اذا احتجت للكلب قوللو ياحاج كلب .
- قبل ما تقلها كش اضربها كسر رجلها .
- ما بين السابق والمسبوق دقة خازوق .
- الايد اللي ما بتقدر عليها بوسها وادعي عليها بالكسر .
- يا شاري الهم من قلب صاحبو .
- اللي عندو فلفل بيرش عالمخلوطة .
- الله بيطعم الحلاوة للي مالو سنان .
- لسان ابن آدم شختة .
- يا لساني شلون ما درتك بتندار .
- منمشي الحيط الحيط ومنقول يا ربي السترة .

- الخنفسة شافت بنتها عالحيط قالتلها تقبريني مثل اللولية بالخيط .
- مثل الخنفسة بالطاسة .
- مثل حمام ومقطوعة ميتو .
- ضايعة الطاسة .
- ما بيسلم الكرم من الناطور .
- متل اللي جاب الدب لكرمو .
- القرد بعين صاحبو غزال .
- اذا كثرت اشغالو قل ما بين يديه .
- يا رايح كتر ملايح .
- طالع عالسلم بقبقاب .
- خدوا فالكن من اطفالكن .
- اصابيعك بايديك مو كلا سوا .
- حط اصبعتك بعينك متل ما بتوجعك بتوجع غيرك .
- فخار يكسر بعضو .
- من تحت الدلف لتحت المزراب .
- مشتراة العبد ولا تربايتو .
- صام صام وفطر على بصلة .
- ادن من طين وادن من عجين ..
- ضروب هالطينة بالحيط اذا ما لزقت بتعلم .
- مندق المي وهية مي .
- عميل منيح وارميه بالبحر اذا ما بين مع العبد ببين مع الله .
- بير مالو قرار .
- متل مقشة الشباطية كل قشة ببلوعة .
- حرد الدب عن الكرم زاد العنب قنطار .
- اللي ما بتزينو عروقو ما بتزينو خروقو .
- لبس المكنسة بتطلع ست النسي .
- ايدين دكك رجلين سكك .
- اللي بشوفني بعين بشوفو بعينتين .
- اربط الحمار مطرح ما بقلك صاحبو .
- مصرية الخاناتي بتضوع الحمار .
- عطي الخباز خبزو ولو سرق نصو .
- لا تاخد هاللبانة الا من هالحنك الاعوج .
- لا تاخد صاحب الا بعد قتلة .

- اكبر منك بيوم اعرف منك بسنة .
- من زبيبة بيخمر .
- قاللو يا شعبان ليش ما بتجي برمضان ؟ قاللو كل شي مطرحو منيح .
- مو كل مين قال بكرة العيد دفعولو .
- لابق للشوحة مرجوحة ولابو بريص تبقاب .
- الحجر مطرحو قنطار .
- اول الرقص حنجلة .
- متل اللي عم بيغني بالطاحون .
- شيخ اذا تصبين وصبي اذا تمشيخ وعاشق ومفلس .
- متل العرباية على البلاط .
- النار ما بتحرق الا ايد كاويها .
- عقلك مو معك تنين بديروه .
- شاور اكبر منك واصغر منك وارجاع لشور عقلك .
- فوتة الحمام مو متل طلوعو .
- متل فوطة الحمام من ايد لايد .
- الضرف العايب نافخو تعبان .
- خلي العسل بكوارو لتجي اسعارو .
- اللي بيخفف راسو بتتعب رجليه .
- اللي بيطلع لفوق بيتعب .
- متل الحبلاس كلما كبرت عم تحلى .
- صبي حمام ايد من ورا وايد من قدام .
- بصلتو محروقة .
- الكلام اللي ما بينفد يا حسرة قايلو .
- متل الحبر على ورق .
- قتاية عوجة ان جلستا بتنكسر .
- اولادن لكو اعدائن لكو .
- الحكي الك يا كنة لتسمعي يا جارة .
- لا تكتر على امك وابوك بيكرهوك .
- كتر الدلال بيهرب العاشق .
- متل الحرباية بالوش مراية وبالقفا صرماية .
- متل الاطرش بالزفة .
- متل ياللي عم برقص بالعتمة .
- تعا علي وخلصني ولا تجي معي وتشربكني .

- قالو للكلاب ليش وانتو راكدين ما بتفنو موالات قالولهن يالله نلحق اللهيت .
- اللي بينزل من السما بتستلقيه الارض .
- ما بيعجبو العجب ولا الصيام برجب .
- قاللو يا خياط يا رئيس قبل ما تفصل قيس وقبل ما تقع بالشبك يا مصعب التخليص .
- خبط بغير هالمسلة .
- فقير ونقير واغنجي يامرا عالحصير .
- على قد لحافك مد رجليك .
- قالوا لكتار الغلبة نص الدنيا الك قاللهن : النص التاني لمين ؟.
- اضروب الحديد وهوة حامي .
- متل اكابر الديماس كبار بعين حالهن صغار بعين الناس .
- حبل الكذب قصير .
- بالحركة بركة .
- حامل السلم بالعرض .
- قاللو بعيد عن الشر وغني لو . . قاللو لا بيغنيلي ولا بغنيلو .
- البرغوت قال للبقة يضرب الشرشوح اذا ترقى .
- كل مين مخطتو على تمو حلوة .
- عيوبنا لا نراها وعيوب الناس نركد وراها .
- حرامي مالك ايدك بجيبتي ليش !؟
- لا تقول اترع بالبيت طاسة .
- لو كنتي شمس ما بتطلعي عالقصارين .
- لا بنام بين القبور ولا بشوف منامات وحشة .
- قدها قد الفارة وصوتها ملات الحارة .
- فوق ابوك خود جدك ربيه .
- لا تعلم شحاد على باب دارك .
- ما بيحك جلدك متل ضفرك .
- ساقية جارية ولا نهر مقطوع .
- العاب بالمقصوص بين ما يجي الطيار .
- الحجر اللي ما بيعجبك بفجك .
- المونة بدها ركونة ما بدها مرا مجنونة .
- ست وجاريتين على قلي بيضتين .
- ست واربع جوار على سلطة بخيار .
- الرجل ما بتدب غير مطرح ما بتحب .

- الحب مطب و العاشق اعمى .
- لا تقول عنب ليصير بالسلة .
- الجواب بمحلو متل الدهب بمغلو .
- قدرة ولقت غطاها .
- طب الطنجرة على تما بتطلع البنت لاما .
- شو ما طبخت العمشا جوزها بيتعشى .
- قاللها يا مرا طبخي طيب قالتلو يا رجال كتر ادام .
- عم تتباها بضفاير بنت خالتها .
- يا لبنية بلا كبب يا عداوة بلا سبب .
- ما بقرقع بالدست الا اوشم العضام .
- عم بيخبص بالقصة .
- كل ممنوع مرغوب .
- يا داخل بين البصلة وقشرتها ما بينوبك الا ريحتها .
- كل مين بجر النار لقرصو .
- الآخرة يا فاخرة .
- كل عنزة معلقة من كرعوبا .
- بين النور ما في تكليف .
- الرابح بايدو و الجاية بايد الناس .
- لا تقول للاعور اعور بعينو .
- قطع الاعناق ولا قطع الارزاق .
- عيش يا كديش لينبت الحشيش .
- الغايب حجتو معو .
- الغايب مالو نايب .
- اقتلوني وزهير .
- قالوا للبغل مين ابوك ؟ . . قاللهن الحصان خالي .
- جدي بدو يلعب بعقل تيس .
- متل الخنزير المقوص .
- لو رحنا لبين القبور بيلحقنا الداقور .
- تاجرنا بالكفان بطل حدا يموت .
- لا تقللي ولا بقولك الدهر محيرني ومحيرك .
- اخدوا كردي ليشنقوه قاللهن ان شاء الله تكون المرسة حمرا .
- اكل ومرعى وقلة صنعة .
- الغنية بتتقل خلخالا و الفقيرة بتستر حالا .
- قاللو قبل ما تحور سقفو اشترى لارضو حصيرة .

- لا مين عمر سكن ولا مين مون اكل .
- متل الشمعة بضوي على غيري وبعتم على حالي .
- السكافي حافي والحايك عريان .
- من بعد حشيشي ما ينبت حشيش ومن بعدي ما حدا يعيش .
- بالدنية وراتينا وبالآخرة حراتينا .
- خل ببلاش ولا عسل بمصاري .
- قالوا للجمل شو كارك قاللهن كباب حرير قالولو باين عليك وعلى قوالبك .
- كبرت يا دانا ولبست كتانا ونسيت اواعيك اللي بتتنقل من خانا لخانا .
- متل بضاعة الخان زعبوب مدود وسفرجل تخان .
- سمك بالمي ما بينشرى .
- يا شاري الهم من قلب صاحبو .
- حط العدس وانبور تحتو ما العن من الخال الا بنت اختو .
- قبل ما خطب هير حطب .
- سموك مسحر خلص رمضان .
- حكي الملق بيل الحلق وبيرضي الخلق .
- حبلة ومرضعة وراها اربعة طالعة علجبل تجيب دوا للحبل .
- انا بحلف وابني بزلحف .
- اللي فيه مسلة بتنخزو .
- طلع القمر وتدور ونسي زمانو الاول .
- السلق اخضر والناس اخبر .
- قاللو يا أبي شرفني قاللو يا ابني لحتى يموت اللي بيعرفني .

  قاللو شرفني وركبني حمارة قاللو ليموتو كباريت الحارة .
- قاللو اليوم مرقني وبكرة غرقني .
- راح الاعور وتبعور .
- اذا تبلك بليس بيخصر عليك التبيلة .
- عرق آس ولا شماتة الناس .
- البيت وساكنو والواعة ولباسها .
- من برة رخام ومن جوة سخام .
- فوتة الجار على الجار اولها مهنة وآخرها معيار .
- لو كانت اسوارتي وقبة مالي عن جارتي غنية .
- ايمتا كنا والشمس ترقعنا .

- قاللو يا حواجبو يا عيونو قاللو عالمغتسل باين .
- اللي بيعرف اولتو بتهون عليه آخرتو .
- صابح القوم ولا تماسيهن .
- قال يا قاعدين يكفيكن شر الجايين .
- كترة الايادي بتحرق الطعام .
- مجنون يحكي وعاقل يسمع .
- اللي مالو اسطوح بينام تحت اسطوح جارو .
- قاللو الحرب بالنضارات هينة .
- اجا ليكحلها عماها .
- دخان يعمي ولا بردن يفني .
- الرمد اشوى من العمى .
- طول وعقل ما بيجتمعو .
- دود الخل منو وفيه .
- رغيف برغيف ولا يبات جارك جوعان .
- الغيرة ما بتدفي .
- منشوف الديك منخمنو دالي باش .
- الناس بالناس والقطة بالخلاص .
- ساقية جارية ولا نهر مقطوع .
- كل طايفة والها بلوعة .
- جبل لجبل بيلتقي وابن آدم لابن آدم ما بيلتقي .
- عكا لو تخاف من هدير البحر ما جاورتو .
- ياللي الو راس عند الرواس ما بينام الليل .
- اجت الحزينة لتفرح ما لقتلها مطرح .
- ياداخل على مصر متلك لوف وياطالع من مصر متلك الوف .
- شرابة خرج لا بيعدل ولا بميل .
- متل التلاتا بنص الجمعة .
- متل راس القرنبيط بسوق الاحد .
- متل ناطور الصحرا .
- متل خازوق البحرة .
- عمرا سجرا ما وصلت لربا .
- ما في شجرة ما هزا الهوى .
- ياللي بيطلع صيتو بيطلع صرمو .
- من قلة الخيل شدينا عالكلاب سروج .
- احمرار وجوه ولا مغصلن بالقلب .

- صاحبي وحبيبي وناح الجيبة لا تقرب .
- صاحبك لما اخوك ! قاللو الانفع بيناتهن .
- ايد وحدا ما بتصفق .
- ان داقت عليك المخازن مخزنك عبك .
- البخشيش بالدرهم و العطا بالقنطار .
- الحساب بالدرهم و البخشيش بالقنطار .
- ترقمة وخشيش وطحين مغيش .
- ان كان حبيبك عسل لا تلحسو كله .
- الله يطعمك الحج و الناس راجعة .
- عين بباب الجابية وعين بتقلي زلابية .
- اللي بتشنغل فيه السمرا بتحطو حق خطوط وحمرا .
- صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك .
- الولد اللي ما بيبكي امو ما بترضعو .
- اللي بيستحي من بنت عمو ما بيجيه غلام .
- اللي بيبيعك بالفول بيعو بالقشور .
- اعزب دهر ولا ارمل شهر .
- الجحشة بعليقتها و الاصيلة بعليقتها .
- اذا بدك تعاشر لا تعاشر الا امير و اذا بدك تسرق لا تسرق الا حرير و اذا بدك تدق دق بباب كبير حتى اذا عيروك تستحق التعيير .
- قال يا حاملة الصبيان يا حاملة الصوان .
- لا تحلق دقنك بين تنين و احد بقلك طويلة وو احد بقلك قصيرة .
- بيخطف الكباية من راس الماعون .
- الكلب اللي بيعوي معك احسن من اللي بيعوي عليك .
- كل مين شافني ارملة شمر و اجاني هرولة .
- قالوا للجمل ليش بتاكل شوك قاللهن بستفكرو وقت نكان اخضر .
- قبل ما تعمل جمال علي باب دارك .
- فارة نطت من السقف قالتلا القطة اسم الله . . !! قالتلا اتركيني بحالي و انا بالف خير من الله .
- قاللو الدبة شقت كرشا قاللو ما ضرت الا نفسا .
- قاللو ما بقى في الا تحنيكة لطقة الكبريتة .
- الف قلبة ولا غلبة .
- الف عين تبكي و ايضا امي ولا انا .
- عطو الدب حرير بكب .

- حكى بدري وانشرح صدري .
- كلام القاضي متل الفستق الفاضي .
- الصفر علحمار جمال .
- الرجال عند غراضها نسوان .
- مو رمانة لاكن قلوب مليانة .
- قط ما بيهرب من عرس .
- عزموا حمار على عرس قال يا لزق المي يا لزق الحطب .
- كنس بيتك ما بتعرف مين بدوسو وغسل وشك ما بتعرف مين ببوسو .
- ما حدا بقول مرض الا الو تلتين الغرض .
- كل الديوك دكدكت ما صفي غير ابو قنبرة .
- مو حافظ من العشق غير كلمة اوحشتني .
- من معرفتو بالصحابة بيترضى على عنتر .
- حطوه علمفتل ودهنوه بالعسل .
- لا تعيبي يا معيبة ويا سريجة مقطبة .
- دبور هدا على مسن قاللو سن اذا بتسن .
- بدو سلتو بلا عنب .
- كل جاجة حفرت على راسا عفرت .
- كول لقمة كبيرة ولا تحكي كلمة كبيرة .
- العين ما بتعلا علحاجب .
- تلاتة ما بيختفو الحب والحبل والركب عالجمل .
- شعرة من دنب الخنزير مكسب .
- هاللي الو شعرة من الجمل بنخخو .
- قلبي على ولدي نار وقلب ولدي عالحجر .
- انا واخي على ابن عمي وانا وابن عمي عالغريب .
- الدم ما بيصير مي .
- ياللي القلم بايدو ما بيكتب حالو من الاشقيا .
- ياللي بتحطو بالدست بيطلع بالمغرفة .
- قال مو قيمتك يا بطني قيمتك يا قدري .
- قاللو الله يخليلي ياك يا لساني متل ما درتك بتندار .
- يا مسترخص اللحم عند المرقة بتندم .
- الديك الفصيح من البيضة بيصيح .
- خود الاصيل ولو كان عالحصير .
- غب غب الجمال وقوم قبل الرجال .

- اذا بعبع الجاعود عطي الجمل حملو .
- الواعة الكبيرة بتسع الواعة الصغيرة .
- عم يرش علموت سكر .
- حلاق فتح باقرع استفتح .
- حمامي فتح بمتوضي استفتح .
- شو بدي استفكر منك يا سفرجل كل عضة بغصة .
- اذا كان الحكي من فضة السكوت من دهب .
- تاللو ياللي بياخد الاجرة بيطالب بالعمل .
- كرمال عين تكرم مرج عيون .
- بيدوب التلج وبيبان المرج .
- الحكي صابون القلب .
- الدراهم كالمراهم حطا عالجرح بيبري .
- الجمل بمصرية ومصرية مافي .
- العين بصيرة والايد قصيرة .
- منركب جمل ومنحمل علم ومنقول ما حدا شايفنا .
- العز للرز والبرغل شنق حالو .
- العالم عطيه جملو .
- اللي بيعرف بيعرف واللي ما بيعرف بقول كف عدس .
- اقرع ودقنو طويلة تاللو شي بغطي شي .
- تاللو اذا حلق جارك بل انت .
- اذا الصغير انتشا الكبير باس ايدو .
- الولد ولد ولو صار قاضي بلد .
- تالوا للجمل شو بتحمل تاللهن على قد ما تشيل الرجال وتالوا للبغل شو بتحمل تاللهن على قد ما تشيل الحبال وتالوا للحمار شو بتحمل تاللهن لو بتقيمو عني هالجلال لا سبقكن علخان .
- الجمل اذا بار بيحمل تنطار .
- العين مغرفة الكلام .
- تالوا للقاق ليش بتسرق الصابون تاللهن الاذى طبع .
- متل ام العروس فاضية مشغولة .
- تاللو مين بيجي مع العروس تاللو اما وخالتا وعشرة من حارتا .
- لباس مالو ودكتو باربعين .
- بعاق الجدي ولا سواد العنقود .
- اللي ما بيشوف من ورا المنخل اعمى .
- ياللي مالو كبير مالو تدبير .

- ياللي مالو عتيق مالو جديد .
- كول ما تشتهي نفسك والبس ما يليق بين الناس .
- طحان ما بغبر على كلاس .
- لا تقول للمغني غني ولا للرقاص ارقوص .
- ما بيحك جسمك متل ضفرك .
- بيعمل على الزبيبة خمارة وعلحبة قبة .
- ضربو يهودي بعلبة لبن تاللهن وديني مشتهيها .
- باب النجار مخلع .
- اللي ما داق المغراية ما بيعرف شو الحكاية .
- تاللو بحلب نطيت اربعين قدم . تاللو هون ارضو وهنيك ارض .
- تاللو يا جامع انت مسكر وانا مستريح .
- اذا كان بدك تستريح ايش ما شفت قول منيح .
- تاللو الطاقة اللي بيجيك هوا منها سدها .

  تاللو مو سدها جيب الفاس وهدها . .
- تاللو نام بالبرية ولا تنام قدام طاقة هوية .
- تاللو اذا شفت الطويل راكد عريف القصير لاحقو وتاللو اذا شفت القصير راكد عريف الشيطان لاحقو .
- تالوا للبقر اجاكن جلود . . تالولهن خلوا جلودنا علينا .
- تالوا للجمل ليش وانت ماشي بتطلع دوغري تللهن بانتظر الطريق البعيد .
- لا تاخد صاحب الا بعد خناقة .
- نص الكلام مالو جواب .
- تاللو حصوة بتسند جرة تاللو بتسند خابية قنطارية .
- اللي بيتو من قزاز ما بيرمي الناس بحجارو .
- ما حدا بقول عن زيتو عكر .
- عم يغوش متل الزيت .
- جاية من البرية بدو ياخد الاولية .
- تاللو شو الك بالقصر تاللو امبارح العصر .
- ياللي بفوتك حصرم بتاكلو عنب .
- لابق لك على هالحناك العوج لقة بابوج .
- متل خيل القضا بيتركا عالسلام .
- متل راس اليخنا بسوق الاحد .
- تاللو فراق البدوي بعبا تاللو بسوق العبي كلو .
- جارك متل اخاك ان ما شاف وشك بشوف قفاك .

- الجار قبل الدار .
- من طول عمرك يا تينة مجعلكة .
- هاللي بدو ياكل خبز السلطان بدو يحارب بسيفو .
- المال الداشر بيعلم الحرامي السرقة .
- كل ديك على مزبلتو صياح .
- قالوا للبسمار ليش بتفوت بالحيط قاللهن من عزم الرص اللي ورايي .
- الايد الفاضية منتنة .
- مو كل مين صف الصواني قال انا حلواني .
- قاللو عدن .. قاللو ياللي بياكل العصي مو متل ياللي بيعدن .
- قاللو قط ما بيهرب من عرس.
- قطاع راس القط من ليلة العرس .
- الجمل لولا الفزة حمل المزة .
- ياللي ما بيحضر عنزتو بتجبلو جرو .
- ان غاب عليك اصلو دلايلو فعلو .
- روح للدار الغالي وخدلك دار ان صان عرضك بيتوفر عليك المال .
- الطرق ولو دارت والبنت ولو بارت .
- الدهر يوم الك ويوم عليك .
- كل حال يزول وكل قاضي معزول .
- قال يا رايح علجبل جيب معك حجر .
- الارض الواطية بتشرب ماءها وماء غيرها .
- يللي بخبي غداه لعشاه ما بتشمت فيه عداه .
- شرطن بالحقلة ولا خناقة على البيدر .
- يللي اولو شرط آخرو سلامة .
- صنعة باليد امانة من الفقر .
- اذا الله حب عبدو فرجاه على ملكو .
- يللي ما بيخاف الله خاف منو .
- يللي بيتجوز بالدين بيجو ولادو بالفايز .
- الولد يللي مو من ضهرك كل ما جن فرحلو .
- الملك يللي مو ببلدك لا الك ولا لولدك .
- جارك القريب ولا اخاك البعيد .
- لا تتدخل فيما لا يعنيك بتسمع ما لا يرضيك .
- العمر بيخلص والشغل ما بيخلص .
- خير ما تعمل شر ما تلقى .

- ياللي ما بيشبع عند اهلو ما بيشبع عند الناس .
- ياللي ببيت اهلو على مهلو .
- خود الفرس من الفارس .
- الاصيل ما بعيبو جلالو .
- محل ما ترزق الزق .
- حبيبك حبو ولو كان عبد اسود .
- قاللو مرحبا يا اقرع قاللو هادا باب مناقرة .
- الكلب اللي بدك تجرو عالصيد يا طول مابدو يصطاد .
- كل رفعة دقن بخمسمية .
- شحاد ومشارط .
- لولا الكاسورة ما عمرت الفاخورة .
- على حظ الحزينة سكرت المدينة .
- العروس بعقلها وقلة اكلها .
- ياللي الو طباخ لا يزفر ايديه .
- ما دام طباخنا جعيص شبعنا مرقة .
- العنزة الجربانة ما بتشرب الا من راس النبع .
- قاللو يا جاري انت بحالك وانا بحالي .
- الطبل بحرستا والزمر بمنين .
- كسرنا الدف وبطلنا الغني .
- خبي قرشك الابيض ليومك الاسود .
- لباس مالو دكتو بارتعش .
- جبناك يا اقرع لتونسنا كشفت قرعتك وخوفتنا .
- القرعة لمن بتهوش احلى من عد القروش .
- بيقتل القتيل وبيمشي بجنازتو .
- ان بزقنا لفوق على شواربنا وان بزقنا لتحت على دقنا .
- بالع الموس عالحدين .
- قتلني وبكى وسبقني واشتكى .
- لا تقول فول حتى يصير بالمكيول .
- اذا قعدت بين العوران اعور عينك .
- عيش كتير بتشوف كتير .
- لبس العود بيجود .
- عود منيح واحكي صحيح .
- اذا بدي اصرف من كيسي ما بساويك عريسي .
- يا خلي متل ما بكون لك كن لي .

- متل حية التبن بتقرص وبتخبي راسا .
- وقنن كبر وشاب بعتوه علكتاب .
- ياللي متلنا تعو لعنا .
- زيوان البلد ولا قمح الجلب .
- شو بتعمل الماشطة بهالوش العكر .
- طواية عيرت المقلاية قالتلا اتنيناتنا بالمطبخ .
- الاعور بين العميان باش كاتب .
- زرعنا اللو طلعت يا ريت .
- لولا علبة مكي كانت الاحوال بتبكي .
- عمر اعطيني وبالبحر ارميني .
- ماحدا بيصحللو لبن الضرف الا بيغرفو غرف .
- بحر ما بتعكرو ساقية .
- ساقية جارية ولا نهر مقطوع .
- البزاقة شافت بنتها عالحيط قالتلها تقبريني متل اللولية بالخيط.
- بعد الكبرة جبة حمرا .
- لا تدعي لصاحبك بالسعادة بتخصرو .
- الطمع بالجامع .
- ضرب الحبيب زبيب ولو كان حجر صوان .
- اللي بريدك ريدو واللي ما بريدك بالجفا زيدو .
- ما في طلعة الا وراها نزلة .
- ياللي بدو يلاعب القط بدو يلقا خراميشو .
- ياللي الو عمر ما بتهينو شدة .
- جوزوا طنة لرنة وشرطوا عليها شروط ، لابقة هالمسفقة لهالقلموط .
- طعمي التم بتستحي العين .
- تغدى وتمدى وتعشى وتمشى .
- مين استفقدني بعضمة كنت عندو عظيم .
- اللي بياكل على درسو بينفع نفسو .
- مين مالحك لا تخونو ولو كنت عبد خوان .
- الخبز والماء اكل العلماء .
- لو ريدك يا فخرة ما اخدت عليكي الرخرة .
- العيرة ما بتدفي وان دفت ما بتوفي .
- حلة نيل تصبغ المعلم مع الاجير .

- قبل ما خطب هير حطب : عطا المغاني شروطها ووصى الدوماني على اللبن .
- اصبعتي مني ولو انقطعت وعيني مني ولو انقلعت .
- الحارة ديقة و الحمار رفاس .
- سالوا الجمل شو بتشتغل قاللهن بدق بالشبابة قالولو مبين من شفتيرك .
- الله ما نشاف لاكن بالعقل انعرف .
- الخوف بيقطع الجوف .
- الرطل بدو رطل ووقية .
- حط بطال وحط ببت مال .
- معك قرش بتسوى قرش .
- الصاحب ساحب .
- تي تي تيتي متل ما رحتي متل ما اجيتي .
- متل قطرميز مصر لا رقبة ولا خصر .
- يا سراج وشمعة ياعالعتمة جمعة .
- اللي ما بيمتثل للناس ما هو من الناس .
- وقت بتقع البقرة بتكثر سكاكينها .
- بتقوللو تور بقوللك احلبو .
- العصفور عم يتفلا و الصياد عم يتقلا .
- عند جرن الحمام بتبان القرعة من ام الشعر .
- الجنازة حافلة و الميت كلب .
- متل الاطرش بالزفة .
- قدم بقدم لو كنتي ست ووراكي خدم .
- الست بدها جارية و الجارية بدها ست .
- عين ما بتقاوم مخرز .
- عاشقك لا تاخديه ومطلقك لا ترديه .
- قاللو ما متنا شفنا مين مات قبلنا .
- جوزي بيحبني قوية . اهلي بيحبوني غنية . جيراني بيحبوني ايدية سخية .
- الاعور بين العميان ملك .
- الرحمة مخصصة و البلا بيعم .
- الخير بخير و الشر بغير .
- اذا شمينا ريحة ايدينا بترجع روحنا لينا .
- باللعب و الامزاح تشتفي الارواح .

- بحفر البير بابرتين وبكنس درب الحج بريشـتين ولا بعـاشر الحيوان بكلمتين .
- يا ربي من عشرة الحيوان خلصني ولادبح الحيوان واطبخ عليه يخني وان نز منو نقطة دهن عيبك على دقني .
- قالوا للقرد الله لـه بدو يمسخك قاللهن يمكن يساويني غزال .

وانتهت السـهرة الطويلة بهذه المباراة اللطيفة الغزلية بين اثنتين من قريباتنا العجائز .

يا ريتني دالية لعرش على دارك .
لاحمل منب عاصي كرمال شانك .
وياللي حرمني نومة حضانك
يقع بعشقك ما يصبر على نارك

*

تفاح ما ناكلو حمرة خدودك فيه
والبحر ما بننزلو سافر حبيبي فيه
لما يجي المبشر يبشرني بسلامتكم
عشرين ليرة لاعطيه .

*

عيونك السود حاجبينك قوص
وشفتينك عتابق بشهو البوس
على ما روح على بيتك ودوسو دوس
وآخدك بالحلال حبيبي .
واشبع من خدودك بوس .



عيونك السود خلتني أنا غني
عيونك السود نستني ابي وامي
بكون نايم باحلى النوم متهني
بيجي خيالك على بالي وبيجنني .



وصرخ احد الحاضرين في السهرة :

ـ لك قوموا بقى ... رح يأدن الصبح خلينا نروح على بيوتنا ... شو ابن خالتي منمشي سوا ..؟ شو قاعدين لؤاد المندي .!؟؟

ـ اي والله بكير ... لسة ما شبعنا منكن ...!

ـ لا والله خلينا نمشي خيرها بغيرها .

ـ لا والله ونحنا ماشيين ... اودعناكن ... بيتكن عامر ..

ـ عيدوها ...!!

ـ منجي ما منستغني تقبروني. .خاطركنتعو لعنا مو ما نشوفكن.!

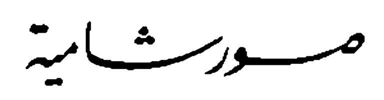
ـ انتبه انتبه ابن خالتي ليقوم ينقط عليك « سطل » بوري الصوبا تعا هالناح امشي مع الحيط ...

ـ والله هالحارة عتمة ... مسيك معي هالولد يا رجال ..

ـ اوعي .. اوعي يا مرا هالطابوسة .. الحارة كلها طين ..

ـ نحنا رح نفرق من هالطريق . .خاطركن يا جماعة خلينا نشوفكن بنت عمي .. تصبحوا على خير .

● ● ●


صور شامية

قال لي أبي :

انا كنت قاعد بالكتاب بالبلطجية عند باب الجابية،حطتني امي بالكتاب كنت ولد صغير . كانت القعدة على الدف علأرض وقدامنا رحاليخشب نحط عليها المصاحف . وكان الشيخ يقعد على طراحة محطوطة فوق الجلد وقدامو رحلاية صغيرة مشان يسمع للولاد .

وكان الشيخ ظالم واذا واحد منا عمل برادة يضربو بقصبة طويلة على راسو . وكل ولد بيدفع « الخميسية » للشيخ يوم الخميس « ابو المية » . ويضل الولد بالكتاب من على بكرة لبعد العصر وكل ولد بجيب معو غداه بصرو بشقلة خرقة .

وكان صوت ولاد الكتاب يوصل لآخر الحارة وهن عم يقولوا ورا الشيخ :

الف لا شن عليها ب واحدة من تحتا ت تنتين من فوقا ث تلاتة من فوقا ج واحدة من تحتا ح لا شن عليها خ واحدة من فوقا د لا شن عليها ذ واحدة من فوقا ر لا شن عليها ز واحدة من فوقا س لا شن عليها ش تلاتة من فوقا . . . .

ووقتن ختمنا الصبرة قرانا الشيخ جزو عم وجزو تبارك وربع ياسين . بعدين صرنا نقرا بالمصحف ووقتن بيختم الولد القرآن بساوولوخثيمةوبيفرح اهلو وبيعزموا الاهل والجيران والشيخ وولاد الكتاب . وكل ولد حسب ما الله يفتح عليه وفي ولاد بيختموا القرآن وبعيدوه سبع مرات .

وانا لما ختمت فرحت امي في ولبسوني قنباز حرير ابيض وطربوش مزين باللولو والالماس والورد . وطلعت من الكتاب مع الولاد من زقاق البركة عند باب سريجة لباب الجابية والدرويشية والمرجة هيك ورجعت علبيت والولاد ورايي عم يقرولي نشيدة :



الفنان نصير شورى ـ دمشق

يا برق شـــام بلغ ســـلامي	على محمد خـــير الانـــام
يا برق زورو واحظـــى بنورو	فاحت عطورو مســـك الختـــام
يا بدر واطلع في الليل والمـــع	والمختار يشفع يوم الزحـــام
ســاروا المطايا جابوا العطـــايا	زاروا محمـــد خـــير الآنـــام

وفرقوا اهلي الشراب وصرر الملبس وعطوا لكل ولد من ولاد الكتاب ابو الخمســين .

وتعدت قريت قدام الضيوف ببيتنا وشيخي قاعد ، من ســورة البقرة . ولما وصلت لعند : ختم الله علـــى قلوبهم وعلى ســمعهم خطف ولد من ولاد الكتاب طربوشــي وركض لعند امي واخد « الحلوان » .

● ● ●

قالت لي أمي :

يا بنتي ايامنا ما كان في مدرسة . حطتني امي عند خجا « تـاجة » بزقاق البقارة بباب مصلى بالميدان . درستني خجاتي حتى ختمت . ايـه الله يرحمها .

اول شي علمتنا الف لا شن عليها بكتاب « الصبرة » . كانت تقرينـا ونقرا وراها : الف لا شن عليها ب واحدة من تحتا ت تنتين من فوقا ث تلاتة من فوقا ج واحدة من تحتا .

بعدين صارت تحفظنا الف ونصبة آصب آ الف وخفضة اخفض اي الف ورفعة ارفع او . ب نصبه باصب ب . ب خفضة بخفض ب ، ب رفعة برفع ب .

وعلمتنا نهجي القرآن الكريم كلمة كلمة . اول شي هجينا الفـاتحة كلمة كلمة . « الحمد » كنا نهجيها : الف اصب ا ، ال جازم ال ، ح حـا نصب ح الح ، ام جازم ام ، الحم ، د رفعة د ، الحمد .

لله : لام ولام وه . ل لخفض لـ ، ل شدة ونصبة لا ، ه خفضـة ه لله .

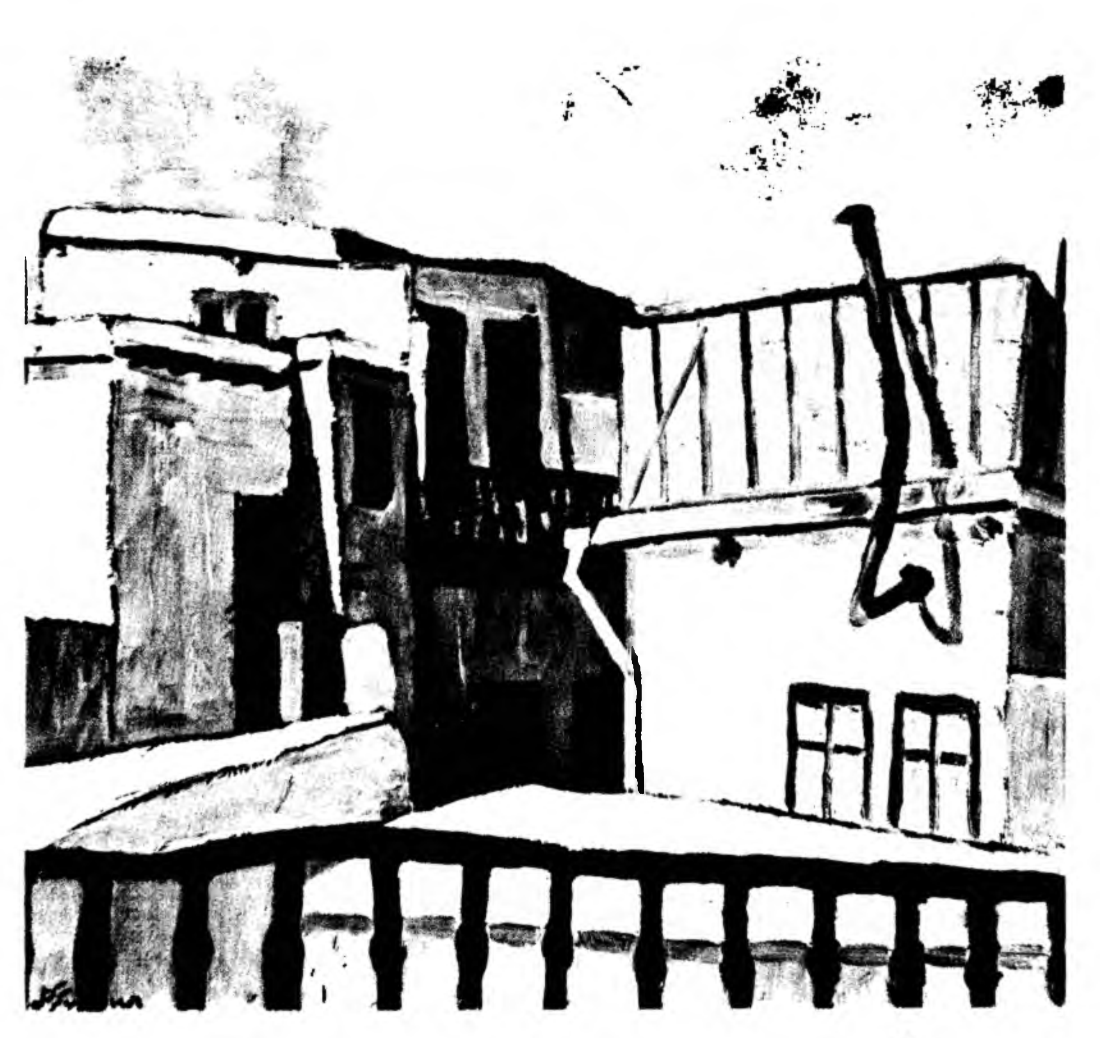
وعلمتنا خجاتي :

الف وشدة ونصبتين . الف وشدة ورفعتين . الف وشدة وخفضتين. ووقتن ختمنـا الصبرة حفظتنا ابجد هوز حطي كلم سعفص قرشت ثخذ ضزغن ــ والسلام .

وكمان علمتنا :

اب ، ام ، اخ ، عم ، جد ، فم ، كف ، لب ، ظل ، ند .

بعدين قرتنا جزو « عم » وجزو « تبارك » وجزو « قد سمع » وجزو « والزاريات » .



الفنان برهان كركوتلي ـ دمشق

الفــلاح	:	كلي يا اما تدفع وركتين ونص يا را . . .
الحكيم	:	فهمت . يعني ما رضـي منك اقل من هيك وانت ما معك ورقتين ونص . .
الفــلاح	:	اي بالله . داخل على الله وعليش سيدي وتجبلي دوا اكل من هيش .
الحكيم	:	انا كتبتلك الراشـيتة بالدوا يللي لازمك . بقا شـو معك ما معك ؟ ما رح يلتقى بجيبتك حق دوا لحفظ صـحتك ؟
الفــلاح	:	سـيدي وحق الله ومحمد رسول الله كلتلك ما معيش. ول انا مالي خلقة الله يا زلمة ؟
ابو ابراهيم	:	(من بعيد) سيدي حسيت درسـي كن وحنكي نمل .
الحكيم	:	طيب . طيب (للفلاح) بقا قلتلي ما معك حق دوا .
الفــلاح	:	لا بالله ياسـيدي ، الله يطول عمرش دبرني انا فقير .
الحكيم	:	طيب . اذن رح اكتبلك على دوا بتروح بتاخدو من صيدلية البلدية مجانا .
الفــلاح	:	نعم سـيدي ؟
الحكيم	:	عم قلك رح بدبرلك دواك تاخدو ببلاش .
الفــلاح	:	آخد دواي ببلاش سـيدي ؟ الله يطول عمرش منين سـيدي ؟
الحكيم	:	من صـيدلية البلدية ما بتعرفها صـيدلية البلدية ؟
الفــلاح	:	لسـع سـيدي .
ابو ابراهيم	:	(من بعيد قليلا) سيدي حنكي خدر وشي نمل .
الحكيم	:	طيب . طيب لحظة (للفلاح) مسـيك هي راشـيتة غيرها . فهمت كيف بدك تسـتعمل الدوا .
الفــلاح	:	نعم سيدي ، تشـل سـاعتين بتعرعر بالمي .
الحكيم	:	ايوه وبعد الغرغرة بتدهن من القنينة الصـغيرة لثتك بالقطنة .
الفــلاح	:	ودهن ويش سـيدي ؟
الحكيم	:	يعني بتدهن نيرة سـنانك .
الفــلاح	:	ها . اي اي نعم نعم سـيدي نعم سـيدي .
الحكيم	:	مع السـلامة .
الفــلاح	:	الله يسـلمش سيدي (مبتعدا) خاطرش سيدي .
ابو ابراهيم	:	(من بعيد قليلا) سـيدي حسيت وشي مو مني وحنكي منمل .

الحكيم : طيب جايه .. يا عفيفة .
المرضة : نعم دكتور .
الحكيم : حضري البنس (لابو ابراهيم) شو تلتلي نملفكك؟
ابو ابراهيم : (من قرب) وما عدت حسيت بوشي كله .
المرضة : تفضل دكتور .
مؤثرات : (صوت وضع ادوات الجراحة) .
ابو ابراهيم : شو كل هاد ابرة البنج قوية سيدي ؟
الحكيم : طبعا فتاح تمك لشوف .
ابو ابراهيم : دخلك دكتور خايف ليقوم يجعني.
الحكيم : ما بنجنالك ياه ليش خايف ؟ فتاح تمك .
ابو ابراهيم : سيدي خايف يجعني بالقلع .
الحكيم : لا تخاف لا تخاف ما بتشعر بشي ابدا .فتاح تمك.
ابو ابراهيم : سيدي الله يـ . . .
الحكيم : هوهو . .شو ولد صغير ؟ فتاح تمك .
ابو ابراهيم : هه ها .
الحكيم : فتحو كمان شبك خايف عم تزم شفتك؟
ابو ابراهيم : سيدي مالي خا .. ها ها
الحكيم : كمان .
ابو ابراهيم : ها ها ها .
الحكيم : كمان كمان .
ابو ابراهيم : ها ها ها .
الحكيم : ايوه ايوه لا تخاف كمان كمان .
ابو ابراهيم : ها ها رح ينشق حنكي ها ها .
الحكيم : ما بدها تفوت البنس بتمك ايوه برافو هه .
ابو ابراهيم : ؟؟؟ (متوجعا) .
الحكيم : ها ها طلع .
ابو ابراهيم : شو شو نقلع سيدي .
الحكيم : طبعا . مالك شايف ما اكبر ضرشو .
ابو ابراهيم : الله يسلم دياتك يا دكتور .
الحكيم : تمضمض هلأ وبعدين بتحكي .
(صوت وضع البنس على البللور) شيلي هالادوات للتعقيم يا عفيفة .
المرضة : حاضر .
مؤثرات : (صوت جمع الادوات تحت الكلام) .

ابو ابراهيم	:	يعني اديش كنت متوهم يا دكتور . وهاكل همقلمو .
الحكيم	:	طبعا . هوة الوهم مؤلم اكتر من الوجع نفسو .
ابو ابراهيم	:	الله يسلم دياتك الحقيقة انك ما شا الله ايدك خفيفة .
الحكيم	:	الله يحفظك . لا تنسى الغرغرة بالبيت كل شوية وشوية .
ابو ابراهيم	:	امرك سيدي . الله لا يحرمنا ياك (مبتعدا)خاطرك سيدي الحكيم .
الحكيم	:	مع السلامة .. عفيفة ..
المرضة	:	(من بعيد) نعم .
الحكيم	:	شوفي بصالون الانتظار دور مين خليه يتفضل (يدمدم) لا لا لا لي .. م م م م ...
ابو فهمي	:	(من بعيد مقتربا) آه ام اخ آه يا حنكي آه يا درسي سلامات سيدي .
الحكيم	:	سلامات .
ابو فهمي	:	اخ .. دخيل الله حكيم ببوس ايدك درسي !
الحكيم	:	وليش هيك ملفلف وشك بعشرين قمطة وشاشية؟
ابو فهمي	:	سيدي حاطط لزقة نتا .
الحكيم	:	(يضحك) وليش ملفلف وشك كلو مو مبين غير عيونك ؟
ابو فهمي	:	سيدي كترت النشيات حتى يكن درسي ما الهاخواص .
الحكيم	:	طيب عود عندك عالكرسي .
ابو فهمي	:	آخ دخيل الله حكيم لحقني ببوس ايدك .
الحكيم	:	فك عن وشك هالطرد لشوف .
ابو فهمي	:	آه يا حنكي آه . آه يا وداجاتي آه .
الحكيم	:	عاونيه عفيفة بفك شرشف « اليوك » عن وشو .
المرضة	:	هات دشر عنك يا عم .
ابو فهمي	:	اي اي اي دخيل الله تلعتيلي جلد قوشي على مهلك .
المرضة	:	لا تخاف هاي لزقة النشا ببانة على خدك .
ابو فهمي	:	آه .. والله حسيت طاسة راسي نقامت دخيل الله .
الحكيم	:	حاجة بقى شو ولد صغير .
ابو فهمي	:	دخيل الله صرلي تمن تيام ما نمت فيهن من وجعي ايدي بزنارك دكتور .
الحكيم	:	وليش تارك حالك كل هالمدة من غير حكمة ؟

ابو فهمي : مين تلك سيدي تارك حالي من غير حكمة ؟ والله ما خليت حلاق بالحارة ما ورجيتو درسي .
الحكيم : اف وشو خص الحلاق بالتهاب فكك ؟.
ابو فهمي : ليش حنكي ملتهب سيدي ؟
الحكيم : طبعا مالك شايف وشك كيف صاير متل الطبل ! انو حلاق ساوى فيك هيك ؟
ابو فهمي : سيدي عنا بالحارة .
الحكيم : ماكنت تعرف لهلأ انو في بالدنية اطباء ومتخصصين كان لازم تستشير طبيب قبل ما تروح لفكك .
ابو فهمي : سيدي بعرف . لاكن قلعلي بلا ما حطلي ما فتح ورزق على درس مسوس مو محرز .
الحكيم : مشان ما تدفع مبلغ بسيط تلهب فكك وتسمم دمك وبمكن تتوفى يا غشيم ؟
ابو فهمي : هلأ رح بتوفى سيدي ؟
الحكيم : يعني لو ما اجيت هلأ وشفتك كان بعد يومين صار بفكك كنكرين : وتسمم دمك ورحت .
ابو فهمي : !!! شو هالحكي سيدي !
الحكيم : طبعا مالك شايف خدك كيف مزرق .
ابو فهمي : والله من اللزقة يللي حاططها ما شفت وشي من جمعة .
الحكيم : فتاح تمك لشوف .
ابو فهمي : سيدي مالي غضران افتحو . حاسس عرق اللبن شادد من طبلة ادني لجحش حنكي .
الحكيم : فتاح تمك على قدر الامكان لشوف الحلاق شو عامل بفكك من جوه .
ابو فهمي : هه ها .. عا عا ..
الحكيم : كمان فتاح . .كمان كمان .
ابو فهمي : ها ها .. عا عا عا .
الحكيم : شبك فتاح كمان .
ابو فهمي : ها ها .. عا عا عا .
الحكيم : لك يا عمي بس خليني دخل المراية وشوف متل العالم .
ابو فهمي : عا عا عا عا .
الحكيم : هم . سكر هالمتحف بقى .
ابو فهمي : آه .. ام .. شو شفتللي سيدي الدكتور ؟

وبعد ما ختمنا نقلتنا للمصحف الكريم . وانا ختمت المصحف يعني كان عمري شي تمن تسع سنين .

كنت اتعلم عند خجاتي وعلم . وكنا نروح علخجا من على بكرة للعصر . وكنت آخد اكلي معي واتشارك مع رفقاتي وآكل انا والبنات، وما في صريفة لبعد العصر . كانت الله يرحمها « بكريمة » واحدة وتربيتها منيحة وبالها طويل مو متل خجا « زقزوق » بتاني حارة بتحط الولاد زرابة وما بتقري منيح . بس خجاتي والله كبرت وبحبها وكل ما مرقت من الميدان بتطلع عالحارة وبترحم عليها .

وبتذكر لحد هلأ شلون عطتني ولد حتى علمو لاني كنت شاطرة وعيني فتحة . ولد ما بيتعلم من رابع المستحيلات لهلق محروق قلبي منو . منوب منوب ما بيفهم اذا قريتو ، حتى داب قلبي منو . قمت رحت قلت لامي وكنت مدللة على امي ومالا غيري . قامت امي راحت لعند خجاتي وقالتلا وين رح تدوبيلي قلب البنت قامت خجاتي عطتو لغير بنت حتى تعلمو . والله بكل عمري متل هالولد لسه ما شفت . اسمو سليم لهلأ بتذكر اسمو .

ولهلأ بتذكر شلون كنا نغني لخجاتنا تاجة عند العصر نترجاها تصرفنا على بيوتنا ونقول :

« خجاتي صرفينا وما حلت مصارفنا والشمسة غابت وقلوبنا دابت بحياة سيدي خالد تصرفينا » .

وتصرفنا خجاتي كل تنتين سوا . قباقيبنا بالعتبة نلبسها ونرجع لبيوتنا فرحانين .

ايه سقا الله وميت سقا لله والله كان العلم ايامنا الو قيمتو . وانا بعد ما ختمت القرآن صرت اقرا لحالي كتب الانبياء وكليلة ودمنة وابو زيد المهلهل والزير سالم والمنفلوطي والملك الضاهر والف ليلة وليلة وقيس وليلى . كتب كتيرة كنت آخدها من عند صهري جوز خالتي ابو جعفر وصهري جوز عمتي الله يرحمو . والفضل لخجاتي تاجة ياللي علمتني القراية وخلتني اقرا كل شي .



ايه الله يرحمها . ولك بنتي ايامنا راحت والعلم تغير وهلأ الدور الكن . الله يوفقكن وياخد بيدكن ويعطيكن الحظ ليرضيكن .

عند الحكيم

عند الحكيم ...

تمثيلية اذاعية باللهجة الشامية العامية الفها الفنان المرحوم القصاص الشعبي حكمت محسن وضحكت لها دمشق كثيرا لانها كانت عملا من اعماله الكثيرة التي بدأت منذ سنوات طويلة ، واخذت تنتقد بصورة فكاهية عيوب المجتمع الدمشقي القديم ، وتسجل التراث الشعبي الدمشقي الفني خوفا عليه من الاندثار في موجة المدنية الجديدة الفائرة حتى على صور الجمال في حياة مجتمعنا الذي يتوارى خلف طيات الزمن بكل ما فيه من عيوب وميزات دون ان يقدر شباب هذا الجيل خطر التخلي عن تقاليده وعاداته وقيمه الاصيلة.

اخرج التمثيلية للاذاعة السورية الفنان تيسير السعدي احد تلاميذ واصدقاء حكمت محسن المخلصين واشترك بتمثيلها عدد من أهم ممثلي فرقة حكمت محسن الذين تحبهم دمشق وتقدرهم منذ بدأوا العمل معا كما افكر منذ حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

قام حكمت محسن بدور « ابو رشدي » وتيسير السعدي بدور « الحكيم » وعبد السلام ابو الشامات بدور « ابو ابراهيم » وفهد كعيكاتي بدور « ابو فهمي » وانور البابا بدور « ام كامل » وطيبو الصيداوي بدور « الفلاح » وهدى صدقي بدور « الممرضة » وهذه هي التمثيلية بنصها الحرفي :

نحن الآن في عيادة طبيب الاسنان في دمشق :

الفلاح : سيدي كلتله الله يطول عمرش ما معيش ادفع وركتين ونص حق الدوا ، انشان ترخص شوية كرامه لله ومحمد رسول الله .

الحكيم : ام ...

الحكيم : شو شغتلك . شغتلك الحلاق كاسرلك فكك ؟
ابو فهمي : له . لك . .
الحكيم : كلو حتى جنابك لما نوجعت ركدت عالحلاق كانك عايش قبل ميت سنة .
ابو فهمي : سيدي قلعلي بلا ما تحطلك ما فتح وزرق هلأ عند الحلاق جاري بيقلعلي ياه بنص ورقة .
الحكيم : صحتك وحياتك ابدى واللا المصاري يا غشيم ؟
ابو فهمي : لاكن دبساتو مراق ودرويش شو بيعمل بحالو سيدي ؟
الحكيم : ما بتعرف انو وزارة الصحة فاتحة مراكز للمداواة بكل حي مشانك ومشان غيرك ينطبب فيها مجانا اذا حالتو ما بتساعد ؟
ابو فهمي : سيدي والله مالي دريان انو في هيك شي .
الحكيم : على كل حالتك تستوجب اني ابعتك عالمستشفى حالا . لازمتك عملية مستعجلة .
ابو فهمي : له ، شو هالحكي سيدي ؟ دخيلك برقبتي عيال سيدي ما بقدر اترك شغلي ونام بالمستشفى الله يطول عمرك .
الحكيم : اذا نمتلك كم يوم بالمستشفى وطبت احسن واللا اذا نمت بالجبانة ؟
ابو فهمي : آه يا حوينتك يا ابو فهمي آه ، آخ يا جحش حنكي اخ . . !!
الحكيم : تفضل طلاع انتظر بالصالون لبين ما تجي سيارة الاسعاف تاخدك .
ابو فهمي : آه يا كرسي خدودي آه . . روح ودع عيالي واجي سيدي ؟
الحكيم : لا ليش كل هاد توهمت ؟ هلأ بيعطوك بنسلين وادوية بيرتفع عنك الخطر وبتطيب . يا عفيفة ؟!
الممرضة : (من بعيد) نعم دكتور ؟
الحكيم : عملي هاتف للمركز يبعتوا سيارة بسرعة تعا وين طالع ؟
ابو فهمي : (من بعيد قليلا) ما قلتلي ستنى برة سيدي ؟
الحكيم : تعا قبل ما تروح عطيني اسم الحلاق وعنوانو .

ابو فهمي : (مقتربا) ليش سيدي ؟ بدك تقلع درسك انت التاني بابا ؟

الحكيم : (يضحك) لا . لاكن حتى نحيلوللمحاكمةونجازيه.

ابو فهمي : سيدي الله يطول عمرك الحق مو عليه .

الحكيم : شلون مو عليه ؟ انت قلتلو كسرلي فكي ؟

ابو فهمي : لا سيدي . لاكن هوة ما عم يقلع الدرس بنص ورقة؟

الحكيم : ام ؟

ابو فهمي : قمت انا شارطتو عالدرسين بتلت رباع الورقة .

الحكيم : هنة كانوا درسين يللي عم يوجعوك ؟

ابو فهمي : لا سيدي يللي عم يجعني واحد . لاكن لمن رضي يقلعلي التنين بتلت رباع الورقة قلعلي صارت المسألة رخيصة يا ولد قلاع تنين افرطلك .

الحكيم : اف (يضحك) اما عقلية غريبة . على كل طلاع انتظر سيارة الاسعاف .

ابو فهمي : امرك سيدي (مبتعدا) آه يا حناكي آه يا كرامي خدودي آه . .

الحكيم : عفيفة .

الممرضة : (من بعيد) نعم دكتور .

الحكيم : شوفي بالصالون دور مين قليلو يتفضل (يدمدم).

ام كامل : (من بعيد مقتربة) آه يا سقف حلقي آه . . آه . . يا نيرة سناني آه . . ام . . آه . . السلام عليكن يا ابني .

الحكيم : وعليكم السلام . . خير خير . . شبك حجة ؟

ام كامل : الله يجملك بخير . تقبرني نيرة سناني قابة علي وحاستها عم تتقطع بعيد عنك آه . . . ام . . .

الحكيم : بسيطة بسيطة عدي لشوف عالكرسي . امسكي ايدها عفيفة .

ام كامل : يو الله يرضى عليكن وياخد بيدكن هم . هه . .

الممرضة : سندي ضهرك خالتي .

ام كامل : يو الله يرضى عليكي ويبعتلك عريس ابن حلال .

الممرضة : (تضحك) .

الحكيم : شو صاير معك حجة !

ام كامل : تقبرني سقف حلقي نيرتي وحنكي وشقاتي وعضام وشي وبنات اداني و . .

الحكيم : (مقاطعا) طيب طولي بالك فتحي تمك لشوف .
ام كامل : (تفتح فمها) ها ها ها .
الحكيم : كمان فتحي تمك مو باين شي .
ام كامل : هه . ها ها ها .
الحكيم : كمان حجة كمان .
ام كامل : يوه رح ينشق جلد وشي لك ابني .
الحكيم : لا تخافي فتحي لشوف .
ام كامل : هه . ها ها ها .
الحكيم : يا ستي ليش خايفة كل هاد ؟ فتحي تمك منيح بدي شوف سقف حلقك .
ام كامل : هه اكتر من هيك بدي افتح تمي ؟ بينت معدتني مو سقف حلقي (تفتح فمها) ها ها ها .
الحكيم : اف هادا طقم سنان يللي بتمك .
ام كامل : اي لكان . شوكنت مخمن طقم كنبات ؟
الحكيم : (يضحك) طالما ما في بتمك سنان ومركبة طقم بقا شو يللي عم يوجعك ؟
ام كامل : تقبرني حاسة كل وشي عم يوجعني مدري الطقم كبير على تمي مدري صغير .
الحكيم : ما تراجعي الطبيب يللي ساوالك ياه ؟
ام كامل : تقبرني شتريتو حاضر « مالن » .
الحكيم : اف حدا بيشتري طقم سنان مستعمل ؟
ام كامل : لقيتو رخيص تقبرني .
الحكيم : (يضحك) اما سمعة ما بتعرفي انو ما بجوز حدا يركب طقم سنان التاني بتمو .
ام كامل : يوه ليش ما بزوز يامو ؟ والله ما سمعتها بالدرس انو بزوز وما بزوز .
الحكيم : هي ما دخلت بالدرس ، لاكن طبا وعلما ما بجوز . ما بتعرفي انو في بالدنية ميكروب وامراض معدية ؟
ام كامل : يوه « قل هو الله واحد » .
الحكيم : لكان كيف ركبتيه بتمك ؟
ام كامل : تقبرني قبل ما ركبو غسلو بالصابون والطرابة الحمرا وتشاهدت عليه سبع مرات وبعدين ركبتو .
الحكيم : لكان شو بتريدي جاية لعندي ؟

ام كامل : قالولي جماعه خديه لعند حكيم سنان البلدية يصلحلك ياه على قد تمك .

الحكيم : (يضحك) اما هي سمعة غريبة ، يللي دلك غلطان يا خالتي واساسا طقومة السنان ما بتتصلح وتتكبر وبتنصغر . بدك طقم بتكلفي طبيب بيعملك ياه على قد تمك مظبوط . وقتها لا بعود بيلتهب فكك ولا بيوجعك تمك .

أم كامل : تقبرني ان كان الجمل بقرش وقرش ما في شو بعمل بحالي ؟

الحكيم : وقتها ببعتك عالجامعة يعملولك طقم سنان مجانا .

أم كامل : يوه يبعتلك الهنا على هالبشارة الحلوة .

الحكيم : تكرمي يا حجة .

أم كامل : يو الله ياخد بيدك وبيد كل منيح .

الحكيم : وانا هلأ بكتبلك كتاب بتاخديه بايدك يمتنوا فيكي .

أم كامل : روح الله يجبر بخاطرك وخاطر كل ابن حلال بحن عالفقير .

الحكيم : استني بصالون الانتظار . هلأ ببعتلك الكتاب مع البنت .

أم كامل : اي تقبرني عم بستنى برة (مبتعدة) خاطرك يامو .

الحكيم : مع السلامة . اف . يا عفيفة .

المرضة : (من بعيد) نعم .

الحكيم : شوفي بصالون الانتظار دور مين قليلو يتفضل (يدمدم باغنية) .

ابو رشدي : (مقتربا) آه . . اخ . . ام . . يا درسي . . آخ . . السلام عليكم سيدي الدكتور .

الحكيم : (من بعيد قليلا) وعليكم السلام . تفضل جلوس عالكرسي جاية .

ابو رشدي : ايه . . ام . . آخ دخيل الله درسي . . ايه . . ام . . آخ دخيل الله شقاتي . . ام آخ آخ آخ آخ شي عم يلمع علي متل السيف بدرسي .

الحكيم : (من بعيد قليلا) شو هاد يا عم ؟

ابو رشدي : نعم سيدي .

الحكيم : على مهلك بدي اعرف اكتب الورقة للحرمة شو هالعن هاد ؟

ابو رشدي : غير عم عن من وجعي لك ابني ؟
الحكيم : وطي صوتك مالك ولد .
ابو رشدي : ايه سكتنا . ام . . آه . . آه آه اخ اخ اخ درسي .
الحكيم : هو هو . هلأ ما رح تخليني اعرف اكتب هالسطرين؟
ابو رشدي : سكتنا سيدي سكتنا . آه . ام . . اي اي اي . يا حنكي آه .
الحكيم : وبعدين معك ؟
ابو رشدي : سكتنا سيدي سكتنا . ام . اخ . آه . اي اي اي .
الحكيم : هو هو (يقترب) هي دشرنا الكتابة مشانك شو صاير معك ؟
ابو رشدي : درسي بعيد عنك طول الليل ما نيمني الشكوة لله .
الحكيم : فتاح تمك لشوف ؟
ابو رشدي : هه (يفتح فمه) ها ها ها .
الحكيم : هم . سكر تمك .
ابو رشدي : ايه . شو شفت سيدي ؟
الحكيم : شفت تصر يلدز شو بدي شوف ؟ هاتي هالبنس يا عفيفة .

● ● ●

من قاموس الشام

السقاطة : مصدم مطرقة الباب وتكون من الحديد على شكل الحلقة او يد الانسان .

باب خوخة : باب البيت العربي الكبير المزدوج ، باب خشبي كبير وبقلبه باب صغير مزين بالمسامير .

باب مصراعين : باب عادي بردفتين .

الدهليز : ممر ضيق بين باب الدار وباحتها .

الديـــار : باحة البيت العربي ، وهي مفتوحة للسماء وسطها بحرة ماء وحولها احواض الشجر والازهار ، وتمر منهـا احيانا ساقية مـاء . وللبيت العربي الكبير ديار براني وديار جواني .

القاعة : غرفة كبيرة في البيت العربي جدرانها وسقفهـا من الخشب المطلي المزين بالزخارف العجمية ، ولها فستقية ماء في عتبتها او فستقية ماء جدارية ، وهناك قاعة بطزر وقاعة بطزرين وثلاثة ، والطزر هو ما ارتفع عن ارض القاعة . كما يوجد في صدر عتبة القاعة « مصب » من الرخام الزخارف توضع فيه المرآة .

المربــع : غرفة مربعة في الديار ولها عتبة وتسمى ايضا المخدع .

الليوان : القسم المسقوف من باحة الـدار . يطل على جمال البيت العربي ويستعمل للجلوس في الصيف لرطوبته .

التكنة : النصية ، الغرفة الصغيرة الواقعـة في منتصف الدرج بين ارض الديار والفوقاني .

الصالية : غرفة عالية عن ارض الديـــار بثلاث او اربع درجات ، والصالية معربة عن الصالون . كما توجد الصالية بالطابق الفوقاني .



كاميرا الفنان عبد الكريم الاصفر ـ حماه

قصر العظم في دمشق

النساس: الانسـان البارد القلب الذي يبعث على الضـجر ، ويقــال فلان نــاس لان اسلوبه في الحديث يسبب الضيق لما يتضمنه من تعليقات باردة :

السحنوك : تدقود : النحيل الهزيل الذي يبعث هزاله على الضـحك .

النايط : النعيان الانســان البارد البطيء .

مجلوء : مدلل . مائع . مغروط .

مجلوع : مشـهون على الاكل . عنده شـهوة ظاهرة للاكل . يقولون عينه جوعانة مجلوع .

ممصوع : نحيف جدا .

ليــكو : ها هو .

مرق علينا: مر علينا .

اجا لعنا وراح : اتى لعندنا وذهب .

جنــر : ودح : وقح وعنيد .

الوتوتة : الوشـوشــة : اثنان يتكلمان همسـا .

المظبطة : عريضـة موقعة من قبل عدد كبير من الناس تقدم للسـلطات ودوائر الامن تحمل شـكوى ضد ظاهرة مسيئة للسكان ، كمدخنة فرن .

الكراكون: المخفر .

الشرشوحة: المزرية : التي تعير بلباسـها او اخلاقها .

الشرنة : الفوضوية غير المنظمة في بيتها .

ام كمونة : البخيلة .

الجاضومة: امراة ثرثارة وقوية .

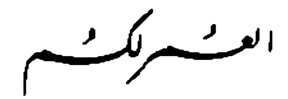
البباحسن: الرزيل .

مدهرن : اهرماني : اكبر من عمره ، صـغير ويتكلم كلام الكبار .

سرنوة : خبيثة تخفي خبثها بذكاء .

الحيكيكة : شـحمة قرد . بخيل .

الشنتير : الكبير الذي لم يعد طفلا .



مقابل الحياة الموت .

لا فائدة .. لا بد من الموت ..

اكره الموت . اخاف الموت . لا يقهرني الا الموت .

انا اهرب من حوادث موت الآخرين . مذ كنت طفلة وبعد ان كبرت وانا اتجاهل واجباتي الاجتماعية تجاه اهل الذين ماتوا . وعندما يموت احد من جيراننا اهرب من البيت حتى لا اسمع اصوات البكاء وولولة النساء على النوافذ والشرفات ، وكلمات الوداع المفجعة للميت وهو يخرج من بيته بلا عودة . تقتلني كلمة ام الميت او زوجة الميت « مع السلامة » .. اية سلامة !! الكلمة خنجر في قلوبنا نحن الاحياء اما الميت فانه لا يسمع ولا يحس ولا يرى ولا يتذكر احدا ، ولن يجيب : الله يسلمكم ..!!!!

ومات زوج احدى صديقاتنا الغاليات . شابة جميلة وذكية وطيبة فقدت فجاة زوجها الشاب الوسيم المحب المرموق الطبيب الذي كان يغمرها بالحب والدلال وكل ما تتمناه صبية . ذهب وتركها مع طفليها بلا عودة .

وحدثت في دمشق هزة . الرجل من افضل شبان دمشق خلقا ومركزا وثقافة ورحل الرجل رحمه الله .

ولا بد من الوقوف مع بقية الصديقات الى جانب الصديقة في مصابها الاليم .

انا ... !! ؟

يا ربي كيف اجرؤ على دخول البيت السعيد بعد ان فقد سعادته الى الابد ..؟ واسم صاحب البيت على جرس الباب ..! كان هو الذي يفتح لضيوفه الباب مبتسما مرحبا .. والآن ..! في غرفة الضيوف الخمرية تغير كل شيء . اين القلاطق الخمرية الساتان ! واين الستائر الخمرية ..! واين

الثريات اللامعة ! لا شيء . . . كراسي من الخيزران مصفوفة حول جدران الغرفة وفي صدر الغرفة الارملة الجميلة متشحة بالسواد تبكي بلا توقف بحرقة ، وصورة زوجها فوق راسها تبتسم بسخرية من الحياة التي يهزمها الموت برفة عين .

الموت اقوى اذن . . !؟

ويقفز طفلها الصغير . . يسال اين ابي .؟ متى يعود ابي يا ماما . . !؟

لا . . الحياة اقوى . الطفل هو الاقوى .

لا بد من تادية الواجبات الاجتماعية في حوادث الموت .

ولكنني بعيدة جدا عن تقاليد دمشق حيال الموت .

وقبل ان اذهب سالت سيدة عجوز من قريباتنا حتى لا اخطيء في سلوكي ، وبدات تعلمني قائلة : يا بنتي للموت في دمشق تقاليد وعادات يجب ان تحترميها :

ـ اذا كان الميت صاحب البيت تكون المصيبة كبيرة وخاصة اذا كان شابا . ويحضر الى بيت الميت بعد نشر النعوة ، الاهل من قريبات الميت وقريبات زوجته والمقربات من الصديقات والجارات .

وبعد طلعة الميت . . . من بيته ، وبعد ان يرافقه الرجال حتى « جامع الاموي » او اي جامع آخر للصلاة عليه ، يشيعه الرجال للتربة للدفن اما في « الدحداح » واما في تربة « باب الصغير » وبعد دفنه يقف اهل الفقيد في التربة في صف ويقبلون التعازي من الناس .

فيقول المعزي :

ـ عظم الله اجركم .

ويرد اهل الفقيد :

ـ شكر الله سعيكم .

ويدعو احد الاقرباء الناس الذين حضروا الجنازة للغداء وتعود بهم السيارات جميعا الى بيت الفقيد .

طبعا تكون احدى قريبات الفقيد قد حلفت على النساء اللواتي حضرن الى بيت الميت منذ معرفتهن بالخبر ، لتناول طعام الغداء ، اذا كانت طلعة الميت قبل الظهر ، ولتناول طعام العشاء اذا كانت طلعة الميت بعد الظهر .

ويتكون طعام مائدة الميت من الاكل « السوقي » وهو « الاوزي » وهورقاقات من العجين تحشى بالرز واللحم والفستق والصنوبر ، ويقدم ايضا اللبن والحلويات الشامية والفواكه ، وعلى سفر الاغنياء تقدم انواع المآكل الشامية كالكبب والخضار ، وكل بيت يقدم حسب قدرته . ثم توزع القهوة المرة .

وتنام عند اهل الفقيد القريبات ؛ وكانت العادة في القديم ان يأخذ الرجال بالخاطر في الصبحية في التربة حيث تنصب خيمة فوق القبر ويقرأ المشايخ القرآن الكريم وتوزع القهوة المرة . ولكن الايام تغيرت ، وتبدأ تعازي الرجال من اول يوم مساء بين المغرب والعشاء واسمها « تمساية » ويقولون عليها الصبحية احيانا ، وغالبا ما ينادي احدهم في المقبرة بعد دفن الميت قائلا : الصبحية مسامحة يا اخوان . وهذا يعني ان التعزية في البيت مساء .

وتعزية الرجال لا كتعزية النساء . يجلس اهل الفقيد على صف من الكراسي في اقرب نقطة من الباب حتى يروا الداخلين والخارجين من المعزين وكلما دخل احد المعزين يقفون له ، ويسلم بيده ويجلس مع الناس فترة قصيرة بينما المشايخ يقرأون القرآن . وتوزع القهوة المرة . وعندما تدخل مجموعة جديدة تخرج مجموعة ويصافح افرادها اهل الفقيد ويقول كل واحد لكل من يصافحه :

— عظم الله اجركم .

ويرد اهل الفقيد :

— شكر الله سعيكم .

طبعا التمساية ثلاثة ايام متوالية لا بد منها .

اما عند النساء فيوم « الموتة » تدعو احدى قريبات الفقيد بعض القريبات جدا للوقوف في العصرية ، وتقف عادة العمات والخالات والحموات (حماة البنت وحماة الصبي) وبنات الاحما والكناين والسلايف وبنات الاخ وبنات الاخت واقرب القريبات . وطبعا تقف في العصرية الاكبر سنا . وهذه الدعوة تدل ان لصاحبتها مكانة عند اهل الفقيد ودعوتهم لها دليل احترام وواجب وخاطر . وفي بعض الاحيان تقف في العصرية عشر سيدات وفي بعض الاحيان تقف في العصرية خمس واربعون سيدة ، طبعا حسب اهمية الميت وحسب المكان وغلاوة الفقيد .

وغرفة العصرية تجلل بالستائر البيض او ذات اللون الرمادي

او الاسود . ولكن المتدينين لا يجللون القلاطق والابواب والنوافذ بالاسود . وباب غرفة العصرية عبارة عن ستارة قطعة واحدة او ستارتان . وتصف حول الغرفة الكراسي الخيزران او القلاطق وتجلس في صدر الغرفة زوجة الفقيد وترتدي الاسود وعلى راسها غطاء اسود وكذلك بناتها . اما اللواتي يقفن في العصرية فيرتدين الكحلي او الازرق او الرمادي وعلى رؤوسهن اغطية جورجيت موسلين بيضاء ويبدان بقراءة الصمدية في قلوبهن . وعليهن قراءة آية « قل هو الله احد » مئة الف مرة . كل سيدة تمسك بمسبحة الفية . وتقرا الآية الف مرة كل حبة مرة . وعند نهاية العصرية تكون السيدات العشر قد قران الصمدية على روح الميت .

وجو الغرفة على الاغلب معتم. والى يمين الغرفة ثلاثة كراسي فارغة للمعزيات . يدخلن دائما ثلاث . تدخل اولا الاكبر سنا ثم الاصغر سنا ثم الاصغر ويكون مكانها الاقرب الى الباب . عند الدخول تقف لهن النساء بلا كلام ويجلسن جميعا . ويقران ثلاث مرات آية « قل هو الله احد » في قلوبهن ثم يقفن وتقف النساء جميعا وتخرج هذه المرة من الجهة الثانية للستارة الاكبر سنا ثم الاصغر فالاصغر .

ويكون الشيخ في غرفة مجاورة يقرا القرآن . والعصرية تستمر ثلاثة ايام واول خميس بعد الوفاة . وبعض الناس يقلب السجاد ويغطي فرش البيت بالابيض او الرمادي ويغطي الثريات ويقلب المرايا ، ويغطي الخزائن لمدة سنة كاملة ؛ ولكن هذه العادات اخذت تخف مع الزمن لان الحزن في القلب لا في المظاهر . وعادة اللباس ان ترتدي زوجة الفقيد وبناتها غير المتزوجات الاسود وبناتها المتزوجات الكحلي او الرمادي والقريبات الكحلي او الرمادي او الازرق . ولا تغير زوجة الفقيد لباسها الاسود قبل السنة حتى يمر من يحلف عليها لترتدي الكحلي ثم الرمادي ثم الازرق او الابيض فبقية الالوان .

اما اخدان الخاطر فهو اليوم الذي تعزي فيه النساء ويسمح فيه بالكلام القليل . وهو اليوم الذي يماثل اليوم الذي توفي فيه الفقيد . فاذا توفي صاحب البيت السبت فيكون اخدان الخاطر كل سبت حتى الاربعين . وبعض الناس يستقبل المعزين كل اسبوع حتى تمر سنة . وخيمة القبر

تستمر حتى اول خميس للميت . كما انها تنصب في وقفة عيد الفطر وايامه الثلاثة وفي وقفة عيد الاضحى وايامه الاربعة ويستقبل اهل الفقيد المعزين في العيد في المقبرة وفي البيت ، ولا بد من زيارة الاموات في البرية في المواسم والاعياد .

وفي اربعين الميت وسنويته يعزمون الاهل والمشايخ والفقراء على حفلة غداء او عشاء ويحضرون فرقة ذكر . ويوزعون المال على المعوزين على روح الفقيد .

وبعد وفاة الزوج تدخل زوجته بالعدة اربعة اشهر وعشرة ايام لا ترى رجلا ولا يراها رجل ولا يسمع صوتها ولا يكلمها حتى تنتهي العدة .

وفي القديم كانت العادة ان يكون الحزن شديدا ، فكانوا يفكون السرير وينامون على الفرشات « الممدودة » على الارض وياكلون على الارض وزوجة الفقيد لا تنام على شرشف ، ولا تتوضأ من الابريق لانه « دكر » ولا تمشط شعرها بمشط سن سمك لانه « دكر » ولا تاكل بشوكة ولا ملعقة ولا تشرب بكاس ماء بل من الزبادي ولا تنشف يديها ببشكير ولا تجلس على كرسي بل على الطراحة . اما ملابس الفقيد فكانت تفرق على الفقراء ، ورجال الكلاليب الذين يحملون اغصان الآس والزهور وعلب الميت ، طبعا هذا كله قد بطل الآن ، واصبحت الجنازة متمشية مع الزمن . النعش يحمل على سيارة والآس والزهور تحمل على سيارات والمشيعون يركبون السيارات . تغيرت اشياء كثيرة في مدينتنا يا ابنتي ولكن من العيب انتجهلي اصول العصرية واخدان الخاطر . يا بنتي يجب ان نعرف قدر الناس ونلتقي لهم وقت الشدة والحزن حتى يعرفوا خاطرنا ويلتقوا لنا . لكان . . . الناس لبعضها . . . !!

ومن يومها . . وانا لي ملابس غامقة الالوان جاهزة صيفية وشتوية وغطاء للراس رمادي او ازرق حتى اقوم بواجباتي تجاه من احبهم عندما يفقدون عزيزا . دمشق مدينة تحترم الاموات ، فلماذا لا اكون عند حسن ظن دمشق !!

ولكنني اخاف الموت .

لست أخاف ان اموت . أخاف ان افقد من احبهم . ولا اطلب من الله الا ان اموت قبل الذين احبهم جميعا .

انانية !! لا بأس ليتعذبوا افضل من ان اتعذب . اتمنى ان ارحل وحبيبي الغالي يحيا .

● ● ●

كركوز وعيواظ

في قهوة حمام « الجوزة » في سوقساروجة وعلى الكراسي القش الواطية ، سمعت مع بقية الاطفال في طفولتي هذا الحوار بين كركوز وعيواظ بصوت الفنان الشعبي المجهول « الكراكوزاتي » :

عيواظ : يا اخي لايمتى انا واياك لا شغلة ولاعملة بكرة اذا وقعتلها شي سرقة بالبلد بحطونا مسؤولين ..!!

كركوز : اي ماڤي شغل شو بدنا نشتغل ..!!

عيواظ : يا كركوز انت ما بتحب تشتغل انت زلمة تعودت على الكسل .

كركوز : لاقيلنا شغلة حتى نشتغل ..!

عيواظ : تعا نشتغل صيرفية ..!

كركوز : لحتى يقولوا عنا يهودي للبيع ..!!

عيواظ : تعا نشتغل بكار ابوك . فوت اسأل امك عن كار ابوك ومنشتغل بكار ابوك .

كركوز : يامو .. يا يامو .. شو كار ابي ؟

امكركوز: اوها وميت الحمدلله هاللي ابني صار عاقل ، وابني اجا عقل الرحمن لراسو ، ابني بكرة بدو يغنى ، ابني بكرة بدو يطوفر .. لي لي لي ليش .

كركوز : طيب شو كان كار ابي ؟

امكركوز: كان ابوك قصاص كلاب ..

كركوز : شو يعني ..؟

امكركوز: كان يشتري بعشر قروش خبز ، ويجمع الكلاب ويقص صوفاتهن ويبيعها بخمس قروش .

كركوز : سمعان هيك كان كار أبي .

عيواظ : هادا مو كار يقطع عمرك انت وهالكار ..

كركوز : لكان شو بدنا نشتغل ..!

عيواظ : تعا نعمل شحادين .
كركوز : طيب ومين بدو يشحدنا نحنا التنين اذا ربطونا بسجرة جوز منقلعها ..
عيواظ : بالله .. هيك رح بشحدك!! انا عندي ماس بقطع ايدتينك، وعندي بلطة بكسر رجلتينك وعندي مخرز بقلع عينتينك وبدور فيك بشحد ..!!
كركوز : امشي .. تضرب انت وهالمزح .
عيواظ : « يغني »

كزل كزل دار
يا عيني دار
عجيبي دناها .
بش بش يابش بش

كركوز : امشي يا بش بش على الاموي .
عيواظ : (في الاموي) طالب من الله ومن جود الله ومن كرم الله ملات صحن الاموي ليرات مخمسة مو كتير عليك يا الله ..!!
كركوز : عدم عقلو باذن الله . شو هادا بش بش عدمت عقلك .
عيواظ : لو اعرفك واطي النفس بهالصورة ما كنت شحدت معك .
شو بتريد اشحد لك خمسين الف ليرة ميت الف ليرة ..؟!
كركوز : لا شحاد مال الدنية !! طلاع هالطلعة والله هالوش فيه خير ..
عيواظ : رح دق هالباب .
كركوز : دق لنشوف بركي الله بيرزقنا .
حرمة : مين ..!!؟
عيواظ : شو مين ... يلعن ابوكي على ابو اللي سكنك بهالحارة .
شايف لك اخي قال مين ..!!
كركوز : شو بدها تقلك ..!؟
عيواظ : ما بتعرفي انو كركوز وعيواظ حط فيهن الزمان وما بقى في شي بالحال . هاتي شوفي عندك كنبايات سجاد فرشات مطيشي .
حرمة : اذا جوزي باسطنبول .
عيواظ : طيب دقي لو تلغراف باللاسلكي ..
حرمة : لك مطلقة انا .. لك مطلقة ..!!
كركوز : ان شا الله خلصت العدة !!؟

سكر وتتن

قال لي العجوز الدمشقي الظريف :

ــ يا بنتي بالشام في روح حلوة كتير وناس ظراف وزكرت . وكان النا ايام وقتن كنا شباب ، هلأ كبرنا وراحت علينا .

مرة بشبابي ايام الحكم التركي كنت ضابط بالجيش وكانت تركيا العثملية مانعة تجارة السكر والدخان ، وكل واحد بيهرب « سكر » وللا « تتن » بتكون عقوبتو الموت .

مرقت على خالي بسوق علي باشا . قاللي : يا خالي الله يرضى عليك بدي ياك تمشي مع هالولد من بعيد لبعيد حتى يوصل تنكة « التتن » لعند واحد تاجر ناح البزورية !! قلتلو على عيني يا خالي امشي يا ولد . ومشينا مشينا حتى وصلنا لسوق مدحت باشا ولما قربنا نوصل للبزورية ما لاقيلك الا العالم عم تركض والعساكر التراك عم يلحقو الناس بدهن يكمشوهن . انا حسبت حساب « التنكة » وخفت يكمشونا رجعت الولد بالتنكة قوام . وعند مصلبة البزورية شفتلك العجقة جنازة حافلة ، لاكن التابوت بالارض واللي كانوا طالعين ورا الجنازة هربوا واللي كانوا حاملين الميت والكلاليب والآس كمان هربوا ، مشتغل الركيد على ابو جنب ، مقلوبة الدنية واهل الميت عم يبكوا ، والعسكر التراك بدهن يفتحو النعش ، واهل الميت عم يحلفو الف يمين انو النعش ما بينفتح على ابنهن الميت ، قام نط واحد من العسكر التراك قاللهن :

ــ بس بدي افهم شلون بتطلع من بيت واحد عشر جنازات بيوم واحد ما عما تفوت بعقلي . . . . !!

بالظاهر طلعت الجنازة من حارة جنب البزورية ، مسدودة وصغيرة



الفنان ميشيل كرشة ـ دمشق

وما فيها غير باب واحد . وبهداك النهار طلعت من هالباب شي عشر جنازات قام انتبه الشرطي التركي .

ــ بدي افتح النعش !! ما بنفتح النعش !! لا بدي اكسر التابوت !! الحاصل كسروا التابوت وفتحوه طلع مليان قوالب سكر عم تتهرب من بين البيوت وتروح على التربة وهنيك كانوا عم يخبوها بمغارة ومن هالمغارة عم ينقلوها ويتاجروا فيها . وهالقصة يا بنتي مضحكة وبنفس الوقت بتدل على انو الاستعمار ما كان يقدر يحكم الشام .

وفي قصص حلوة كتير ظريفة كنا نحنا ابطالها وقتن كنا شباب . في عادة بالشام قديمة انو اذا مات واحد فقير او واحدة فقيرة مستورة وما في عند اهلها مصاريف « الطلعة » كانوا زكرتية شباب الشام يحملوا ميزان ويحطوا بالكفة الواحدة صابونة ويدوروا على الدكاكين ويوقفوا عند دكان دكان حتى يحط صاحبها بالكفة الثانية اللي فيه النصيب واللي بتسمح نفسو فيه . وكان الميزان والصابونة بيعنوا بدون شرح وكلام انو في واحدة مستورة لازم نتبرعلها بمصاريف التغسيل والطلعة « لباب الصغير » او « الدحداح » . وهالعادة بتدل على طيبة اهل الشام . ووقتن كنا نصير طفرانين وما معنا مصاري لحتى نروح نسكرلنا شي سكرة ، كنا نحنا كم شب نحمل الميزان ونحط فيه صابونة وندور نجمع مصاري للميتة المستورة اللي ما بيجوز نذكر اسمها . ونسهر سهرة لطيفة ليلتها ونحنا عم نضحك ونترحم عالمرحومة . . شغل شباب . .

وكتير مرات كنا ندور نحمل الميزان نطلب من الدكاكين مساعدة لواحدة « مقطوعة » بالفرن . وطبعا ما في « مرا » مقطوعة بالفرن ، وكنا نساويها حيلة حتى نجيب لحمة « الصفيحة » المقطوعة بالفرن فعلا ولا بد من دفع حقها واجرتها حتى نتغدى غدا لطيف بالسيران على كتف بردى . طبعا على حساب الاجاويد .

شباب . . . سقا الله يا بنتي هديك الايام .

وبعرف قصة حلوة عن واحد شامي اسمو ابو احمد طلع مرة مع واحد بدوي بسفرة عن طريق البادية . بالطريق عطشوا قاموا وقفوا على بير مي كانت واقفة عليه عما تعبي بالدلو صبية حلوة .

قالها البدوي : مرحبا . . ما تسقينا يا بنية . . !!

قالتلو : اهلا بيكم .

ومدت الدلو للبير وعبتو مي وقدمتو للبــدوي . شرب . قالتلو : لو اعرف اســمك لقولك هنيا . قاللها : « اسـمي بوجهك » . قالتلو : هنيــا يا « محسـن » . قامت هية حملت الــدلو وشربت . قاللها : لو اعرف اســمك لقولك هنيا . قالتلو : « قبضـة يدك » قاللها : هنيا يا « خزنة » .

اجا ابو احمد حمل ســـطل المي ونزل شرب كر كر كر كع .. ونزل الســطل وقال بصوت عالي عريض : الحمد لله . قالتلو البدوية . لو اعرف اسمك لقولك هنيا ..!! قاللها ابو احمد بلهجتو الشــامية :

« تعو لقلكن ... انا ما بعرف بهالعــلاك المصـدي .. انا اسـمي ابو احمد » .

• • •

دمشقي ودمشيقي

تاللي واحد جاري اسمو ابو احمد :

ابو احمد : كان لازمنا يا شوكت لهالولاد كم شنتة . شو لازمنا ؟ تلتلو :

شوكت : كم شنتة ؟

ابو احمد : اخدنا الولاد ونزلنا على سوق الخجا . لوين نزلنا ؟

شوكت : على سوق الخجا .

ابو احمد : اشترينا تلت شناتي . شو شترينا ؟

شوكت : تلت شناتي .

ابو احمد : بعدين رحنا هيك ناح سوق القروام لوين رحنا ياشوكت؟

شوكت : رحتو ناح سوق القروام سيدي .

ابو احمد : نازلة سجادة بالدلال . شو نازل ؟

شوكت : سجادة بالدلال .

ابو احمد : واصل مزادها للخمس تالاف ، لوين واصل ؟

شوكت : للخمس تالاف .

ابو احمد : ما سمعنا الا ادن العصر . شوة ..؟

شوكت : ادن العصر .

ابو احمد : اخدنا الولاد ونزلنا علأموي صلينا العصر ، شو صلينا ؟

شوكت : سيدي صليتو العصر ..!!

ابو احمد : بعدين طلعنا من باب البزورية منين طلعنا ..؟

شوكت : من باب البزورية .

ابو احمد : هيك واصل على سوق مدحت باشا . لوين رحنا ..؟

شوكت : على دمر ....!!!

ابو احمد : لكان مالك فهمان علي ..!! مالك معي !!

شوكت : لا .. انا تركتك بسوق الخجا !!!

عنتر أبو الفوارس

حكواتي الشام المشهور ابو قاسم اللي كان يحكي قصص «عنتر وعبلة» بقهوة مصلبة باب سريجة ، صدف يوم من الايام حكى على حرب جرى مع عنتر ، حارب حارب بقى سيدي ووقع بالاسر . وحبسوه لعنتر . اي نعم . تركو ابو قاسم محبوس وقال هون اودعنا الكلام . وراح الحكواتي وراحت العالم . في بين هالعالم واحد مغرم بهالقصة وبحب عنتر ومن انصارو . راح عالبيت اكل وشرب . اجا وقت النوم . قامت قالتلو مرتو قوم نام يا رجال قاللها مو جاييني نوم لأنو عنتر محبوس . فز بقى سيدي اخد « صلاحو » وراح دوغري لبيت ابو قاسم الحكواتي ودق عليه الباب بعد نص الليل . نزل فتحلو . خير ان شاالله ..؟! امور ..!! قاللو : هيك بيجي من مروءتك انت تنام وعنتر محبوس !! والله اذا ما طالعتو الليلة من الحبس غير ما اطرقك سكين بج كرشك !! غصبن عن راسك بدك تطالع عنتر مشان يرجع لعند عبلة !

هادا الحكواتي عرفو شقي خاف منو قاللو تفضل، عزمو عالبيت وفتح كتاب «سيرة عنتر» قعد يقرالو حتى طلع عنتر من الحبس معزوز مكروم قام برد قلب صاحبنا وانبسط وراح نام مرتاح . اما شلون طلع عنتر من الحبس هي قصة طويلة حلوة قراها الحكواتي ابو قاسم الله يرحمو وقال بعد ما طار النوم من عيونو :

يا سادة يا كرام ...

« قال الراوي » فلما عبر ابو الدوح بالعساكر واستقام على الطريق المستقيمة حدثته نفسه باخذ ابنة عمه حليمة فسار يعلل نفسه وانشد يقول:

يا دهر ويحك ان بلغتني الاملا ممن احب ويمسي الحب متصلا

شكرت فضل اياديك التي سلفت حتى اموت وتلقى النفس الاجلا





الفنان ابو صبحي التيناوي – دمشق

قالت حليمة اني فيك زاهدة فاذهب وخل لبنت السادة الفضلا
قد عذبت بجفاها مهجتي عجبا وصارعتني ولا اصغت لمن عذلا
وعن قليل اجازيها بما فعلت اذا رات دارها قد اصبحت طللا

سار وهو يعلل نفسه بالآمال وهو يقطع الروابي والتلال حتى قارب دمشق وبقي بينه وبينها يوم او يومين قال للرجال الذين في صحبته اعلموا انني قد عولت على امر واقول اننا به نأمن الانكار وننال ما نحب ونختار اذ انتم وافقتموني عليه فقال له القوم وما هو فقال نأخذ من الديلم مع العجم الذين معنا ونشدهم على خيولهم عرضا ويكون معهم الف فارس من العرب المتنصرة وندور نحن بألف فارس آخر بهذه البيارق والصلبان ونشرف بهم على البلد وهم معنا في زي الاسارى حتى اذا ركب نائب عمي الى ملتقاهم فلا ينكر حالنا احد ويتقدم الينا ويسأل عن اخبارنا وعساكرنا واجنادنا فأحدثه انا بما يشد قلبه واطول معه الحديث حتى يركض منكم خمسين فارس ونملك البلد والباب وقد هانت علينا نحن الامور الصعاب واضرب بعد ذلك رقبة نائب عمي ونبذل السيف في اصحابه ورفقته وقد بلغنا المراد مع اننا قضينا غرضا من اصحاب هذه البلاد فقال المستمعون والله يا ابا الدوح لقد اشرت بالصواب وقلت قولا تقبله اصحاب العقول والالباب لان عمك اذا بلغه هذا الخبر انكسر ولو ان عسكره بعدد اوراق الشجر ونحن نعلم انهم متفرقون وهم على الهرب عازمون وانه يعود على اثرنا في طلب البلد فتطمع فيه اصحابنا وكل احد ويعلمون بما قد فعلنا وههنا يكون هلاكه على ايدينا ونملك الشام من بعده ونهلك عسكره وجنده ثم ان القوم بنوا امرهم على هذا الترتيب وشدوا منهم الف فارس اسير وهم على خيولهم حتى شارفوا دمشق ووصلت اخبارهم الى عند حامد بن حفيظ وهو الذي كان خليفة الحارث الغساني على دمشق وكان عنده ثلثمائة فارس فركب وخرج ينظر اخبارهم فرآهم يتحادروا من سائر الاقطار الا انهم ما ابعدوا عن الاسوار حتى بانت لهم البيارق الصلبان والاسارى بينهم ينساقوا سوق الهوان فقال حامد بن حفيظ يا للعرب انكسرت وحق المسيح فرسان العراق وجاءتنا فرسانهم في الاصفاد والوثاق ثم جعل ينظر الى مقدم الجيش واذا به ابو الدوح فلما رآه صاح به ونادى لله درك يا ابا الدوح اخبرني وطيب قلبي بحق المسيح فقال له ابشر يا حامد بالنصر والغنى وبلوغ المنى فقد كسر عمي عساكر الملك كسرى واهلك منها خلق كثير لا تعد ولا تحصى واتبع آثارهم ليملك ديارهم وما عدت على هذه الحالة الا حتى اعرض هذه الاسارى عليكم واسلمهم اليكم لانهم من خواص العجم وابطال الديلم وقد امرني ان

اجمع كل رجال الشام والحقه بها الى بلاد العراق حتى يفتح بها بلاد وقلاع عبدة النار لان الراجل انفع من الفارس عند الحصار ثم ان ابا الدوح تم مع حامد في الحديث وهو يحدثه بالمحال الى ان علم ان اصحابه قد وصلوا وفعلوا ما امرهم به فما استقر بهم القرار حتى سل ابو الدوح حسامه من غمده وضرب به حامدا طير راسه عن بدنه وحملت بنو طي على الرجال بصحبته فشالوهم على اسنة الرماح شيلا واي شيل وقد انزلوا بهم البلا والويل وعدم منهم القوى والحيل وما سلم من الثلثمائة التي كانت من يخبر بخبر وكان ابو الدوح قد دخل على دمشق عند الصباح وقد اشرقت الشمس على الروابي والبطاح فما صارت الشمس في قبة الفلك حتى لاح لابي الدوح لائح النصر لانه بعد قتله لحامد بن حفيظ امر اصحابه فحلوا فرسان الديلم والعجم ودخل في باب البلد وهجم وقال للرجال والابطال يا ويلكم مكنوا السيوف من العوام والقوا الهيبة في قلوبهم حتى يتم لنا الامر ونادوا باسم الملك كسرى يا منصور « قال الراوي » فعندها حملت الفرس وتبعتها العرب ووضعوا السيف في اهل البلد وعلا صياحهم وانعقد وجرت الدماء من الاسواق وقام الحرب على قدم وساق وكانت الغلبة لاهل العراق لان اكثرهم هربوا في الدروب وفاتوا المال بين ناهب ومنهوب وفيهم من طلب الكفاح ودام القتال واشتدت الاهوال وتصايحت النسوان فزعا على الابطال والاطفال وكانت بوقات القوم قد ضربت على الاسوار فرحا بوصول الاسارى والنصر والظفر فعادت اختفت وعدمت فزعا من الاعاجم وانطرحت عليهم العرب والعجم بالسيوف الصوارم وبذل ابو الدوح سيفه في الناس والعالم لانه كان صاحب قريحة واساس وقد حدث نفسه باخذ محبوبته حليمة بين تلك الناس فسطا ابو الدوح سطوة جبار على الاقارب والجوار وصاح في اهل دمشق يا ويلكم ارجعوا الى دوركم والمنازل وتخلصوا من هذا البلا النازل لانني سلمت البلد الى الملك كسرى ملك العرب والعجم لاجل ما فعل عمي في حقي وغدر وظلم وغدا تصبح عساكره متتابعة ورايات الفرس مقبلة وطالعة وتجازون على هذه المدافعة والممانعة الا ان ترموا سلاحكم وتطلبوا سلامة ارواحكم والا سبيت منكم النساء والاولاد وفعلت بكم ما فعلت باجنادكم لان عمي قد انكسر بالجيش الذي معه واسر وهلك اكثرهم والسالمين منهم طلبوا انطاكية وانتم اليوم رعية الملك كسرى صاحب الايوان وملك العراق وخراسان والحاكم على جميع الآفاق والبلدان فتلافوا امركم قبل الندم ولا تقاتلوا من له الخدم نسبى عيالكم والحرم « قال الراوي » وما زال ابو الدوح يقول مثل هذا الكلام وهو يضرب في العوام بالحسام حتى

رموا من ايديهم العدد وما بقي للقوم صبر ولا جلد وطلبوا الامان واغلقوا ابوابهم واحتموا خلف الجدار وما امسى المسا وولى النهار بانوار الضيا وكان ابو الدوح برؤوس الدروب والمضايق من اصحابه الف فارس من اصحاب السيوف والمناطق وداروا من حول القصر بالف فارس آخر وكانت حليمة علمت بما جرى من اول النهار فلطمت هي ومن معها من الجوار وعلمت ان ابن عمها ما فعل هذه الفعال الا من اجلها وانقطع ظهرها وحارت في امرها ونثرت شعرها ودقت صدرها وصارت تنادي من الفزع وهي ترجف من الخوف والهلع وكانت قد ظنت ان اباها قد هلك وفي الحقيقة تقلت نفسها مما لطمت على خدودها واشتد مصابها وندمت وتفكرت فيما عملت ونادت الى اهلها وقد دارت بها بنات عمها فقالت من شدة خوفها وتحيرها من ابن عمها وحق المسيح لا بد ما اهلك نفسي ولا اترك ابن عمي يشمت بي ثم ان حليمة جذبت بعض سيوف ابيها ومكنته من فؤادها فلطمتها امها ومزقت اثوابها مما اصابها وقامت اليها ومسكتها بيديها وقالت لها يا بنتي انت اذا عرض عليك الزواج تقولي انا ما أريد رجالا وما اريد الا ابقى على حالتي حتى القى المسيح ابن مريم وانا كما ترى طاهرة دية ما يكون اعظم من هذا يا بنيتي ثم ان امها قالت لها بحياتي عليك اصبري واسمعي مشورتي عليك ان كان لك فيها مصلحة وخبرة والا افعلي ما تريدي وتدبري ما تشتهي فقالت حليمة وقد زاد منها بكاها وكثر شكواها قولي يا اماه ما عندك من الراي حتى انظر ما اصنع ولشر هذا الولد الزنا عني ادفع والا اتلفت مهجتي وتطول على خطيئتي ولا يتملك هذا الولد الزنا من ناحيتي فقالت لها امها المصلحة يا بنتي والصواب اننا نسير وننشر شعورنا وجميع ما في القصر من البنات والستات والجوار والمولدات وندخل كلنا على هؤلاء العرب والسادات الذين هم عندنا في الاسر ونحن باكيات نادبات وتمسك كل واحدة منا بذيل واحد منهم ونستجير بهم ونأخذ منهم الذمام ونبدي لهم ما جرى علينا من المصائب والاحكام ونضمن لهم الخلاص من الاسر وعودتهم الى اهلهم سالمين غانمين ونسالهم المعونة عن هذا الشيطان الرجيم الذي قد نافق علينا وحازانا بالنفاق واتى الينا بهؤلاء الاعجام من قفر ارض العراق واذا علمنا بذلك ما نطلق احد منهم حتى نأخذ عليهم العهد والميثاق فاذا نصرونا وخلصونا جازيناهم بالاطلاق ومكناهم في المال والسلاح والعدد والرستاق وان هم هلكوا قتلنا نحن انفسنا ونكون قد بذلنا المجهود وما نسلم نفوسنا حتى نعجز عن ارواحنا فاني قد سمعت اباك مرارا يقول هؤلاء المحبوسين مالهم في الشجاعة نظير ولا في القتال والحرب والنزال وفي اعطاء

الذمام والصدق في الكلام ونحن واياهم قد اشرفنا على الهلاك على كل حال واطلاقهم في هذه الكرة خير لنا من ان يكونوا في الاعتقال « قال الراوي » فلما سمعت حليمة هذا المقال تعلق قلبها باذيال السلامة وركنت الى كلام امها خوفا من العقوبة والندامة ثم انها جمعت كل من في القصر من البنات الابكار والستات والجوار وحدثتهم حليمة بما سمعته من كلام امها فاجابوها الى ذلك ونشرن شعورهن وهن احسن من البدور والولدان والحور ثم سارت بهن حليمة طالبة الحكرة التي فيها عنتر بن شداد واصحابه الاجواد وجميع الاسارى والكل ساهيات حيارى وقد نشرن شعورهن على اكتافهن « قال الراوي » لما ضرب البوق في البلد وقوى الزعاق وانعقد وقعقعت العمد وراوا الذين كانوا موكلين بهم قد تصايحوا وخرجوا على صياح النساء والحريم وفي ذلك الوقت دخلوا على عنتر بن شداد في السجن وهم مهتكات وكان عنتر كثير الغيرة على النساء والحريم فنكس عند ذلك راسه لما نظر الى حليمة والى تلك النساء والجوار التي اتوا معها وقال لهن استرن يا حرائر وجوهكن واقللن من البكاء والانتحاب وحدثوني بما جرى على الحارث الوهاب وكيف طرقتكم هذه الامور والاسباب « قال الراوي » فاعادت عليه حليمة قصة ابن عمها ابو الدوح واخبرته بجميع ما جرى لها معه من الاول الى الآخر وباطن وظاهر واعلمته في الآخر انه قد احتال على البلد وملكها هو وطائفة من العجم وقد بذلوا السيف في القوم العوام وهتكوا يا مولاي الحرائر وكان في فعله جبار جائر وما فعل ذلك يا وجه العرب الا من اجلي حتى يملكني ويجري بيني وبينه ولا احل له لكوني بنت عمه وهذا حرام في دين المسيح وعند اهل المعمودية ويسن سنة قبيحة في دين النصرانية ثم انهم ضمنوا لهم الاطلاق من الوثاق والعودة الى اهلهم بالهدايا والتحف والاموال والخيول العتاق فقال لهم عنتر والله يا جويرات ويا ستات ان دخولكم الى وانتم على هذه الحالة والصفات قد انساني ما انا فيه من الاسر والعذاب وقد بغضت نفسي الحياة لعظم هذا المصاب وانا اكشف عنكم هذه الاغلال والوثاق حتى لا يكون قد عملت معكم مكرمة وطلبت في مقابلتها الفضل والاطلاق لان الكرام لا يطلبون جزاء اذا جادوا بالعطاء ولا يندمون الدهر على ما قضى ولا يحملون هم النوازل التي تاتي من السما لان لنا ربا كريما يفعل في خلقه ما يشاء ويقدر الآجال والارزاق وقد تحيرت فيه العقول والاوهام وسلموا اليه الامر والاحكام ثم ان عنتر طيب قلبها ووعدها بالنصر على الاعدا وامرهم باحضار عددهم وازالة الحديد عنهم ففكوهم من الوثاق ففعلن ذلك ، وكذلك فعلت بولده ميسرة واخيه مازن وجميع

الاسارى وما فيهم الا من وعدها ان يتلف مهجته ويضرب ابن عمها بالسيف على قمته ويجتهد في قتلته فقل عنهن البكا والخوف وباتوا طول الليل وهم ينقلون لعنتر ولاصحابه السلاح والعدد والسيوف والرماح والعمد ويفكوا قيود الرجال مع الاغلال حتى صار وقت الصباح واسفر عن وجهه الوضاح وفي ذلك الوقت زحف ابو الدوح الى القصر في جماعة من العرب والعجم وجبابرة الديلم وصارت تصرم الرقاب بالعمد وعلا صياحهم وانعقد « قال الراوي » وكان عنتر واصحابه قد لبسوا الزرد وتدرعوا بالحديد المنضد ووقفوا للرجال بالسيوف والدرق وقالوا لاهل القصر لا فيكم من يصيح ويزعق واتركوهم يدخلوا في ابواب القصر وانظروا ماذا ينزل عليهم من العذاب والحصر وكان الغلمان والخدم قد شدوا لهم على الخيول وقادوا لهم الجنائب ولم يركبوا بل قالوا هذه اتركوها حتى نقتل هؤلاء الانذال ونخرج خلف من يسلم منهم الى ظاهر البلد ويتسع علينا المجال « قال الراوي » وكان هذا التدبير من عنتر الا انه ما فرغ من المقال حتى كسرت الفرس الابواب ودخلت تتسابق الى نهب الاموال وسبي الكواعب الاترابوازدحمت الرجال وارتفع لهم الصياح الذي يذهل عقل الانسان وكان ابو الدوحمتدمهم يصيح مثل الشيطان وينادي يا حليمة ابشري اليوم بالسبي والاذلال وذوقي العذاب والوبال والبلبال هذا وعنتر يمهلهم ويكف اصحابه عنهم حتى صاروا جماعة في القصر منهم اكثر من ثلثمائة فارس وفي ذلك الوقت زعق في ولده ميسرة واخيه مازن وعروة بن الورد وابن عمه عمر وابوه شداد وباقي الرجال الاجواد وقد هزوا في ايديهم الصوارم الصقال وزعقوا في الاعاجم كما تزعق الجمال وضربوا في اطرافهم ضربا شديدا اشد من وقعات الصواعق اذا وقعت على صم الجبال فاول من قتل كان ابو الدوح الذي دبر هذا التدبير واحتال هذا الاحتيال الا ان ميسرة التقاه فحمل عليه وفاجاه وكان ابو الدوح قد صاح في ذا الوقت انا قتيل هوى حليمة وسقيم جفنيها السقيمة « قال الراوي » فلما سمع ميسرة كلامه علم انه رئيس القوم فضربه بالحسام جنب اذنه طير راسه عن كتفيه واما عنتر بن شداد فانه حمل على طوائف العجم فنثر منها الجماجم والقمم ومحق ابطال الديلموكذلك مازن وعروة ورجاله فانهم طلبوا القوم من ذلك الطريق والمخرج وقاتلوا قتالا يغم العدو ويفرح الصديق وصارت الناس تتزاحم عند الدخول ولم يعلموا ان الداخل في القصر مقتول والذي واقف لهم اسد اكول وكل ما عبر منهم قوم بعد قوم صارت رؤوسهم كوم جنبكوموصياحالقوميسيرورؤوسهم تتناثر وتطير هذا وصياح النسوان قد ارتفع وعلموا ان البلا عنهم قد اندفع

وعلمت حليمة بقتل ابن عمها ابي الدوح ففرحت وعادت اليها الروح « قال الراوي » وما زالت الفرس والديلم وعرب العراق تدخل وبني عبس تمحقها محاقا حتى تضاحى النهار وارتفعت الشمس وانقطع مددها وضعف جلدها فعادت على الاعقاب تطلب الابواب وهي هوازم هراب وصياح العوام عليها من كل جانب قد انعقد وما بقي فيهم احد ما يسال على احد لان الحكام الذين في القصر نادوا من اعلاه وبشروا اهل دمشق بالنصر وبلوغ المنى واعلموهم بفكاك الاسارى وبالامر الذي جرى فعندها تبادرت العوام على اصحاب كسرى واشفوا منهم غليل كل قلب وصدر وزجوا عليهم الاحجار من اعالي الجدران ورؤوس الدروب وما سلم وخرج منهم الى ظاهر البلد الا كل ضامر مهزول وكان للقوم يوم مهول « قال الراوي » هذا وعنتر واصحابه قد ركبوا عتاق الخيول وخرجوا خلف المنهزمين الى خارج المنازل والطلول وقطعوا باسيافهم الرقاب والنحور وصار الدم من جراحاتهم يفور وما ساد عنتر عنهم حتى اهلك الباقين وتركهم في اقطار البر مطروحين ورجعوا يطلبون البلد وعروة بن الورد يقول لعنتر يا ابا الفوارس ايش في نيتك ان تفعل اتركنا حتى ناخذ الراحة ونتباعد عن الاعدا فقال له عنتر لا وحق باسط الارض ورافع السما اننا يا ابا الابيض لم نغدر بالنسوان الذين اطلقونا من الاغلال والقيود ولا نخلي حليمة تقول نقضوا العهود بل نعود الى البلد فان راينا الابواب على حالها وهي مفتوحة دخلنا الى البلد وحفظنا المكان الى ان ينكشف لنا اخبار صاحبه وما قد جرى له وان كانت الاخرى وان حليمة اغلقت الابواب وفزعت على أهل البلد منا طلبنا اسما زوجة مجيد وناخذها معنا ونتوجه الى ارض الحجاز وعذرنا عند الناس واضح وميزاننا يحفظ الذمام والوعد راجح « قال الراوي » وكان الحارث قد انزل اسما في القصر عند اهله وابنته وامرهم باكرامها لاجل ما راى منها من الحسن والجمال والعقل والكمال وكان قد عاتب ولده ميسرة واخاه مازن لاجلها وبسببها مرارا عديدة وهم في الاسر فاعتذر له مازن مما عملوا وندموا على ما فعلوا فشكى اليه ميسرة ما لاقى من حبها وما كان قد جرى عليه من اجلها فعذره عنتر ورحمه لانه كان على اهل العشق شفوق وبالمتيمين رفوق هذا وعروة بن الورد قد وافقه على الرجوع الى البلد لما سمع منه هذا الكلام وتبع عزيمته في الصدق والوفا والذمام وكذلك فعلت بنو عبس الكرام لانها علمت ان الطريق بين يديها بعيد وانها ما تعود سالمة الا بها واما ميسرة فقال لعمه مازن اطلب بنا نحن الفلاه والنجاه ودع الحاضرين يعايرونا بنقض العهود فماذا حضرت اعدانا يمكن يعيدونا في الاغلال والقيود « قال

الراوي » فقال له مازن يكفي ما مضى ولا عدت اتبع لك رايا ابدا لاني مـــا رايت من رايك خير لا سـيما في هذه النوبة كادت تضرب رقابنا وجهلنا القانا في الاسر والمصائب ولولا اعتذر له اخي وقبل عذرنا كان اهلكنا وان قبحنا عليه مرة اخرى ما يرجع ابد الدهر يسمع منا مقال ولا يقبل منا احتيال ولم يزالوا على مثل ذلك حتى قاربوا ابواب البلد فراوهـــا على حالها مفتحـــة الابواب والقوم يدعون لهـــم من اعلى الاســـوار وصاروا يطلبون القصر والقسوس والرهبان قد تلقوهم وسـاروا بين يديهم وهم يتلون الانجيل حتى وصلوا الى الدهليز الاول في القصر فتلقتهم حليمة وحولها سـائر الجوار وقد لبست ثيـــاب الملك والافتخار ونثرت عليهم النثـــــار واستقبلتهم بالفرح والاستبشـار وقالت لعنتر يا ابا الفوارس انتم اليوم اصحاب البلد لانـــكم بسيوفكم خلصـتم الجميع ولولاكم كانت بيوتنا خربت واصحابنا مع الاعـــدا سـبيت وانا اسالكم ان تنزلوا في هذه الدار التي اخليتها لكم وتمنوا علـــي باحســانكم بالمهلة الى ان ياتي ابي سـالم واضـمن لكم ان يجازيكم على بعض افعالكم بالغنائم ويعتذر اليكم فيما فعل من الجرائم ويكون لكم ذخيرة علـــى نوائب الزمان فقال عنتر والله يا حرة العرب من وقتها ما رجعنا الى البلد لا نريد منكم مجازاة ولا مال ولا اردنا الا الصـدق في المقال لاننا وعدناكم ان نكشـف عنكم الشـدة ونرجع الى ما كنا . ها قد رجعنا فافعلوا ما شـئتم وما تشـتهون لان العبد ما يقدر ان يعارض مولاه فيما يفعل والصبر للقضـا اجمل فلما سـمعت حليمة ذلك تعجبت من هذا المقال وعلمت انه اعتقاد صحيح بعيد عن المحال وكانت قد اخلت لهم دارا كبيرة في القصر وانزلتهمفيها وامرت الخدم بالمواظبة في خدمتهم ليلا ونهارا وانفذت من وقتها النجابين خلف ابيها تعلمه بما جرى ثم ان القوم باتوا في النعيم وهم يتقلبون وبسـلامة انفسـهم يتباشرون لانهم كانوا في ذلك الاسر ينتظرون الهلاك فامسكوا يتحكمون على اعدائهم كما تحكم الملاك في الأملاك .

وقال الحكواتي ابو قاسم وهو يتثاءب : الى هنا اودعنا الكلام .

وتنهد صاحبنا .. وودع الحكواتي وراح على بيتو مرتاح البال ونام ملات عيونو .

فليلة طلعة عنتر من الحبس !!؟

● ● ●

أين تسكن دمشق

انا من دمشق . بيتي دمشق . فاين تسكن دمشق ؟

نقرت على الابواب ... اسال : هل تسكن مدينتي هنا ...؟ وفتحت بيوت الشعر في دمشق وجبل لبنان والقاهرة وبغداد ... واذهلتني القصور الفخمة التي تعيش فيها مدينتي المدللة ، وفتنتني الاكواخ الهادئة المريحة التي تصيف فيها اثيرتي الحبيبة تحت عرائش الياسمين والورد البلدي والبنفشى والليلك ، تظللها الزهرة العطرة من وهج الشمس وترش عليها الكلمة الخالدة اكسير الحياة والديمومة .

نقرت الابواب برفق اسال :

— انا احب مدينتي .. فمن يحب معي مدينتي !؟

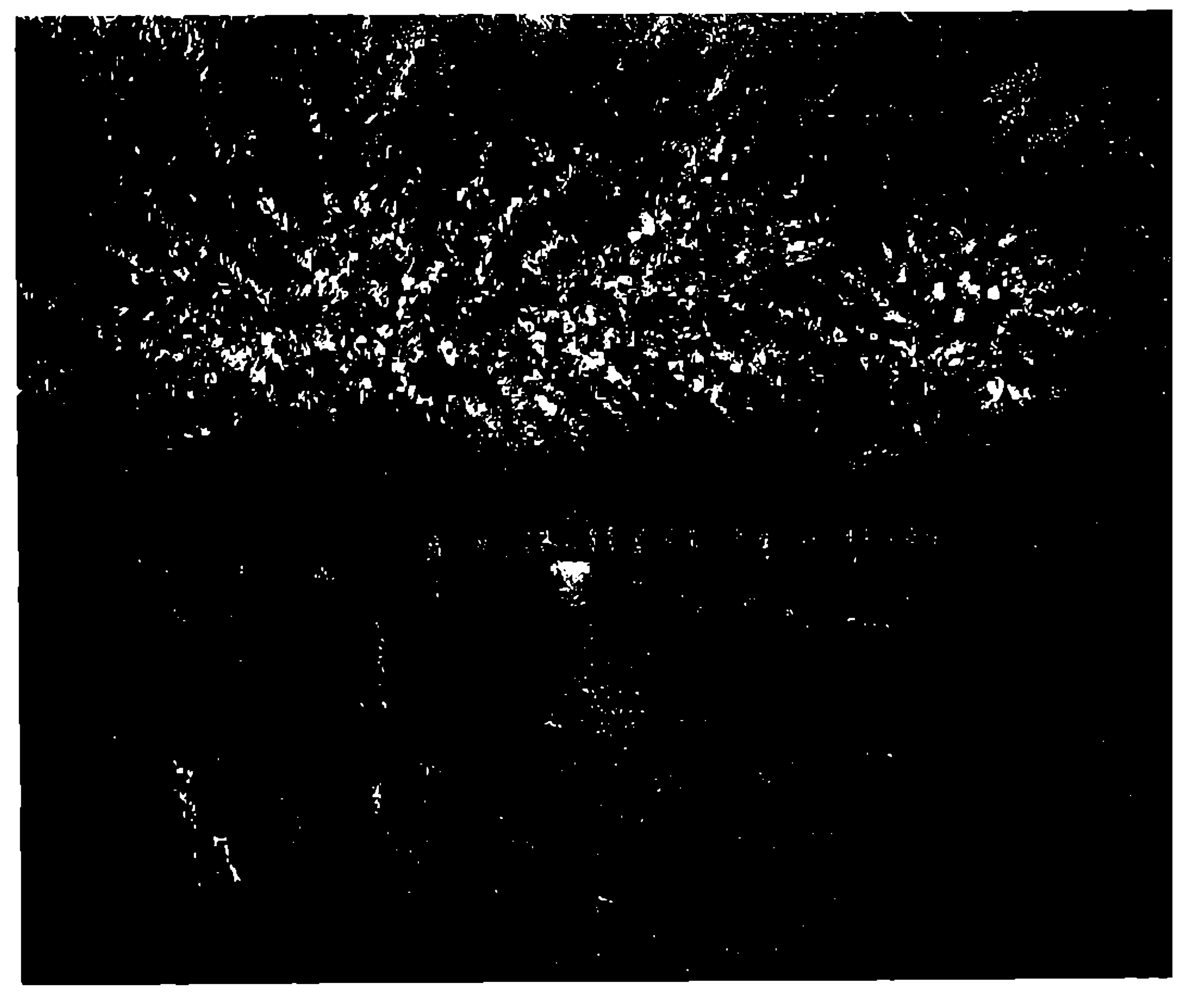
انا افهم دمشق .. فهل تفهمون دمشق مثلي !؟

نقرت على باب الشاعر احمد شوقي .. ورحب بي الرجل العظيم وقدم لي بيديه مفاتيح القصور التاريخية العظيمة التي عمرها لدمشق الخالدة ولاهلها من احفاد بني امية وصلاح الدين الايوبي .

ضعت بين القصور .. واذهلتني ثلاثة قصور كل قصر منها يضم عشرات البيوت المضمخة بعطر الفخار :

دخلت القصر الاول :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا	مشت على الزمان احداث وازمان
هذا الاديم كتاب لاكفاء له	رث الصحائف باق منه عنوان
بنو امية للانباء ما فتحوا	وللاحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكا سرير الشرق تحتهم	فهل سألت سرير الغرب ما كانوا



الفنان سعيد تحسين ـ دمشق

سيران في غوطة دمشق

عالين كالشمس في اطراف دولتها   في كل ناحية ملك وسلطان
لولا دمشق لما كانت طليطلة   ولا زهت ببني العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون اسأله   هل بالمصلى او المحراب مروان
تغير المسجد المحزون واختلفت   على المنابر احرار وعبدان
فلا الأذان آذان في منارته   اذا تعالى ولا الآذان آذان

وبنى شوقي لدمشق قصرا ثانيا :

سلام من صبا بردى ارق   ودمع لا يكفكف يا دمشق
ومعذرة اليراعة والقوافي   جلال الرزء عن وصف يدق
وبي مما رمتك به الليالي   جراحات لها في القلب عمق
دخلتك والاصيل له ائتلاق   ووجهك ضاحك القسمات طلق
وحولي فتية غر صباح   لهم في الفضل غايات وسبق
غمزت اباءهم حتى تلظت   انوف الاسد واضطرم المدق
وضج من الشكية كل حر   ابي من امية فيه عتق
وقيل معالم التاريخ دكت   وقيل اصابها تلف وحرق
الست دمشق للاسلام ظئرا   ومرضعة الابوة لا تعق
صلاح الدين تاجك لم يجمل   ولم يوسم بازين منه فرق
سلي من راع غيدك بعد وهن   ابين فؤاده والصخر فرق
وللمستعمرين وان الانوا   قلوب كالحجارة لا ترق
وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق
جزاكم ذو الجلال بني دمشق   وعز الشرق اوله دمشق

ورفع شوقي لاهل دمشق قصرا ثالثا :

كان الله اذ قسم المعالي   لاهل الواجب ادخر الكمالا
ترى جدا ولست ترى عليهم   ولوعا بالصغائر واشتغالا
وليسوا ارغد الاحياء عيشا   ولكن انعم الاحياء بالا
اذا فعلوا فخير الناس فعلا   وان قالوا فاكرمهم مقالا
وان سالتهمو الاوطان اعطوا   دما حرا وابناء ومالا
سانكر ما حييت جدار قبر   بظاهر جلق ركب الرمالا

مقيم ما اقـامت « ميسلون » يذكر مصرع الاسـد الشبالا
تغيب عظمة العظمات فيه واول سيد لقي النبالا
اذا مرت بـه الاجيال تترى سمعت لهـا ازيزا وابتهالا
تعلق في ضمائرهم صليبا وحلق في سرائرهم هلالا

ونقرت على ابواب الشاعر حافظ ابراهيم وفتحت البيوت الفواحة بعطر الليمون والنارنج . وقال الشاعر :

« انا من يعرف الشام ويحبها ويحب اهلها » :

حيـا بكور الحيا ارباع لبنان وطالع اليمن من بالشام حياني
اهل الشآم لقد طوقتمو عنقي بمنة خرجت عن طوق تبياني
اقر عيني اني قمت انشدكم في معهد على العرفان مزدان
بكنتم جنة فيحاء ليس بها عيب سوى انها في العالم الفاني
في سهلها واعاليها وسلسلها برء العليل وسلوى العاشق العاني
لابدع ان اخصبت فيها قرائحكم فاعجزت واعادت عهد حسان
من رام ان يشهد الفردوس ماثلة فليغش احياءكم في شهر نيسان

ومررت على بيوت الشعراء في دمشق اسأل هل من يحبها اكثر مني؟
وقال لي الشاعر خير الدين الزركلي انا :

بات يرعى النجم والنجم مطل والجوى يسهر والحب يذل
ذكر الشام فاجرى دمعه مستهلا وله في الشام اهل
عج على الشام وبلغ من بها شيئا عن مستهام ليس يسلو
يا ليالي بواد جلق هل ترى يتبع منك الوصل وصل
وجنان « السفح » و « الربوة » من كان يدري انني عنك اغل
زعموا ان لربي جنة في فسيح الارض تؤوي وتظل
حدها الاقصى منين فاذا اقبل المقبل راق العين « تل »
يا خليلي اذكرا بالله ان جزتما « دمر » من كان يحل
انكراني حيث يصفو لكما غسق المغيب والنجم يطل

وقال لي الشاعر بدوي الجبل بل انا :

قف بالشآم مسائلا اثارها مرحى لمن ام الشام وزارها
اهوى الشآم طريفها وتليدها فتيانها وكهولها وصغارها

اهوى ازاهرهـا احن لعهدهـا — اشـتاق بلبلها احب هزارهـا
قضيت ايامي القصـار بظلهـا — جادت مدامع مقلتي قصـارها

وقال لي الشاعر عمر ابو ريشة بل انا :

يا عروسا تنام ملء المحاجر — شـيعي الحلم والطيوف السواحر
ان ان تنفتحي العيون الى النـو — ر وتلقي على الظـلام الستائر
طلع الوحي من مغـارتك الغر — وبـانت من راحتيـه المـآثر
والنبيون فـوق شفرك اغفـوا — والنبـوات ساهدات سـواهر
فانهضي فالصـباح يلمس خديـ — ـك وينساب من خـلال الضفائر
ـسكب الحسن روحه فوق برديـ — ـك فاصـبحت فتنـة للنـواظر
يا بلادي وانت نهلـة ظمـآ — ن وشـبابة على فم شـاعر

وصعدت جبل لبنان الاخضر اتوكأ على السؤال ابحث بين الارز عن جواب . من يفهم دمشق اكثر مني ؟

ورد الشاعر سعيد عقل ردا حاسما : فتح لي الابواب عن دمشق التي تسكن عقله وضميره وقلبه في بيوت مترفة بارائك من الفهم والحب والتقديس وقال لي ردا على السؤال :

سـائليني حين عطرت السـلام — كيف غـار الورد واعتل الخـزام
وانا لو رحت استرضي الشـذا — لانثنى لبنـان عطرا يـا شـآم
ضفتـاك ارتاحتـا في خاطر ي — واحتمى طيرك في الظن وحـام
نقلـة في الـزهر ام عنـدلة — انت في الصحو وتصفيق يمـلم
انا ان اودعت شـعري سـكرة — كنت انت السـكب او كنت المدام
ظمىء الشرق فيا شـام اسـكبي — واملأي الكـاس له حتى الجمام
اهلك التـاريخ من فضـلتهم — ذكرهم في عروة الـدهر وسـام
امويون فان ضـقت بهـم — ا حقوا الدنيـا ببسـتان هشـام

وقال لي الشاعر بشارة الخوري عن حبه وفهمه للشام وبردى :

بردى نظمت لنا الزمان قصـائدا — بيضا وحمرا من نـدى وصـفاح
في كـل رابيـة وكل حنيـة — عصماء تسـطع بالشـذا الفواح
كم وقفـة لي في ذراك وجولـة — شعرية وهوى الشـآم سلاحي
نديت ليلك والكواكب في يـدي — ولثمت بدرك والضـياء وشاحي

ليـــل حديدي النســيج كأنــه — شـكوى الهوى وصـبابة الملتــاح
وعلى الضفاف اذا تموجت الضحى — لونـــان من أرج ومن تصـــداح
والغصن في حضن الرياض ومـادة — نمت على عنقـــين من نفـــاح
متلازمين توجسـا اثـم الهـوى — فتخوفا طرف الضـحى اللمـــاح

ونثرت على بيوت الشاعر ايليا ابو ماضـــي يدفعني حب الفضـول فردت بيوت الشاعر بكل ترحاب :

هي الشـــآم مهندا وكتـــابا — والغوطــــة الخضراء والمحرابـا
ليست قبـــابا ما رايت وانمـا — عزم تمرد فاستطــــال قبـابـا
فالثم بروحك ارضها تلثم عصـورا — للعلى ســكنت حصــى وترابـا
واهبط على بردى يصفق ضــاحكا — يستعطف التلعات والاعشـــابا

ودمشق تسكن بيوتا لا مثيل لها بين بيوت العز والمجد عمرها لها من ذرات قلبه وعقله الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري :

يا شـــام يا لمــح الكواكب في دجى — ياموكب الاعـراس في صـحراء
يا موئل الذكرى يغطي ارضـــها — وسماءها حشــد من الاصـــداء
يا ام اشبـــال ومـدرج امــــة — وعرين اشــبال وكهف رجـاء
يا اخت غسان ينــادم رهطــه — يوما بجلق ســيد الشـــعراء
يا بنت مروان يركــز رايـــة — حمراء فوق رمالــك السمـــراء
جل العــلا ابنيت من اشــــلاء — ارفعت فـوق جماجم ودمـــاء
لله انت اكـــل يومك حاشــد — برجولـــة ومـروءة وفتــــاء
في اي جو عــــابس لم تبزغي — ريـــا الجنــاب ندية الاجـــواء
وباي ســوح مكارم لم يرتفـع — علـــم عليـك مثلث الاجــزاء
اليوم عيـد الواهبين وفي غـــد — عيد الفتوح وامس عيـد جـــلاء
قدما دمشق لســـنة عودتهـــا — في المجد من عود علـى ابـــداء

وقال نزار قباني بل انا من تسكن دمشق حنايا ضلوعه وتنمو في عقله وضميره فكرة ملتهبة بالحياة ، دمشق لا تسكن بيوت شعري ، بل تسري في عروق دمي تمنحني سر الحياة ، هي عصفور يخربش في جوانحي. استمعي الى حنيني لدمشق عندما كنت بالاندلس :

ســـلامات ..
ســـلامات ..

الى بيت سقانا الحب والرحمة ..

الى ازهارك البيضاء ..

فرحة (ساحة النجمة) ..

الى تختي ،

الى كتبي ،

الى اطفال حارتنا ..

وحيطان ملأناهــا

بفوضى من كتابتنا ..

الى قطط كسولات

تنام على مشارقنا ..

وليلكة معرشة

على شباك جارتنا

مضى عامان .. يا امي

ووجه دمشق ..

عصفور يخربش في جوانحنا ..

يعض على ستائرنا ..

وينقرنا ، برفق ، من اصابعنا ..

مضى عامان يا امي ..

وليل دمشق ..

فل دمشق ..

دور دمشق ..

تسكن في خواطرنا ..

مآذنها .. تضيء على مراكبنا ..

كأن مآذن الاموي قد زرعت بداخلنا
كأن مشاتل التفاح تعبق في ضمائرنا .
كأن الضوء و الاحجار . .
جاءت كلها معنا . .

★

اتى ايلول اماه . .
وجاء الحزن يحمل لي هداياه
ويترك عند نافذتي
مدامعه وشكواه
اتى ايلول . اين دمشق ؟
اين ابي وعيناه ؟
و اين حرير نظرته
و اين عبير قهوته
سقى الرحمن مثواه
و اين رحاب منزلنا الكبير . . و اين نعماه ؟ ؟
و اين مدارج الشمشير . . تضحك في زواياه ؟
و اين طفولتي فيه . .
اجرجر ذيل قطته
و آكل من عريشته
و اقطف من (بنفشاه)
دمشق . دمشق .
يا شعرا . .
على حدقات اعيننا كتبناه . .

ويا طفلا جميلا

من ضفائره صلبناه

جثونا عند ركبته

ونبنا في محبته

الى ان في محبتنا قتلناه . .

● ● ●

يا حبني على قصر العظم

قلت لسائق التاكسي :

— هنا ... هنا من فضلك . شكرا .

ونزلت في قلب سوق البزورية ورائحة البخور والمقشات والحبال والصابون والعطور والبن والسمن العربي والشاي والكمون واليانسون والطحين والرز والدخان والزيت البلدي ومربى الورد الجوري والمازهر والزعتر والجوز واكياس الجنفيص والشمع والموالح والفواكه المجففة ، تنعشق ثياب المارة والسواح والباعة ورؤوسهم ونفوسهم وجدران وسقف ودكاكين وخانات السوق .

فتستقبلك « رائحة الشام » رائحة سوق البزورية لو كنت متجها « لقصر العظم » من سوق السلاح الذي ينتهي عند الصاغة القديمة المحترقة التي يطل عليها احد ابواب الجامع الاموي،او لو كنت قادما من حي القيمرية او من سوق مدحت باشا او منطقة الحريقة الجديدة او من باب شرقي .

الشام اشم رائحتها في البزورية فيهزني عطر مدينة التاريخ ، واشم رائحتها عندما انزل من الصحراء فجاة الى الجنة الوارفة الرطبة التي يظللها الحور والصفصاف عند الهامة ودمر والشادروان والربوة .

انا من جديد وجها لوجه امام القصر .

ودخلت من باب اجمل قصر عربي من قصور الشام والمشرق العربي . وفي مكتبة القصر الذي تحول الى متحف للتقاليد الشعبية السورية ، قرأت قصة القصر الحقيقية .

كان يا ما كان يا قديم الزمان تقول الحكاية :

قصر العظم او دار العظم تقع في مركز مدينة دمشق القديمة بالقرب من الجامع الاموي عند اول سوق « البزوريين » . ومكان القصر اليوم يقع داخل معبد جوبتر الروماني ولا زالت آثار جداره عند الباب الفاصل بين

سوق الحرير وسوق الخياطين . ويقال ان دار الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان كانت في هذا المكان او بالقرب منه او في جزء منه ولم تبدا التحريات عنه ، ولكن المعروف من المصادر التاريخية انها دار الامير دنكز . وقد اثبتت الحفريات التي جرت في احد زوايا الدار عن وجود فستقية عليها الرنك العائد للامير دنكز وهي من الموزاييك الرخامي ، كما انها كانت دارا اسمها « دار الذهب » عمرها الامير دنكز « تنكز » الذي عمر جامع دنكز في شارع النصر المؤدي الى سوق الحميدية .

وكانت تدعى قبله « دار الفلوس » حيثتضرب بها الفلوس او النقود . وجاء الامير دنكز فسماها دار الذهب وسكن فيها .

وفي سنة ١٧٤٩ م (١١٦٣ هـ) اخذ هذه الدار حاكم دمشق اسعد باشا العظم والي الشام وامير الحج الذي كان مولعا بالعمران وخلف آثارا عظيمة في حماه ودمشق ، وعمرها دارا لنفسه على الطراز العربي المعروف آنذاك .

جمع اسعد باشا العظم الفنانين من بنائين ونجارين ودهانين مهرة . كما استولى على كثير من الاخشاب ومواد البناء والزخارف والاعمدة من دور دمشق والابنية الاثرية من اجل هذه الغاية . وانتهى بناء القصر في ثلاث سنوات واتى آية في الابداع وحسن الريازة وجمال الزخرف ، وكان يهتم بالعمل بنفسه ليلا نهارا وتبرع له اهالي دمشق بكثير من المواد كالاخشاب والرخام والاحجار النادرة وقد ذكر ذلك مفصلا الشيخ احمد البديري الحلاق في يومياته ، وكان حلاقا دمشقيا ذكيا يسجل ما يجري في مدينة دمشق يوميا . وقد روى في كتابه حوادث دمشق اليومية ايام ولاية اسعد باشا العظم قصصا طريفة ، فيها شيء من المبالغة احيانا ، عن بناء هذه الدار وعن الاحداث التي كانت تمر بالبلدة ويعرفها من افواه الذين يرتادون محله كل يوم . كان الشيخ البديري بحكم هذه الصلة اليومية بالناس ، وبسبب ولعه بالزجل والمواليا والكتابة ، يجد حافزا لتسجيل هذه الحوادث كلها باللغة الشامية الدارجة ويشفعها بالمواليا كقوله في واقعة فتحي الدفتري الذي كان قد اساء الى حرم سليمان باشا العظم فلما تمكن منه اسعد باشا قتله قال ؟

يا مافعل فتحي لما صار دفتردار
غره زمانه وسعده حول داره دار
دولاب عزه رقص يا ناس حتى دار
لم يعتبر ان هذا الدهر به غدار

والحكم التركي كان واحدا ، والوزراء والولاة كانوا متشابهين بوجه عام في الاسلوب والسيرة ، والشعب الفقير كان يئن تحت وطاة غلاء يصنعه الاغنياء والتجار والولاة والحكام واتباعهم من الجند (الدالاتية) ومن المرتزقة (القبقول) ومن الانكشارية الذين كانوا يتقاتلون فيما بينهم ويخربون الاحياء تباعا وينهبونها ويحرقونها ويعتدون على الاموال والاعراض فيوما دور الميدان ويوما دور سوق صاروجا ويوما يحل البلاء بالقنوات .

ويصف البديري الحلاق تلك الايام فيقول :

« اشتد الغلاء في سائر الاشياء لا سيما الماكولات مع وجود الاغلال وغيرها . فمن عدم تفتيش الحكام صار البياعون يبيعون بما ارادوا ، غير ان الغنم كان قليلا جدا ، فصار الجزارون يذبحون الجاموس والجمل والماعز ، وصار يباع رطل اللحم الشامي بثلاثين مصرية ، والسمن رطل واوقيتان بقرش . وبقدوم شهر رمضان المبارك غلت الاسعار حتى الخضر . فقد كان قبل رمضان الكوسا كل مائة بمصرية ، فلما هل رمضان صار كل خمسة او اربعة بمصرية ، والباذنجان كان كل رطلين بمصرية فصار كل رطل بمصريتين ، واللحم عدم ، وكل ذلك من عدم تفتيش الحكام . . »

لقد كتب البديري الحلاق عن حياة دمشق اليومية ، يوميات انتهى منها منذ مئتي وخمس سنوات .

اما عن الدار فكتب يقول عن صاحبها الامير اسعد باشا العظم :

« قطع لها ، اي للدار جملة من الخشب ، اثنا عشر الف خشبة ، وذلك عدا ما ارسله له اكابر البلد من الاخشاب وغيرها . واشتغل بها غالب « معلمين » البلد ونجاريها وكذلك الدهانين . واينما وجد بلاط او رخام او غير ذلك مثل عواميد وسواقي يرسل يقلعها ويرسل القليل من ثمنها » . .

ثم يتحدث البديري عن المباني والاوابد والاسواق التي نقضها الامير لاخذ موادها الى ان يقول :

« . . . ويقول ائتوني بحجارة المزمر والرخام والسرو وتفننوا بالبناء والنقوش والتحلية بالذهب والفضة . وكلما سمع بقطعة نادرة او تحفة من رخام او قيشاني او غيرهما يرسل ويأتي بها ان رضي صاحبها او ابى . . . »

وانتهى البناء سنة ١٧٤٩ وسكن اسعد باشا في الدار مدة (١٤) سنة .

من هو صاحب هذه الدار العظيمة ..؟

هو اسعد باشا ابن اسماعيل الوزير . مولده معرة النعمان سنة ١١١٧ هـ . صار متسلما لوالده بالمعرة وحماه وعوقب مع والده ثم افرج عنه . ثم ذهب الى عمه سليمان الوزير في طرابلس لبنان . ثم انعمت عليه الدولة العثمانية وعلى عمه « بمملكانة » حماه وتوابعها مناصفة وذهب اليها وسار بها سيرا حسنا وعمر بها خانا وحمامات وبساتين ودورا ليس لها نظير في سائر البلاد الشامية .

وجاء في اعلام النبلاء للاستاذ محمد راغب الطباخ الجزء الثالث صفحة ٣٢٤ ما نصه :

« ثم انعمت عليه الدولة بطوخين (الطوخ ذنب فرس معلق على علم) رتبة روملي ، ثم صار جرداويا لامير الحج علي باشا الوزير سنة ١١٥٣ هـ. وبعد عودته ولي صيدا فضاق بها ذرعا لامور يطول شرحها فاستعفى وطلب حماه منصبا ودخلها سنة ١١٥٤ هـ وبذل الاموال الى ان جعلها مالكانة له بعناية الوزير الكبير بكر باشا .. »

وجاء في « حوادث دمشق اليومية » صفحة ٣٥ للبديري الحلاق :

« خلف سليمان باشا في ولاية الشام ابن اخيه اسعد باشا العظم وكان قبل ذلك حاكما بحماه . وقد اقام واليا في دمشق ١٤ عاما متوالية من سنة ١١٥٦ هـ ـ ١١٧٠ هـ فكان اطولهم حكما .

تولى اسعد باشا ولاية الشام في ظروف صعبة وقد نجح في الادارة والحكم وحاز كثيرا من المدح بالنسبة للولاة المتقدمين عليه » .

ويقول ميخائيل بريك الدمشقي في كتابه :

« قتل في سيواس بتركيا وصودرت متاعه وامواله ومجوهراته » .

ويقول الاستاذ احمد عزت عبد الكريم الذي نشر البديري الحلاق :

« تنوعت الروايات في سبب مقتله، اي اسعد باشا ، الا اني اعتقد ان السبب الحقيقي هو ان الرجل انساق الى المصير الذي آل اليه اكثر ولاة الدولة العثمانية التي كانت تتركهم في ولاياتهم لاجل محدود يجمعون فيه المال ويكدسونه ويظنون انه مدعاة للسلام والطمانينة ودرع يقيهم بطش السلطان وصروف الليالي والايام ولم يفطنوا الى جلبه للقتل وصنوف البلاء» .

انجب اسعد باشا ولدين اسماء وقبلان . تزوجت اسماء من ابن عمها مصطفى بن فارس . ولم يتزوج قبلان ولم ينجب . وسكن اسعد باشا مع

جميع افراد عائلته وافراد عائلة ابراهيم باشا العظم الجد الاكبر . وبقيت الدار ملك آل العظم حتى سنة ١٩٢٠ حين باع ورثة اسعد باشا اكثر من نصفها للمعهد الفرنسي . ثم استلمتها الحكومة السورية سنة ١٩٤٥ واستملكت البقية الباقية وجعلتها متحفا للتقاليد الشعبية والصناعات اليدوية عام ١٩٥٣ بعد ان كانت مركزا لدراسة الفنون الشرقية .

يقوم قصر العظم على ارض مساحتها (٥٥٠٠) م٢ وقد شيد على الطراز الشامي الذي انتهى اليه فن العمارة في سورية خلال القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي .

ويلاحظ ان منظره الخارجي لا يدل على ما في داخله من مظاهر الثراء. وبابه على اتساعه النسبي ذو زخارف متواضعة وهو يؤدي الى مدخل رئيسي واسع يتصل بالقسمين الاساسيين في القصر وهما : « السلاملك » او البراني و « الحرملك » اي الجواني .

المدخل الرئيسي يؤدي من الجهة اليمنى الى جناح السلاملك وهو معد لاستقبال الزوار من الرجال فقط . وهو بشكل دار شرقية تحف قاعاتها بباحة واسعة تتوسطها بركة كبيرة مستطيلة تدور بها اشجار الحمضيات والزينة ودوالي العنب . وهناك درج يصعد منه الى الطابق العلوي المخصص لمبيت الضيوف .

اما جناح الحرملك فانه يتصل بالمدخل الرئيسي بثلاثة ابواب متتالية تؤدي الى الباحة الرحيبة التي تتوسط اجمل قاعات القصر واغناها. وكانت هذه الباحة الواسعة والبرك المتدفقة بالمياه والاشجار الملتفة الظليلة فوقها هي متنفس الاسرة وخاصة النساء في مجتمع يستنكر خروج النساء من بيوتهن الا في احوال استثنائية ولضرورات قصوى .

الباحة الحرملك مستطيلة الشكل تمتد من الشرق الى الغرب وتطل عليها الاجزاء الرئيسية من البناء المؤلف من ست كتل كتلتين في كل ضلع طويل . وتقوم الى يمين الداخل الى هذه الباحة الكتلة الاولى والتي تضم قاعة الاستقبال الرئيسية وهي ذات ثلاثة طزرات تشكل حرف T باللاتيني وتطل من الخلف على البستان . ومن مميزات الكتلة الاولى الصعود الى قاعتها بدرج مزدوج ، كما ان نوافذها وقماريها العالية المستطيلة والمستديرة والمزدوجة تؤلف وحدة تناظرية جميلة .

اما الكتلة الثانية بعدها الى يمين الداخل للباحة فلها في واجهتها ايوان مرتفع وعلى يمينه وشماله قاعتان صغيرتان . والقسم الخلفي من البناء

يشكل حمام القصر ، وهو نموذج مصغر عن حمامات دمشق العامة يكفي لسكان القصر مؤلف من براني ووسطاني وجواني واربع مقاصير وقميم .

ومن القاعة اليمنى للكتلة الثانية يصعد درج الى الاعلى الى « القصر » الغرفة التي ينام فيها الباشا قديما وبها موقد جداري على الطراز التركي من الرخام الملون يوضع فيه منقل الفحم لخروج رائحة الغاز من مدخنته . ويعد « القصر » من اجمل غرف الدار بتناسقه ونسبه والوان زخرفته المطلية على خشب السرو .

ونلاحظ ان التناظر معدوم في واجهة هذه الوحدة الثانية من حيث عدد القماري والنوافذ ومن حيث الفراغات والخطوط ، ومع ذلك فهي تؤلف وحدة جميلة ترتاح لها العين وتشكل مع بقية وحدات البناء لوحة آية في الابداع . وهذا يدل على عبقرية « المعلم » الدمشقي المهندس المعماري والبناء الفنان الذي يتحسس الفن لا شعوريا .

ويشكل البناءان الواجهة الرئيسية لهذه الباحة السماوية الواسعة . اما الواجهة المقابلة لها وهي الشمالية فهي مؤلفة من جزئين ايضا جزء مؤلف من خمسة اقواس محملة على اربعة اعمدة منها من الغرانيت ومنها من المرمر ، والاقواس مزخرفة بالرسوم الهندسية الملونة « الابلق » .

والايوان الذي يتالف من هذه الاقواس يرتفع بطزرين يميني وشمالي في كل مرتفع فستقية من ثلاث طبقات يتدفق منها الماء بشكل انسيابي جميل . وفي الارضية بين الطزرين بحرة من طبقة واحدة من الموزاييك الملون . وتطل على هذا الرواق ثلاث قاعات بنوافذها وقمرياتها وشماسيها . وتؤلف هذه الواجهة بهذه المجموعة مع المنظر الخلفي الذي تظهر فيه مأذنة عيسى من الجامع الاموي واشجار السرو حول القصر منظرا رائعا . وهذا الرواق الشمالي معد لايام الشتاء المشمسة .

اما القسم المتمم للواجهة الشمالية فهو بسيط نصفه اصم تماما ونصفه الآخر يحوي قاعة واحدة تعد بزخرفتها وسقفها ونوافذها وشماسيها تحفة من تحف القصر .

اما الكتلة الشرقية المطلة على باحة الحرملك فهي تصل بين القسمين الجنوبي والشمالي وتؤلف شكل طابقين بسبب النوافذ المنخفضة والنوافذ العالية التي يفصل بينها زنار من رواق خشبي يبرز الى الامام لحماية الداخل الى القاعات من الامطار ويجعل ارتباط وحدة البناء بشكل وحدتين علوية وسفلية ، فتقوم داخلها ثلاث قاعات كبيرة زخرفت جدرانها بالخشب

المطلي بالذهب وبالالوان وزينت بابيات الشعر والقصائد الشهيرة كقصيدة البردة للبصيري وغيره من الشعراء الدمشقيين المجهولين .

ووقفت اقرأ على جدران احدى هذه القاعات بعض الابيات بمدح صاحب القصر والقصر مكتوبة « بالمادهب » :

يا جملة النـاس قفوا وانظروا	محاسـنا جلت بناها الامـير
بيت اتـى تاريخـه للمنـى	شـيده اسعد باشـا الوزير*
بيت التهاني باسـم مسـتنير	بني بتوفيق المعـين القـدير
شمس المعـالي وسط افـلاكه	مشرقة ما ان لهـا من نظـير
والسـعد فيه لم يـزل قائمـا	في موسم الافـراح فوق السرير
يخدمه المجد ويأوي الى ابوابـه	والعـز فهـو السـمير
يا اسـعد الحظ ويا من لـه	في ذروة الفخر مقـام كبـير
سـاعدك الرحمن رب السـما	ودمت محراس الجنـان الخطير
في دولـة محفوظـة سرمـدا	بحفظ آيـات الكتـاب المنـير

والكتلة الغربية المطلة على باحة الحرملك يشكل قسم منهـا قاعة واحدة والباقي عبارة عن باحة تشكل المدخل الرئيسي وتظللهـا عرائش الورد البلدي والبنفشى .

ومن باحة الحرملك تنفذ الى الباحة الصغيرة التي تدعى باحـة المطبخ وبها بحرة مستطيلة وبعض الاشجار المثمرة ، وبها مطبخ للطعام بكانونة كبيرة وعدة وجاقات ومطبخ للحلويات وغرف لسكن الخدموالجواري وبئر للماء .

وفي مدخل باحة الحرملك تستقبلك البحرة النجمية الشكل وتتـالف من ستة عشر ضلعا وفي وسطها نافورة يتدفق منها الماء بنغم رتيب يريح الاعصاب . تليها حديقة مستطيلة قسمتها ساقية ماء الى نصفين تعكس صفحتها ظلال اشجار السرو والحمضيـات والورود المزروعـة في هذه الحديقة الصغيرة . وترتبط هذه الحديقة ببحرة مستطيلة الشكل من الشمال الى الجنوب بشكل منخفض على محاذاة الارض وعلى محاذاة منتصف قوس الايوان الصيفي الكبير بشكل تسمح معه بانعكـاس منظر قوس الايوان وسقفه الثري المزخرف على صفحتها الصافية كما تسمح للجالس علـى التخت الحجري بقربها ان يتمتع بشرب الشاي في ظلال عرائش الياسـمين المعرشة عليه والتي تمتد علـى طول خط الاحواض الملاصقة للجبهتـين

(*) سنة ١١٦٣ هـ.

الشرقية والشمالية مشكلة في القصر زاوية زهرة الياسمين التي يحبهـــا اهل الشام .

يبلغ طول الباحة ٥ر٤٥ م وعرضها ٢٦ م وهي ملأى بالاشجار المزهرة والمثمرة والاحواض التي تتسلق منها جدران البيت شجيرات ترتاح علـى سقائل خشبية لها اشكالها التقليدية . واشجار القصر السامقة هي محط ومأوى للعصافير التي تعود من رحلة النهار لتتلو قبـل ان تنام سيمفونية المســاء .

- اما القصر في الليل فكان ينار بالقناديل الزجاجية الملأى الى منتصفها بالزيت الحلو تشتعل داخلهـا فتيلة وتعلق بسـلاسل بين الاقواس ، او بالكازات وتوضع في الكتابي الخـاصة بها في القاعات وتحت الاروقة في الباحات . اما تحت المطر فكانت توضع الفوانيس الزجاجية الكبيرة .

ويضم قصر العظم (١٦) قاعة كبيرة و (١٩) غرفة في الطابق الارضي و (٩) غرف في الطابق العلوي و (٣) اواوين ، رواق بخمسة اقواس ، (٤) اقبية كبيرة للحطب والمؤونة ، (٤) برك كبيرة تستمد ماءها من نهر القنوات احد فروع نهر بردى ، (١٩) فسقية ماء بين ارضية وجدارية ، (٣) آبار لا تزال بئر منها تعمل حتى الآن ، و (٥) ادراج تصعد الى الطابق العلوي ، وفي كل قاعة من قاعات القصر تقريبا مدخل يؤدي منها الى درج يصعد الى الاعلى الى غرفة نوم صغيرة واحيانا تطل نوافذها على القـاعة نفسها ، ومصلى بجانب الدار ضم الى دار ثانية ، ومخزن للعربات حول الى مستودع ، واصطبل للخيل حول الى مخازن تجارية خارج القصر .

واجمل ما في قصر العظم الباحة الكبيرة في جناح الحرملك التي تشعر الانسان بالهدوء والراحة والطمانينة بسبب هذه الوحدات التـي توحي باصالة بعيدة الجذور في الفن العربي الـذي يستمد ذاته من روح الـدين الاسلامي الواضح المفتوح الى الاعلى وللجميع ، الذي يضع الانسان في لقاء مباشر مع الله .

و « المعلم » الفنـان الدمشقي الذي وضـع هندسة قصر العظم والمعماري والعامل والمزخرف والنقاش والنحات ، هـم انفسهم متصلون باللانهاية .

هذا هو الشعور الذي امتلأ به قلبي عندمـا دخلت « قصر العظم » احد اشهر معالم دمشق الاثرية السياحية .

وخرجت وانا أردد في قلبي واقول لكل من اصادفه بعيني :

« يا عيني على قصر العظم » ..

أسبلوق بجلسة

— سكوت يا ابو عزو .. ضاربلك اليوم طير بيمزع العقل . ابلق حلقاتو قد المجيدي ، الو « سيخ » ، عيونو كبار متل الجمر ، جالس متل الديك ..

— ورجينا ياه لنشوف .. طالعو من عبك ..

— تفضل .. تفرج .. شوف هالشوفة ..

— واطي وحلقاتو صغار .

— شو عما تقول . ولك انت شو فهمك بالسوسة .. حط عينك منيح .. اي شو جديد بالكار ..!؟

— انا جديد بالكار ...!!؟

— اي اي يا جماعة طولوا بالكن .. منحكم ابو صطيف اكبر واحد فينا . شو بتقول يا ابو صطيف ..؟

— معو حق ابو حميد ، واطي شوي وحلقاتو صغار .

— اي بتؤمر ابو صطيف انت معلمنا .

— والله يا جماعة كاراشتلكن اليوم ابو صخر . نزلنا كراش انا واياه خدني جيتك خدني جيتك ساعتين ، علق معي « شكلي بامود » نزلت فيه فتل برم فتل برم عالبرمة شي ربع ساعة هلكتو كسرت ضهرو . قلبتو قام مسح رديت لبستو ردينا نزلنا فيه علبرمة ، كمان قلبتو مسح رديت لبستو ونزلت فيه فتل برم فتل برم قلبتو قام شنشل علمحط وحط ، شديت عليه وطلعت خلصتو وكفيت الشبك .

— عمي ابو حميد والله كانك عم تحاكيني بالتركي ما فهمت شي .



الفنان خزيمة علواني ـ حماه

شو يعني « كارشتلك » فلان بلغة الحميماتية ، وشو يعني «لبستو» و « مسح » ونزلت فيه « عالبرمة » و « شنشل » و « عالمحط » ..!!؟

ــ « كاراشتلك » فلان يعني خلطت كشة الحمام تبعي بكشةالحمام تبعو . و « لبستو » يعني رديت لحقت الكشة بالطير اللي كان راح ينزل على الاسطوح مع بقية الطيور حتى تروح تجيبو و « مسح » يعني حطتكل الطيور علأسطوح ما حط معهن يعني منقول « زحل » .

و « البرمة » يعني دورة الطيور حوالين المحط . و « شنشل » يعني صار يحط رجليه عالمحط من غير ما تعلق رجليه يعني ما وقف ابدا .

ــ يا عمي ابوحميد بقولوا الحميماتي مالو شهادةوماحدابيرضىيجوزو بنتو ، صحيح هالكلام ..؟

يا ابني تقريبا صحيح ، لانو الحميماتي ، الطير عندو اغلى من كل الناس . وكش الحمام يا ابني سوسة بتاخد وقت الحميماتي كلو . وبعرف واحد حميماتي طلق مرتو تلت مرات من تحت راس الطيور . ولما كانت مرتو تقوللو يا انا يا هالطيور بالبيت كان يقوللها لا الطيور !!

مرة راح حميماتي عالحج وترك خمسين دهبة امانة عند جارو الحميماتي بالحارة . بعد الحج رجع طلب امانتو واخدها . بعد جمعة صاروا يتكارشوا بالحمام . قام الجار مسك للحجي طير . اجا الحجيقاللو: عطيني الابلق ..!! قاللوا : انو ابلق !؟ قاللو الابلق ياللي شديت عليه انا شايفك ..!! قاللو جارو : والله ما شفتو وما مسكت شي .

هون منشوف يا ابني شلون كذب الحميماتي مشان الطير لاكن رجع الدهب لصاحبو لانو الطير عندو اغلى من الدهب .

ويا ابني في عنا نحنا الحميماتية طريقة حتى ما نحلف كذب ، ما حدا بيعرفها . مثلا في عندي سحاحير خشب كل سحارة الها اسم حارة بالشام . مثلا هي عمارة وهي سوقساروجة وهديك باب سريجة وهديك شويكةوهي مهاجرين . اذا مسكت طير لجاري وكنت صيد انا وصاحبو ،يعني ما في صلح بيناتنا ، اذا اخدلي طير مابيرجعو ، واذا اخدتلو طير ما برجعلو ياه ، وصدف اجا لعندي بدو ياه ، بحط ايدي على السحارة ياللي فيها الطير وبحلف انو الطير مو عندي والله مو عندي بالمهاجرين وبكون مخبى الطير بالسحارة ياللي اشرت عليها وياللي سميتها بقلبي المهاجرين .

شو فكرك يا ابني الطيور غالية واذا كان الحميماتي علأسطوح عم يكش وندهتلو مرتو ينزل اي ما بينزل لو اجا عزيز عينو .

والله مرة بباب الجابية بسقاق البرغل راح شرطي حتى يصادر الحمام لانو طلع امر بمنع كش الحمام ، اي قامت الحارة وقعدت . ومرة تانية راح تلت اربع قتلى بدمر وبدوما مشان الطيور .

— اي ليش طلع امر المنع ..؟!

— من رزالة الحميماتي احيانا . وجيران الحميماتي بيشتكو لانو الحميماتي دائما علاساطيح بيكشف البيوت اللي حواليه والحريم بتتضايق من وجود رجال فوق الاساطيح . لاكن يا ابني الحقيقة انو الحميماتي ما بيتطلع على النسوان ابدا وعندو كل طير بيسوى خمسين مرا . وكمان الجيران بيتضايقوا من وساخة الطيور ومن ريشها بالصيف ، ومن كتر ما بيضرب الحميماتي طيورو بالبطاطا وقشر الليمون والقنب اللي بيضربو بالنقيفة بتقوم بتنزل على بيوت الجيران بتوسخلن ياها بعد ما بكونوا شاطفين بيوتهن ، والجيران بيدعوا انو الحميماتي عم يضربالطيور بالحجار بتقوم بتكسر قزاز الشبابيك ، مع انو الحميماتي ما بيضرب الطيور بالحجار حتى ما تموت .

— لكان ليش بصفر الحميماتي ..؟!

— مشان تبعد الطيور ، وكمان اذا كان جارو « صيد » وعلقلو معو طير وراح يحط عندو بقوم الحميماتي بصفرلو بينقز الطير وبيرجع وما بيحط عند الحميماتي التاني .

واذا كان الحميماتي بدو ينزل الطيور ومالن عم ينزلوا بالطيرة ، بيقوم بيضرب بالكرباج على تنكة بقوموا بيلمطو وبصيروا على وش الاسطوح وبينزلوا .

— ايمتى بيصير الكش عمي ابو حميد ..؟

— الصبح والمسا . والطير الجديد منطيرو بعد المغربوبكونجوعان، ومن كتر الجوع والعتمة بقوم بيرجع ما بيهرب بخاف من شي شوحة واللا شاهين ياكلو .

— وشلون بتنزل الكشة بعد ما بتطير ..؟

— منخبطلا بالطيرة .. لانو الكشة بتكون كلها طيور . والطيربشوف الطيرة من علو خمستالاف متر وبينزل مشانها ، وكل ما بعدت الطيوروقدرت ترجع بياخد صاحبها صيت وبقولوا « شقلة فلان عم تمشي » يعني كشة فلان بتطير مسافات بعيدة .

ـ شو بياكلو الطيور ..؟

ـ درة صفرا وحمرا بالشتي ودرة بيضا بالصيف وجلبانة لطيور الزق « التفريخ » والطير منطعميه بالصيف شعير حتى ما يضعف ، والطير الضعيف منطعميه « قمبز » . ووقتن بيغلى اكل الطيور بترخص الطيور . والطيور بترخص بالصيف لانا ما بنطير منقصها وبينبدل ريشها وبتكون مقصوصة فترة « بريك » ووقتن بتسقط ريشة بيخلق غيرها . وما بتسقط الريشة التانية حتى تخلق الريشة الاولانية حتى يقدر الطير يطير . يعني الكش بدك تقول بيبدا من اول ايلول لحد مايس اول الصيف .

ـ طيب شلون بيصير الكش ..؟

ـ الطيرة بتكون مقصوصة ما بتطير حتى ما تاخد الطيور معها .

ومنخلي الطيور بلا جواز محرومة حتى يطير الطير ويرجع وقت منصنقلو بالطيرة . الحميماتي بكش الكشة « بالخيالة » وهية عصاية براسها خرقة سودا يا اما حمرا بتقوم بتختلط كشتي مع كشة جاري مثلا وبترجع يا اما معها طير جديد او اكتر ، يا بترجع ناقصة يا اما بترجع كلها .

ـ طيب منين بتشتروا الطيور ..؟

ـ من عند « الجنابظة » بخان البطيخ يا اما من سوق الاحد بحارة اليهود يا اما عند الشيخ حسن في حي الميدان بالشام .

ـ طيب شلون بتصير المعاملة بين الحميماتية ..؟

ـ ها .. لاقوللك ، يا اما « صلح » يا اما « شري » يا اما «صيد» .

ـ ما فهمت ..؟!

ـ « الصلح » بتفق مع جاري على اساس متل ما بعاملو بيعاملني يعني اذا مسك لي طير بيرجعو ، واذا مسكتلو طير برجعو . والصلح لازم تكون المسافة بيناتنا قريبة حتى يزعرلي طيوري اذا راحت لعندو وازعرلو طيورو اذا اجت لعندي وطعمي الطير اللي جاية من عندو لعندي قتلة حتى ما يرجع يعيدها .

ـ قتلة ..!!

ـ اي قتلة ..! يعني بضربو بطريقة خاصة حتى ما يعود يعيد الذنب . يا اما بضربو بالطارة ، وهية قضيب من خشب التوت الطري والها شبكة . بخلي الطير يطير مترين وبصطادو بالطارة . يا اما بمسك الطير

وبتقبلو شحمةمنقارو بريشةمنريشو ، يا اما بدبوس ، وبتركلو الريشة بشحمتو حتى يصل لصاحبو علامة اني انا كمشتو وقتلتو ورجعتو . يا اما بفركلو رجليه بطراب الحيط حتى ينقشط جلدو الرقيق ويتكرسح اربع خمستيام ما يعود يحسن يمشي بعدين بفلتو . يا اما بنتفلو ريشو داير مزبلو .

وطبعا « في » صلح بمصاري ورقة ورقتين تلاتة حق الطير ، وفي صلح ببلاش اذا كانت الصحبة بين الحميماتية غميقة .

ــ والصيد ..!!

ــ ها .. الصيد يعني حرب .. لا بعملة في تفاهم ولا بواسطة في تفاهم . لو دفع لي جاري وكنت معو « صيد » على طير من طيورو وقع عندي عشر اضعاف حقو ما بعطيه ياه . يمكن بدبحو وما برجعو لصاحبو حتى لو جابلي اكبر واسطة . ليش .. لانو منفاخ كبير وانا مالي قابضو .

ــ طيب والشري ..!!

ــ الشري يعني التعامل على قد ما بيسوى الطير . ولك وين الشاي يا ولد مو شايف عنا ضيوف !! اي سيدي ، يعني ما في علاقات بيني وبين صاحب الطير لا بيعرفني ولا بعرفو . بيجي صديق عزيز علي واسطة بقوللي يا ابو مصطفى بدنا هالطير الله يرضى عليك ..!! بقوللو انا بتؤمر امر . بقوللي شو بتريد ، بقوم انا بقوللو هللي بتريدوه انتو . يعني بيدفع صاحبو حق الطير وزيادة ، واذا ردت اني ما آخد مصاري ما باخد كرمال خاطر الواسطة .

ــ هالسوسة يا عمي ابو مصطفى متل مالي شايف عما تكون مورد رزق للحميماتية مو هيك ..!!

ــ يا ابني بالماضي كان في حميماتية محترفين بياكلوا وبيشربو من ورا الطيور . وبتذكر بطلت هالشغلة من وقت ما طلع امر منع كش الحمام الزاجل سنة ١٩٣٨ . لاكن هلأ صفيانة الشغلة سوسة وهواية ولو تطلعت للسما فوق الشام بتشوف اكتر من كشة حلوة .

متل ما قلتلك كش الحمام صفيان هواية متل الرسم والرقص والموسيقى عند شباب هالايام مو اكتر . والحقيقة سوسة كش الحمام خلقت حتى تمسكلي طير وامسك لك طير وتتعارف العالم على بعضها . والمسالة مسالة اخلاق وكل حميماني بيتصرف حسب اخلاقو . مرة كمشت « حلبي باحمر » لحميماتي اكابر . اجاني صديق عزيز واسطة سالني : انت

كامش « حلبي باحمر » لفلان . . !؟ قلتللو اي والله . قال بدو ياه صاحبو وطلوب قد ما بتريد . قلتللو اعوذ بالله والله ما بدي شي . وعطيت الطير الحلو الحلبي باحمر للواسطة وراح رجعو لصاحبو . قام قاللو والله ما بستلمو منك الا حتى يجي صاحبك وقدملو بدالو هدية طيرين بنقيهن على كيفو . وطبعا ما رحت لاني استحيت .

— طيب يا عمو . . . هالبنايات الجديدة العالية بالشام احسن واللا الاساطيح المنيقة تبع البيوت العربية . . !؟

— يا ابني . . والله هالبنايات العالية عمت قلب البيوت العربية لاكن الحميماتي بيفضل يستاجر اسطوح عالي .

— ما قلتللي شلون بينزل الطير الغريب مع طيورك . . ؟

— اذا كان جاية مع الكشة طير غريب بصفق انا للطيور بالطيرة بتقوم الكشة بتعمل برمة حوالين الاسطوح وبتجي لتحط فوق الاسطوح مترين تلاتة بينكسر ضهر الطيور من التعب وبتمل بتقوم بتحط على اسطوحي بقوم بيحط معها الطير الغريب .

— طيب وشلون بتصير ترباية الطيور . . !؟

— كل حميماتي بيعرف هالشغلة وبيربي طيورو على ايديه . ووقتن بيتجوز الطير من طيرة وبتبيض بتقوم الام بتقعد عليبيض من الصبح للعصر ومن العصر للصبح بيقعد الاب . والطير الصغير باول ايامو بتنفخلو امو بمنقارو هوا ، بعدين بياكل تراب بعدين بياكل جلبانة ودرة .

والله يا ابني مالك علي يمين ، مرة حدث معي حادث غريب . بتصدق انو بين الطيور في خالة مرت اب . . !! يمكن ما بتصدق . . !! اي سماع هالقصة . مرة هربت لي طيرة وما عادت رجعت من كتر ما تضايقت من ترباية ولادها . الاب حنون صار يطعميهن ليل نهار . شافتو طيرة تانية صارت تحوم حواليه وتدور حواليه حتى بلفتو ولعبت بعقلو تجوزتو . وبعد ما تجوزتو فاتت على السحارة يللي فيها طيورو الصغار قدام عينو وقتلت ولادو من غيرتها يا لطيف بخشت راس الصغار بمنقارها لانهن مو ولادها وما بدها تربي ولاد غيرها . حدا بيصدق هالقصة . . !! قصص شو بدي احكي لك . . !!

— انا هلأ بدي اعرف انواع الطيور . . !!

— ايوة . . هلأ بدي اترك الحكي لعمك « برو » لانو سيد مين بيعرف بالطيور .

— عندك مانع يا عم برو . .

— ابدا يا ابني اهلا وسهلا فيك لسهرتنا ، وانتو الجيل الجديد لازم نعرفو كل شي عن هالتقاليد القديمة ببلدكن . يا سيدي منين بدي ابدالك ؟!

عندك تلت انواع من الطيور : زاجل وحمام للكش وحمام ترباية بيوت . ولازم تعرف يا ابني انو المهم بالطيور الحلوة الطبعة والخدود والعشر : يعني لازم يكون عدد الريش بالجناحين يا اما عشرة بعشرة يا اما تمانة بتمانة يا اما تسعة بتسعة يا اما تمانة بعشرة . هادا هوة العشر . واذا كان عشر الطير اقل بكون اسمو طير غالت او اعسر .

والطيور منزينها عادة بخزام بالانف وبصنيجات برجليها مع اساور عقيق وشمع وباغة ونايلون وقرن جاموس . والطيرة بزوزقوها وبحمروها بدودة حمرا على خدودها حتى تصير حلوة وتنزل الكشة من السما مشانها. والطير المدلل الحلو بزينو صاحبو باللولو والخرز بكتافو ، يا اما بزينو بكردان قطعة حديد بتتعلق برقبة الطير وفيها حبات خرز ملون . يعني الطير الحلو كان يسوى بزمانو تلت ليرات دهب واكتر .

— شي حلو . . . والله تمنيت شوف الطيور .

— قبل ما آخدك لعندي بكرة وارجيك طيوري رح عدلك اسامي الطيور وانواعها وصفاتها .

في عندك البغدادي باسود والبغدادي بابيض والبغدادي بازرق . عندك بندوق البغادة : ابوه بغدادي وامو من غير نوع . وفي عندك الريحاني ازرق على رمادي . والشرابي ازرق على رمادي . والسكري ابيض مع اصفر فضي . والهزاز ابيض سادة واسود سادة ميزتو بيهتز دائما.وعندك النمساوي : نمساوي باصفر لونو اصفر وراسو ابيض وخدودو بيض . نمساوي بابيض كلو ابيض الو فروة حوالين راسو . وعندك الرؤوفي عداد بيشبه طيور الاموي على لون صفوي طبعا طيور الاموي زرق . وعندك المكاوي باحمر وكلو احمر والمكاوي باسود وكلو اسود والمكاوي بابيض وكلو ابيض . والمكاوي الو ريش طويل بيغطي اصابيع رجليه والو قنبرة براسو . وعندك المسود : جسمو اسود وجناحو بيض . وفي المسود باحمر وكلو احمر وعشرو ابيض . وفي المسود باصفر .

وعندك الابلق وطبعا الابلق احسن من المسود لانو الو حلق بخدودو وطبعة بيضا على كل خد وحجمو كبير . وفي ابلق بحلسة لونو رصاصي وعشرو ابيض ، وفي ابلق بخضرة رصاصي سادة وعشرو ابيض ، وفي ابلق باحمر .

وعندك شكالي باحمر وشكالي باسود وشكالي بازرق . وبكون الطير لونو احمر مع تدنيرة (يعني بياض على روس جناحاتو والذنب) .

وعندك شخشرلي باسود وشخشرلي باحمر وشخشرلي بازرق . والشخشرلي حجمو صغير الو خدود وطبعة بالراس مع سمكتين بيض بسفل بطنو .

وعندك بربريسي باحمر وبربريسي باصفر . والبربريسي كلو ابيض وكتافو حمر بالنسبة للاحمر وصفر بالنسبة للاصفر .

وعندك البني كلو ابيض وجناحو سود مع خدود وطبعة بيضا براسو وعشرو مظبوط .

وعندك التقلجي باسود والتقلجي باحمر والتقلجي باصفر . دنبو ابيض والو قنبرة براسو بتكون حسب لونو .

والحلبي طبق الاصل عن التقلجي ما منفرقو وهوة عما يطير بالسما الا من جناحو لاكن منعرفو عالارض من عيونو ومنقارو . وفي عندك حلبي باحمر وحلبي باسود وحلبي باصفر .

وعندك النوري باسود والنوري بازرق . والنوري بكون ازرق يا اسود ودنبو ابيض وحجمو صغير .

وعندك البوظ وهادا طير ابيض والو قضيبين سود على كتافو وتدنيرة للدنب لونها اسود .

وعندك العمري احلس كتافو مكلفة باسود والعمري الاخضر رصاصي فاتح على بياض .

وفي عندك يا سيدي بيلندي بابيض وبيلندي باحمر وبيلندي باسود ، وبيلندي سادة : الو تاج بصدرو من نفس لون القنبرة يللي شكلها شكل الشاكوش وعيونو واسعة طبعا والعيون الواسعة من مميزات الجمال عند الطير .

وفي عندك القويز ابيض ودنبو اسود مالو قنبرة. واسطنبولي رصاصي دنبو ازرق مكلف بسواد خفيف والو قضيبين بكتافو من نفس لونو بس على اغمق .

وعنا البلدي لون واحد كلو حجمو كبير مالو قنبرة .

وعندك احمر بلدي واصفر بلدي وازرق بلدي واسود بلدي . وفي طير مرقع امو نوع وابوه نوع وبياخد الوانو من الام والاب .

والمنمر الاب احمر مثلا والام اصفر بيجي الطير منمر لون بين لونين يعني لا احمر ولا اصفر .

والابرش حجمو كبير . وفي عنا ابرش باسود وابرش بازرق . والابرش لونو ابيض والابرش الاسود دنبو اسود والابرش الازرق دنبو ازرق وبكون ضهرو كلو ابيض وريشو مجعد والو طبعة وخدين يا اما سود يا اما زرق .

وعندك المفتل ابيض سادة وضهرو كلو ريش مفتل ومالو طبعات ولا حلق .

الدباني والكشميري كل ريشة لون . ريشة حمرا وريشة بيضا . يا اما ريشة حمرا وريشة سودا .

الكركاطي كلو رصاصي ورقبتو افتح من لونو وفي منو ابو قنبرة وفي منو مالو قنبرة .

القرنفلي كلو اسود وكتافو حمر .

العرجاني كلو اسود على كتافو تضبيبين بني . وفي عندك عرجاني باسود وعرجاني بازرق .

النحاسي ازرق مع دقة بني بريش ضهرو .

البقدونسي كلو رصاصي والو خدود وطبعة وضهرو اغمق من جسمو على اسود « مبقع » .

الانكليزي ازرق والو برجليه ريش طويل مشخشر والو قنبرة .

البولوني كلو لون واحد وبيختلف الدنب والو خدود وطبعة . وفي عندك البولوني باصفر والبولوني باحمر والبولوني باسود . والبولوني باصفر كلو ابيض دنبو اصفر والطبعة والخدود صفر وهادا طير حلو ونادر .

والبيرملي باسود كمان طير نادر وحلو كلو اسود وضهرو منقط بابيض ، وعندك بيرملي بازرق رصاصي وضهرو منقط بنقط بيض ناعمة .

وعندك يا ابني التمساوي والتفاحي كلو ابيض وكتافو لا صفر ولا حمر بلون التفاح والو حلق وطبعة .

ــ والله شي حلو يا عم برو شو هاد انت موسوعة . . . والله شهيتني صير حميماتي لانو الحميماتي انسان فنان . .

— ليش يا ابني انت شـو بتشـتغل . . !؟

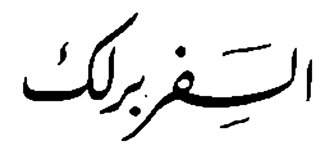
— صـحفي .

— ايه الله يوفق . بقولوا يا ابني انو الادب والصـحافة سـوسـة . . صـحيح . . !؟

— اي والله صـحيح يا عمي . . وهلأ انا بسـتاذن تصـبحو علـى خير موعدنا بكرا الصـبح ان شـاء الله على اسـطوح بيتكن عمي برو حتى شـوف طيورك الحلوين واتعلم منك شـلون بيصـير كش الحمام .

— اي ميت اهلين وسـهلين .

● ● ●



قال لي ابي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان بلهجته الدمشقية العامية العفوية :

ـ كنا ساكنين ببيت الآلش ٠٠ كان عمري خمس سنين لن مات ابي ٠ قبل امي تجوز عشرة واجا ولاد من تلاتة ٠ امي عائشة رمضان بنت سعيد آغا رمضان وجاب منها : مهيبة ومراد وفهمي ٠٠ انا ٠

وتجوز قبل امي خالدية وجاب منها بنت بحرية وقبل خالدية كان متجوز واحدة شركسية وجابت منو اخي صبحي ٠٠٠ وصبحي هوة ابو شفكي ام عدنان ٠

بعدين مات ابي صليت يتيم ٠ كان اخي صبحي بحمص باش شاويش رديف لهون قال بدو ياخدنا على حمص انا واخي مراد ٠ امي عطتو مراد وخلتني عندها انا ومهيبة ٠

تجوزت امي واحد ختيار غني ٠ وضليت عندها لحتى كبرت ٠ تعلمت صنعة الحرير ٠ من ايش ٠٠ ؟ اجا اخي مراد من حمص بعد ما كبر متعلم صنعة بحمص اجا قال تعلم هالصنعة هون بالشام في منها خانات وشيغ كار طويل عريض ٠

وفي بصنعة الحرير صنعة اسمها صنعة المسدي ٠ وجابني اخي لعند المسدي ٠ وعطاني عشر قروش اشتغلت عمري بيطلع عشر تناعشر سنة ٠ تعلمت الصنعة وصرت صانع وصرت لشتغل بنص مجيدي كل يوم ٠ اشتغلت عند الحلباوي بالخراب ٠٠ وبعدين عند بيت الصواف معلم بالقيمرية ٠ وصنعة المسدي يابنتي يعني بيلف عالدوارة ٠ يعني بيلف قيمة ٢٥ كركر ٠٠ بيلفهن عالدوارة ، بتصير شقة مشان تروح للمصبغة بيصبغوها وبيساووها سدي وبتصير صايات « الاجه حرير » ٠



الفنان عبد القادر النائب ـ اريحا ـ حلب

والدي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان

ضلينا نشتغل بصنعة الحرير هيك لحتى كبرنا لحد تريب عشرين سنة · وكانت الاجرة عالرطل كـم رطل بيشـتغل بيـاخد · بيتنا كان بالبحصـة مع الشمس نروح لحد قبل المغرب · المغرب تمام نرجع ناخد غدانا معنا نتغدى · وكانوا يشتركوا معنا بالغدا ·· عندنا تحت فتالة ·· يفتلو الحرير ويطلع لعندنا كراكر ومنساويها شقات · الكار ياستي ··· اول شي بتجي من اوروبا شلل شلل حرير · هالشلة بيعطوها لكبابة الحرير بالبيوت وبالضيع ، فيها منصب بيفردوها عليه ، وبلفو الخشن وحدو واللي طلع ارفع وحدو ، ما بين حرير خشن وحرير ناعم بيساووه شموطةو الشمط مدور بيربطوه بين القصب وبعدين بقلعوه بيصير شمط · الشمط بيجي لعند المعلم بيعطيه لعند الصنعية الفتالة بيفردوه عالكوفية وببلوه بالمي وبيدور مواسير صغار صغار وبيعطيه للدولاب · في سياخ بشكو المواسير بساووهن كراكر هالكراكر بتطلع لعندنا نحنا منساويها شقق · بتروح لعند المعلم · في شقة عددها كبير وشقة عددها صغير · بتروح الشقق عالمصبغة كانوا يعطوها لمصابغ اليهود واحدة خضرا سودا ليلكي ·· لحتى هدول من حرير الخام بيصيرو حرير مصبوغ ناعـم بالمصبغة بتتقطع خيطان وبيوصلوا الطيقان ياللي تقطعت وبعدين بـيردوا بلفوها على خشبات بعد مايبخوها بمرقـة الراس وكانـوا بياخدوها مـن الرواسين لحتى الطاق مايصير ناعم ويتقطع بلفوها كل شـقة واحدة هالقد وهالتخن ·· هي بتروح لوين ، بيجو لعند المعلم · هي سودا مثلا التانية حمرا ، بينحطوا خمس ست سبع تيام حتى تطلع الصاية قلام قلام · مـن هنيك بتروح لصنعة اسمها ملقي · بجيبو راس الشموط وفي مشط واحد · بيقعد قدام واحد وورا واحد بيساووها بالمشط بصفوهن جنب بعض · بتخلص من الللقي بتجي لعند المعلم خالصـة صار اسمو سدي · بيجي الصانع الحايك ·· في محلات كبيرة يبقى فيها خمسين ستين نول كل مين بيجي لعند المعلم بياخد صاية وبيشـتغل بالمكوك وبيكبس برجليه حتى يطلع المشط وينزل ، وبيضل عما يساووي هيك لحتى تخلص وتصير صـاية ·

بعدين بقصوها وبسـاووها المعلمين بسبع تضرع وتسع تضرع كانوا يبعتوها لمصر لانها تقيلة ، يبقى حقها خمس انكليزيات · التوب المصري عريض وحريرو تقيل ·

قبل ماتصير صاية الها صنعة تانيـــة · ووقتن بتجي صاية من عنـد الحايك لعند المعلم صاية خامية مبخوخة بالزفر · باخدوها لحمام خصوصي بالخراب بيغسلو فيه الصايات بترجع ناعمة · ماخلصت · هي وين بتروح ·· بتروح عالمكنة بيسحبوها من اولها لاخرها بيكووها كوي · بتطلع صاية بتروح للدقاق بدقها عالخشب حتى تلمع وبيكووها وبيطبقوها ومن هنيــك بتروح للبيع · وهالصايات في منها صايات « ديما » صايات غزل ·

وكل كار يابنتي الو شيخ كار والو ترتيب والصانع بيشتغل من تحت ايد شيخ الكار ٠ اي عشرين كار ، لصنعة الحرير وحدها ، ونص البلد كانت تشتغل فيـه ٠

صار عمري عشرين سنة اجا دور عسكرية مراد اكبر مني بخمس ست سنين بدن ياخدوه عسكري ٠ اي نعم ٠ طلع لامو معيل اخدوني انا وهداك صفي معيل ٠

كل سنة « في » مجلس قرعة هالقرعة بسني سن العشرين ٠ وكان يصير بكل حارة يعملو مجلس عسكرية رديف او بالسرايا وتجي هالعالم لهالمجلس حتى يكوفوه عسكر (يقيدوه عسكري) ٠

بعتو عسكري ومعو خبر ٠ شيخ الحارة عندو دفتر قيد ٠ انالسه ماصار سني عسكري طلبو اخي جيب اخوك جابوني ٠ رحت مع اخي لمجلس القرعة بالسرايا ٠ فتنا جلسة طويلة عريضة قومندان ودفاتر ٠ واخي صبحي كان باش شاويش رديف ٠ ثبتو انو اخي معيل لامي مالها حدا قالولهن هي اخي٠ قالوا عمرك موتمنطعش ٠٠ عمرك عشرين (لايقيلا) بالتركي ٠ صرت عسكري اخدوني قبل سنتين٠ رحت عملت معاملة ودخلت باش شاويش فخري بدائرة الرديف بواسطة يحيىبك صدقيكان بالاركان حربية كانت امونفوس بنت الترجمان٠ الخلاصة ندهلو قاللو امتحنوا لشيت الرديف ٠باش شاويش رديف لابياخد تعيين ولابياخد معاش ورتبتو باش شاويش كاتب ٠

نسيت قللك٠٠كنت اتعلموانا عماشتغل بالصنعةكنت روحلدرسةبسوق التبن بالبزورية مشقيت حمام البزورية ٠ كانت تعلم القراية والكتيبة مدرسة الشيخ كامل القصاب كان سياسي يعلم تركي وعربي ٠ تعلمتالقواعد التركية كلها فيها ضليت تلت سنين ٠ خصصلي الشيخ كامل استاذ خصوصي ليعلمني ٠

لقيت حالي لابكتب ولابقرا ، وصنعتنا بدها حساب وبدها قراية ٠

كان الصانع بدو يكتب عالشقة قديش عددها قديش عدد طبقاتها ٠ بدو يكتب الرطل حسابو مع المعلم ٠ كان عمري بدك تقولي شي خمسطاعشر سنة وقتن صرنا نقرا تركي ٠ الاسامي التركية : الشباك : بنجرا ٠ الباب : كابو القلم : قلم ٠ الطاولة : ماصا ٠

وتعلمنا الخط ٠٠ كنا نكتب بالخط السلس بقلم تخين باحرف مقطعة واحرف صحيحة ٠٠ بعدين صرنا نكتب بالخط الرفيع ٠ كل واحد معوسفينة خطوطها عثمانية فيها كتابة اول الكلمات ومنتصفها وآخرها حفظونا لامية ابن الوردي ٠ بتذكر منها :

اعتزل ذكرى الاغاني والغزل

وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لايام الصبا

فلايام الصبا نجم افل

وعلمونا الصبرات والنشايد والحساب القسمة والضرب والطرح والجمع وختمنـــا القرآن ·

عدت صرت باش شاويش بدائرة الرديف بالسرايا (الاحتياط) يعني ياللي بيصير فيها مجلس القرعة ·

السرايا كانت عند لفتة القنوات كانت المشيرية فيها وسراية المشيرية القديمة كان يسكن هون المشير حاكم الجيش · الوالي كان يسكن بسرايـــة الحكومة بالمرجـــة · سراية المشيرية هنيك الاركان حربية وبيت المشير جوه ·

ووقتن اخدوني عسكري كان المشير الططر عثمان باشا · قعدت بالسرايا عسكري شهر زمـــان شهر القرعة وبعد شهر تاني اعلنوا الحريـــة (حريات عدالات مساوات) انقلاب انـــور باشا ونيازي ومحمود شوكت باشا على عبـد الحميـد ·

وطلع امر الباش شاويش رديف لازم ياخدوهن عسكر · ردوا اخـــدونا عسكر · ردوا لغوها · رحنا دخلنا بلق التلغراف بطريق الصالحية محل نادي الضباط ·· كان بلق التلغراف اربع سنين · كلهن ظباط عرب وظباط ترك ·

تعلمت بالبلق التلغراف والهليوسطا يعني اللاسلكي عالضو وبالنهـار عالشمس · وتعلمنا التلغراف بالكهربا · كتبوا بتذاكر البلق بعد اربع سنين انو خلص عسكرية · اخدنا التذاكر حطيناهن بعبنا · البلق كان فيه شـي ميتين زلمة · تعليم تلغراف واملا وكتابة مانشوف الاجا امر قال هاتو التذاكر قال حرب البلقان · اي نعم · تحضرنا بقى سيدي البلق وحضرنا معداتو · ووقتن صار الانقلاب صار كل يوم التعليم لعموم القطعات الموجودة بالقلعة الصبح · تعليم عالبارودة وعالنظام بالتركي ·

الاري مرش يعني الى الامام ·

صاغا دون يعني الى اليمين سر ·

صولا دون يعني الى اليسـار ·

غيريا دون يعني الى الوراء سر ٠

دور يعني قف ٠ بعدين تعلمنا عالبارودة ٠

صلاح إمظا يعني سلاح على الكتف ٠

سلام دور ٠٠٠

بالقلعة ضلينا نتمرن كل يوم حتى رحنا لحرب البلقان بالبلق بالنهار في تعليم بالبستان ٠

تحضر البلق عددو ميتين زلمة مع عرباياتو ومع الآلات والعدد والاشرطة والماكينات والتلفونات ٠ سافر البلق لحلب بالترين ٠ كان لحد حلب واصل القطار ما كان ماشي على كلق بغازي ٠ بحلب ضلينا عشر تيام نحنا والعربايات والبغال والمكارة والخيل مشينا على طريق انطاكية اسكندرون ٠ نصل عشية ننام بالقرى ٠ نمنا ليلة من الليالي بقرية فاضية مافيها حدا ٠ نامت العسكر فزينا على بكره لقينالك كل العسكر بدنهن متل الدق الازرق ماالخدنا وعطينا فيه حيوان عم يلدغنا من تعبنا ماحسينا ٠ كان معنا عشي بالطريق بيساويلنا اكل بيطبخ ٠ تازان عسكر للطبخ ماشي معنا ٠ شوكنا ناكل ٠٠ خضرة وترلو بيتنجان وبندورة وفليفلة وبصل ولحم شقف يسكبو بالقروانة لكل عشر تنفس الكبجاية قد سطل ٠ الخبز يعجنوه ويساووه عالصاج العسكر ٠ ياخدو طحين كل طقم بطقمو ٠ وصلنا لاسكندرون باسكندرون تحضر البلق ٠ قعدنا قيمة جمعة ونزلنا بالبحر مع فرقة عرب ٢٧ قيمة عشر تالاف زلة شكلوها ٠ ونزلنا بالباخرة «إقدنز» ٠ هيك دخلناالدردنيل بغاز شنق قلعة ٠ نزلنا بلقنا بلق التلغراف ببلدة (بمايدوس) وكان ايام تلج ومطر نصبنا الشوادر قشينا التلج ونصبناها عالارض ٠ والفرقة مشيت على غاليبولي جزيرة كانت ولاية ٠ قعدنا بمايدوس بدهن يقسمو بلقنا عالقطع الحربية لتامين المخابرات ٠ ليس ٠ انتسبني انا قائد البلق انا وتناعشر جندي ومعنا ماكينات وتليفونات وطيوسطات ٠ نحنا مفرزة بعتونا (بستيم بوت) بابور صغير وقال اليوزباشي جيبولنا كم راس معكن ٠ مشينا طلعنا على غاليبولي لقينا الساحلكلو مهاجرين اسلامبالارض مهاجرين من وش البلغار واليونان ٠ من ادرنة مشي البلغار ورا جيشنا وكسروا حتى وصلوا لغاليبولي وكانت الاراضي نص اسلام ونص روم ٠ صاروا بتفقوا الروم مع الجيش البلغاري واليوناني ويدبحوا ويزنوا بالاسلام ٠٠ صارت تدرا العالم هربت نزلت بعربات بقر على غاليبولي ٠ نحنا قعدنا لقينا امة لا اله الا الله ٠٠ الاراضي والازقة كلها مهاجرين ٠ طلعنا لعند مركز قومندان

قعدنا يومين تلاتة كتبنا مظروف وحملنا غراضنا وماكيناتنا بعربة بقر وقالوا لمشوا عالساحل • نحنا مالنا فهمانين وين رايحين طلعنا بهالوحل ماشيين عالساحل الساحل • ونحنا ماشيين المهاجرين راجعين على عرض الطريق • لك وين رايحين يقولوا رايحين معنا امر • قال اي انكسر الجيش والبلغار قاعدين بتم الجزيرة والجيش جيش عباس باشا كلو رجع • انا احترت بامري • معي امر لوين بدي روح ••• بدي روح لعند القائد • بعدين وصلنا لضيعة اسمها «بولاير» عالاسكلة عالبحر • تطلعنا لقينا عسكر وعالم راجعة • ولك مشكل •• نسال القائد وين ماحدا يعرف •• ونحنا ماعرفنا •• بعدين ماشوف الا قائد بينباشي (عقيد) راكب عالحصان وجاية مكسور مبين من حرب • قاللي عقلي سالوا ياولد • ضربتلو تمني قلتلو بالتركي : بيك افندي بوظرف كيما ونيردا اوطور يور بوقومندان ؟ » •

يعني هالظرف لمين وصاحب هالظرف انو قومندان ؟ • قاللي صاحب الظرف عباس باشا قائد جيش استحكامات ضيعة بولاير فوق •

قلتلو بالتركي : بيك افندي! افتكرتو تركي • ماشوف الاجاوبني بالعربي تاري ابن عرب • فرجيتو الظرف قال رجعو برجوع •• طلاع بطلوع عالجبل • في طريق بالجبل • تاري طالع كل الجيش عالجبل هنيك في استحكامات • خايف ليقوم البلغار يضرب •

طلعنا لفوق لقينا بناء واحد متل الصرايا براس الجبل بيت صغير ومدافع اسمها برلي طوب بتدور عالسكة وتلت مدافع كبيرة وطويلة عالسكة بتدور • هون مركز حرب قديم افتكرتي شلون ؟ مركز دفاع قديم • ايه • طلع الجيش التركي ياللي راجع لمركز وتحصن والفرقة اختلطت بهداك الجيش كلو وانتصبت الشوادر بها لجبال وقعدنا •

انا بدي بدي امن نفسي انا ومفرزتي لمين المخابرة تبعي بدها تكون لانو جيش ؟ لانو قومندان ؟ بدنا ناكل بدنا يعطونا اكل • اجينا لباب السرايا بدنا نفوت • النوبتشي قال : يسق ممنوع • حمار ماكان يفهم مني • وقفت والبغال تبعنا والعربانة واقفة هيه والجنود تحت المطر •• والماكينات • النتيجة ماشوف الا ظابط عما يفوت ويطلع «بيشروش» • اجيت لعندو بترجاك تنبيني هالظرف لمين • تطلع هيك •• قال لعباس باشا • هوة جوة فوت • فت معو دغري لقيتلك رجل شعر شايب ختيار كبير قال انتو مفرزة تلغراف • قلتللو نعم حضرة الباشا •

قاللو : نافز افندي •• ؟ نده للضابط • افندم باشا حظرة لاري ؟

قاللو : حالا عطوهن شادر وخيمة هدول مفرزة انا طالبها لمخـــابرات الجيش ٠

كنا نشوف بروس الجبال البعيدة البلغار ٠ انا حضرت آلة هليوسطا (مخابرة لاسلكي) ٠ واحدة بعتناها للمدرعة وواحدة عندنا ٠ انا صرت خابر المدرعة ٠ يعطوا امر للمدرعة اضربي من مسافة كذا فلان كذا نقطة عند البلغار ٠٠ نشوفها نحنا بالدربين بالناضور تطلع « الكلة » من المدرعة عالبلغـــار نشوفها فين تنزل يمني هادا اسمو اشغال ٠

ماشوف الا القائد هنيك عباس باشا عطاني امر قال انت بمالنك مخابرة وبتعرف بتمديد الاسلاك بدك تنزل عالبحر ٠٠ بيتحضرلك بابور صغير انت وخمس ست نفار بتاخدو معكن ديناميت وبتمشو بالبغاز حتـى اذا طلعنـا عالبر منلاقي البلغار بالجبال ٠ قال بدكن تروحوا تدفنوا الديناميت بالقلعـة باللي قاعدين فيها قواد البلغار ٠ سرايا صغيرة ٠ دائما بالاستحكامات بيلتقى بناء صغير بيقعدو فيه القواد ٠ النتيجة نزلنا بهالبحر واخدنا معنا (منياتو) مشان اذا مدينا الخطوط من بعد ندفن الديناميت منربط شريط فيها لعندنا في دينامو منربطها بزر الدينامو ومنفتل الدولاب الصغير مابتلاقي الا قدحت نار ٠

نزلنا بالبحر بالليل « بستيم بوت » مشينا بالبغاز هيك على حدود البر ٠ نحنا بالبحر والبلغار بالجبال ٠ قربنا شوية شوية سرقة بالليل ٠ نزلنا بقى ستي اخدنا الشريط واخدنا الديناميت وصرنا نتلطى بالوديان ٠ مشينا في اضوية البلغار فوانيس ، والمركز فهمانينو تمام طلعنا على مهلنـا قريبين للاسكلة على مهلنا ٠ صرنا نتلطى بالوديان وبالشجر حتى وصلنــا لفوق تطلعنا لقينا نوبتشي رايح جاية خفر مصلح قدام القلعة ٠ استنينا لحتى تفى لـورا القلعة يمشي ورا البنا قيمـة ربع ســاعة ولهناح نص ساعـــة استقفيناه ونحنا عما نزحف على بطناحتى وصلنا لطرف البنا لقرنة مابشوفنا منها حفرنا هالطراب شوية وعما نحكي وشوشة ٠ ليس ٠ حطينا هالديناميت وطمرناه وسحبنا الشريط وكشينا الموت عن كتافنا لوشافنا النوبتجي رحنـا فتلى ٠ ربطنا الشريط وصرنا نكر الشريط من الكركر معنا (شريط « قابل » كوتشوك) نزلنا دوغري عالبابور الستيم بوت ٠ اخدت معنا هالشغلة قيمة ساعتين ونص قريب يادن الصبح ٠ اكدي النقطة ٠ اي نعم ٠ ونزلنا للبابور٠ حطينا المنياطو ربطنا بماكينة المنياطو الشريط وفتلنا الدولاب وانو يطلـع حس لغم اعوذ بالله طويل عريض قرقع البرية والبغاز ٠ نحنا سمعنا وقلنـا يالله شغل بعيد عن الساحل اشتغل الضرب من فوق البحر حسبو تعرضى من البحر ٠ ماصابني شي ونفدنـــا ونفدنا ونفدنا ٠ ندهلي عباس باشا بعـد مارجعنا وقاللي : عفرم سان قبضاي٠٠عفرم انت عسكري قوي وعطاني تقدير عفرم وبعتلي امر تشكر هالمهمة :

« مهمتني تماميلا يابطن تشكر ادرم » ٠ اي نعم ٠

رجعنا قعدنا بيطلع عشر تيام تحت الخيمة باستحكامات بولاير فوق والدشمان قعد بعيد عنا اربع ساعات٠ يابي الدشمان البلغار واليونان ٠ عملنا بقي جبهة نحنا وهنة قدام بعضنا ٠ كان اجوهن قعدو بتعرفي منين ٠٠ ؟ من ادرنة عشرتيام لحتى وصلوا لشبه جزيرة غاليبولي ٠ هي بتدخل فيها استنبول وشنق قلعة والبوغاز شنق قلعة وسد البحر وكليت البحر (قفل البحر) شغلة معتة !! كلو موجود بهالجزيرة هنيك حاطين المفرقعات ماحدا بيقدر يدخل من المدرعات والبوابير ٠٠٠

ـ يا ابي انو بوابير ٠٠ ؟؟

ـ بوابير للبحر ٠ ماحدا بيفضر يدخل فاجوا هدول قعدوا ٠ طالعنا قطعة لقدام من للجيش من بولاير ومنها خفرات لقدام وكمان البلغار قطعتو الاخرانية وفيها خفرات لقدام ٠ وبهالمسافة مابين الجيشين اسسنا بين الخفر والخفر ساعة زمان ٠ هون عملنا تلفونات اذا لقينا حركة من الجيش منعطي خبر لورا للجيش ٠ ووزعنا الماكينات على غير قطع ٠ ندهلي الباشا قال ياالله حضروا حالكن بحكن تمشوا مسافة خمس ست ساعات لبلد اسمها القواقلي بحك توصل الجيش ببعضو ٠ ومن القواقلي صرنا نأسس مخابرة تانية لغير قطعة٠ الخلاصة قعدنا هنيك مدة تيمة ست تشهر في فرقة العرب ٠ واسسوا فرقة تانية اسمها (مرتب فرقة) هدون فرقتين كل فرقة تناعشر الف مانشوف الا جاية انور باشا رئيس الاركان حرب حاكم الجيش ومحمود شوكت باشا وزير الحربية٠ اجوا زاروا القطعات كلها الموجودة بجزيرة غاليبولي بعدما زاروا القطعات ورتبوا « الفرقة مرتب » ورتبوها مع « فرقة العرب » وعطوا معاشين معاشين للجنود ٠ كانوا يعطوا الجندي النفر مجيدي والاومباشي مجيدي ونص ٠ والشاويش مجيديين والباش شاويش مجيديين ونص ٠

انا كنت باش شاويش يعني قائد مفرزة تلغراف ٠ وعطوا امر بالتعرض عالبلغار ٠

تحضروا الفرقتين بالليل ومشيت السواري (الخيالة) قدام الكل ومشيو وراها الجنود والمدافع ٠ هادا تعرض جيش متل حكاية الاستعراض يعني هيك مشينا ٠ الصبح بالليل مشي هالجيش كلو وقال الكريم خود امطار اعوذ بالله ٠ وهنيك مافي حجر ، كلو احراش وطراب احمر ٠ غرقنا بالمطر ٠٠

مطر على طول الخط مافترت ٠ وهالجندي ماشي عالحرب بدو يلتقي مع البلغار ٠ وقتن شاف البلغار انو جيش ماشي بدا يضرب المدافع وطلعت طياراتو ٠ في عندو طيارات بتنزل قنابل بتحفر قد هالصندوق ٠ من هداك

الزمان عندو طيارات اي والله يابنتي • ضل جيشنا مم يطلع عالجبال تحت الضرب • لمنبيقربوا المدفع مايعود يفيد صاروا يضربوا مترليوزات هيك لحتى بآخر النهار بقى ستي وصلنا ، عيضة اعوذ بالله • ورجعنا البلغار واستلمنا جبخانات علو جبل ومشقيتها طواب مدافع • إي نعم • ترك المدافع ورجع هرب •

عسكرنا مافي انتظام فلتت المسالة مابقى ظابط يعرف جنودو من كتر ماراح قتلى •

مدافعنا ماطلعت معنا لفوق •• جبال وطين • بدل مانستعمل مدافعهن مسكوها العسكر ولحشوها عالوادي •• انو ربحوا •• فرحانين •• هرب البلغار !! تاري الديوس رجع حضر قوة تانية من ورا وارتد اعوذ بالله • العسكر هنيكة في قرية صاروا يكمشوا الجاج بدهن ياكلو • النتيجة بدل مايستعملو الجبخانات والمدافع فترت المسالة والتهوا بالاكل والجاج • رجع البلغار علينا هوة والعسكر ونزل فينا الضرب اعوذ بالله• رجعت العسكر ردت انكتت من الجبال عالسهول ونزل فينا شل • رجع من اربعاعشرين الف جندي ميتين عسكري • كلو صفي بالارض • وهالميتين عسكري وصلوا لبولاير بدهن يلحقوا طريق غاليبولي ويهربوا مع المهاجرين • كان زكي بك العظمة قائد ببولاير ماسك الجبهة هوة وعباس باشا • صار الجندي ياللى بدو يرجع لغاليبولي ويستلم طريق غاليبولي بدهن يقوصوه • مد العسكر هالميتين نفر من البحر للبحر جندي بعد جندي بعد جندي ميتين نفرصفهن بمسافة هالساعة زمان بين البحرين من هالناح البغاز البحر ومن هديك الناح (كرفز) جزيرة غاليبولي •

نمنا هديك الليلة بقلق مهول • نحنا رجعنا مع الميتين نفر • لعلا بكرة اشتغلت المخابرات مع استنبول بالليل • طوال الليل مخابرات مع انور باشا ومحمود شوكت باشا انو الجيش انكسر • بعرف صبح الصباح نحنا قاعدين عالي اسكلة غاليبولي منشوفها •• تطلعنا لقنا قيمة اربعين بابور عسكر اجو بالليل من استنبول على اسكلة غاليبولي • ضلت العسكر جمعة تطلع من البحر واجت مدرعات مشان توقف بالبغاز مشان تحمي طلوع العسكر اذا تعرضلها البلغار • البلغار خافوا ماجوا • تطلعت بقى سيدي خمسا وتلاتين اربعين بابورعسكر قيمة سباعشرين فرقة عسكرالجبال انتلت شوادر • وتركنت الجيوش بالجبال والاحراش قدام الدشمان •

ايطلعوا الطيارات كشفوا لقواجيش عرمرمماتعرضوا ضلوا قاعدين بارضهن حزري قديش قعدنا بعدن منها ست تشهر هالجيوش قاعدة ونحنا بهالشوادر

والاحراش ست تشهر بدهن يعملوا تعرض تاني ·قضينا مدة ست تشهر تحت التلج الشوادر كلها انطمرت بالتلج الجندي يطلع ربع ساعة بس اذا تاخر بروحوا يلاقوه يابس · الحرس ربع ساعة · كشفت الدنية من التلج وصار وش الصيف قالوا « تعرض » وفزت هالجيوش متل مافزت بالاول الصبح تمام · كلها كانت مخربة الشوادر · قلنا بدنا ناكلها بالطيف · بس جيوش عرمرم · سباعشرين فرقة عسكر كل فرقة عشر تناعشر الف قيمة مية مية وخمسين الف جندي · والقائد كان عباس وعموم الاركان حرب تبع الفرق كانوا عرب وفي منهن باشاوات عرب متل سليم بك الجزائري ميرالاي كان قائد فرقة اركان حرب ·ومتل رظا بك الكناني كان بيمباشي اركان حرب تحت ايد قائد الفرقة · ومتل زكي بك العضمة كان قائد (الاي) اربع طوابير عسكر كل طابور الف · الخلاصة مشينا ضلينا ماشيين بهالبر حتى طلعنا عالجبال سبقتنا السواري كشفت البلغار لفتو هربان لقت الدشمان هربان · ضلينا ماشيين وراه نحط عشية ونفز على بكرة نلحقو · ننام بهالقرى بهالطريق ياللي كانت للـــروم يايلي دبحو الاسلام · ورجعت المهاجرين معنا ولحقت الجيش وصار كل مين يروح لضيعتو لبلدو · كل ماشافوا جندي بلغاري مقصر يقتلوه يحرقوه · بعدينقاللهن القائد لاتحرقواحدا ولاتحرقوا الضيع ·ضلينا عشرتيامماشيينعلى هالمدل حتى وصلنا ادرنة · وصلنا ادرنة هدول سباعشرين فرقة فاتوا مسكوا الجبهة وكان وقتها الاي اكراد متطوعين اربعتالاف سواري خيالة اجو وقتهـا مع فرقة العرب واجا متطوعين من الحجاز مع الامير فيصل بس هدولة مساكين مشيو قدام الكل راحوا ماتوا كلهن · هداك الاي الاكراد مشيو راحوا يفتحوا صوفيا عاصمة البلغار · وقام الانكليز اعترض وقتها وقاللهن وقفو · وقفوا وقعدنا بادرنه ست تشهر كمان وهنة يقولوا صلح صلح صلح متاركه (هدنة) يعني ما في حرب هدنة· وببولاير عملنا هالمتاركه هه ·· بهالست تشهربعدين ما اتفقوا مشينا عليهن · بقى كانت البلغار احتلت ادرنة صاروا اهل ادرنـة يشكروا البلغار · انهن نضاف · بالحكومة في قانون نظام للنظافة وخدمـــة البلد كانوا يقولوا جماعة نظاميين · الخلاصة لن قال الانكليز متاركة متاركة متاركة ضلينا ست تشهر بادرنة · اجا علينا شتي هنيك اعوذ بالله ملعون · بعدين قالوا (صلح إمظا لان مشـتر) يعني انمضا الصلح وقعوه · وقتها عملوا الحدودجسر مصطفى باشا مابين البلغار وادرنة · اي نعم · والبلغار عطوهن قطعة منطقة اسمها فرق كليساكنيسا · يعني اربعين كنيسة · وقتها حجزوها من الاتراك وعطوهن ياها هيك راي الانكليز وقتها · وصار الصلح · نحنا مركزنا بالطبع البلق تبعنا مركزو الشام · قال انتو العسكر كلها ترخصت اخدو منها (الصلاح) وكلها فرقة العرب ياللي بقي منها · ركبونا ببابــور اسمو اقدنز بالبحر ونحنا صفينا بلقنا مسلح بوسط البابور محافظة ·فيسبع

تالاف مترخص كل واحد اخد تذكرة وصار سيويل • محافظة حتى مايصير خنايق • مشينا ستاعشر يوم ليل ونهار بالبحر • لحتى وصلنا اسكلة بيروت نحنا وهالجيش • اجت الاطباء بقي سيدي من بيروت بدهن يعملو فحص عالبابور ملوت عطو تقرير انو في مرض قوليرا مابجوز ينزلوا • قال لازم يرجع البابور لحيفا ويعملوا هنيككرانتينا • نحنا ستاعشر يوم طلعت روحنا ونحنا طول هالطريق عما نعالج بامة لا اله الا الله • الحنفيات كسروها بدو واحد ياخد مي قبل التاني • والاكل بقسماط وعجوة • البقسماط كعك مدور يابس يعني مرقدة يابسة بما انهن مرخصين كل مين اخد وعبا • نحنا عم نطبخ وناكل • العسكر مابقالها ارزاق كل مين عما ياكل من عبو متل الحجاج • النتيجة بتنا هديك الليلةباسكلة بيروت فزينا علىبكرة مالاقينا حدا بالبابور منوب • اجت الفلايك بهالليل عبت وتهرب من البابور • يلحشو حالهن بالفلوكة على بكرة مابقى حدا • قالوا لكان بلق التلغراف لازم ينزل حضرولنا مركز القومندان ببيروت ـ تابعة لتركيا ـ ترين مخصوص مشان العسكر والدواب والمعدات والماكينات • عبينا ومشينا بهالليل وصلنا لطلعة سرغايا • هنيك طلوع ماشوف بهالليل وراسي انطرق وتكسر البللور شوفي ؟! قال نطت الماكينة وتلت فراكين عن الخط • وبرد • ضلينا بهالبرد لعلى بكرة • بحكمة الله من الامطار والتلوج هرولت صخرة من الجبل واجت بنص السكة والترين طالع موشايفها وانو يطرق فيها كسر عشرين عارضة من السكة • وطلعت الماكينة وتلت فراكين • ضلينا لعلى بكرة بهالبرد • اجا ترين تاني من الشام نقل العسكر البلق واجا ترين من بيروت ونقلوا فيه التقيل والبغال لبيروت حتى صلحوا السكة ورد رجع للشام • رحنا للشام كتبولنا تذاكر من جديد ردوا كتبوا فيها (بلقان محارب سي تذكر سي) كل مين اخد تذكرتو وفودسنا ••• كل مين راح لبيتو لبلدو لضيعتو • نحنا ترعتنا باللي خلصت مدتها ردوا عطوها تذاكر ترخيص انو خلصت عسكريتو • قعدنا قيمة ست تشهر بالشام مانشوف الاعلن الحرب العامة الاولى وقالوااللي مابيسلمنفسو باربعاعشرين ساعة رميا بالرصاص • ونحنا بما انو (تلغراف بلق موجودو) بدو يصير كبير بدل مية وخمسين جندي بدو يصير الف • عطت امر الوشيرية انو كل اللي استبدلوا بتلغراف بلق بيرجعوا للبلق بزاتو • رجعنا للبلق بزاتو • ضلينا قاعدين بالبلق قيمة شهرين تلاتة وكان محلو بطريق الصالحية مطرح نادي الضباط هلأ • وبسراية الوشيرية عما يدبحوا خواريف ويشطوا النار ويقلوا الخواريف بالدهن بالحلل حتى يساووا قاورمة يابسة ويعبوها حتى يطعموها للعسكر بالحرب •

قعدنا بالشام قيمة ست تشهر ٠ رجعت لصنعة الحرير مسدي بالحرير ٠ اي نعم ٠ وانا عم باشتغل بالصنعة سكنا وقتها بالبلطجية عند باب الجابية بيت ابو الشامات انا وامي وجوز امي ٠ قضماني عنـدو محمص وولاد تنين بيشتغلوا معو ٠ محمصو بالشاغور ٠ هوة من باب السلام ٠ انا استاجرت البيت من ابو الشامات كل شهر بليرة دهب ٠ جرت معي مسالة ما شوف الا اعلنوا من الحكومة بطلب بوالبس بيعرفو بمصـلحة التلفون ٠ انا بالطبـع اشتغلت ست سنين ببلق التلغراف تلفون وتلغراف بعرف هالصنعة تماما ٠ تمديد الخطوط وماشـابه ذلك ٠ بعرف مخابرة هليوسطا مخابرة اليكتريـك ومخابرة تلفون ٠

قدمت استدعـا بطلب استخدامي بدائرة البوليس وفرجيتهـن تذكرة عسكريتي انو انا من حرب البلقان (وحرب جبل الدروز قبل البلقان وطوشة الكرك قبل البلقان) عصي جبل الدروز وقتها على تركيا واجا سامي باشـا ومعو تلت طوابير لتاديب جبل الدروز وبعد مااصطلح جبـل الدروز وبعدمـا شنقوا المشايخ كمشهن ، سامي باشا واحتـل جبل الدروز ٠ واجينا للشـام طاشت الكرك ٠ العربان حرقوا الكرك وقتها فرضوا عليهن جندية وطلع عبـد الرحمـن باشـا والايوبي والباشاوات مشـان ينصحوا الكـرك وقامـوا بمحطة المسمية هجمت عليهن العربـان وقتلت عبد الرحمن باشا وقتلت كـم واحد من الباشاوات ٠ اي نعم ٠ وهرب الباشا الايوبي وقتها ٠ لبس بدوي وهربتو الكنجية التجار بعدن منها نفد من القتل ٠ وكان قائد حملة الكرك قومندان اربع طوابير سواري ٠ الكحالة كان وقتها قائمقام ٠ واجا امـر لبلقنا انـو يلتحـق بالكـرك لتمديد الخطـوط مـن محطـة القطرانـة للكـرك ٠ محطة ترين مشان يتصل الجيش بالسكة بالترين ٠ في قوة بالقطرانة وطلعت القوة ٠ وبعرف دخلنا الكرك لقينا الكرك مو باقي فيها لاسقف ولاشـباك وعموم الاهالي بالمامورين بالعسكر الموجودين محاصرين بالقلعة حاصرتهن البدو ٠ البدو حرقوا الكرك واخدوا النسوان ٠ انتهت الكرك رجعنا عالشـام ٠

الحرب العامة الأولى

بعد ست تشهر تمام من بعد حـــرب البلقان مانشوف الا اعلنت الحرب العامــة الاولى ٠

بيرجع مرجوعنا لوظيفة الشرطة ٠ وقتن اعلنت الحكومة مشان الشرطة تجمت استدعا وكان مدير شرطة الاتراك عزيز بك ٠ قدمنالو استدعا قـــال مقبولة عطينا ورقة نفوسك ٠ بقى اجينا لورقة النفوس ٠ كان تولدي ٣٠٦ رومي ٠ساوا مجلس القرعه ٣٠٢ رومي واخدونـــي «لايقيلا» عالعسكريـــة ٠ ومجلس القرعة ماعطا تقرير لدائرة النفوس بانو صححنا تولدو ٠ بقي تولدي بالنفوس ٣٠٦ رومي وبالعسكرية ٣٠٢ رومي ٠ كان تاريخ الحكومة التركية قريب للعربي ٠ انا لمن شفت بتذكرة العسكرية ٣٠٢ تولدي واضح وبورقـة النفوس ٣٠٦ واضح شو بدي ساوي٠قلتوالله لحكها٠رحبعمل: «سخطة» ٠ رحنا لعند واحد بدائرة النفوس ٠ صححلنا ياها !! قال بدها وقت ٠ قاللي عقلي ساويها ٣٠٦ لحالك ياولد مادام ورقة عسكرية مابينتبهو ٠ قدمنا ورقة النفوس محكوكة لمدير الشرطة ٠ قام صفن فيها ٠٠٠٠ قال : هي اظن محكوكة الاكتـر تبدلا ٠ طالـع ورقة جديـدة المهلـه عشـر تيام ٠ طالعـت ورقـة جـديدة طلعت ستـــة ٠ اجيت لمديـــر البوليس ٠ قـــال وين العتيقـة ٠ ليكـــا ٠ قـــال هي سخطـة لف للتنتـين مـع الاضبارة وبعتنـي عالعدليـة محفوظا ٠ سلمني ٠ حطوني بالقفص الدنيـــة المســا وحشر البوليس ومشي ٠ قريب المغرب رح يصير الدنية عشية قلت الله يلعن الوظيفة ويلعن يومهـا ٠ كان ابن عمتي عزت بك الاستاذ عضو بمحكمة الجزا٠قلت على بكرة منقول لابن عمتي مندبرها ٠ مرق ابوه لعزات ٠٠ اسعد افندي صهري جوز اختي كـان مباشر بالمحكمة ٠ ندهتلو لجا٠ لك شوجابك لهون قلتلو القضية كذا كذا كذا٠ راح عمل سند كفالة وطالعني ٠ حاكموني الخلاصة سالني رئيس المحكمة منو ساواها ٠ قلتلو والله المسالة كذا كذا ٠ رحت لدائرة النفوس في الي صاحب اسمو كامل افندي صححلي ياها ٠ قال حكها ٠

حالكون كذب ٠ وعالزلة كان عامل سخطات كتير وهربان لمصر ٠ عطوا منع محاكمة ٠ تبرينا انا تبريت من هون وانا ماعاد بدي شي لا وظيفة ولا شرطة قرفت رجعت لصنعتي صدي حرير ٠

الفنان سعيد تحسين ـ دمشق

مجاعة السفربرلك في دمشق

لن اعلن الحرب العامة الاولى طلبوني صرت عسكري · اتقيدنا بنفس البلق تلغراف تبعنا وصرنا ناخذ تعيين كل يوم تلت ترغفة والبلق عم يطبخ بدك تعا كولمابدك روح لبيتك · وبدت الحكومة تحضر تنكات وتدبح غنم وتعمل قاورمة « بالصرايا » ضلت اكتر من شهر تدبح غنم وتساوي قاورمة وتعبي بالتنك وتحضر صناديق عجوة ·

بهداك الحرب اتفق الالمان والاتراك · والانكليز قاللها لتركيا عدي عالحياد لاتدخلي مع المانيا ونحنا منعطيكي حصتك وخدي مصاري قد مابدك · رفضت تركيا الا بدها تحارب مع المانيا · الخلاصة مافي الا يحضروا جمال يجيبوا من هالبادية جمال ويحضروها ·

ايه الخلاصة · مشينا على فلسطين هيك عالناصرة وحيفا وهديك الجهات وجبل الكرمل وتل الشمام · يعني من هون راحت عالحرب « فرقة العرب » فرقة عسكر · تعدنا مع الجيش بالناصرة لحتى التم الجيش · قالوا حركة · يا الله على صحراء سينا بدنا نفتح مصر مشان يخففوا الضغط عن بوغاز شنق قلمة من المدرعات الحربية الانكليزية والحكومات المتفقة معها · بدهن يتعرضوا لمصر · مشينا هيك على بير السبع · من بير السبع على حفيرة العوجة آخر اليابسة · بعدن منها رمال صحراء التيه كل يوم نمشي ١٨ ساعة · نحط بالليل ونفز الصبح نمشي · ومعنا طابور استحكام (الف زلة) قائده الماني يحفر آبار بالطريق مشان الجيش · مشان المي عملي شونات مراكز · مشان الارزاق وتنكات القاورمة والقورما والعجوة والمي كان يحمل الجمل تمن تنكات مي · لكل جندي يعطونا المي بالوزن ونتفة عجوة وتلت بقسماطات كل يوم · وكل عسكري معو مطرة يعبولو ياها · مي مية · نبعت المكارة والدواب للمركز يعبو مي بالضروفة بالتنكات تجيب ارزاق ·

نحنا حملتنا فرقة عسكر يعني عشرين سباعشرين الف · القائد كان اسمو الدالي فؤاد رتبتو لواء باشا الدالي فؤاد · هوة القائد على هالحملة كلها وكان تعرضنا من نص الصحرا عالسماعيلية وفي جيوش غيرنا عاليمين وعالشمال · الصحرا عريضة ارباوعشرين ساعة · والترعة طولها ٢٤ ساعة جيوش قسموها شي من ناح اليمين شي من ناح الشمال نحنا جيشنا من نص الصحرا · وقبل مانطلع من الشام كنا مصطنعين فلايك من توتية اسمها طنبازات بهداك الزمان · طول الواحدة خمساوعشرين متر واكبر · وساوولا عربيات عريضة على قدها وطبوها عالعربابة طب · هدول الطنبازات رايحين معنا خمساوتلاتين واحدة عم نتعاون بجرهن العسكر والبقر البغل مابيمشي · كان كل حركتنا جمال مية الف جمل بهالتعرض هاد · الجمال اكتر من

العسكر · تعلمو عالطنبازات ببحرة المليحة ينصبوا جسر عالمليحة ويحفروا آبار ويساووا جسورا · هادا القومندان الالماني هي صنعتو موظف خاص كان عندو الف عسكري يسبقوا الجيش لقدام · الجيش يستريح يومين لبين ما يحفروا آبار لقدام · هنة يحفروا البيارة وينظموا الجيش ينتقل لعند البيارة لحتى امنوا السفرة بهالصورة وهالطنبازات مطبوبة وعمايسحبوها بهالرمل وحاطين ضبان عريض حديد عالدولاب شيت العربانية عرض نص ضراع مشان اذا مشي عالرمل مايغرز كان الطنبازة تقيلة ·

ضلينا قيمة ستين يوم والله نمشي تمنتاعشر ساعة وننام ونفز الصبح ونمشي وعلى هالبقسماط والعجوة والمي مالحة مية بحر · كان كانت هالصحرا بحر مافي جبل · النتيجة وصلنا لنص الصحرا بهديك الجبال في جبل اسمو جبل الجفجافة بهديك الرمال مافي غيرو · امروني انا وعشر تنفار من بلقنا انو نروح للجبل مشان نامن مخابرات الجيش · اوامر ليطلب جبخانة من بير السبع ارزاق · جيش بدو مخابرات هليوسطا بالليل بتمشي عالضو بالنهار بتمشي عالشمس · ضلينا قيمة عشرين تلاتين يوم لبين ماقطع الجيش وبعد مامشي لقدام انتقلنا مع الجيش لمحل اسمو « المحدس » (المحدث) هادا آخر محطة الترعة قريب للترعة قيمة مسافة عشر ساعات · صرنا نخابر الجيش · انتقلنا مشينا صرنا على حافة القنال قريب من القنال قيمة تلت ساعات · حطينا ماكينة هليوسطا صرنا نخابر لورا للمحدث مركز شونا مشان ارزاق ماء للجيش لانو فيه جمع ماء ·

واجا جمال باشا الكبير وقتها نصب تلت شوادر وقعد على كنار هالماء مشان يراقب الجيش ·

الخلاصة جمال باشا رجع ونحنا مشينا مع الجيش لحد الترعة · بجبال الرمال حفروا استحكامات العسكر وقعدوا بدهن يتعرضوا عالترعة قعدنا تلت تيام هنيك · بعد تلت تيام امروا بالتعرض بالمشي عالترعة ليلا دشروا الاستحكامات براس التلال ونزلوا ضوغري عالترعة ومعهن الطنبازات مشان نصب الطنبازات وفوقن منها خشب وحديد بيعملو جسر · وصلنا للترعة بالليل · سكوت عالنصت · لاحدا بيشرب سيكارة ولاحدا بيحكي والرمال مابينسمع حدا عم يمشي عليها الارض كلا رمل · مانشوف الا اجا الالماني · نزلوا الطنبازتين حطوهن بالبحر تلوا الواحدة عسكر واخدها الالماني ومشي بالترعة · نحنا عما نعبي التانية عسكر · راح غاب لتاني جهة قيمة ساعة زمان ورجع بهالليل سكوت · اخد طنبازة تانية حط الفاضية واخد الملانة · رد رجع حط الفاضية واخد الملانة وعلى هالمعدل وزع بتاني طرف الترعة ميتين وخمسين جندي · اذا كان بدهن ينصبوا الجسر لازم يكون في قوة اذا حدا طلع لازم يدافعوا عنو · بالطنبازة السادسة اخدها ومشي وصلوا لنص المي · انا

حافر جورة انا والتلفون والخطوط ممدودة عالرمال مشان نخابر الخلف • قال القائد خابر للشام انو فتحنا الترعة• ضربنا تلغراف راح التلغراف بدو ينتقل حتى يصل للشام • قامت زينت الشام وصارت عراضات انو فتحنا الترعة هوة التلغراف راح اي نعـــم وكانت ساتت طنبازة ماشية بالبحر • وفجاة قامت القيامة اعوذ بالله • طلع علينا رشاش يعني من فوق الالف رشاش مـا منعرف منين عم يطلعوا صارت مية الترعة تبقبق متل كانها مـي وعم تغلي باللي هنيك صاروا يقوصوا ماعدنا عرفنا شو صار فيهن وياللي بالبحـــر انبخشت الطنبازة وغرقت وياللي سبح رجع وياللي مابيعرف يسبح اختنق • الالماني سبيح لحتى حالو بالبحر ورجع • اجا امر للعسكر انو لحقو تبات للرمل • الاستحكامات ياللي كنتو فيها قبل مايطلع الضو والا بيروح الجيش كلو • واشتغل الركيد • في استحكامات بتبات الرمل صبحنا الصبح تطلعنا لقينا اعوذ باللـه بالترعـة سبع مدرعـات مصفوفين متل السمك • وطلعت الطيارات علينا وصاروا يضربوا كلل من البواخر • وكل مدرعة فيها خمسا وتلاتين مدفع ، الكلة طولي • تنزل عنا تحفر شي يطق وشي مايطق •ونحنا قاعدين تحت الضرب • انا نصبت الماكينات وصرت خابر لورا صرت خابر المحدث وهالمدافع عم تشتغل فينا •

تطلع الكلة من الترعة وتجي علينا •

ايه نهارها طلع النهار قعدنا • لك اي بعرف الجيش الو حركة • تبات رمل قدامنا مافي حركة • مافي الا صناديق جبخانة ملحوشة • تاري الجيش مع وصلتو كتب للقطعة تبعو حتى تعمل حركة • وبعتولنا عسكري لحتى نعمل حركة نحنا الرخار • انا نهارا قاعد ماحدا وصل لعندنا • تاري الجيش عمل حركة بالليل وبعتلنا زلة تاري الزلة تاه ولحق الجيش وتركنا • نحنا عشر تنفس معنا عدد وماكينات وتلت جمال وعما نخابر الخلف • هالديوس ياللي بعتولنا ياه ماوصل • تاري الجيش مشي ومشـي معهن •

انا بعت المكارة مشان يجيبولنا مي من المحدث راحوا مارجعو • لـك صفينا بلا مي وبلا اكل هيك لعشـية • عشية عما طلع ماحدا مبين مافي حركة شعلنا نار صار برد حفرنا جورة بها الرمل • قلتلو لواحد وصال جبلنا كـــم صندوق جبخانة•وانا قاعد عمانتظر المي والاكل وناموا الولاد وحطيتالباروده قدامي وقعدت نوبتجي ماشوف الا من تبة رمـل بعيـدة شخصين عما يبينو ويغطو • العمى • فزيت عا رحيلي وقفت ماشوف الا طلعوا •• ونزلوا مـــن تبـة الرمل وطلعوا لعنـا •

بدو كمامهن عراضي كانهن مصاروة · قال شلون ان شاء الله موفقين · عما اتبهور قلتلو الجيش بمصر · قال الله يوفق الله يوفق · تاري المرصات جواسيس · شو جابكن لهون · قال والله نحنا مندفن صناديق عجوة بهالجبل · اجينا مالاقيناها · من انو ديرة قال من ديرة شمال · خاطرك · قال بدهن سيكارة مامعي · نزل اسعد عما يرعى تلت جمال شايفو ماشوفهن الاطلعوا من عندهن · ليقوموا يشلحوه الجمال · حملت فلنطة البارودة ودكيتها سبع ضروب قاللي عقلي منلدعهن · بسطوا عندو بعدين مشيو · بعد ماالجا اسعد · منو هدول قال تنين معهن بواريد · تاري قبل مايطلعوا لعندي حفنو بواريدهن بالرمل صارت الدنية مسا والبرية كانة · وقلت هدول مخبايين من المدافع · حفرنا جورة صار برد · كسرنا الصناديق وشعلناهن · ونحنا عما نحفا ماشوف الا فتح ضو هليوسطا من الخلف · اجا النوبتجي قال مخابرة · فزيت فتحت عليه سالتو شو اسمك ؟ قال اسمي احمد · احمد انا بعرفو مع الجيش · وين المحدث تمن ساعات لورا · لك شوماد لاتلعب احمد · منو انت · احمد لك شوجابك لهنيك · قاللي ماعندك خبر · بعتنالك خبر الجيش رجع من مبارح ونحنا اليوم بالمحدث خبروني بالليل بعد المغرب وهي تلغراف من القومندان عما يقوللك عميل حركة حالا مع المعدات · قلتلو اي طيب خليك فاتح الضو حتى استهدي عليه وامشي ناحك · وانا حسبت حساب الجولسيس يطلعوا علينا مابقى حدا غيرنا · جيش عرمرم رجع ·

وتاري الجيش بالليل مشي وضاع عن الطريق وضل ماشي لتاني يوم على بكرة والجيش متل الميت ·

لك انا شلون بدي اعمل حركة · جيش تاه ومعو دللة (ادلاء) · اسعد قال بعرف الطريق مقاطعة بدنا ننزل ناح الترعة قيمة عشر دقائق بعديـن بدنا ناخد طريق الدوس تبع الجمال · وفي مدافع وبيضل اثر لو طلعت زوبعة · قلتلو اسعد من هون الطريق · اسعد قال من هالتبة بطلع بساعتين منوصل · لك يااسعد لنقوم نضيع !! قال انا ابن بر · والله قولي سقنا هالجمال وقلنا على بركات الله · نحنا معنا عشر بواريد كل واحد معو تلاتميت ضرب فشك ومامعنا لقمة بقسماط انا قوام طفيت النار · حطيت صاج الخبز فوق النار انطفت تلت قوموا ياالله الجيش مشي · اجتهن النخوة · حمل عشر جمال حملناه على تلت جمال · قلنالو لمشي لاسعد توكل على الله · مافي الا نطلع تبة رمل وننزل تبة رمل · ولك وين الطريق اسعد يقول قدام قدام · ولك وين قدام · قال والله ياالخي ضعت · بقولتو ضعت رايح ناولو فشكة ضيعو · صحراء التيه مامعها ملعبة · ونحنا جايين عالترعة تلت قوال جمال كل قول تسعين جمل مع عسكرهن وارزاتهن وضباطهن ضاعوا بالصحرا وضاعوا وضاعوا

وضاعوا · اجت عليهن زوبعة طمرتهن · قلتلو يخرب بيتك شلون نحنا بدنا نوصل · لو استلمنا طريق الدوس كنا على كل هلأ وصلنا · مشينا ونحنا ماشيين برك اول جمل · تشو ·· قوم ·· فز ·· مابقى يفز · قمنا الغراض حملناها عالجملين · مشينا برك التاني · ونحنا لسه مااجتمعنا بالطريق · بعد نص الليل بدو يطلع علينا النهار وتقدح الشمس ونموت عطش · تشو ··تشو·· الجمل التاني مابيفز ·قمنا حملنا هالغراض عالجمل التالت وجربان وضعيف· تشو تشو ·· الله قواه الظاهر فز مشي · شحديناه من دنبو عاوناه رفعنـا رسنو فز وقف وقف لاكن بدنا الطريق ·ماشي ·· لاكن ماشي على عيوني كل مالي عما غمق بالصحرا · والبورجكتورات عما تضرب علينا من القنال · خفت لروح ناح القنال بصير بايد الدشمان · اني كنت اعرف شلون بدي امشي بقينا كل واحد ماسك قلبو بايدو على بكرة بدو يموت · ونحنا عما نبسمل باسم الله الله الله ·· ماشفلك الا والطريق طلـع قدامنـا نزلنا من التبة · رجعت حياة عشر تنفس · قلتلهن بركو الجمل · عنا دراديير خبز طعميناياهـن مع مي بلمهن · ريحناه شوية اخدنا نفس · كانت الساعة تنتين ونص بعد نص ليل · بس قلبي مطمن وصرنا نغني موالات وميتين من جوعنا · ليس · فززنا الجمل تشو تشو الله عانو فز وقف وعليه كل الحمل · مشينا عالطريق تطلعت لقيت كل مالنا عما ننحرف من مشقيت الترعة وطوال مالنا ماشيـين جمال عم تبعبع بوع بوع باركين عطشانين · يعني ليلة وحشـة مالانظير ابدا· الجمال عما تبعبع بصحراء التيه تاركينها باركـة ونحنا ماشيين خيال · ضلينا ماشيين للصبح · الصبح بين علينا سراجات الجيش · بدنا ندخـل شافو خيالنا وسمعوا حسنا خفرات خايفين خمنونا دشمان وقف ·· ماصدقوا حتى اجا واحد مع مترليوز حط بيل بوشنا فهمنا انو نحنا تلغراف · فتنـا لقينا العسكر بالسطيح عالرمال · قال هلأ وصلنا ضمنا يومين بالرمل نحنا والدللة · ليس · طلبني القومندان · رحت لعندو · تطلع فيني قاللي شلون وصلتو شو اخركن · قلتلو ياللي اخرنا ماحدا عطانا خبر · قال شلون قدرت تصل · قلتلو الله وصلني · قضيتنا كذا كذا قال سبحان الله جيش طويـل عريض ضاع ·

بعرف ساوالي كاسة شاي بتسوى ليرة دهب وعطاني كعكة من الشام قاللي نفدت حالك والجنود وماكينات مخابرات الجيش · قلتلو الله ساعد الجمل لازم نخدمو · راسا امر بقطران دهنوه الجنود بقطران وحطولوا علف اكل اكل لشبع · (واختنق هنا صوت ابي بدموع الشيخوخة التي تعبر عن فرح شبابه من اجل مكافاة القومندان للجمل المريض الشجاع ·· واختنقت دموع في حلقي وحلق القلم ، وساظل ابكي كابي كلما قرات كلامه عن الجمل) ·

والله خنمنا لحتى وصلنا للسبع ٠ مشينا ٠ ننام عشية ونفز على بكرة٠ مي ناخد من الآبار مابقى ٠٠ اكل بدهن اكل ٠٠ بدهن لحم ٠٠ يبخشوا فخد الجمل وهوة طيب قاعد عما يبمبع وعما ينحضر فخدو تاركينو بالارض ٠ صرنا ناكل من لحم الجمال وهية طيبة ، نحطو بالشيح بها النار ونبلع كل شقفة بشقفتها ٠ ياالله قيم يوم جيب يوم قيم يوم جيب يوم وصلنا لحفيرة العوجة متل اشقياء عجلون دقني وصلت لزناري يالطيف على هديك الحالة ٠ بحفيرة العوجة في آبار ٠ العسكر استهدت عالآبار صاروا ياكلو ويشربو ٠ في شادر عتيق نصبتو وسخنت تنكتين مي وحلقت شعري وراسي وصدري بالموس تمل عما يدبي دبي فينا متل النمل اعوذ بالله ٠ بعرف عملت حمام بهالتنكة ماعمري دقت متل هداك الحمام بعمري ٠ ضليت نايم بالشادر عالكليم خمستاعشر ساعة ٠

قعدنا بيطلع جمعة ٠ استراحت العسكر ٠ مانشوف الا طلق رصاص طلع ٠ لحقو طلق ٠مانشوف الا اجا الدشمان٠تاري فلتت معو رصاصة لحقو التاني والتالت لبعد ساعتين حتى فهمنا انو مو العدو الدشمان غلط من الجيش ٠ رصاصة فلتت بالغلط من واحد من عساكرنا ٠ رجعنا بعدن منها هيك لبيرالسبع ٠ وحفيرة العوجة بلد طويلة عريضة قد الشام ٠ صارت خرابة اثارا مبينة ٠ آخر الرمل نزلنا على بير السبع ٠ من بير السبع هيك ضلينا شاحطين للناصرة ٠

قعدنا بالناصرة قيمة سنة زمان ونصبت وقتها مخابرات مابين الناصرة والبحر بجبال الكرمل ٠ حطيت ماكينة بجبل الكرمل بدير المحرقة طلعت مفرزة تخابر من الناصرة للجيش ياللي حارس البحر ٠ هداك كان درك ٠ كانوا يخافوا من البحر كانت تجي مدرعات فرنساوية توقف بعيد وتطلع منها طيارات تجي تضرب الجيش على كنار البحر وبالكرمل والناصرة ٠ مشان هالمراقبة بعتونا مفرزة لجبل الكرمل عالي بيطل عالبحر وعلى مرج ابن عامر لحد الناصرة ٠

صرنا ناخد من القومندان تبع الساحل تقارير نعطيها للناصرة ٠ وقتن تطلع طيارة يعطينا خبر ونحنا نعطي خبر للناصرة والناصرة تعطينا نعطي لدالية الكرمل ٠ وفي فرن برات الدير٠ قلعنا الرهبان ٠ عطاني امر قال بتستلم الدير وبتطالع الرهبان باشيائهن الذاتية كانهن فرنساوية ٠ فتنا لهالدير فرشات صوف ونخيرة وخمر ونبيت ومونة مية بندورة وجوز ٠ وفوق بضهر الجبل مزرعة بطاطا وجاج وطيور وبط وصرنا ناكل وانبسطنا ٠ قعدت بيطلع اكتر من سنة ونص وكان في بينا وبين الشام امانات ومكاتب ٠

بعدين اجا امر نلتحق للناصرة ٠ والناصرة عطوا امر بالليل بقى ٠٠٠ جهزوا للجيش على بير السبع ٠ طلع الجيش كان قائد الجيش عصمت اينونو٠ وبجبهه غزة عالبحر قومندان الجيوش كان فونكرس باشا الماني وكل جيوش فلسطين تابعة إلو ٠ نحنا كنا ببير السبع مع اينونو ٠ الانكليز حشدمدرعاتو على جبهة غزة خمساوتلاتين مدرعة وراد انو يطالع جنود عالبحر ويحتل جبهة غزة كان فيها سبع استحكامات والجبهة كانت قوية هنيك٠اي نعم ٠ الانكليز اعتمد على انو يعمل (بومبار دومان) يعني انو يضرب الجبهة بالمدرعات مشان يخرب الاستحكامات بدو يتعرض على جبهة غزة ٠ نحنا نشوف البحر من عندنا يلمع ٠ تلمع المدافع متل ضو الليل مليون لمة ٠ تطلع المدافع سوا ٠ تفتر دقيقة ماتلاقي الا ب ب ب على جبهة غزة جمعة ليل مع نهار ماهدي الضرب بعدينطالع جنود ٠ من بعد ماضرب هالضرب القوي طالع جنود ٠ هادا عدا عن الطيارات بالنهار ٠ النتيجة ٠ الجبهة قوية طلع الجيش الانكليزيقوي وعما تعينو المدافع والطيارات ٠ مشي اخد اول استحكام وتاني وتالت ورابع وخامس ٠ صفي استحكامين ٠ يعني صحف جوعانة العسكر ٠ جندي من جنود الاتراك ضرب جندي انكليزي قتلو بهالليل٠من جوعو اخد الطربةشيت الاكل وشلحو البصطار والاواعي وصار عسكري انكليزي ٠ لك شو هاد ٠ قال قتلتو من جوعي٠من هالزلةهاد رجعتقوة العسكر من الجوع عالانكليز٠بهالليلة دبحو تناعشر الف عسكري انكليزي ٠ كان الجيش التركي حافي وبالقرعة صبح انكليزي ٠ شلحوهن وصفيو بالزلط ٠ بدو يدفنا العسكري وكل واحد معو طربة اكل لحم وقضامة وبقسماط ٠ طلعت الطيارات تاني مرة والانكليز طلعو من البحر لقوا كل العسكر سطيح ٠ وقتا كتبوا لفونكرس باشا ٠ رموا خطاب مناشير لفونكرس باشا : لو اعلمتنا موجود عسكرك لبعتنالك الهن اكل ولبس احسن ماتشلحو الموتى ٠ وهددوا وقاللوا سوف ننتقم بس عطينا مهلة حتى نرجع الموتى للبحر ٠ عطاهن مهلة والله لولا هالجندي راحت الجبهة وراحت فلسطين من هداك الوقت ٠ الخلاصة طلعت بقى سيدي هيئة الصحة الانكليزية صارت تلم هالموتى بالسيارات عالبحر ٠ نضفوا الجبهة ٠

ركنت هديك الجبهة مابقى حرب ٠ صفي الحرب هلا تينية عما نحافظ عالسبع ٠طلع الانكليز ماعاد عمل حرب ، شغل ميت الف عسكري مصري عامل ومد خطين حديد من مصر لجبهة غزة ٠ واحد رايح واحد جاية ٠ وعلى طرفهن خراطيم مي من بحر النيل سنة كاملة ٠ اي نعم ٠

نحنا بمدة هالسنة سنة ونص كنا كل ليلة نعطي تقارير لجبهة السبع انو في عدو لقينا دورية عدو ٠ لقينا العدو عما يتلصلص بكذا نقطة ٠ هادا (احانص) اسمو على خطة الحرب ٠ مضت الايام الى ان ليلة من الليالي

كترت التقارير • عما يقولوا عما نسمع حس الدشمان قريب كتير • طلع عصمت اينونو خابر فونكرس باشا قاللو الدشمان ناوي التعرض والقوة مو كافية بدنا امدادات • يجاوبو امدادات مافي على كل حافظوا عالجبهة •

بدو عسكر كمان مايبعتلو • ليلتها كترت (الرابورات) يقوللو بدنا قوة يقوللو (حربا دوام) خليكن ثابتين عالحرب مافي قوة • خابروه ليلتها صارت تصل التقارير عندنا بالمية خمسين تلف بينا وبين العدو • ليلتها هجم علينا الانكليز متعرض •• يقوللهن حربا دوام • حضروا الجبهة طالعوا الجبخانة بس لاتضربو • بعدين على بكرة قالولهن اضربوا طلعت الطيارات واشتغلت المدافع • لقينا جيش عرمرم امام جبهة السبع انكليزي • ضرب حوقة جبهة السبع وجبال السبع وعما يطلع عليها • والضرب عم يشتغل من عندنا وهوة بالطيارات وبالمدافع • قالولو بالمية سبعين تلف • قاللهن حربا دوام • ضلت الجبهة عما تحارب هيك لبعد العصر متل هلا • أنا نزلت عطو امر بحريق الارزاق كلها •كتو عليها زيت كاز وحرقوها • قالوا احرقوا (الاغرلق) • الاثقال بعتولهن سيارات كبيرة المانية صارت تحمل وترجع لورا • تقطعت المخابرات والاتصالات مع الجبهة • اجا مظروف • اي نعم•بعتناه مع الخيالة اعوذ باللهوالمدافع عمايضرب والكلة نازلة فوق السبعوبعد السبع صفينا وسط اتون نار • في بطارية مدافع باحد الجبال (بطارية باربع مدافع) عطوا امر تضرب • ضربت اول ضرب • ومدافع الانكليز والطيارات محوا هديك القرنة بساعة واحدة • تقطعت المخابرات بين القوة ياللي بالسبع وعصمت اينونو وبين الجبهة • كتبوا مظروف وبعتوه مع خيالة امر لعموم القطعات ضلو عما تحاربو لبعد المغرب وبعد المغرب انسحبوا ليلا من الجبهة • ماشوف الا نزل اركان حرب عصمت اينونو وعصمت اينونو راكبين على حصانين ومشيو بقلب سوق السبع ياللي عم يشعل عالطرفين • حرقوه وضربوا الابار وحرقوا المستودعات وحرقوا الحنطة ياللي علو جبل الصالحية كلهاالكياس بقدر بقللكقد الملعب البلدي تشعل فيها النيران • بقى انا نزلت مابقى مخابرات• السنترال تقطع ونزلت لارض السرايا عماطلع على هالحالة وعلى بير السبعنزل القومندان واينونو ومشيو بقلب النار على مهلهنحتى آخر السوق وغطوا ماعادوا بينوا• الجبهة الظباط وبقية القومندانات بالسرايا كل مين محضر حالو والاحصنة للهريبة الجبهة صارت كلها نار • نزلت عما طلع ماشفت الا خيالين من الترصد راكدين متل النار على هالخيل • اجو لقدام السرايا لحشو حالهن وطلعوا عالدرج • انا لحقتهن • في ركدة ، طلعت لفوق ضربوا تمني للقومندانات شالحين وقدامهن الخرايط • قاللهن واحد من الخيالة بالتركي :

(بيه افندي لار دشمان سبعة كير مشتر)

يعني الدشمان دخـــل السبع عل التفاف من ناح الخلصة ودخل كلو عالخيل قسم كبير يعني بيطلع قيمة الف جندي وبايديهن كل فرد نص ضراع والدفنكة برقبتو · ماشفت الا القومندان ياللي اخد سترتو والقلبق البرنيطة · شي دشر شي اخد · انا رابط الحصان تبعي تحت للهريبة · لن اجو ماعدنا وعينا · انا في تلفون الماني قطعتو ونزلت ركيد · كل مين ركب حصانو وقال ياايدكم · مالقيت الحصان واحد نتشو · صفيت راكد ناح المحطة انا وجملة ناس راكدين ·المدفع عما يشتغل والطيارة عما تشتغل والخيالة ورانا · ركدنا مابين السبع ومابين المحطةفي سهلة كبيرة يعني في كيلومتر ·نحنا بنص السهل منطلع اربعين زلمة راكدين هربانين خلص العدو دخل وهديك ريشة الخيل تبع القومندانات سبقتنا متى ماوصلوا للمحطة في جبال بيتخبو · ونحنا راكدين بهالنص مانشوف الا الرصاص يطق ورا ادني · التفت العمى روحي طلعت لقيت مية وخمسين خيال انكليزي عما يضربوا عاللي راكدين ضرب قتل · وقفنا يخرب بيتكن رحنا قتل وقفنا رفعنا ايدينا صفر صفرتين نزل تنـــين بايديهن فرود هدنك ضللو لاحقين الضباط·قتلوا خيالين وقائد الفرقة والياور تبعن قتلوا الاحصنة ورجعوا اسرى · وجابوا كم واحد وفي رئيس المستشفـى واقف برة· صحة· على جنبو فردو ·كمان اخدو الفرد وقالولن قعدوا معهن· قعدنا· صارت الدنية صفاري شمس· اجتمعنا بيطلع ميت زلمةصاروا يلملموا ويقعدوا عنا ماقي الا خيالة انكليز عم تنبع جيش طويل عريض ضلينا قاعدين لبعد المغرب · ونيموهن ليلتها بالسهل وضربوا جنزير بلق انلكيزي كلهـ خيالة حرس · إلين الصباح الجبهة راحت والسبع راحت مع الانكليزوالجيش كلو راح اسير ماصفي حدا · يعني لقاء الضرب ياللي ضربناهن ياه ، ضربونا هالضربة · ماقاللهن سننتقم ···

صبـــح الصباح على بكرة كان كـل الجيش اسير بهديك النقطة هوة وضباطو بهالسهلة · مانشوف الا جاية قومندان انكليزي على حصانو ومعو واحد ترجمان مصري ضابط مشان الترجمة · اجا لعنا · · بقى نحنا الضباط مع جنب والجنود مع جنب · اجا لعنا قال لا تواخذونا بدنا نقدم لكن اكـل الاكل لجنودنا ماوصل ، وعليه انا رح قدم لكن من تعييني صندوقين بقسماط تكسرو الصفرة ·· للضباط عما يقوللهن · بعت زلم جابو صندوقين بقسماط من تعيـــين هالقومندان · وقاللو للضابط المصري قول للجنود خليهن يوقفو اربعة اربعة لحتى نعدهن · ياالخوانا وقفو اربعة اربعة فزت الجنود على حيلها صاروا متل طرش المعزة ماعادوا يعرفوا يوقفوا · ياللي حاطط براسو كيس منتفين مقعلين مزفتين حالة بتقرف · وكان بجبهة الضباط فخري البارودي

الله يرحمو . قولي انو كانوا يمشو اربعة اربعة مع المصري عبث . قاللو قول نظابط من ظباطهن حتى يعطيهن اشارة .. قوللو اربعة اربعة انتظام . فز واحد بالتركي عطاهن قومندا بالتركي :

« دردار دردار ضرنز » ماحدا سمع فلتانة . هداك الانكليزي عما يطلع على هالامة وعلى هالنور .. بعدين تنازق . دار الحصان وراح وهوة عصا يقول « نكن » . بعت جنود خيالة .. مشونا الظباط والجنود وراه جيش كلو اسير .مشينالبير السبع . ببير السبع في خان كبير . لقينا تنين نوبتجية عالباب . قال اربعة اربعة ادخلوا . دخلنا قعدنا مع جنب وصارت تدخل هالجنود . دخل الجيش كلو لوسط الخان عدومن اخدو العدد . اية بقى ببير السبع بقيان كياس بقمساط بالمستودعات . امر الانكليز خدولهن للعسكر خليها تاكل من بقسماطهن لبين ماتجي الارزاق اخدوا جنديين وحملومن ددخل ظابط مصري ووزع علينا البقسماط . وزع اول واحد وتاني واحد . هجمت العسكر طارت الكياس . جوعانين . قاللهن الظابط المصري داهية تاخدكو . صفي المسكين تحت الكياس . راح من ورا الدك تبع الخان صار يكمش ويلحش من فوق . وسقونا مي . ضلينا قاعدين بهالخان لبعد المغرب بعد المغرب قال قومو طلعو . طلعنا لقينا صف خيالة من هون ومن هون بيطلمو تلاتميت خيال دخلنابين الصفين اربعات اربعات بانتظام قال ياللهمارش امشو مشي الجيش طوال الليل لعلى بكرة ماشيين على رجلينا . صار ضحوة نهار للضهر ماشيين على رجلينا طريق بعيد وهالطريق كلو عسكر انكليز وشونات وخيالة ميت الف خيال انكليزي دخلوا بهديك الجبهة كلها من هالخيل القطنا خيل كبيرة رجليها عريضة ومافي عندهن حصن كلها طواشية لابيخانقو ولا بيقتلو بعضهن بتلاقي الحصان مطيع متل الغنمة . ضلينا ماشيين لحتى بعد الضهر عطشنا وجعنا الجيش كلو مع ضباطو هيك لحتى وصلنا للمحطة العمومية تبع غزة ياللي عليها الترينات . تطلعنا لقينا طنبازتبالمحطة مساوينها بحرة وعما يعبو فيها مي خرطوم من النيل . اربع طنبازات والمي عليهن عم تدلق يقولوا عشرةعشرة كل عشرةعلى واحدقيوقفوا يغسلوا ويتنشطوا وياخدوا روح ويشربو ليشبعو . دوز دوغري عالمحطة سهلة كبيرة . صاروا يحطومن قوالب قوالب اربعة بخمسة عشرين صبة واحدة . بركو باركين واحدة ورا واحدة . صفومن كانو رياضة . وهالترينات عما تصفر . ترينات فراكين للركب مافي كلها فراكين شحن . مانشوف الا لكل قطعة باركة متل قالب الجبنة او قالب الصابون ، تنين مصريين حاملين كل واحد صندوق يكسرومن يعطو لكل واحد علبة لحمة وقد مابدو بقسماط . شوفي الانتظام الاكل علبة لحمة كونسروة . يكسر الصندوق ويلحش بحضن العسكري قد مابدو . على ماتمملي هيك وزعوا لكل الجيش . لكل زلة بعتوا تنين . طعموا الجيش فرد مرة . بعدت

العسكر عما تاكل · حمدنا الله وشربنا مي · بعد ماخلص الاكل قيمة ساعة ونص استرحنا باركين ماحدا يفضر يتحرك · مانشوف الا اجا ظابط انكليزي قال للقطعة الاولانية قال (كامون) امشو مشينا الظباط على فركون فحم تلت فراكين · طلعوا اربعين باربعين باربعين ظابط مية وعشرين ظابط وبالجملة انا كان معنا الله يرحم عيونو فخري البارودي · طبتو باب الفركون · مية ميتين فركون عبو عالعسكر قبل ماعبونا · صفروا الترينات وقالوا ياايديكم · الترين خمسين فركون · ترين سريع عريض مو متل خط الحجاز · تلت فراكين للظباط بعدين بقية القطار عسكر حتى انتهت بساعة زمان كل هالعالم ركبت · بالاصول ضرب الجرس مشي القطار · مشينا بهالطريق رايحين لمصر بالترين عالساحل تبع صحراء التيه طوال مالنا ماشيين نلاقي على هالرمال شونات ومستودعات ارزاق وصواوين خيم كبيرة مستشفيات كلو انكليزي وقطع عسكرية بكـــل محطة كلها بغاية الانتظام · ماشيين « بالظلوط » بالشورت شوب ماشيين الشمس عم تلدعهن · يجو لعنا يقولو « هالو » شي يعطينا شوكولاطة سكرة · مشينا هيك وقف برفح · برفح نزلو الظباط كلهن · نزلنا كلياتنا برفح ضوغري عالكرنتينا عاملين شريط عالداير وقلبات من خشب مشان الواحد ينام وشوادر بس محصور بشريط كرانتينا تلت تيام · فخري بك البارودي كان قرايبو بيت للبكري التحقو بثورة فيصل بالحجاز · وكانت الثورة تشكلت بالحجاز بواسطة فيصل وابوه ملك عالمدينة · خبروا اذا اجا اسم فخري بك بعتولنا اياه سريع · بقى نحنا مو فهمانين الخبر · مانشوف الا القائد برفح طلب فخري البارودي طلع قاللو نعم · تما كلم القومندان · اخدوا جندي محافظة · عما ننتظرو هلأ بيجي وشوية بيجي راح ماعـــاد رجع · بقي نحنـــا قلنا الظاهر ضربوه قتلوه قوصوه اسير · بعدين فهمنا طالبوا الامير فيصـــل · ليس · كملنا تلت تيام وردوا نقلونا من رفح وعطونا بطانيات · يكسروا البالات قد مابدك حطي تحتك وفوقك · تلت تيام كرانتينا بعدين اخدونا عالاسكندرية سيدي بشر اسر الظباط العمومي · الجنود اخدوها لهيوبوليس لمصر افتكرتي شلون !! فتنا بقي سيدي عالكرنتينا بالاسر · قامب مخصوص للكرنتينا · اي نعم · · الظباط عددهن مية وعشرين · العسكر قيمة عشرين الف · وشلحونا كل اواعينا اللي علينا دوغري عالاتوماكينا التبخير وكل واحد قميص وكلسـون وبدلة عسكرية سودا وحممونا بقى سيدي بالبراميل (بقريؤولين) ومن هنيك عالحمام والاواعي عما تتبخر بالماكينات · من هنيك على قامب العرب · العرب كان الها قامب وحدو · الاتراك لحالهن والعر بلحالهن دائما يتخانقو · كان عملنا عليهن ثورة ·

قعدنا بسيدي بشر عاملين براقات (براكات) متل فركون بتفوتي مـن الباب بتلاقي اوض كل اوضة تلت تخوت بتلت ظباط · بمباشي راس الالف

مقدم الوشادر لحالو . قائمقام اكبر ميرالاي صيوان اكبر متل البيت . يوزباشي رئيس يعني ملازم اول ملازم تاني وكيل ظابط (نام زيت) . كل واحد حسب رتبتو . بالاسر على بكرة في خيم . قيمة عشرين خيمة حدول لجنود اتراك وعرب حدول لخدمة القمبات . بكل قامب عشرين خيمة وشاويش انكليزي هوة الآمر . انت روح كنس انت روح عميل كذا . قامبات الرمل يمشطوها بالمشاط . يحطوا حجار بالعربايه تغرس بالرمل يجروها وهيئة ماشية تلم اوساخ .

الخلاصة الجنود خيم للخدمة . عشية كل يوم يوقلما . تصفر الصفيرة كل مين يوقف قدام بيتو . يمرق الظابط الانكليزي ياخد تحية قبل مايدخل يفهمن أنو بدو يدخل. الظباط يوقفوا وقفة عسكر يمرق يعدهن وكل مين يروح لاوضتو .صدف بصفنا كان عنا ظابط يهودي وقتن يمرق الظابط الانكليزي يجي لعندو يوشوشو يقللو انت يهودي ؟ عما يسالو انت يهودي ؟ الانكليزي نفر قاللوا نو نو انكلش انكلش .

وبتذكر كان معنا وقتها يوزباشي من طرابلس الغرب يجي الظابط يوقف فرشخة . هوة يوزباشي تركي يوم الواحد وقف عندو قاللو ليش مابتاخد احترام . ليش مابتحترم القانون العسكري . قاللو انا مابعترف بالجيش الانكليزي انا يوزباشي انت ظابط انا وقفلك !! كتب اسمو وراح بعد ماخلص اليوقلما (التفقد يعني) بربع ساعة مانشوف الاجايين لنص الرمل جنود انكليز . جابو شادر ونصبوه وعلى داير الخيمة عملو شريط خوازيق بعرض متر وربطوا عليها شريط شوكي وجابوا نوبتجي بصلاح انكليزي وقفوه على باب المدخل لايش هادا ؟ مانشوف الا جاية الظابط مع جنود تنين . قاللو كامون دوغري عالشادر . اخدولو تخت ضل تلات تشهر يدور حوالين الشادر بعدين نقلوه من هنيك لوين مامنعرف لحتى يربوا غيرو . النتيجة قعدنا هالمدة اي نعم . ايداعشر شهر بالاسر . مانشوف الا اجا بعض الظباط من جيش الشريف حسين دخلوا الاسر وصاروا اسرى معنا . تاري مشان الدعاية انو الجيش العربي تشكل وتشكلت حكومة عربية وياللي بدو يطلع بدينا نطوع ظباط العرب بدينا نقيد اسامينا كل واحد يعمل استدعا لقائد القامب انو لنا بدي التحق بالجيش العربي مشان اخدم وطني ضد الاتراك . ضلوا يقدموا استدعايات حتى صاروا ميت ظابط . مانشوف الا اجا نيشان ارمني ترجمان تبع قائد الاسرى كلهاانكليزي يمكن اسمو كوتس.جايه نيشان مرقبين الاسرى بلغ ياللي طلع اسمو بدو يسافر. اخدوا قيمة خمساوتلاتين اسم حضروحالكن بكرة قبل الشمس بدكن تكونوا على باب القامب . بيفتح النوبتجي بتفوتوا سرقة ماحدا بينتبه من الاتراك بس انتبهوا . وصاروا يسبونا ونسبهن .

تلت بوسطات ورا بعضهن البعض بين البوسطة والبوسطة قيمة عشر تيام نحنا البوسطة التالتة · ركبونا بالسيارات على سويس مصر · اجا ياللي استلمنا من قبل فيصل · حسن فهمي بك وحسن حمادة بك واحد شامي وواحد بيروتي · مرسلين من قبل الامير فيصل مشان يستلموا الاسرى من الانكليز · وصل الانكليزي على اوتيل من اوتيلات السويس مضولو للظابط الانكليزي انو استلمناهن · وصفينا نحنا حرين بالسويس · هون بتنامو وهون بتاكلو لبين مامنفصلكن بدلات عسكرية على حساب الشريف على حساب جيش الحجاز · رحنا لخياط اخدو قياساتنا وانتظرنا بهالاوتيل ستاعشر يوم ننام بالاوتيل وناكل بالمطعم على حساب فيصل · والمندوبين نقرونا كل واحد خمسين انكليزية خمسين انكليزية عالماشي اكرامية بخشيش مشان نصرف · بعد ستاعشر يوم مانشوف الا حضروا حالكن عالمشي · اجت سيارات كبيرة كل واحد عندو صندوق صندوقين حطينا غراضنا · كلا جنود مصاروة سيويل نتمو هالصناديق عالسيارات ضوغري عالاسكلة بالاسكلة لقينا البابور ضوغري عالبابور ركبنا هيك عالعقبة · بالعقبة طلع لا قالنا الامير ناصر اخو فيصل واحترمنا وقال خدوا كل واحد شادر · خمساوتلاتين شادر جديد · نزلنا تلت تيام اكل وشرب وكل شيء تمام · من هنيك قال ياالله · عطانا امر اجت الجمال حملت غراضنا مشينا بالبر تلت تيام على ابا اللسن جبال قدام معان هنيك الجيش العربي تشكل · واقفين قدام محطة الاتراك فيها · كل يوم نتناوش نحنا والاتراك · بمحل اسمو الجنوبية والسخنة الشمالية جيش وعربان ومشايخ والقائد كان نوري السعيد كان قواد الجيش العربي عراقيين والباقي سوريين ولبنانيين وعربان · جيش مشكل عطونا بطانيات شوادر رز سكر اكل هاللي بدك ياه موجود · اختلف معنا الحال · معاشات كلو دهب · انا كنت آخود تمن انكليزيات دهب · ابن عمي توفيق الترجمان كان ظابط واخي كان بالعقبة مع الجيش التركي انأسر والتحق بالجيش ولقيتو وكيل ظابط · ابن عمي توفيق كان يوزباشي قائد فوج وكان صبحي المحتشم صهري جوز بنت اختي كمان ظابط بنجمة اي نعم · الخلاصة نحنا طابور وكل ظابط على بلق ميت زلمة وقائد الطابور ابن عمي · نتناوش نحنا والاتراك بمحطة معان · كل يوم نتضارب نحنا وياهن · الى ان فيصل شكل من الظباط جيش صغير كلو هجانة ونزل على درعا بدهن يتعرضوا هوة والانكليز بنابلس وفلسطين · الانكليز احتل فلسطين كلا ونحنا محتلين الحجاز · راح لدرعا بدهن يتعرضوا للشام نزل فيصل مع هالهجين قيمة مية ميتين ظابط مشان يدخل هوة والانكليز عالشام · دخلوا وهربت الاتراك ·

ونحنا انا وابن عمي وطابور ابن عمي صفينا بابا اللسن · وقتن سقطت الشام عملنا حركة على معان احتلينا معان وهربت الاتراك · لقيناها فاضية

تعدنا يومين بقى سـيدي بعمان . وقالوا ياالله امشوا عالكرك مشينا بطريق الحج . جروف الدروايش وديان طريق الحج كلها . من هداك الطريق مشينا خمس تيام لحتى وصلنا لعمان . ضلينا بعمان حتى ترتب الجيش بالشام . الضباط راكبة خيل والعسكر ماشية عالارض . عشية ننصب شوادر ونتام . على بكرة نمشي . ضلينا بعمان حتى ترتب الجيش بالشام والحكومـة . قالولنا اجاكن تبديـل بعتولنا قطع عسكرية وبعتوا ضباط محلنا ونحنا نزلنا عالشـام .

وقتن وصلنا قابلنا قائد الجيش كان ياسين باشا الهاشمي . كل مين عطوه وظيفة عسكرية . انا بعتوني عالمنزل سراية عزت باشا العابـد . قائد البلق تبعنا قائد القطعات الفنيــة (ابن الجندي) بعتوني لعندو . حمصي واخوه كان ظابط ، انا بحيث اشتغل عندو بسراية العابد . شكل قيمة ميت جندي للكهربا وتمديد الخطوط والتلفونات انا رئيسها انا ظابط رهط البرق والتلفون .

اجاني امر قال روح بـدل شريط الحبوس بالقلعة بالكهرباء . اخـدت الجنود عندي تسمين جندي .

اجاني امر بدل خطوط الجامعة (اشله الحميدية) بدلتها من اولهــــا لاخرها . بدلت كل اشرطة الدوائر تبع التلفونات . ضليت لابس عسـكري لحتى صـار سنة ٢٠ . انا بهالمصلحة اجا امر سـاقونا قال وكلاء الظباط كلهـا لازم تدخل الحربية. اجانا الدور دخلنا المدرسة الحربية نتمة التحصيل انا واخي . المدرسة الحربية جامع دنكــز . وياللي ورا جامع البحصة كانت للرشدية . هدون ياللي بدو يلبس عســـكري . الولد الصغير يلبسوه زرار عسكري متى ماخلص شهادتو يبعتوه للحربية . يعلموهن تعليم عسكري . وفي مدرسة للمدني اسمها مكتب عنبر بالخرابسوق الاحد . بيطلع من هنيك تعيين مدير الناحية والقائمقام قضـاء ايام تركيا .

بالحربية تعلمنا صرنا ناخد دروس عالحرب . ياسين باشا الهاشمي كان فريق . يجي يعطينا دروس كان رئيس ديوان الشورى الحربي . وكان الاول بصفنا عريف عراقي كان ذكي كتير يمكن اسمو فهمي الله والعليم .

كانوا يعطونا الهندسة التعبئة العسكرية . النيشان دروس ديانه . كان عبد القادر المبارك يعطي درس بالعربي . تعدنا قيمة ست تشهر راح اخي موة وتوفيق الحلبي ابن خالتي استعفا من الجيش ومشي راح لبيلون . ضليت بالمدرسة الحربية. ماشوف الا اجا امر بحقي اعتازوني . قائد القطعات الفنية توفيق بك الجندي تضايق بدو ظابط مني . طلب من رئيس ديوان الشورى الحربي ارجاعي للبلق من المدرسة . رجعت والله اجا الامر . اي نعم . مدير المدرسة كان اللهم صلي على النبي ميرالاي عبيــد . النتيجة طلعت التحقت

بقطعتي بالسرايا ببناية العابد · بقى انا تضايقت ومابقالها قيمة وكيل ظابط بما اني انا ظابط فني بلق تلغراف قدمت استدعا لحسن بك الحكيم كان بزمانو مدير عام البوسطة لقبول استخدامي بالبوسطة عالانشاءات · قبلها حول الاستدعاء لرئيس ديوان الشورى الحربي · وكيل الظابط الموما اليه يطلب الاستخدام بدائرتنا الرجا اعلامنا عن سيرته اثناء خدمته بالجيش ودرجة اقتداره وكنيته الاصلية وهل باس من استخدامو · · · ؟؟

ايه · اجا الامر بالرفض · انا عقبت الاستدعا النتيجة توقفت الله يرحمو · بطلت شغلة وكيل ظابط وصفيت بلا معاش شهرين ثلاثة بلامعاش قال مافي انقطعت · توفيق بك الزالق رئيس اللوازم مارضي يعطي معاش ضليت ست تشهر بلامعاش · قدمت استدعا لرئيس ديوان الشورى الحربي ياسين باشا··انو انا عم اخدم بالجيش وانقطع معاشي طبعا قدمتها بواسطة توفيق بك الجندي · ياسين باشا حولها لرئيس الاركان تبعو يوسف بك العظمة · يوسف بك العظمة كتب لرئيس ديوان الشورى الحربي لزوم اعطائه رواتب حيث خدم هالاشهر بموجب تصديق قائد القطعات الفنية · عطوني معاشاتي قبضت ست تشهر معاش تمن ليرات دهب كل شهر · والاستدعا تبعي مشيت مشان طلب البوسطة · قال لاباس من استخدامه بدائرتكم من رئيس ديوان الشورى الحربي للمعظمة للجندي انو انقطعت علاقتو لمدير البوسطة · ماشوف الاباعتلي خبر عالبيت مدير البوسطة باعتلي موزع قوم استلم · رجعت مدني بالبوسطة · ضليت موظف فيها لحتى طلعت عالتقاعد وقت ها كنا بصقاق البركة · رجعت صفيت انا وامي تجوزنا بصقاق البركة عند باب سريجة هنيك صار عرسي انا وامك · بعدين انتقلنا لسوق ساروجة للبيت ياللي عند الفيجة براس طلعة جوزة الحدبا جنب الفرن ·

– بس يابي نسيت تحكيلي حكاية البدوي ياللي شفتو بالسفر برلك على حبتها شو قصة هالبدوي وايمتى شفتو ووين · · · ؟

– شفتو بمحطة جروف الدراويش · بوقف الترينجي · بتجي هالبدو بدها تشحد · احاني بدوي مقطوعة رجلو قال اديلنا قطعة عيش · تطلعت برجلو زعلت لك شلون انقطعت رجلو مسكين · قلتلو مين قطعلك رجلك · قال اتركني ياخوي حكاية طويلة · قلتلو حكي لي ياها لاعطيك قرص عيش وقرص عيش الو قيمتو بطريق المدينة · دفتر السيكارة بربع مجيدي منبيعو بالطريق والله وظيفة مربحة · خمسين ليرة دهب اسحب روحة جيه نتفة بضاعة منبيعها بالمحطات · لاهابوب ولا دابوب لابياع ولاشرا محطة صغيرة · بيقوا مس مساكين · والله يابنتي قاللي

انا حبيت واحدة من البدو من عشيرتي اهلها ماعطوني ياها · هية بتحبني خطفتا وهربت لمحلات مافيها زلم بالجبل · حطيتها بالمغارة كل يوم انزل اغزي اسرق غنم وجيب اكل ناكل بهالمغارة يوم من الايام نزلت لجيب راس غنم ·· نزلت شلح قلنالو طيب · قال سرقت ورجعت · راس غنم وشلحت · وصلت للمغارة لقيت مراتي لافف عليها حنش غلض زندي (غلظ زندي يعني) ومفوت راسو ودنبو بالبخش بدو يسحبا وعيونا مفنجر قبدو يسحبها ويساويها نصين طار عقلي سحبت السيف وضربتو حس بالحامي شد عليها وقطعها نصين · انا صرت متل المجنون الحنش هرب · دفنتها ومشيت بهالبرية متل المجنون ·وانا ماشي بهالبرية مالي وعيان لقيت جمل بهالبرية وهاجم علي ·

قلتلو الجمل ليش يهجم قال الجمل اذا هاج بيدشروه بالبرية بيصير كاسر · شافني لحقني هربت منو انا اركد وهوة يركد لقيت شقفة جبل عليت · عما يطلع علي ضليت واقف · صخرة مزحلقة ·· التفتت ناح فوق الصخرة لقيتها صفحة · ماشوف الا عقرب قد سطل لافف زنيفتو واقف · لابقيت اقدر اطلع لفوق عقرب ولاانزل في جمل · قال وانا عما اتحير ماشوف الا العقرب شم ريحتي تحرك ونزل عالصخرة ناحي وتزحلق العقرب ودرج قلب ضرب على ضهري من ضهري عالارض الله خلصني من العقرب · نزل الجمل راسا بدو يعضو لدعو للجمل · ماشوف الا العقرب والجمل تسطحو بالارض لا العقرب يتحرك·ولا الجمل يتحرك·انتظرت فهمت انهن ماتوا سممو ابعضهن ·نزلت لتحت ما بيخلصني امشي عملت هيك للجمل برجلي بدي شوفو طيب ماشوف الارجلي فاتت بالجمل بلحم الجمل وانطرقت بالعضم انجرحت لعب السم صار يمشي شوية شوية فهمت اني بدي موت متلهن سحبت السيف وقطعت رجلي وكويتها وطابت وبقيت عم اشحد بين العربان برجل واحدة متل مالك شايفني · اي والله يابنتي ·

وقالت لي امي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري بلهجتها الشامية الحلوة تحدثني عن حالة الشام ايام السفر برلك :

ــ وقتن اجا السفربر والله كنت صغيرة ياسهام يعني شي (تلطعش اربطعشر) سنة وقتها بسفر بر مات ابي يي على قامتي · زعل نزلت نقطة على دماغو تاني يوم مات ، ماضعف والله ابدا · ولايوم · موكبير بيطلع عمرو خمساوخمسين ستين سنة،كنا ساكنين ببيت ابي «بصقاق» عسقلان· عسقلان « ولي » ابن خاله النبي · والله كنت صغيرة صغيرة وقت مرقت المحلة بدهن يحلو الارض · قامت وقفت المحلة سبع تيام ماصفي زلمة ماجرب حالو يمشيها ماحسنوا · لحتى دبحولوا راس غنم وحقولوا نوبة وعرولو مولد قامت مشيت - حضروا المشايخ وقروا على روحو واستاذنوه ·· والرجا ياللي ترجوه لحتى مشيت ·· مشيت لحالها · ولد صغير مشاها ·

وميدان ، وكانت وقتها بسيطرتها وقتها كانوا بدهن يساووا « السكة » يمكـــن ٠

بالسفربر أهلي ماجاعوا كانوا عم يشتغلوا بالصوف ٠ كانوا يشتروه ويعطوه للشغالات بيغزلوه وينزلوه بيبيعوه ٠ ومرت خالي بحريـة كانت عند امي وخالتي ٠ كان خالي ابو راشد مسافر قعد اربع سنين مسافر ٠ واشتغلوا عالم بالصوف كتير ، كانوا ينزلـــوه لسوق الصوف وسوق القطن وبيبيعوه ويطالعوا معيشتهن ما في رجال ٠ الدكاكين كلها مفتوحة وقاعدة للكلاب الكلاب ينـــاموا فيهـــا ٠

راحوا الرجال عسكر ٠ الغلا ٠٠ الغلا ٠٠ بيبيعوا من تحتهن اواعيهن ٠ الخبز بالوسيقة ٠ من نص الليل تنصف العالم عالفرن حتى تاخد خبز قلبو اسود متل الفحمة ٠

وكانت الفران تشتغل ليـــل نهار بقسماط للعسكر ليبعتوه للحرب ٠ والجوامع كلها صارت مشان يصادروا العسكر للسوقيـات ٠ وبالحمـــام بالسنجقدار « حمام الراس »،كانوا يحلقولهن « قلط » ويغسلوهن ويبعتوهن على قطعهن ٠

يجمعوهن بجامع المعلق بين الحواصل وجامع السادات حتى يبعتوهن عالسوقيات ٠ انساقت « العالم » ماصفي الا ابن تمانين سنة ٠

النسوان كان يبعتلهن بياع قش الكراسي ياللي بالدرويشية « القش » يساووا منو كراسي قش واطية وعالية،يقششوه وياخدوا « كراه » هادا بباب مصلى بالميدان وبالسويقة ٠

والنسوان عند بحرة المدورة ٠وين بحرة المدورة اصبري لقلك وين ياسهام شفتي مطرح ماكنت تفوتي لخان الزيت برة عالجادة مطرح مابتمشي السكة ٠ شفتي سوق العتيق وقت منطلع من آخرو بدك تطلعي عالجادة قبل ماتصلـي لسوق الهال بمصلبة الزرابلية، هنيك كنتي تشوفي حلة كوسا محشي ومرقة٠ وحدة مرا تحط كوسا وتبيع ٠ حاطة ملاية وتكشف على وشها « ختيارة » ولادها كلهن عسكر مخلينلها كناينها وولادهن تطبخ وتطعميهن ٠ ومواجـــه القلعة ، الحارة ياللي مواجه القلعة هنيك واحدة كانت تشوي كبة ٠ وببـــاب للجابية كانت واحدة تساوي معاليق تشوي كبدة وتبيع ٠ وبالميدان يشتغلوا حصر دباجية ٠ يعني مو متل الحصيرة العادة ٠ الحصيرة ياللي بيطلع مـــن وراها قش ٠ الها وش ، بس مرتب ، دباجيـــة لانها سميكة « وايـــا » ٠ بياخدوها للبساتين ٠

ماصفي شي ياحسرتي ماباعوه النسوان· اخدوا الرجال كلها ماعاد صفي بالبيت حدا · رجال بالسبعين بالتمانين مايلتقى ·

والله العظيم « شوبك » !! كلهن اخدوهن عالسوقيات · الجامع ياللي بعد سوق الهال · جامع المعلق بين الحواصل مخصص للعسكر كلهن يبعتوهن من هنيك للسوقيات ، تجي القرعات ويفرقوا ويبعتوا · كل واحد ونصيبو ومتل ما الله كتبلو وكانوا متفقين المانيا والنمسا وتركيا كلهن جبهة واحدة ·

ولي على قلبي شو تعذبت النسوان بالشام لقولك شو السبب · التراك بيطلعلهن من « الكوبراتيف » · والنسوان التراك اللحم ياللي كان يجيبهن والبضاعة والسكر · والله «العالم» اذا شافوا شقفةسكرة يحسبوها تهريب· والقمح ، واللهوالله تحملو امي بالبقجة مطرح مايشتروه تهريب من البواكية· البوايكية صادرولهن القمح · صاروا يخبوا القمح ويبيعوه بالسرقة · واللي تشوي درة بالصفاق وتطعمي ولادها · تالبين متل الشحادين · الوسخ · بصلة ماكي بالبلد · ولك الملح شو قيمة الملح مابقى ملح بالبلد · ابوكي تاللي بعد ماتجوزني وخلصت الحرب : صرت يامرني حط بحكة لباسي شوية ملح خايف عليهن · « لك » اصبعتي بالملح من خوفي ليخلصوا الملحات ·

تعذبوا كتير اضرب ·

وقت خلص السفر بر وهربت التراك والالمان أهل الشام قتلوا الالمان اللي كان متفق هوة والنمسا وتركيا · اجو الالمان صاروا يعملوا كونسروة · ماخلوا بالبلد خضر · يعملوا كونسروة للعسكر· الاهالي عما تموت بالصفاق· عم يقولك جوعان جوعان تاني يوم يقوموا يلاقوه يابس ·

الولاد يموتوا بالصفاق · ياللي ماتوا وتشردوا · فوضى بالبلد مابقى شي مرتب · وولاد الفقرا كانوا كلهن فلتانين بسوق الخيل وهون وهون ويروحوا لعند العسكر ماكانوا يعطوهن غير البقسماط · الرغيف ماكانوا يحصلوا عليه · تموا بهالحالة مدري سنة الستة مدري سنة السبعة حتى إجا الانكليز وطالع تركيا والالمان · والدهب عبوه بدهن ياخدوه بالبوابير · وصلوا لدمر طلعوا الدمامرة كسروا البوابير واخدوا الدهب والالمان هربت وتركيا هربت واللي قتل قتل واللي راح راح·زرار الالمان كاتبين عليهن انو الدمامرة اخدت الدهب بدهن ينتقموا لانو قتلوهن دبحوهن واخدوا الدهب ·

والله يومها رحنا عالحمام حمام الدرب رحنا عم « نتخسل » ونحنا عم «نتخسل» ياسهام مالنا عرفانين انو انكسر الالمان ورح يهرب· وقاموا صاروا يشعلوا الجبخانة مدري بالكسوة مدري بقرنة تانية ·صار الحمام يرج فينا·

ليلتها بالليل هجمت العسكر وطلع النهار كان مات الانكليز حرقوا الجبخانة ياسهام لانو الأهالي صارت تقوم ضدهن · حرقوا الخبخانة حتى ماتقتلهن العالم صارت النــاس تاخـد بواريدهــن وتقتلهــن · ليلتهــا قتــل تلاتة من بيت النوري شباب ياحسرتي · الحــاصل ليلــة منيلة · تاني يوم اجا الانكليز وانتشر ياسهام بهالبلد · كلحصان واقف تقوليملك موحصان · يعبو السكر بايديهن ويطعموا الحصان · اهل البلد شافوا هالشوفة وزحل عقلهن · ويركدوا يخدموا الانكليز · صاروا يعطوهن ليرات دهب · شهرين تلاتة وصارت ترجع العسكر ومات فيصل · واجا فيصل · واجالك عالكرم من هالانكليز وهالخير والفرح ياللي صار على زمان فيصل وقتن اجا · من يوم خلقت الدنيةماشفت منو ·بتمشي منهون لهنيكسبع ليالي مع سبعتيام مغاني ورقص بالشوارع · البلد ماشية وانفرجت العالم وصار يجيبلهن رز وسكر وخبز واللي مات مات واللي عاش عاش · فيصل قعد سنتين والله انــا تفرجت عليه لبسوه التاجبالبلدية بالمرجة أخدتني امي فرجتني · الفراح اللي صارت بجية فيصل بالكائنات ماصار منها · بتعرفي ليش اجت العسكر كلها باللي صفي طيب·والله انا وقفت تفرجت عليه وقتن توجوه بالبلدية مطرح ماهدوها · عالبلكون تبع البلدية حطولو التاج فوق راسو · شاغتو «العالم» ماتشوفي الا الزلاغيط والزين · وبعدين لك امي ماشفت بعمري سبع تيام مع سبع ليالي الرقص مشتغل والسهرات ·· تخوت منصوبة وسجاد معلق وزين مفروشة · بتروحي لباب الجابية وباب سريجة والميدان والشاغور والعمارة والقنوات · بالله العظيم انا تفرجت على كراكوز بالقنوات فوق النهر قــدام بيت الشيخ شريف·اللي صار ماصار بحياتو · بعمرو ماشافت الشام والزين مشتغلة والمدافع مشتغلة واللي كانوا بالحبس طالموهن واللي كانوا محكومين بالاعدام نزلولهن المحكومية ، واجـــا الانكليز وقت فيصــل وفاتت الانكليز عالشام · عما قلك اذا الصباط مسحولو ياه يعطيهن تلت ليرات ليرة ليرتين دهب اكرامية · الانكليز شغل البلد · الاحصنة الاحصنة الانكليزيحط بكفو السكر ويطعميها · الاحصنة عما تلمع لواياتها وفخادها وضهرها · الحصان الانكليزي قطمتو كبيرة عما يمشي متل البرنس مابتقولي حصان · ايه شفنا ايام سودا تنذكر ماتنعاد يابنتي ·

والله فرجها عالشام وراح الانكليز وراحت تركيا وراح الالمان وراح الفرنساوي · والشام الله حارسها ·

لك بنتي شوجاب على بالك هلا سيرة السفر برلك ؟

يوميات فتاة دمشقية

لي صديقة ضاعت مني في ليل المعركة . . كما ضاع مني كل الناس . .

ومرت الايام السود . . والتقيت بصديقتي، كان فكري عندها . . كنت اتوقع حالتها . . كنت اموت رعبا من فكرة تداهمني . . ماذا لو خطفت منها المعركة خطيبها الضابط ، الرجل الذي تحبه فوق الحب، وترتبط به ارتباطها بالحياة . . !!؟

مددت يدي اصافحها . . ونظرت في وجهها الباهت وصمتها المريب . . وسألتها بلهفة : ما الاخبار . . كيف حالك . . ما اخباره . . !!؟

وفتحت درج مكتبها . .واخرجت مجموعة من الاوراق . . وقالت لي بهدوء وصوت مبحوح :

ـــ لا املك القدرة على الكلام بعد . . فهل تملكين القدرة على القراءة . . !!؟ اليك يومياتي . . كتبتها على نور شمعة بخط يرتجفكقلبي . .

الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧ :

دخل علينا احد الزملاء ملهوفا وقال بسرعة : افتحوا الراديو افتحوا الراديو ، بدات المعركة ، الطائرات الاسرائيلية تغير على القاهرة، وللقوات المصرية بدأت تقصف اسرائيل من سيناء .

رايت من نافذتي بعد مرور فترة على الخبر عددا كبيرا من طائراتنا « الميج » يندفع بسرعة مجنونة نحو خط الجبهة في الجنوب .

فرحت بمظاهرة طائراتنا في السماء وتيقنت من انها ذاهبة لتضرب العدو الذي يضرب الشقيقة مصر ، وخفت . بكيت من الخوف والفرح . قرأت للطيارين « آية الكرسي » ونفختها في السماء خلف سرب الطائرات .

بقيت في مكتبي احدق في الافق البعيد كأنني انتظر طيرا يحمل لي بشرى



الفنان غازي الخالدي ـ دمشق

النصر في لمح البصر ، وكنت ادرك ان غارتنا الجوية على اسرائيل سوف ترتد الينا من طائرات العدو فورا .

ضرب زمور الخطر بعد بدء الغارة الجوية الاولى مع الاسف .

دمشق بعد الثانية ظهرا ، والطائرات الاسرائيلية تقصفها ، والمدافع المضادة للطائرات تهز اركان مدينتي وسماءها هزا مرعبا . بدأت اتصرف بذكاء مع نفسي واميز بصورة اقرب الى الصحة بين اصوات انفجارات قنابل المدفعية المضادة للطائرات وقنابل العدو فاخفف عن نفسي وعمن حولي هول اللحظات المرعبة لاي انسان مهما كان شجاعا .

تكررت الغارات ، ومن نافذة القبو الذي هربنا اليه مع الجيران في الحي ، كنت اسمع صراخ الشباب في الحارة وتصفيقهم بعد مشاهدة سقوط طائرة اسرائيلية تحترق . لم يهرب الشبان الى المخابىء .. الناس كلهم قد اندمجوا في المعركة واصبحت مشاعرهم متوحدة ضد عدو خطير واحد. هذا يؤكد ان الناس في المعركة الحقيقية الكبرى تجاه العدو الخارجي ينسون احقادهم .

جاءني احد ابناء اختي يؤكد لي صعود عامود من الدخان قريبا منا . واصبت برجفة رعب هائل ، تسري في جسمي وتشله عن القدرة على الوقوف او الحركة او المشي .

كلهم خائفون من صوت الانفجارات التي لم تنقطع الا انا .. فقد كان الخوف عليه يكتسح كياني وتفكيري ويبتلع صوتي وكلامي العالي ، يبتلع حتى خوفي على نفسي . يقولون : الروح غالية . وانا اقول : روح من نحبه هي الغالية .

ولم أعد اطيق الانتظار . صعدت من القبو لارى من اي منطقة في دمشق يتصاعد اللهب علني اقدر مكانه ، ولكنني لم ار شيئا وعدت اكثر قلقا ورعبا .

ما قيمتي في الحياة من غيره ..!! ياربي انا لا اريد غيره . نمنا في القبو الليلة . وانا مجبرة على النوم مع اهلي اينما حل اهلي ، ولكن قلبي معه . وقبل ان يحل الليل المطبق فوق دمشق ، ذهبت بسرعة الى بيتنا العالي ، وطلبته هاتفيا ولم يرد احد وشعرت باطمئنان ، فما دام هاتفه يرن فهذا يعني ان غرفته لم تصب والا لكان الهاتف قد قطع . وطلبت رقم بيت اهله حتى اسمع صوت احدهم يقول « الو » واغلق السماعة بهدوء بعد

ان اطمئن من لهجته العادية الحيادية علـــــى ان رجلي الحبيب ، ابنهم الطيب ، بخير .

يجب علي ان افكر واتصرف بعقل امام اهلي .

الثلاثاء ٦ حزيران ١٩٦٧ :

اليوم الثاني للمعركة . كانت ليلة امس اصعب ليلة عرفتها في حياتي كلها . نمت على الاخبار وصحوت باكرا اسأل امي ما الاخبـــار . عطشـي للاخبار لا يرتوي .

لم اذهب للعمل بقيت في المنزل ، تضايقت واحسست انني سجينة وانا في البيت بلا عمل بلا حركة . مشلولة في زاوية الغرفـــة كالكرسي ، واكتشفت ان المراة التي تخاف من الحرب مصـــيبة وحجر عثرة في طريق المحاربين . وادركت ان اقل عمل يجب ان تقوم به المراة بلا خوف ان تقدم شريانها وتتبرع بدمها لجريح قد ينزف الآن او غدا .

طلبته بعد الظهر وهاتفه يرن بلا جواب . ما اتعسني وانا بعيدة عنه لا اعرف كيف ينام وكيف يصحو وماذا يعمل واين يقيم !! اعرف انني الآن بالنسبة اليـــه لا شيء .. لا شيء .. المعركـــة اهم شيء في حـــاضره ومستقبله ..

بدأت كلماته تنتشر في راسي ، وبدات تدوي في راسي كلمة قالها مرة :

« سأقاتل في الشوارع ضد العدو الصهيوني » . بدات اخاف . نعم انا اخاف عليه لانني فتاة تحب ، والحب ضد الموت . الحب هو الحياة ، الحب هو الطفل الذي يغلي في عروقنا ، الطفل هو استمرار الحياة .

من محطة الى محطة .. أنا التصق بالراديو الذي غـــدا أعز شيء في البيت .

ابنة اختي الصغيرة ، وعمرها سنة ونصف ، اخذت تنتقل في العتمـــة الموحشـــة من حضن الى حضن . تقبل بشفتيها الصغيرتين كل حضن وكـــل ركبة تصل اليها وكل يد تلامس وجهها في الظلام المطبق ، ثم تعود الصغيرة الى الراديو وتتساءل بغيرة من المنـــــافس الجديد الغامض : دادو ..؟! دادو ؟!! وكأنها تسألنا لماذا تحبون « الراديو » كلكم اكثر مني ؟ ثم لمـــاذا تجلسون في الظلام ؟ اين وجوهكم وعيونكم المحبة ؟ لا ارى من عواطفكم الا الكلمات الحلوة واللمســات الطيبة الحنون .

وهدرت غارة مفاجئة ،ودوى صوت القنابل في انحاء المدينة، وعرفت

الطفلة الصغيرة اننا في خطر بحسها الفطري ، واخذت تبكي من هول القنابل المتفجرة وتقول وهي تلتصق بامها : ماما .. هوا ... هوا ... ماما هوا ..!!!

الاناشيد الحماسية من دمشق وبغداد وعمان والقاهرة تدلني على المحطات الاذاعية العربية . لكل عاصمة عربية تقاتل العدو المشترك « اسرائيل » ، اناشيد حماسية خاصة . اثر بي من القاهرة نشيد عبد الحليم حافظ « اضرب » ، وهزني من دمشق تكبير صباح فخري على صوت طبول الحرب ، وهللت « لعراضة » على الطريقة الحماسية الدمشقية القديمة .

بدات اصوات المذيعين تفقد حماستها وجنونها . ما الذي يجري ؟! كان المذيع في المحطات العربية يقفز الى ملايين المستمعين العرب حسب ما لديه من اخبار جديدة هامة ... الاعصاب متوترة والناس يتلهفون للخبر . ولكن ما الذي جرى لجبهاتنا الثلاث .

سمعت الخبر المروع : ضربت مطاراتنا السورية . وطائرات العدو قد ضربت ايضا مطارات مصر والاردن والعراق .

تقول محطات الاذاعة ان مجلس الامن بالاتفاق مع روسيا قد قرر وقف اطلاق النار في المنطقة .

سمعت من احد ضباطنا اليوم ان العرب لن يتوقفوا عن القتال وستسمى الحرب الآن حرب التحرير الشعبية . وفرحت . ورغم خوفي من الحرب ان تأخذ مني من احب ، فقد رفضت اعماقي كانسانة عربية انتنكسر وتعود قواتنا الى قواعدها بلا انتصارات .

جرحت حتى القلب لخبر انتصار اسرائيل في احتلال القدس العتيقة . هل تسمعين معي يا فيروز .. لقد اخذوا قدسنا العتيقة !!

الاربعاء ٧ حزيران ١٩٦٧ :

اليوم الثالث للمعركة . دمشق في الليل . دمشق قطعة ليل فاحم بلا نجوم .. حتى النجوم ارتدت حللا زرقاء خوفا علينا من قنابل العدو ، ماذا جرى لدمشق الطيبة !..

دمشق في الليل قطعة من الهم والترقب ، ودمشق في النهار قطعة ملتهبة من الانتظار والتوق المتاجج لاخبار الانتصارات العربية في المعركة . اجهزة الراديو في البيوت ودكاكين الخضار والبقاليات والافران مفتوحة على آخرها تثير الحماسة والقلق معا .

قبل الظهر طلبته عدة مرات وهاتفه لا يرحمني . وبعد الظهر حاولت ان اسمع صوته فخاب املي .

سألني اليوم اخي : ما بك ..؟

ونفيت شك اخي الذكي ، واخفيت ما في اعماقي من خوف على من احب ، وعزوت لون وجهي الباهت الى مرضي وخوفي من الغارات .. اما اخي الطبيب فقد كان يسألني وهو متاكد مما يجول في قلبي ، علني اخبر « اخي صديقي » وارتاح . اما بقية اخوتي الشباب فقد ظنوا انني مريضة .

حاولت ان اضع على وجهي حمرة الشفاه والكحل لاغير منظري المخيف .

زارنا احد الاقارب وقال جملة اعجبتني . كان كلامه عن المعركة منطقيا وعلميا ، قال :

« ليس اصعب على الانسان من أن يكون مزدوج الشخصية يقول ما لا يؤمن به ويصدق ما لا يصدقه فعلا » .

اعجبني ان تكون فرنسا على الحياد . في الليل وقفت عند تعليق سياسي على مستوى عال سمعته من راديو بيروت أذكر منه هذه الكلمات :

— ان معركة البترول ستؤثر على الغرب في المدى الطويل .

— يجب ان يعرف الغرب ان دوام الظلم يسبب انفجار الحرب .

جننت فرحا بخبر تبرع الكويت والسودان للقيادة العربية المشتركة بمبالغ كبيرة . وسرتني جدا دعوة الباكستان ، الدولة المسلمة ، للعرب ، بان يطلبوا من الباكستان كل ما يحتاجون اليه في معركتهم مع اسرائيل .

الخميس ٨ حزيران ١٩٦٧ :

من القاهرة استمعت للمرة الخمسين لاقوى نشيد في معركة العرب مع العدو لبساطة كلماته وسرعة تاثيره وقوته :

لاجل الصغار
لاجل الكبار
لاجل النهار
لاجل البلاد
لاجل العباد
لاجل الولاد

لاجل البنات والامهات
لاجل النبات
لاجل الربيع
لاجل الجميع
لاجل الورود
لاجل الوجود
لاجل السلام والابتسام
اضرب كمان واخلق امان
لاجل الحياة ولاجل عشاق الحياة
لاجل الحياة ولاجل صناع الحياة

خبر عظيم يؤكد وصول قوات الجزائر الى الجبهة المصرية التي يقولون انها سقطت في يد العدو . وخبر هام يؤكد تطوع الف رجل من الصومال الى جانبنا .

رايت امس حلما غريبا . رايت ان قوات المغاوير العدوة تركض آخذة اماكنها في الشوارع . وصلوا الى شارعنا رايتهم من النوافذ المنخفضة للقبو اشتد الرعب في نفسي وافقت في قلب الليل المطبق وصدري يعلو ويهبط، وحلقي يطقطق .

ذهبت صباح اليوم الى عملي ، الجنود في كل مكان ما يزالون يعبئون الاكياس بالتراب والرمل ويوزعونها على نوافذ البيوت . جدار عال من اكياس الرمل امام نوافذ البناء الكبير . سلمت على المجند « الحرس » بيدي وابتسمت فرحة به وبخوذته الحديدية وبندقيته التي يحرس بها باب البناء .

قالت لي صديقتي امتثال زوجة احد الضباط على الهاتف وهي تشرق بدموعها من شدة قلقها على زوجها الحبيب الغائب قبل بدء المعركة بايام في قطعته ولا تعرف في اي مكان يحارب :

— والله اتمنى لو يعود لي حيا حتى لو قطعت يداه ورجلاه .

هزتني كلمتها وبكينا معا على الهاتف .

سمعت من اذاعة دمشق تعليقا صغيرا اعجبني لانه كان كلاما علميا وليس صراخا في الهواء :

كل اسلحتنا في المعركة : البترول ، قناة السويس ، عمال الموانيء مقاطعة امريكا وانكلترا ، ضرباتنا المتلاحقة .

دمعت عيني وخنقتني الدمعة . كان الاقبال على بنك الدم منقطع النظير . يقولون للمتبرع بدمه دورك بعد غد . طلبوا من الناس في الراديو ان يتوقفوا عن التبرعات بدمائهم لفترة . ارسلوا الفي زجاجة الى الاردن والفي زجاجة لجرحى جبهتنا السورية .

هل هناك وحدة اكبر واعظم من وحدة دمائنا العربية . .؟!

خبر هام قرأته في نشرة ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي اليومية :

فتاة صغيرة تدعي سنا اكبر من سنها ليسمح لها بالتبرع بدمها . عندما اكتشفوا من هويتها « الكذبة البيضاء » رفضوا طلبها وشكروها . اخذت تبكي بحرقة وظلت واقفة عند باب بنك الدم تبكي لانهم منعوها من تأدية واجبها في المعركة .

ليلة الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٧ :

حلمت اني عدت طفلة صغيرة تحكي لي جدتي « ام عزيزة » هذه الحكاية المثيرة :

« كان يا ما كان يا قديم الزمان لحتى كان . كان في معزاية وعندها تلت ولاد صغار حلوين كتير . قامت اجت هالمعزاية قالتلهن لولادها . . يا ولاد . . يا ولاد انا رايحة جيبلكن اكل لا تفتحوا الباب لحدا ! اصحكن تفتحوا الباب « للغول » . . .!! قالولها لا يا امي ما منفتحلوا .

راحت امهن عالبرية اكلت الحشيش وشربت المي وصاروا بزازها كلهن حليب . وقامت رجعت هالمعزاية عالبيت ودقت الباب . دق دق دق . . قالولها : مين ؟ قالتلهن : فتحولي يا ولبداتي والحشيش بقريناتي والحليب ببزيزاتي فتحولها الباب حطت ولادها وطعمتهن ورضعتهن وناموا .

قامت تاني يوم ، قالتلهن لا تفتحوا الباب لحدا بغيابي ، وراحت لحتى تجيبلهن اكل . مين شافها . شافها الغول خلاها لراحت واجا دق الباب . قالولو المعزايات الصغار مين عم يدي الباب قاللهن بصوتو التخين فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي والحليب ببزيزاتي . قالولو روح انت غول مالك امنا ، امنا صوتها رفيع انت صوتك تخين . راح هالغول لعند النجار قاللو نجرلي صوتي . نجرلو صوتو وعطاه سكر نبات حتى صار صوتو رفيع متل صوت المعزاية ورجع دق الباب وقاللهن: فتحولي يا وليداتي والحشيش بقريناتي والحليب ببزيزاتي . . متل امهن . قاموا حسبو امهن وفتحولو الباب ، اجا خطفهن واخدهن معو عالمغارة وحطهن بالمغارة لانو كان شبعان

قال لحالو بكرة باكلهن . اجت امهن المعزاية تطلعت لقت الباب مفتوح ، فانت دورت دورت ما لقت ولادها . تطلعت بالارض لقت دعسات « الغول » لحقت الدعسة لوصلت لبيتو عالمغارة . وطلعت على اسطوح بيتو وصارت تدبك . كان الغول تعبان ونايم قام فاق قال : مين دبك على سطحي رمى الطراب على طبخي رمى الحجر كسر مخي ؟!! قالتلو : انا العنزة عنيزية ام قرون حديدية واللي اكل ولادي يلحقني عالبرية .

قاللها الغول : بايش بدي غالبك انا ما عندي قرون ، قالتلو ما بعرف روح ساوي قرون وتعا غالبني . راح جبل قرون من طين وحط قرن من هون وقرن من هون وقعد بالشمس حتى نشفو قرونو ووقف بالساحة بالبرية قدام المعزاية قاللها يا الله تعي اضربي!!قالتلو لا انت ضروب بالاول . راح لبعيد تحمى تحمى وركد وضربها بقرونو على بطنها قامو انكسروا قرونو . قاللها يا الله اضربي .. قالتلو : بالله ..!! راحت لبعيد واتحمت اتحمت وضربتو بقرونها قام انشق بطنو وطق ومات .

وراحت عالمغارة اخدت ولادها وقالتلهن :

يا وليداتي يا حبيباتي ما قلتلكن لا تفتحوا الباب لحدا ! شفتو شلون اجا « الغول » وخطفكن !!

قالولها : خلص يا امي ما عدنا نفتح الباب لحدا . توتة توتة خلصت الحدوتة » ..

وتلاشى طيف جدتي .

صحوت في الليل مذعورة ... وجدت امي مستيقظة قلت لها :

— رايت ستي الله يرحمها بالمنام تحكي لي حكاية « الغول » ..!!
— خير ان شاالله يا بنتي .
— قديش الساعة يا ترى ..؟!
— لسة ما ادن الصبح نامي .
— وانت ...؟
— مو جايبني نوم يا بنتي . راحت ايام النوم !!

الجمعة ٩ حزيران ١٩٦٧ :

الخبر الذي هز العالم العربي خبر تخلي الرئيس جمال عبد الناصر عن الحكم .

السبت ١٠ حزيران ١٩٦٧ :

تراجع رئيس الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر عن قراره تحت ضغط الجماهير العربية في شوارع القاهرة وفي العواصم العربية ليلة الامس .

سمعت من لندن صدفة نبأ احتلال رجال المظلات الاسرائيليين للقنيطرة في الجبهة السورية .

اعلن راديو دمشق نبأ احتلال العدو للقنيطرة وبدا على دمشق ذعر لا مثيل له . اذن فالصهاينة يتقدمون نحو دمشق . . !!؟

وبدأ خوف هائل يمزقني . بدات كلماته تكبر في نفسي وعلا طنينها في اذني : سوف اقاتل العدو في الشوارع لو حاول ان يحتل الشام ، لن يأخذ جندي اسرائيلي مكاني قبل ان اموت .

دقت بابنا بلهفة فتاتان من الاتحاد النسائي العام بلباس الفتوة الخاكي تطلبان برجاء ولطف من السكان شراشف بيضاء نظيفة وقمصان رجالية وبيجامات للمستشفيات العسكرية .

وركضت الى امي والى غرفة ابي . اعطتني امي الشراشف واخذت من ابي القمصان النظيفة البيضاء وبيجاما من بيجاماته الجديدة ، اعطاني ابي ملابسه ودموعه دموع الرجل العجوز الذي دخل اكثر من حرب ، تنحدر فوق الملابس ، وحبست دموعي امامه وانا اتظاهر بالسرعة .

اخذت الفتاتان الشجاعتان الملابس بفرح ، اغلقت الباب وعدت الى الكرسي وانفجرت ببكاء عال وصل حتى درجة الشهيق الحاد . سقطت مني ارادتي نهائيا . بكيت امام اهلي بشدة ، فانا اضعف بكثير من ان احتمل بعد ، او ان امثل امامهم بانني قوية وشجاعة . لست قوية انا ضعيفة جدا . . انا خائفة عليه . . لي رجل يحارب بين الرجال واخاف بل واموت عليه خوفا . من يدري ربما يكون جريحا الآن في احدى المستشفيات . . !؟

لاحظ اهلي بكائي . دهشوا . وصمتوا .

على المائدة التي لم تجمعنا منذ ايام ، اقترح احدهم ان نغادر دمشق الى ضاحية من ضواحي دمشق قبل ان يدخلها الصهاينة . قلت: اذهبوا كلكم انا لن اغادر دمشق ، سأموت في بيتي ، اذهبوا واتركوني . حياتي ليست غالية علي الى درجة الهرب، لست متمسكة بحياتي ما دام الصهاينة سيأخذون مدينتي ويقتلون ابناء وطني وحبيبي . ولم اكن اتظاهر بالوطنية ، كلن «هو»

الوطن باسره : لن اهرب واتركه وسط المعركة التي قد تحدث في دمشق . وبدات اتساءل :

— لماذا نخاف العدو .؟ لماذا نهرب من مدينتنا . .؟

الى اين نهرب . .؟ الى الوراء . . .؟ لياخذ العدو ارضنا . .؟ لنعيش في الخيام تحت العراء . .؟ من يحب مدينته يجب ان يدافع عنها حتى الموت. لن اهرب لن تاخذ صهيونية بيتي ومدينتي وملاعب طفولتي . سوف اقاتل من النوافذ في الحارات في الشوارع . . . غريب بدات اقتنع بكلماتهواعتنقتها لا لانها كلماته بل لانها كلمات الانسان الحقيقي الذي كبر في نفسي تحت الخطر .

بعد الغداء رن الهاتف . . وركضت كالمجنونة . فقدت اتزاني في البيت وحيائي . . ليعرفوا جميعهم الحقيقة . . نعم انا احبه بجنون . لا سر بعد اليوم في بيتنا . السر فضحته ملامحي ودموعي ولهفتي . وكان صوته الحبيب . قلت : الو . . . بتحفز وامل وشوق وقال : مرحبا . ولكنها كانت جافة تطقطق حروفها في حلقه تحمل لي الخجل والاسى كل الاسى والاخفاق والخيبة والجرح والموت الذي اصاب رجال جيشنا .

اذكر المخابرة :

قلت :

— اهلين وسهلين اين انت من اين تتكلم ؟
— وصلت الآن فقط .
— من اين تتكلم ؟
— من البيت وصلت الآن . .

وسكت لا اعرف ما اقول !! وقال :

— مع السلامة .

فرحت بكلماته على قلتها وعدت اليهم اكررها لهم وانا اشعر بالزهو والفرح امامهم ، بينما الالم يعتصر قلبي من اجل خسارته في المعركة كرجل يمتليء كبرياء ولم يكن يتوقع هذه الخسارة العربية الفادحة فالموت عليه اهون من هذه النكسة .

الفرح ايضا كان اقوى هذه المرة من ارادتي كالالم تماما . لم استطع ان اخفيه . شعرت بقوة خارقة تمنعني من تمثيل الدور الحيادي. ابتسامتي في طرف شفتي وفي عيني كانت خبرا عظيما لكل من يريد ان يعرف الحقيقة . لقد عاد لي حيا .

الجمعة ١٦ حزيران ١٩٦٧ :

زرت جرحى النابالم في المستشفى العسكري في المزة . بكيت بحرقة من اجل جنودنا المصابين المشوهين المتألمين من الجروح الرهيبة البالغة .

كتل من الفحم في الاسرة البيضاء .

ليتني امزق الطيار الاسرائيلي الذي تنف بالقنابل المحرقة باظافري . طائراتهم الحديثة تقودها وحوش كاسرة ويقولون للعالم بكل مسكنة بانهم دعاة سلام في المنطقة .

جرحى النابالم لا ينامون وانا لا انام . احترقت جلودهم وتلونت بلون الفحم ، واحترق شعوري وتلون بلون الفحم . انا المصابة بالنابالم وليسوا هم .

ليتهم يعلمون اني لم انم حتى الفجر وانا اتصورهم ، ربما يكون في هذا شيء يبرد قلوبهم .

احترقوا .. ولم تعد لنا فلسطين ... وهذا حرق بليغ يكوي قلبي وعقلي . ومن صميم الجرح اثور لا اقبل بهذه النتيجة لا نقبلها كلنا،وسنفعل حتما في المستقبل ما يعوض خسارتنا .

السبت ١٧ حزيران ١٩٦٧ :

قبل وجه الصبح افقت مذعورة على حلم يكاد يخنقني بصوره المرعبة :

رايت ان ليل دمشق المطبق قد امتلأت سماؤه بالصواريخ . وبالقناديل الحمر والزرق . وقيل لي ان هؤلاء هم رجال المظلات الاسرائيليين يهبطون بشكل سري على دمشق . وكان منظرا مرعبا . المظلي والمظلة مختفيان في الظلام .

ونظرت الى الشوارع فرايت الجنود الاسرائيليين الذين وصلوا الى الارض يحملون بايديهم الفوانيس الحمر والزرق ويركضون بخطوات غير مسموعة نحو مبنى قيادة جيشنا . خفت وركضت الى الهاتف اطلب رقم القيادة لاخبرهم بما رأيت حتى يستعدوا للعدو الزاحف كالافاعي ، ولم تجب الارقام . لا احد يرد . لا احد يرد . وفهمت ، الجنود والضباط في مراكزهم لا احد في مكتبه ، لن يغدر الصهاينة بقواتنا لن تنجح الخطة ، ستصطادهم قواتنا كالفئران ...

وافقت مذعورة .. مرت لحظات وصدري يعلو ويهبط وانفاسي متقطعة وانا احمد الله انه حلم .

شربت كاس ماء ونمت .

الاثنين ١٩ حزيران ١٩٦٧ :

قررت ان اكتب علني ارتاح :

في لهيب المعركة انصهرت الشوائب وظهرت الحقيقة بلون واحد . في خلية النحل ضاعت الملكة ، وتحولت كل نحلة الى ملكة وكل ملكة الى نحلة عاملة نشيطة .

تحت صوت القنابل سكتت اصواتنا وارتفعت الاعمال العربية الى مستوى القمة .

في عتمة ليل المعركة المطبق انطفأ لهب نور الشمعة وانكسر القلم في يدي وجف الريق في حلقي ولجأت الى سكون السكوت المطلق اقرأ ما يكتب في اعماقي .

قرات سطورا كثيرة ...

سطر ابيض يتبعه سطر اسود يتبعه سطر احمر يتبعه سطر اخضر، وكان لا بد ان تكتب المعركة بهذه الالوان التي تشرب حقيقتها من جذورنا السعيدة والمتألمة المجروحة والمتفائلة .

هذه الالوان كانت تنسكب كشلال على قلوبنا وعلى حدودنا العربية المتلاحمة مع العدو .

في عتمة ليل الغارة المحرقة لمنجزاتنا خلال عشرين سنة كنت اخاف الهزيمة واتوق الى النصر .

وكانت النتيجة هزيمة في معركة الحديد ، ونصرا في معركة الالوان الاربعة مع فكرة العدوان والاستعمار .

اسرائيل .. لنقل هذه الكلمة بشجاعة ، استعمار قديم ندم على رحيله من بلادنا الخضراء التي تسبح فوق بحيرة من الذهب الاسود ، وتعانقها البحار ولا تفارقها الشمس وتنام فيها عيون الرسل والانبياء ، فقرر العودة .

ولكن العودة بالاسماء القديمة الرومانية والصليبية والعثمانية والفرنسية والانكليزية وحتى الامريكية امر يدعو للخجل ..!! وتم اختراع جديد انطلق كصاروخ من النار الى ارضنا واستقر في قاعدة رسمت عليها نجمة اسرائيل .

كنا نعرف اننا سنحارب امريكا وانكلترا قبل المعركة ، وكنا نعلن هذه المعرفة على الدنيا كلها . ووقعت المعركة وتمت مساعدة امريكا وانكلترا لاسرائيل ضد العرب .

تاكدت الحقيقة اثناء المعركة وبعدها! ، على خطوط النار امس ، وغدا في مجلس الامن وفي هيئة الامم المتحدة .

وتوقف العدوان بقوة الكلمة لا بقوة الحديد .

كان جوابنا على الهزيمة العسكرية في المعركة غير المتكافئة مثلا شعبيا بسيطا : « عين ما بتقاوم مخرز » .

وكان جوابنا في معركة الحق : كلمة تطحن دبابة وحق يسقط « ميراج » .

اكتب الآن مع انني خرجت من التجربة بدرس عظيم :

« ان اسكت استعدادا للمعركة خير من ان اتكلم كثيرا بلا استعداد » .

ان اطالب منذ اليوم بتعلم قيادة دبابة وطائرة وحقن ابرة وطبخ لقمة ، خير من ان اجلس وراء المكتب القي الاوامر وانفخ الكلمات الرنانة في بالون كبير سرعان ما ينفجر في الهواء .

في معركة العرب من اجل استعادة فلسطين سنة ١٩٤٧ كنا صغارا ، ولم يكن لنا حق المطالبة بحمل مسؤولية معركة ستقع بعد عشرين سنة لاسترداد فلسطين .

واليوم . . نشعر بان علينا ان نشترك في حمل المسؤولية للمعركة المقبلة . مسؤولية اعداد انفسنا من جديد ومسؤولية اعداد الصغار بطريقة علمية تغلب فيها صورة المعادلة الرياضية على صوت النشيد الحماسي الساذج ينطلق من حنجرة المطرب بلا رصيد .

٢٠ حزيران ١٩٦٧ :

قال احد جنودنا البدو العائدين من ارض المعركة لمن حوله يشرح هول المعركة بلهجته البدوية العفوية الطيبة عندما سالوه ماذا رايت :

« تحل علي امي ، شفت بالسما شي احمر واخضر واصفر ما ندري الا والسما طيارات » .

تضايقت من الحادثة رغم عفويتها وبساطتها . تالمت لماذا صعق

جنوفنا بمفاجآت الغارات الجوية الكثيرة لماذا لا يعد الجندي كما يعد الضابط لمعرفة وتوقع اسلحة العدو ؟ الم جديد فوق آلامي .

السبت ٢١ تشرين اول ١٩٦٧ الساعة ٣٠ر٥ مساء

اغرقت القوات البحرية العربية المصرية المدمرة الاسرائيلية الكبيرة « ايلات » وهي تحاول اختراق المياه الاقليمية للجمهورية العربية المتحدة .

خبر عظيم قامت له البلاد العربية وقعدت . التهاني في كل مكان . النصر لكل الوطن العربي . العالم كله يتحدث عن اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات . اكثر بحارتها غرقوا . يا سلام على هذا الخبر انه يبرد القلوب في هذا الصيف الحار الحافل بالاحداث الساخنة .

سمع الناس اذاعة اسرائيل تجري مقابلة مع قبطان المدمرة الذي نجا باعجوبة . قال في مقابلة صحفية واذاعية ما معناه :

« لا ادري ... راينا شيئا اخضر اللون ، نراه لاول مرة في عمرنا ، يندفع نحو المدمرة بجنون ويشطرها الى نصفين ويغرقها في ثوان !! » .

كم انت كريم يا رب .. كم ضحكت من هذا القبطان الاسرائيلي وكم فرحت لما حدث له ولمدمرته ، انه في دهشة ... انه في ذعر من هذا الشيء الاخضر المجهول الذي اغتال مدمرته في لحظات ...!!

كم انت كريم يارب .. لقد ثارت هذه الحادثة العظيمة في معركتنا المستمرة مع العدو ، لجندينا السوري البدوي الطيب الذي فوجيء بألوان الطائرات الاسرائيلية الحمراء والصفراء والخضراء .

انا متأكدة .. لقد بدات اسرائيل « تلحمس » على راسها !!

وسوف نحرر الاراضي العربية المغتصبة ونسترجع فلسطين الخضراء ، ولن يطأ اليهود ارض الشام .

الخميس ٢١ آذار ١٩٦٨

في عيد الام ..

قبلت امي في الصباح ، وابتلعت كلمات التهنئة مع الدموع وهربت بسرعة الى عملي .

في عيد الام .. العدو الاسرائيلي يضرب الاردن .

في عيد الام .. موشى ديان في خطر الموت بين لحظة واخرى في المستشفى . قالوا اصابه حجر وهو يبحث عن الآثار !!!

وقلبي يضحك ، لان موشى ديان أصيب حتما بضربة فدائي عربي فلسطيني ؛ هكذا يقول قلبي الواعي .

في هذه اللحظات الوطن العربي كله عين واذن على العدو .. وقلب على الام العربية الطيبة التي تضع الهدية الجميلة الى جانبها وتتمتم بالدعاء وتبتهل الى الله :

« الله يوفقكم .. الله ينصرنا على العدو الله يخليلي ياكم » .

احب كلمات الامهات .. وهي قوة دافعة جبارة لاقوى رجل . « الله يرضى عليك يا ابني » هي اصبع ديناميت تتفجر من يد ابننا العربي في صدر العدو الصهيوني المتحفز كالذئب الكاسر في وجه « الضاد العربية » .

العدو غايته عندنا الضاد العربية ، الارض العربية ، الانسان العربي . هذا امر اصبحنا نعرفه جيدا . يعرفه الطفل عندنا الذي يقرأ الالف والباء وتعرفه الام العامية .

اتارجح .. انوس بين امي وامتي . منهما اتيت ، اليهما انتمي ، وعنهما سوف أرد الخطة الجهنمية مهما كانت قوتي ضعيفة . لن يأخذوا الفرات ولن يأخذوا النيل .

ان كنت اجهل عملية حقن الابرة في عرق جندي ، فسوف اساعد في حمل علب المؤونة . ان كنت متعددة فسوف اخيط قميصا رجاليا بالابرة والخيط . ان كنت ارتعد من صوت الرصاص ، فسوف احضر نفسي لسماعه ، فتخف الصدمة وتنتفي المفاجاة . وبشدة الحذر والوعي وكامل الانتظار والترقب سوف اغتال كل حادثة سيئة ممكنة محتملة .

عيني على امي الحبيبة وعيني على خط الحدود ، على خط الحياة او الموت ، خط الوجود او اللاوجود .

كل لحظة بالنسبة لي لحظة ترقب لعدوان مفاجيء ، وساعة الصفر عند العدو ليست ساعة سرية ، لانني في كل ساعة اتوقع العدوان . في كل لحظة انا في حالة استنفار دائم يشير الى مئة بالمئة .

وانا لست انا . انا .. انتم .. انا الضاد العربية .

وامي ليست امي .. امي هي امتي .

وبيننا ليس بيتنا .. انه خريطة الوطن العربي .

وعيد الام العربية يمر على ديارنا العربية هذا العام الذي يلي نكسة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ليشهد ولادة حرية جديدة يصنعها مقابل حياته فدائي عربي .

وياكل الخوف والذعر قلب الاسرائيلي الصهيوني الذي احس بان الارض تحته تهتز بعنف ... يهزها زلزال عربي معاصر يزمجر من باطن الارض العربية .. من المانع الناري العربي الهادر الطالع من قلب الارض العربية الفلسطينية ليكتسح في طريقه كل فنون الصهيونية النابالمية .

ويتصايح الصهاينة ... الزلزال ... الزلزال ... ويتراكضون هربا من الزلزال العربي الذي لم يحسبه جغرافيو الاستعمار الحديث حسابا علميا دقيقا ، لانه خارج توقعات العلم .

لا فائدة ... فلسطين ليست لكم...

هذه كلمة نهائية .. يقولها كل فدائي عربي وهو على استعداد لان يحققها مقابل حياته .

لا فائدة من المماطلة والانتظار ...

الزلزال العربي انتشر ... الزلزال هو الحل .

المانع الناري العربي يتفجر من كل مكان عربي ... يسيل نحو العدو نهرا ناريا محرقا يبتلع كل ما في طريقه من نجمات سداسية .

لا فائدة من مقاومة الزلزال العربي الفدائي .. لا فائدة من حواجز واهية يخترعها العلماء الصهاينة في مخابر الاستعمار الحديث .

● ● ●





اشــارت باظافرها اللؤلؤية الى ثلاث نقاط على شــواطىء ثلاث قارات كبيرة تتمدد بكبرياء فوق الخارطة الزرقاء وقالت :

ــ هنا اتمنى ان اكون الآن .. او هنا .. او هناك ..!!

قــال :

ــ ولكنها نهايات العالم ...

قالت :

ــ اهدافي الحقيقية دائما بعيدة .. يحملني اليها جناح الخيال .

قــال :

ــ الخيال خيال وليس حقيقة .

قالت :

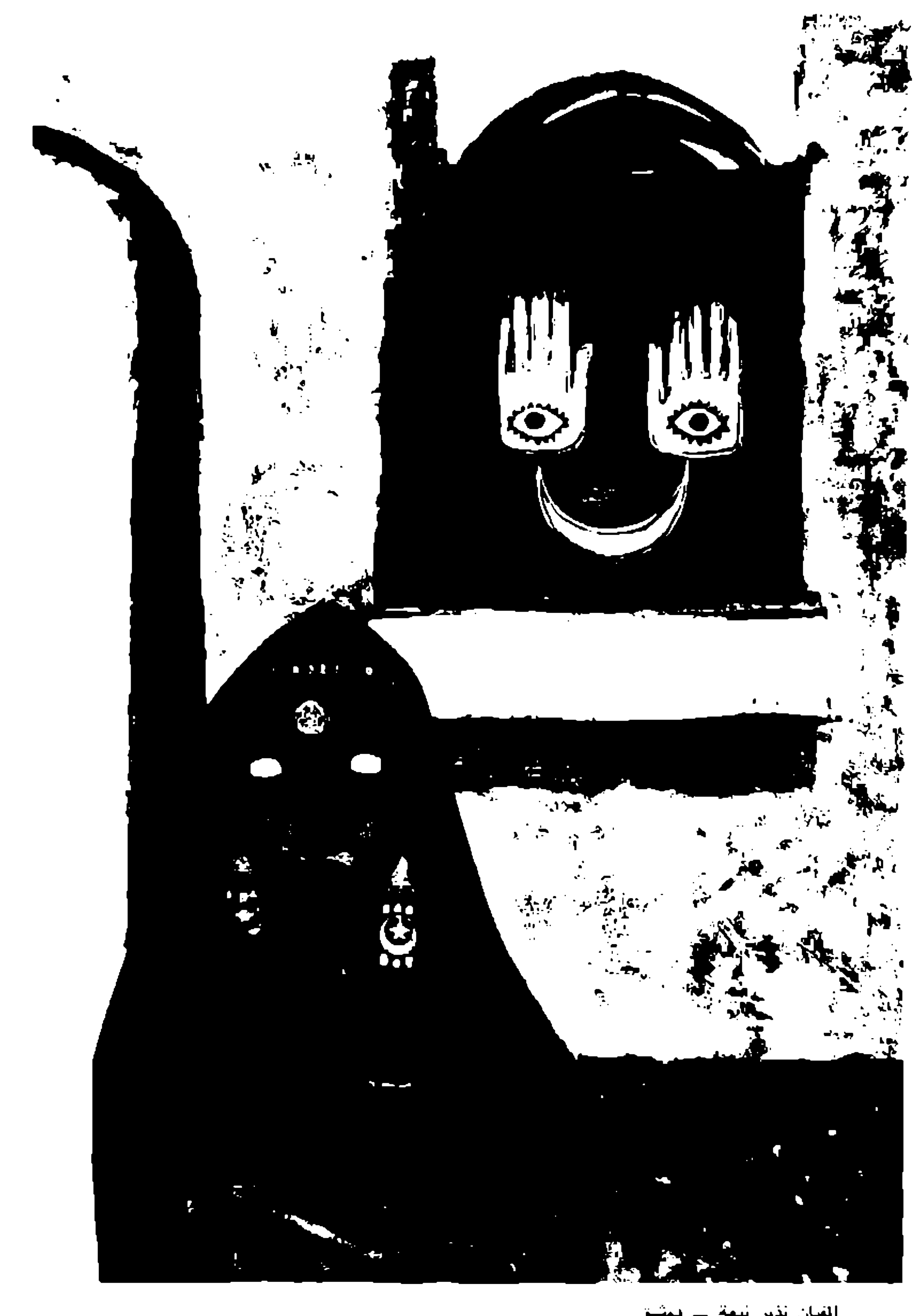
ــ كثيرا ما نتمنى اشياء مستحيلة يعجز عن تقديمها الواقــع ويفلح الخيــال .

قــال :

ــ مثلا ..!؟

قالت :

ــ لو قلت لك .. لاتهمتني بالجنون .



الفنان نذير نبعة ــ دمشق

قـــال :

ــ قولي اذن ..!!

قالت :

ــ دع المزاح .. فانها رغبة في اعماقي هائلة ومثيرة وعنيفة .. انظر معي الى الخارطة .. اترى هذا العالم .. هذه اليابسة وهذه البحار .. هذه المدن وتلك الموانيء .. اترى معي البحر الابيض المتوسط وهـــذه النوافذ التي تطل عليه منذ فجر التاريخ ..؟!

قال وصبره يكاد ينفد :

ــ نعم ارى .. ارى ..

قالت :

ــ اتمنى لو تضمني الحياة في نافذة الامنيات المطلة على هذا العالم.. لارى دون ان يراني احد حقيقة الحياة التي عاشها الناس عبر العصور .. اتمنى لو اشم رائحة الغبار الذي اثارته حرب طروادة .. والتقي بالعاشقين هيلين وباريس .. اتمنى لو اسمع الموسيقى التي كان ينام عليها قيصر .. اتمنى لو اسمع صهيل جواد طارق بن زياد وهو يعبر قارة الى قارة .. اتمنى ان ارى اسراب حســــان اليونان بملابسهن السحرية التي غلبت التاريخ واستمرت عبر ايامه .. اريد ان اسمع صوت خالد بن الوليد .. وقيثارة الفارابي .. واركب سفينة عربية عتيقة لاطل من وراء شراعهـــا على نافذة من هذه النوافذ التي كانت تطل على البحر المتوسط قبل ان تتغير خريطة العالم.. اتمنى لو التقي بالخضر عليه السلام وجها لوجه فاطلب منه ان يحقق لي امنياتي .. فاغدو بلمسة من يده على راسي امراة جميلـــة سعيدة ثرية يحبها زوجها وتنجب الصبيان والبنات ...

اريد ...

قـــال :

ــ كفى كفى .. افهم ما تريدين ..

قالت :

ــ ربمـــا ..

قـــال :

ــ انت كفتاة البحيرات املي برونتي .

قالت :

ــ هي رومانسية . .وأنا واقعية تلبس رداء رومانسيا .

قـــال :

ــ انت مثلها ..

قالت :

ــ لقد سحبها الحلم من الواقع .. وتعيدني احلامي الى الواقع ، احلامي مشبعة بالواقع تشرب منه ، واشعر دائما برغبة في الطيران ... اشعر انني دائما وابدا في تحليق مستمر يفرضه علي شعور ينبع من ذراتي التي تجسدني امامك انسانة من لحم ودم .

قـــال :

ــ وما الفائدة ..؟

قالت :

ــ الحياة ..

قـــال :

ــ اين ..؟

قالت :

ــ هنا في نهايات العالم. .وهناك في اعماق التاريخ وسر ادبيا الماضي.

قـــال :

ــ والحاضر ..؟

قالت :

ـ ارفضه بشدة .. فهو الذي رفع اقدامي عن الارض .. وجعل اظافري الطويلة المطلية باللون اللؤلؤي تبحث عن كنوز الطمأنينة المرمية باهمال على شواطيء القارات .. وهو الذي سمح لروحي بالبحث عن الانسان في اساطير الغابرين .

قال :

ـ فيلسوفة صغيرة .

قالت :

ـ ربما ..

● ● ●

الشتاء ..

انا لا احب الصيف . ليشهق الآخرون وليرفعوا اهدابهم دهشة وليبتسموا ابتسامة فيها الف معنى .. انني افهم .. مجنونة ..!! ليكن انا مجنونة بالشتاء ، واكاد افقد عقلي وقلبي في الخريف .

ليت الصيف لا يعود .. انني منقبضة ، بدات الايام الهاربة من الصيف الى شتائي العذب تقلقني ، وبدات اتمسك باذيال الشتاء كمن يمسك باغصان شجرة « المستحية » خوفا من السقوط في الماء .

بدأ الربيع ينقر باصابعه الملونة على راسي .. ويدق دقات خجول مترددة على قلوب المراهقين من الناس، ويهرع الكبار الى نوافذهم يغلقونها في وجه الشاب المغرور الذي يبدو لهم كمهرج في سيرك جوال ، بثيابه المزركشة الملونة ، ووجهه الضاحك دائما بقوة الاصباغ ، انهم لا يحبون الا الضحكة المخلصة لصاحبها وللآخرين ، وعندما يتكلم الربيع يغري عددا كبيرا من الناس ، وعندما يتكلم الشتاء فان الحلقة تصغر فالمريدون هم الخاصة . لقد بلغوا من الترف النفسي ما يسمح لهم بفهم الشتاء ، كالفقير الذي اثرى ثم بدأ يدرك ان بيته الطيني في الحي العتيق من المدينة هو المكان الوحيد في العالم الذي يمنحه عفوية السعادة ويحميه من سام الحضارة والالوان ويمنعه من السقوط في بورجوازية النفس والفكر والجيب . فان كان الربيع بورجوازيا يخدم مصالح الصيف ، فان الخريف في رأيي ثري ادرك ان الاطمئنان الحقيقي للنفس لن يكون الا مع فقر الشتاء .

أكتب والريح تعصف في ليل المدينة الناشة .. تريد ان تقتلع المنازل والاشجار والناس من جذورهم . المرآة في الغرفة تكاد من فرط سعادتي بالريح ان تقول كلمتها رغم الظلام ، وكأن سعادتي نور ينبعث من وجهي .

الشتاء لي .. انا أعلم .. وقد يكون لبعض الآخرين من المجانين امثالي ، وتسالون : لماذا لا احب الربيع ..؟ وساجيبكم بسؤال : لماذا تريدونني ان لا احب الشتاء ..؟

كأني بالربيع يريدنا ان نقدم للطبيعة اطفالا .. وبالصيف يهيب بنا



الفنان عدنان ارناؤوط ـ دمشق

ان نأكل ، وتظل نوازع الفكر والمحبة والانسانية من اعمال الخريف والشتاء .

هذه ليست نظرية ، انها احاسيسي ومشاعري والاحاسيس والمشاعر لا تخضع لمنطق ارسطو .

من منا يتعامل مع الطبيعة في الشتاء ؟ انا .. وربما انتم .

اتمنى لو اسير واسير في دروب الضيعة في بلادي ، وحدي ، يداي في جيبي وخطواتي هادئة ، وقدمي تدوس برفق غصنا يتقصف تحتها بالم لذيذ .. الاشجار العارية حولي تسير معي على الدرب ، وراسي يثقل عليها التفكير والحب القوي الهادىء الحقيقي في حياتي ، كل شجرة عارية تسألني عنه بحياء ، وكل ورقة يابسة ترمقني بنظرات حاسدة احيانا ومهنئة احيانا .. الكل يطلب مني ان يكون بيتنا هنا في حضن الطبيعة البعيدة عن المدينة المتلألئة بانوار الاعلانات .

في هذه الدرب وصورته في عقلي وقلبي ، اشعر بأني كبرت واني تحولت الى بالون ازرق ينمو ويكبر ويكبر حتى يلامس سطح القبة السماوية ، وتختلط على هذا البالون حقيقته هل هي من السماء ام من التراب ، يريد ان ينتقلص فيضم في اعماقه بشرة الارض وجوهرها، وان يمتد فيلامس سطح القبة الزرقاء وسرها ، وكأن المسافة بين كرة الانسان وقبة الاله قد ضاعت . فادرك من احساساتي البسيطة ان الشتاء طريق من طرق الصوفية تحملني الى مرحلة عالية من مراحل الخلاص . وابتسم هذه المرة ابتسامة لا تشبه ابتسامة مهرج السيرك الدائمة .

الريح .. تعصف عندما تمر امام نافذتي وتصفر ، تؤكد لي انني ضعيفة ، ولكنني لا اخاف .. اخرج اليها وافتح لها صدري واسمح ان تداعب خصلات شعري وتعاملها بعنف،علني مع الريح اطير كورقة يابسة .. ولكن الريح العظيمة لا تأخذ معها في رحلتها الراقية الا من تمت دورة حياتهم .

ليت الصيف لا يعود فانعم بالشتاء البارد واحس بحرارة الحياة تسري في عروقي وعروق الاشجار العارية . وان كانت زهرة الياسمين الرقيقة هي ميزة الصيف الوحيدة ، الا ان الشتاء يظل فصل زهرة البنفسج الناعمة التي تخلص بلونها ورائحتها ودقتها لمعنى الشتاء الغامض . ان الشتاء يحقق لي صورا لا تنتهي ، ويمدني بافكار وعواطف لا تنضب . ليت الصيف الغبي البليد لا يعود .

انني مع الشتاء انسانة .. انثى ضعيفة .. رغبتي في الابقاء على ضعفي الاول لا تحققها الا هذه الريح الهادرة الباردة .. وامامها وحدها تتلاشى قوتي التي منحها لي بترف صيف الحضارة .

لوحة ليلية

بعد منتصف الليل .. وصيف حزيران يتوهج ، يهدد آخر ما تبقى لي من اتصال مع ايار ونوار .. ونهر صغير يخر بهدوء بعد ان تحول قسرا الى بحيرة اصطناعية حلزونية الشكل جارية تحت ارجل البط والوز .. وغناء صرصور .. ونقيق ضفدع يسلي الليل .. وحوار يصل الى درجة الشجار العالي بين بطة وزوجها .. وصوت سيارة يشق الهدوء .. وخط باص نائم .. و« أطلال » ام كلثوم. .وغمزة من ضوء اصفر على سفح قاسيون. . وتثاؤب أحمر من هوائي التلفزيون على قمة الجبل .. وخط رفيع باهت يفصل الجبل الاسود عن السماء الفضية المعتمة .. واهل الكهف يغطون في نوم عميق: .ونور يتلألأ وحده قرب العتمة كشمعة ، يصعد الجبل الاجرد كل ليلة ويهبط مع مطلع الشمس يذكرني بالمسكين سيزيف .. ونسمة تهب فجاة فترطب وجهي وشعري وطرف يدي .. واوراق علىالشجر تتحرك. . وخصلة شعر متمردة تحاول الهرب مني مع النسمة النادرة .. وملامح رجل حبيب يختفي في طيات الليل .. والايام الصعبة الماضية .. والحرب الباردة بين قلبين حارين .. وورق يخشخش هاربا من غضب ريح عصبية تهب على الطريق تتحدى صمت الصيف .. وشرفة تنطفيء .. وناموسة تطن قرب اذني .. وصوت دراجة نارية تتوقف قسرا كي لا تقتل قطة بيضاء تقطع الشارع الى « تنكة » زبالة قلبها أحدهم بقوة الى جانب الرصيف .. وسعال متعب من جارنا المريض .. وصدى ضربة عصا الحارس الليلي ياتي من راس الطريق .. وهدير طائرة عائدة الى المطار الوطن .. وضحكات اسرة مارة تختلط ببكاء طفل يمشي جرا .. وشرفات مضيئة يسهر فيها نعاس وتعب وهم وأمل في اجتياز امتحانات الغد .. ورنين هاتف في بيت الجيران .. وكرسي حارس حارتنا وكوخه الخشبي ودراجته .. ومدخل سفارة شرقية « بولونية » يشد العين الرومانتيكية .. عدة درجات رخامية وباب حديدي انيق وتنديلان حالمان ونباتات مزهرة تتسلق



الفنان هشام المعلم — دمشق

السفارة .. وسكون في البناء . .ونوافذ نائمة .. وأحلام بولونية .. وسماء صافية بلا نجوم .. وقمر طيب القلب رغم الاعتداء الثاني عليه .. وعينا سيارة تشعان فجاة من الجبل كعيني ارنبة حامل مذعورة في حقول الفرات خوفا من رصاصة صياد غادر في ليل الارانب .. وذكرى رحلة شهر الى الجزيرة والفرات وحلب واللاذقية وحماه وحمص .. وامواج تتلاطم على جبل قاسيون المتلألىء كتاج عروس دمشقية .. جبل وذكرى بحر معا .. ومنارة في قلعة ارواد .. ومائدة للفرسان في قلعة الحصن .. واطراف ثوب تتطاير من هواء بحيرة قطينة .. وطيران مفاجىء لاسر البط والوز هربا من قطة ماكرة تتحفز .. وكأس ماء تتحرك فيها قطعة ثلج .. وتمتم ماء زهر النارنج والليمون والبرتقال في طرابلس لبنان .. وفنجان قهوة أزرق .. وقرنفلة خمرية واحدة في زهرية فخار صغيرة .. وارطاسيا في شرفتنا .. وشمعة تنثر في عز الليل رائحة بهارات الشرق من زهرات مخملية ناعمة زهرية شمعية يعشقها النحل عشقا .. وغصن « خميسة » يتدلى من سقف الشرفة القرميدي كنسناس صغير عابث يتحدى قانون الجاذبية .. وظل راس كبير كبير يملأ ارض الشارع يسهر صاحبه مثلي.. وسيارات بيضاء ورمادية وكحلية وفستقية تلتصق بكتف الرصيف التماسا للراحة والبرودة . .وترانزستور في يد انسان عابر .. وساعة في يدي تشير الى الواحدة والنصف .. وتثاؤب . .وخوف داخلي من ارق الليل.. وأمل خفي بهاتف غير منتظر ... وهو .. وانا ... والليل .. والصيف .. والمدينة النائمة وبحيرة البط الساهر ، والفكر يروي لقاسيون قصة الانسان الذي لا يهدأ . يريد ويتمنى ويغلي وينصت في السكون الى صوت الطبيعة والى هدير اعماقه ، وتظل الحقيقة بعيدة كلما اقترب منها فرت هاربة . وكأنها صبية حسناء لعوب تعبث بعواطف شاب مراهق بين اشجار الغابة الغامضة السحيقة ، تمد راسها ثم تختفي خلف جذع شجرة عجوز، وصوت ضحكتها المغرية الساخرة يدمر لهفته اليها ، تلوح له بضفيرتها ثم تغيب في طيات الظلال ...!!

وانا اتسائل ما سر هذه اللعبة ؟

وهل حصولنا على جزء من الحقيقة يهددنا بضياعها من جديد ..!؟

وهل كتب على الانسان البحث الدائم ..؟ وكأني بهذا الانسان قد رضي لنفسه هذا المصير ، وآثر الحياة في غابة الضباب لان النور الباهر يحرم النفس من الظهور الكامل ، ويحرمها من لقائها مع احلامها المتوردة ..!!

في النهار نرى من نحب ونلبس قناعا يخفي ملامح المحبة في تقاطيعنا . نبتسم ، ولا نبتسم .

وتطير الافكار المجنحة بالعواطف مع هبوط الليل طيران « سندريللا » السعيدة الى اميرها ، حرة طليقة لان العيون الجريئة .. عيون النهار .. قد نامت عنها حتى الاغفاء .

لكن .. هل ينعم القلب بالفرح ، حين تنام عيون الآخرين .. وهو يتلمس امنياته ، وتضيع المسافات في ثوان ..ا الا تظل عين القلب ساهرة على نفسها ..!؟

لقد اكتشفت ، وقد لا اكون الاولى ، السر الكامن وراء تعاسة الانسان في هذه المدينة . وعرفت ان العين التي تراقبه وتحرمه متعة اللقاء التام ، هي عينه هو على نفسه .

عندما نكون مع من نحب لا ننسى اننا معه .

نضحك وندرك اننا نضحك ، تلتهب مشاعرنا وندرك اننا نبردها ونثلجها ونقتلها في حركة عصبية جانبية تكاد فيها أناملنا تفرط عقد مفاتيح السيارة والخزانة والمكتب والبيت .

نخلق في اداء المعنى الحقيقي امامه ، ونعرف ان وجوده المفاجىء كان سبب تلعثمنا الفكري .

تلهث انفاسنا لدى سماع صوته على الهاتف ، ونسمعها كما يسمعها هو واكثر .

الانسان الساذج فينا ينفعل ، والانسان القوي يقف كالمارد ليقدم لنا اشرطة تسجيل ملونة على شاشة مقابلة لامرئية ، تذكرنا بالصورة الطبيعية التي ترتسم على وجوهنا في كل لحظة .

نحن نعرف هذا ، ونعرف اننا نعرف ايضا باننا تعساء دائما وسنظل .

اعتقد ان هذه الحقيقة في نفسي على الاقل ، حقيقة انسانية يثبتها وجودي الانساني الذي وعدني به الفيلسوف ديكارت . انها حقيقة « الاسى لاننا نعرف » التي ترافق انسان العصر الحاضر بينما ارتاح منها انسان العصر الماضي الذي لم يسمع « بعقدة » فرويد ولم يتعرف «بكين» جان بول سارتر ولم يمر مع من مروا على « جسر » ايفو اندريتش ، ولم يعان « عشق » سيمون دوبوفوار ولم يصفر اعجابا « بجوستين » لورانس داريل .

الحياة الانســانية شـقاء عندما يسيطر عليها الفكر ، وهي شقاء بــلا فكر . والانســان بين هذين الحدين يتأرجح ، فكر ام لم يفكر و لن يعثر على الحقيقة الا في الموت كما يبدو .

وعادت البحيرة برفة عين .. وعــادت انثى البط توشوش في اذن ذكرها قصة حب عنيفة وهادئة تحملها له وستحملها ابدا . وتؤكد له بان حبها له هو الحقيقة الوحيدة في حياتها . واخذت تنظر الى وجهه في عتمة الليل الندية المطبقة ، وهي تحلم بان تمنح هذا الوجــه الى الطبيعة والى شـواطيء هذه البحيرة ، اكثر من مرة .. اكثر من مرة ..!! اكثر من صـغير لها .. واكثر من صـغيرة ..!! وستكبر اسرتها .. وستسبح هذه الصور الصـغيرة العزيزة امامها بخفة وبادب وبثقة .. وستظل هذه البطة كما هي، سعيدة وتدرك ، كالانســان ، انها سعيدة ، وسيظل زوجها الذي اختارته دائما كما هو ، ينظر الى عينيها بلهفة يلفهــا القلق ، ويدرك في اعماقــه « السـابحة » ان عين نفســه ترقب نفسه العاشـقة دائما .

هل يفكر البط حقيقة ..!! ام انني احمله حقيقة الانســان المرةالعذبة، الانســان الذي لا يلتقي مع من يحب الا في الليل،الانسان الذي يسير في شــارع النهار يرتدي انســانا آخر !!!

● ● ●

حـــــوار ..

قال : لا تكتبي عن حزنك اكتبي عن الحزن . لا تكتبي عن فرحك ، اكتبي عن لفرح .

قلت : تريدني ان اكتب عن قضـية .

قال : نعم .

قلت : وانا اعجز عن الارتفاع الى مسـتوى الكتابة عن قضـية ، وتظل ريشـتي كالنعامة تطمر راسـها في رمال ارض، نهاياتها حدودي وابعادها ابعادي والكل فيها لا يتعالى عن جزئياتي . لم أملك بعد يا صـديقي قدرة على الخلاص من « الانـــا » التي تلون الوجود بالوانها ، وما زلت ارســـم بذهني الشجرة شجرة واحدق في لوحات بيكاسـو ببلاهة وبلادة دب ابيض .

قال : اذن اكتبي عن نفســك ..!

قلت : انت تناقض نفسـك.

قال : ابدا .. انا اعتبر الانسـان قضـية .

قلت : يبدو اننا سـنلتقي بتواضـع منك ونزوع مني .

قال : اكتبي ، لم هذا التوقف الاخير المفاجيء في ينبوعك الثر ..؟ كنت أقرا لك باسـتمرار ولم اعد اقرا !!

قلت : انا مسـتمرة لانني اقرا .



الفنان فاتح المدرس ـ حلب

قال : القراءة بنظري خطوة الى الامام وخطوة الى الوراء .

قلت : القراءة تحملني على الخوف من الكتابة .

قال : ولهذا السبب تصبح القراءة عملا سلبيا في بعض الاحيان .

قلت : لا اشعر احيانا برغبة في الكتابة لا املك ما أقوله صدقني . الكتابة امر يحيرني كنفسي ، انا اخضع لنداء القلم لما ساكتب وانتظر بارادة مسلوبة ارتفاع الموجة العالية الصاعدة من محيطات النفس البعيدة حتى تتكسر عند النهاية ، عند فم الريشة وشاطيء الكلمة الابيض . انا أمة الكلمة ولست السيدة رغم زوال الرق ، انا لا املك الا انتظار نفسي المقبلة .

قال : هل سنقرأ لك قريبا .؟

قلت : انت تحرك الجمر تحت الرماد . الواقع اشعر بان فكرة جديدة بدات تكتسحني مؤخرا بشكل لا مثيل له في حياتي السابقة واعتقد انها فكرة انسانية بقدر ما هي حالة انسان واحد واعتقد ايضا انها الحالة التي تعني القضية اكثر مما تعنيني ، وهذا ما تريدني ان ارتفع اليه .

قال : قولي .. ما هي ..؟

قلت : الزمن .

قال : الزمن ؟

قلت : والجنس .

قال : الجنس ؟

قلت : انتظر ، كل شيء في الوجود قديم ، وكل ما نقوله او سوف نقوله قد قيل ، ولكن علينا ان نساعد الذين قالوا قبلنا على تفسير انفسنا .

قال : تفضلي .

قلت : هل تشعر مثلي بان الزمن مرعب ، وانك وانت جالس امامي الآن ، تركض تندفع الى الامام بقوة خارقة مذهلة مجنونة نحو الغد لالتقاط الغد ..؟

قال : . . . . . .

قلت : هل تفسر مثلي ظاهرة الجوع الجنسي عند المثقف المعاصر بالذات ، رغم توفر الجنسين معا ، بانها ظاهرة تنبع من احساسنا الهائل بدقائق الزمن الهارب وثوانيه .. ؟

قال : . . . . .

قلت : اني اربط هذه الظاهرة ، ظاهرة الجوع الجنسي عند المثقفين بفكرة الزمن الهارب، والمس مدى تشبثنا نحن الشبلب بأيامنا المتبقية لنا ، واغبط الانسان العادي الذي لم يتعلم القراءة ويعيش مقتنعا بنصيبه من زوجته ، وابكي بدموع ناشفة على اليوم الذي يمر بي لانه يمتطي صاروخا لا يعرف معنى النهاية، ولن يكون له مدار يرتاح اليه ، فاجد نفسي وانا جالسة معك الآن اركض ، اجري ، اسرع ، الهث ، اتمسك باذيال الدقيقة الهاربة حتى لا تتركني بقسوة حبيب غادر ، للدقيقة التالية ، تدوسني بقدمها اللامبالية وتمضي وكانني في كابوس من احلامي المزعجة ، اركض مع الراكضين ثم اسقط ، وتتابع القافلة قفزاتها ، تدوس فوق عنقي ، تحطم عظامي ، تشل حركتي ، اصرخ وليس من يسمع « اللاصوت » احاول الوقوف والجري وليس من يركض مع « كسيح » .

أنا في الحقيقة تحت وهج النهار ، وأنا جالسة امامك الآن اتكلم بهدوء ، تماما كما انا في الحلم وتحت طيات الليل ، اركض وانا واقفة ، وامد يدي الى اهدافي الرائعة دون ان

اطولها ، واعتقد اني ساظل هكذا مشبوحة الى قدر جيـــل بكامله ، جيل يستمع معي الى نشرة الاخبار العالمية اليومية.

قال : شكرا ، لانك سوف تكتبين عني .

● ● ●

ارجعي يا ألف ليلة

لا اشك ان في اعماقي بدوية سمراء حارة الدماء ملوحة الخدين مكحلة العينين حافية القدمين متمردة على كل ملامح الصورة الطافية على سطح الحاضر .

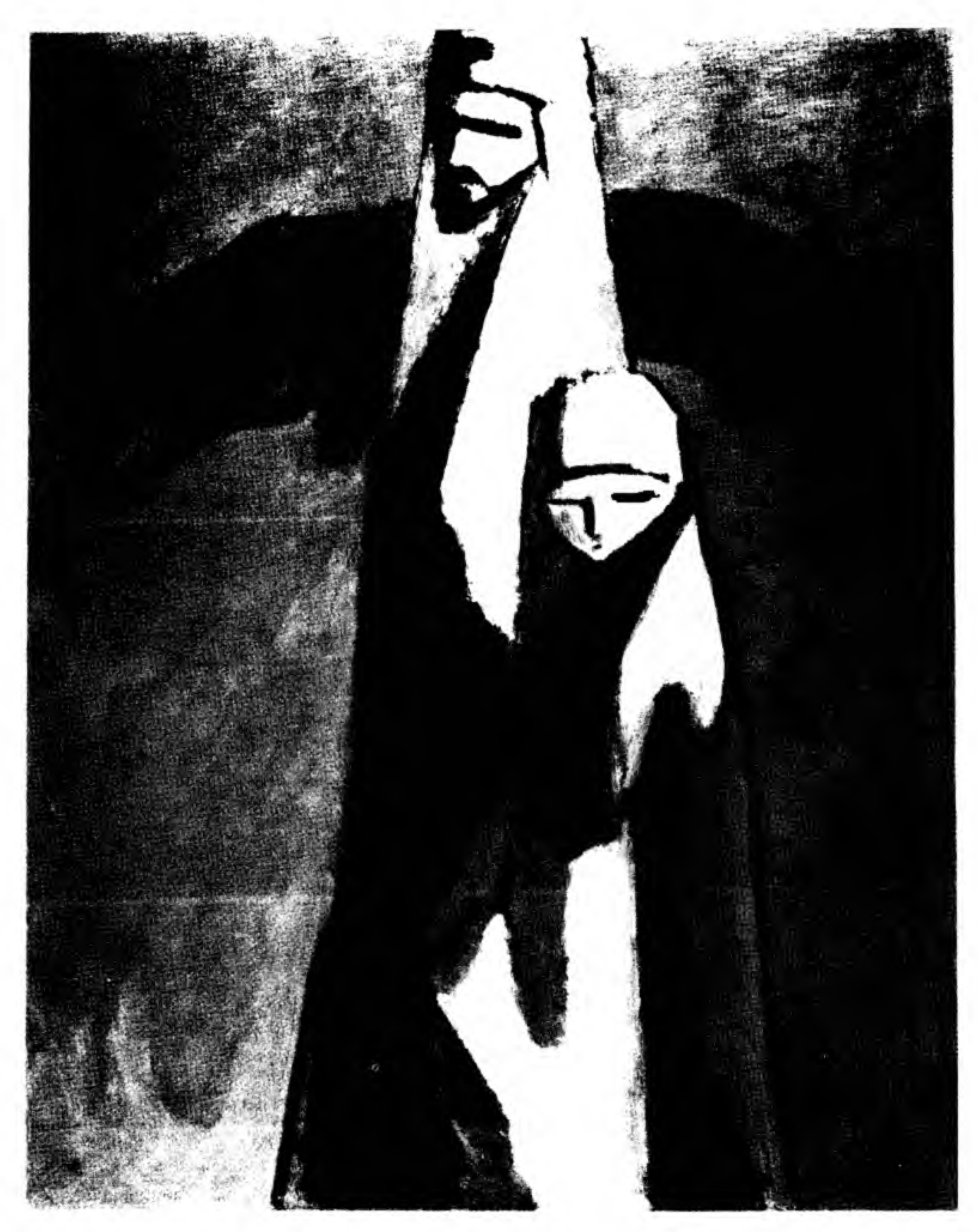
بدوية عنيدة تنتشل نفسها ، في كل لحظة تنفرد فيها بنفسها، من حذاء مدبب وثوب ضيق واظافر طويلة ملونة وبشرة ياسمينية ؛ كي تنطرح على رمال الصحراء البعيدة التي يغرق فيها صوت الكعب العالي وضجيج الالوان .

بدوية ثائرة تنتشل نفسها الغارقة على سطح الحياة الحاضرة الطافية كجثة زهرة بيضاء ، كي تغرسها في الماضي الذي ينعم حتى الآن بدفء الرمال وطراوة الحركة في ذراتها العربية القاسية .

لا ارنو الى الصحراء الافريقية او الاسترالية بل الى الصحراء العربية الصاعدة من نجد حتى شطآن الفرات . ولا ادري لم تلح علي هذه الفكرة كثيرا مع انني لم اصل ذروة الحضارة كي ابدا بالانحدار والحنين الى الصحراء !!

ومع ذلك فانا اعتبر انحداري صعودا .

حنيني للصحراء . . للاطلال . . للنخيل . . لطعم التمر ، وماء البئر . . لقافلة الابل وحداء حاديها . . للمضارب العربية تلعب في جنباتها الريح ، وتسهر فيها عيون حادة سوداء كعيون الصقور ،وعيون مكحلة كعيون المها ،



الفنان محمود حماد ـ دمشق

يحلو لها السهر على نغم المهباج ، ولهيب نار الحطب ، ورائحة القهوة المرة ، وعذاب الربابة ، وصهيل الجواد الاشقر ، وصوت الراوي في هدوء الصحراء يروي قصة العاشقين العربيين قيس وليلى ، اسطورة العشق العربي .

هذا الحنين يقتل كل صلتي بالحاضر ، بالحديقة المرسومة بالرصيف بجدران البيت ، بالابنية الواقفة في وجهي ، بالعيون الضائعة ، برائحة دخان المازوت ، بالقهوة الحلوة ، بالسيارة ، بالطائرة ، بالصاروخ ، بسفينة الفضاء ، بقنابل النابالم ، برؤوس الخنافس ، بالكلمة الحرباء ، بالميني جوب ، بزعيق الجاز ، بادب الدود والعفن .

واتلفت حولي .. لا .. بل انا ارنو الى البعيد البعيد ، كي اسمع صدى صوت قادم من البادية ، من خط اللا نهاية ، يؤكد لي صفاء الحرف العربي .

فنجان قهوة مرة ، انتشلني من هوة السطح الى ذروة الاعماق ، وغبت عن الناس الذين كنت معهم ، ورحت اتأمل جوانب الفنجان !!

من منا ينظر الى فنجان القهوة العربية المرة ..!! ربما كلنا .. وربما لا أحد .

كانت على جوانب الفنجان رموز الحياة التي اشتاق اليها شوقا ملتهبا .

ليل ابيض .. نجمتان ذهبيتان .. خطان متوازيان ذهبيان ، تنبع من احدهما ثلاث نخلات ذهبيات .

الليل .. والصحراء . .والنخيل .. والنجوم بلون الذهب ، ولماذا الذهب ؟؟!! هكذا اراد صانع الفنجان ، وربما كانت ارادته نوعا من تقويم تلك الحياة الغابرة الذهبية تقييما لا شعوريا. ولو سألني لقلت له : يا عم.. أنا افضل الماس .

ونظرت الى داخل الفنجان .. الى القهوة المرة ، الى عصر حضارة عربية نرتشفه في لمحة لماحسست بفرح حقيقي ، وسمعت صدى رنين الاجراس الصغيرة النحاسية في رقبة جمل يتهادى في الليل العربي ، يحمل على ظهره هودجا جدرانه من الشعر، يضم برفق بدوية رائعة الحسن يشع من عينيها ضوء ذكي ، وترن في قدميها المرتاحتين مع حركة خفي الجمل المتعبين ، خلاخيل فضية تثير جنون فارسها بها .

ليل .. وصحراء .. ورجل وامرة .. وجمل يتهادى .. وطريق نحو المستقبل ..!! وارادة في الوصول ..!!

حياة عذبة غارت في لاشعور الحياة العربية الحديثة ، ولكنها تعود حارة متدفقة كدماء شريان احمر الى واقعنا الفاتل ، كي تنقذنا من تعب الركض والسأم واليأس وتحملنا على اجنحة شفافة الى حقيقتنا الانسانية المتميزة ..

انا اهرب دائما .. اهرب من نفسي الحاضرة ، لا الى نفسي المقبلة ، بل الى نفسي الماضية ، وفي نفسي الماضية التي تجاوز عمرها مئات السنين ، يضحك بسعادة حقيقية من بدوية طويلة الضفائر ، عارية القدمين ، حرة القلب والعقل .

انا اهرب .. اهرب الى نفسي المسلوبة مني ، المتمردة علي ، وسأظل الحق بها ، ولو كلفني ذلك ضياع نفسي المقبلة .

وكلما غنت لي فيروز :

ارجعي يا الف ليلة

غيمة العطر

فالهوى يروي غليله

من ندى الزهر

ان اشـواقي الطويلة

قصرت عمري

وحكاياك خميلة

في مدى الدهر

تتراقص في عيني دمعة الحنين ، واخلع حذائي ، واغمض عيني ، اتخيل نجمتين فضيتين ، وليلا حالكا ، ورمالا دافئة ،وثلاث نخلات،وعاشقين واربع عيون ، عيني صقر وعيني مهاة .

• • •

مـــلائكـــة ..

قالت :

كما استطاع جورجيو ان يفسر لي لوحات « بيكاسو » المشوهة وتماثيل « جياكومتي » المقددة في روايته « الساعة الخامسة والعشرون » فيبرر لي ملامح التشويه التي اصابت انسان العصر بسبب انتصار الآلة ، وشارات الجوع التي اثبتت ان الانسان يتدحرج ، فان حادثة الامس استطاعت على بساطتها وسذاجتها وفرديتها ، ان تفسر لي ايضا زوايا جديدة مختبئة في نفس الانسان عن الانسان، زوايا صغيرة تؤكد ان الانسان كلما توغل في حديقة المدنية المعاصرة التي تسلبه اهم ما في انسانيته ، هذا الانسان يربح اكثر مما يخسر ، ويصعد بقدر ما يتدحرج. ان جوعه الهائل لتحقيق نفسه يرقق ماهيته حتى ليغدو نقطة انسانية محبة مفكرة على سطر في صفحة الحياة المقبلة .

وفي ايامنا المعاصرة .. ابتعدنا كثيرا عن الجزئيات واصبح التجريد سيد حياتنا ، واعتقد ان اليوم الذي ستصبح فيه لغة الانسان نغمات موسيقية ، وطعامه حبوبا فيتامينية ، وشجاره ومعاركه خطوطا مستقيمة ومنكسرة ومنحنية ، هذا اليوم لن يكون بعيدا جدا ، وقد تتوقف الكرة الارضية عن الدوران حول نفسها وحول غيرها ، لان من يدب عليها من بني البشر قد قطع درجات عديدة عالية على سلالم افلاطون .

امس .. عندما بلغت الازمة في نفسي قمتها ، عرفت ان لا سبيل الى النوم الا اذا انتهت الازمة التي تطن في نفسي وتزن كنحلة سجينة في كاس زجاج مقلوبة ، تناضل كي تملك حريتها على الورق ارض الحرية .

ضغطت على زر من ازرار الحضارة ، فاستجاب النور كشمس لا تخيب امل النهار ابدا . وتحولت في ثوان الى انسانة صاحية تماما ،



الفنان عبد القادر ارناؤوط ـ دمشق

جالسة وراء المكتب وكانها ما تمددت على السرير ابدا : عيناها تتأرجحان بين راحتهما في العتمة وقلقهما في النور ، قدماها حافيتان الا من احساسها بالطراوة ، في يدها قلم وفي راسها تغلي العواطف ، وفي قلبها تتماسك عجينة الافكار ، وكان القلب عندها لا يشرب الا من الفكر وبانبوب خفي لم تكتشفه بعد عيون الطب المعاصر .

واضحك بلا صوت .. هه ..

اسمع صوت الضحكة في حلقي ولست نائمة ولا واهمة .

الورقة ..!!

رايت على المكتب الورقة التي دونت ازمة التوام قلبي وعقلي في النهار، وهي الآن في عيني صورة مضحكة عن قلقي ، يخيل الى من يراها ـ لا سمح الله ـ انني بحاجة لطبيب نفساني .

قد اكتشفت اني ملاكمة خطيرة ابن منها محمد علي كلاي . هذه الخطوط المعقدة المتشابكة التي كانت تبحث براس القلم عن اهدافها، ليست الا قوتي الهائلة التي حاربت بها في النهار ظلال الازمة المورقة التي ما زالت حتى الآن تهدد جانبا قويا من ارادتي ، والتي جعلتني ادوخ في دوامة كادت تبتلعني .

لم تكن الخطوط الصغيرة والكبيرة ، الفاتحة والداكنة ، الا لكمات قاضية كنت اضرب بها اهدافا غير مسماة غير مرئية ، وكانت في الوقت نفسه صورة دموية فاجرة لكدمات وجروح واصوات استغاثة ، ويظهر انني عندما شبعت ضربا بالذي دفعني الى فم الدوامة ـ الازمة ؛ توقفت عن الضرب وظلت على الورقة فراغات بيضاء محظوظة ، واستحالت دموعي على الورقة مع جروحه الحمراء ، الى دماء زرقاء تلطخ بياض الصفحة .

حدث كل هذا ولم يسمع صوت ضربات الملاكمة الثائرة الجلادة المنتقمة انسان ، ولا من يلبي نداء المعذب . حتى هو .. اعتقد انه كان في لحظة انتصاري عليه وانسياب دمائه امام عيني ، يشرب فنجانا من القهوة على الشرفة دون ان يحس بلسعات القلم الذي كان يثأر لآلامي الكبيرة الصامتة .

ولانه تركني وحدي اناضل ضد الازمة التي قد تضعه على جبل وتنفيني الى جبل آخر ، ولانه رد على الخبر بهدوء قائلا :

ـ من يكون ذلك الرجل .. لن ياخذك احد مني ما دمت مصممة على أن اكون انا رجلك الوحيد .

ولانه لم يبالني بفروسية رجال العصور الوسطى من يكون الرجل.. اريد اسمه .. ساحاربه وأحارب العالم لتكوني لي .. لانه قال ما قال .. ولم يقل ما يجب ان يقال شعرت ان القلم المهذب تحول بين اناملي الناعمة الانيقة التي يعبدها ، الى سوط لاذع في يد خشنة اعتادت التعذيب لا الابداع الفني والحنان .

الرجل .. ينسى ان القطة قد تتحول الى نمرة اذا اقترب احد من اطفالها الذين يرضعون من اثدائها المتفجرة بالحليب والحنان .. وهو ينسى ايضا ان عاطفة المرأة نحو من تحب هي دفاع الانثى الكاملة عن اطفالها الذين لم يخلقوا بعد . تريد اطفالا من رجلها الذي اختارته ، تتمنى ان يكونوا صورا عنه ، وكأنها تنتظر ان تتكرر صورة حبيبها في الحياة اكثر من مرة .

والسؤال الآن .. هل يناضل الرجل من اجل ان تكون ابنته صورة ثانية عن حبيبته !! ام انه يتركها تخطط وحدها وتحارب العالم لتحقق اهدافها الواعية واهداف رجلها اللاواعية ، بينما هو يمضي غير مبال الى مقهاه يستميت من اجل « دوشيش » والى ندوة فكرية يناضل من اجل وجهة نظر خاصة والى ميدان العمل يحارب الصخر لتأمين رغيف الخبز وحبات الزيتون ، ولا يملك الا ان يقبل زوجته في المساء !!!

وبعد .. فهل زالت الازمة ؟ وهل يعود الانسان بعد الملائكة الى النوم العميق ؟ وهل ستنتهي ملائكاتي عندما ينام طفلي الجميل .. صورة من أحب ، الى جانبي ويرضع من ثدي امه التي حاربت ، حتى الهواء ، من اجل ان يكون ؟؟

هل ستكون راحتي الحتمية المقبلة مرحلة من مراحل التجريد التي يصعد اليها الانسان بعيدا عن جداول النضال الانساني الجزئي ، أم انها ستكون جزءا من حياتي في الغد . ولا بد ان اهب ليلة من فراشي الذي ينام فيه الى جانبي ابني ، صورة من احبه ، كي اضغط زر الحضارة المعاصرة وابدا في رسم خطوط جديدة تعبر عن ازمة انسانية كبيرة تلاحقني باصرار من اجل الوصول لاهداف انسانية اكبر !!!؟

ساقرا من جديد رواية جورجيو « الساعة الخامسة والعشرون »

ربما وجدت فيها صورتي الى جانب تمثال جياكومتي الجائع وانسان بيكاسو المشوه . ترى كيف ستكون صورتي ؟

هل ستكون صورتي المقبلة « نقطة » واحدة على سطر في صفحة الحياة الطالعة في نموها وتوقها الى المطلق ؟

انني خائفة من صورتي يا جورجيو !!!

● ● ●

المطـر وأنـا

وليكن .. فلتغرب الشمس ، وساسجل نفسي على ضوء شمعة ربما استطاع لهبها المتردد ان ينتذني من الصور اليومية اللاهثة وراء اهتمامات الانسان بها ، كالاعلانات الضوئية المستجدية في ليل المدينة الساهر .

حركة يومية بسيطة نرفع معها غطاء الفراش لنطمر به رؤوسنا ونسمع وحدنا صوت اعماقنا ، وتشوينا انفاسنا الساخنة ، ونستسلم لصورنا الداخلية العنيفة التي تحمل آخر صورة لنا مسافرة على سكة الحياة،صورة لا لون لها ولا صوت ولا حركة ، ولا يعترف بها العالم الخارجي من حولنا ، الا انها حقيقية مترعة بالمعنى .

الشمعة تعيدني الى نفسي ، وغطاء الفراش يؤكد لي وجودي ، والمطر يمسح من امامي العالم .

هطلت الامطار ، وكنت في الطريق ، وهرب الناس ، ولم اهرب ، فهذه الايام المبللة خلقت من اجلي ، ولست انانية في ذلك .

الفلاح يفرح بها لانها تروي حبة القمح الجائعة العطشى تحت التراب ، اما أنا ففرحي بالمطر يكاد يكون الهيا ، ربما لانني لست جائعة وعطشى كحبة القمح ، وربما لانني املك في جوانحي روحا قوتها تفوق قوة المعدة .

في المطر .. اسير واسير ، لا اسمع الا صوت نفسي ، وصوت تفكيري ، وصوت خطواتي ، لا ادري كيف يعاملني المطر ، انه يعاملني بصورة خاصة جدا وانا اقدر له هذه العناية وافرح . الناس يلتصقون بجدران الشارع هربا من المطر ، وانا اهرب من الناس ومن جدران الشارع من اجل لقاء انتظرته ايام الربيع المغرور والصيف الغبي .

لماذا يخاف الناس ؟ لماذا يخافون المطر والعاصفة والثلج والريح العاتية والبرد والشجر العاري والاوراق اليابسة والغيوم الداكنة ، ماذا



الفنان حزقيال طوروسي — حلب

في الصيف غير شمس محرقة تلاحق الانسان في كل خطوة ، وسماء غبية باهتة لا تملك اي حس فني تزخر به ريشة الخريف الناعمة ويد الشتاء العنيفة المتمردة المتفجرة بالحيوية ، الحاملة جوهر الحركة والحياة .

ولماذا اناقش الناس فيما يحبون وما لا يحبون ، لادعهم ، لن ادلهم على ما احب حتى يكون لي وللقلة من امثالي . اللوحات الفنية امام الناس وبين ايديهم ، فليغرفوا منها وحدهم ، فالاحساس الفني شعور صادق ينبع من الداخل ويتفجر بقوة الارادة ، ولا تشير اليه عصا معلم .

والحياة معرض كبير ، نتفرج فيه على لوحات كثيرة ، احيانا نرسمها نحن ، واحيانا يرسمها غيرنا : المهم ان ندخل المعرض وان نقف طويلا امام انفسنا وامام الآخرين في لقائهم مع الطبيعة . اما الطبيعة الساحرة التي تشدني اليها في الخريف والشتاء ، فانها في نظري بشرية ، اراها من خلال طبيعتي وطبيعة من حولي ، من احبهم ومن لا احبهم .

المطر ، والشمعة ، والغطاء ، والشجرة العارية ، هي وسيلة لقائي بيدي وشعري ونفسي وافكاري وانفاسي ، انني تحت المطر التصق بنفسي واسمع لهاثي واشعر بحرارة الحياة تشع في عروقي .

ان الانسان في رايي لا يبرز امام مرآة النفس الا في الخريف والشتاء .

انظر الى المدينة تحت المطر فاراها مدينتين ، واحدة فوق الارض وواحدة تحتها ، اما انا تحت المطر فاغدو واحدة ، واحدة حقيقية ، وتختفي المزيفة ..

● ● ●

خرقة الطنجرة

لي صفحة احبها .. كنت احررها في مجلة « الجندي » الحبيبة الى نفسي والتي كانت اكبر واهم مجلة في سورية تصدر عن ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في الجيش العربي السوري .

وخلال عشر سنوات من حياتي الصحفية السعيدة في مجلة رسمية هامة كانت صفحتي التي كنت احررها للمراة ، تسير في قافلة تطور صفحات المجلة ، وكانت تحمل بين فترة واخرى اسما جديدا يتلاءم مع خطة التحرير الاخيرة .

واذكر ان صفحتي اخذت الاسماء التالية : طريق السعادة . هذه الصفحة لك يا سيدتي . للمراة . خاص بحواء . آدم وحواء . جنة آدم . مجلة الاسرة . الاسرة . المراة .

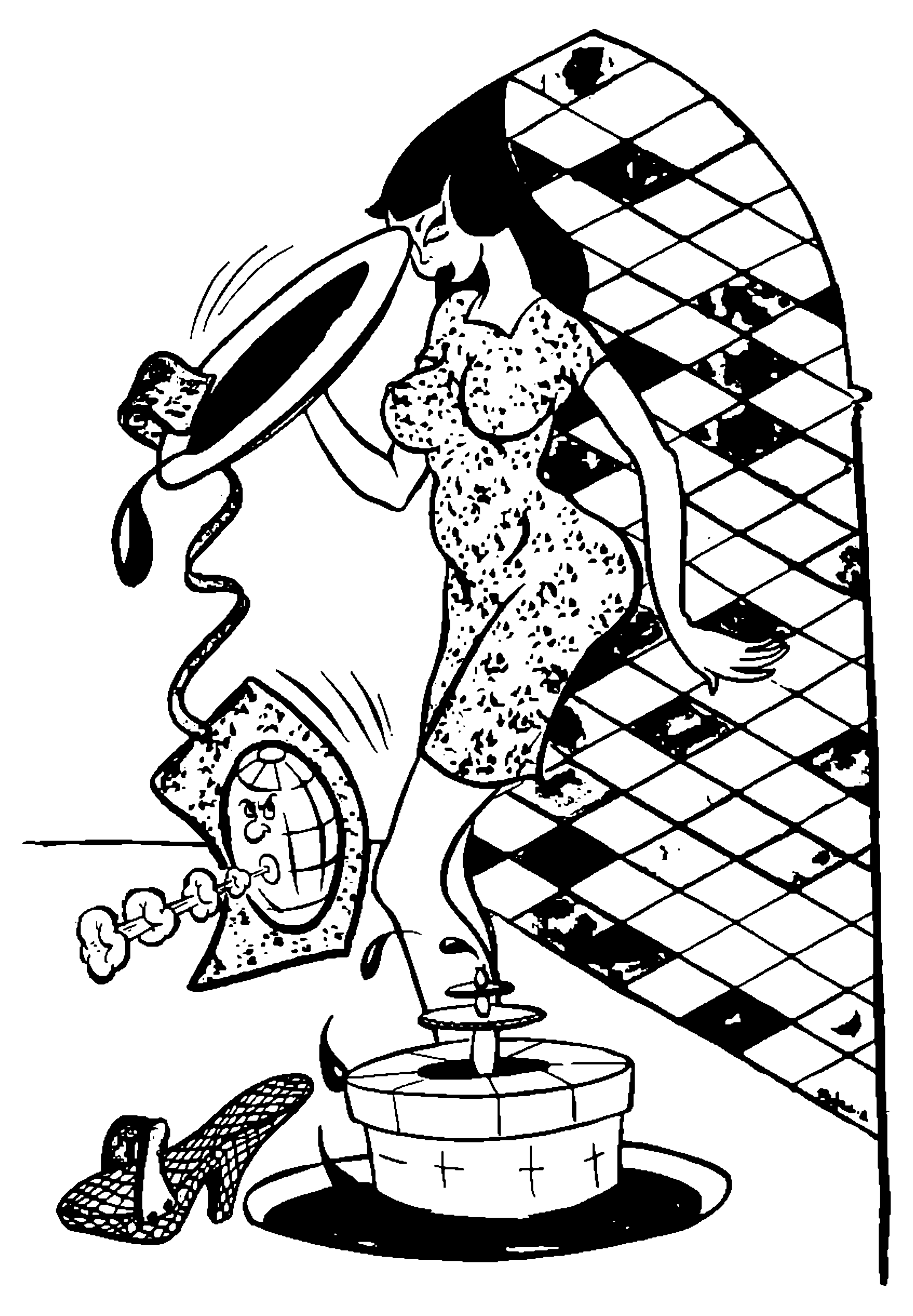
وفي الفترة التي لبست فيها صفحتي وشاحا جديدا كتب على طرفه « خاص بحواء » ، حدث لي وللصفحة حادث مثير ظللت اكتم امره حتى عن اقرب الناس الي وزمنا طويلا يتجاوز السنوات ، لاعتبارات سياسية ودولية .

بدات خيوط قصة « الخرقة المثيرة » عندما ظهر العدد رقم (٥٥٨) الثلاثاء في ١٩ حزيران عام ١٩٦٢ .

عدد جيد من اعداد مجلة الجندي فيه صفحة لي تحت عنوان « خاص بحواء » حرصت ان تكون صفحة مفيدة لربة المنزل بافكارها المبتكرة .

فكتبت تحت عنوان صغير : فكرة جديدة للمطبخ .. الكلمة التالية :

« حمالتان للطناجر والاوعية الساخنة مصنوعتان من القماش القطني على شكل كيس تدخل فيه اليد ويساعد على حمل الاوعية الساخنة جدا . يمكن صنع الحمالتين من اقمشة مربعة ملونة وتكون محشوة بقماش قطني، ومدربة على الماكينة كما تلاحظين في الصورة . انها فكرة عملية وسهلة ولن



الفنان عبد اللطيف ماردیني ــ دمشق

تكلفك شيئا ، وستشعرين براحة كبيرة بتطبيقها » . وطبعا كانت ترافق الكلمة صورة للحمالتين .

وفي اليوم التالي لصدور العدد وصلتني مع المجند المراسل رسالة مغلقة .

فتحتها .. فاذا هو خط احد الزملاء الاصدقاء الذين اعتز بهم ، لما يتمتع به من وعي سياسي عربي وثقافة ناضجة وروح مرحة ذكية وقلب يتوهج بالاخلاق والصفاء والطيبة كحجر من الماس .

بدات اقرا .. وانا اتوقع مفاجاة من مفاجآته ..!! وكانت الرسالة « مقالة » غاية في الرصانة والجد والتحليل الواعي . قرات الرسالة حتى آخرها .. واخذت ارتجف بشدة (سوف تعلمون سبب هذه الظاهرة ، ظاهرة الارتجاف ، عندما تنتهون من قراءة كلماته) .

طويت الصفحات برفق ، واعدتها الى مغلفها ، وحفظتها في مكتبتي كوثيقة سرية هامة ، ستضعني دائما وجها لوجه امام الصديق البعيد الذي اعتز بصداقته رغم كل ما كتبه عني في الرسالة ورغم كل « الدس الرخيص » الذي سوف يكتشفه الناس عند اعلان هذه الوثيقة لاول مرة ، طبعا الدس ضد صفحتي الحبيبة ... التي لم تعبأ بحقد الحاقدين وكيد الدساسين فاستمرت تسير الى الامام بخطى ثابتة ..!!! والله الموفق ..!!

واني اذ اسمح لنفسي اليوم بنشر هذه القطعة ، اجد نفسي قد تخطيت مرحلة الخوف من نشرها ، لانني اصبحت واثقة من ان اصحاب العلاقة جميعهم من سياسيين ورؤساء دول عربية واجنبية ، قد تخطوا مرحلة خشية نقد فرد من الافراد ، بعد ان اعلنوا جميعا تمسكهم بمبدا حرية الكلمة ،ولثقتي بانهم على مستوى يسمح بانتشار الكاريكاتور السياسي الهادف . وارجو ان يكون في نشر هذه القطعة ما يبرر ثقتي بانهم سيصفحون ويضحكون .

تحت عنوان « خرقة الطنجرة » كتب الصديق ما يلي :

« كان لنشر « خرقة الطنجرة » في مجلة الجندي في العدد رقم ٥٥٨ الصادر يوم الثلاثاء ١٩ — ٦ — ١٩٦٢ وفي صفحة « خاص بحواء » دوي مفاجيء في الاوساط المنزلية في جميع انحاء العالم . وقد تعدت صورة « خرقة الطنجرة » الاوساط المنزلية الى الاوساط الاقتصادية والصناعية

الكبرى ؛ وليس هذا فحسب ، بل ان بيوتات الازيـــاء التقطت الاختراع وعكفت على دراســة تاثيره في ازياء المراة للموسم القادم . . !!

ان « خرقة الطنجرة » قد اثارت من النقاش الفكري والاقتصادي ما لم يسبق له مثيل في تاريخ الابتكارات منذ عصر العجلة حتى عصر الصاروخ . ولعل ناشرة الفكرة المشرفة على باب « خاص بحواء » في مجلة الجنـــدي العربي الســوري ، هي اول صحفية في القرون الثلاثة الماضـــية ولا نقول القرنين الماضيين ، قد سببت في نشرها لهذه الفكرة ارتباكا اقتصاديا لـــم يسبق له مثيل في سرعة ذيوعه وانتشاره،بما اثاره من جدل لم يكن فيحسبان الصحفية الذكية ، ولا في حسبان المسؤولين عن مجلة الجندي التـــي زاد معدل توزيعها بعد نشر صورة « خرقة الطنجرة » مباشرة . ففي نيويورك تنادت الاتحادات النسائية لعقد المؤتمرات للتداول في اثر هذا الابداع على الاسرة الامريكية ، وقد القت المسز كارولين هيرفي محاضرة سجلتها جميع شركات التلفزيون وقالت فيها :

ـــ لعل اعداء العرب يعيدون النظر بمعلوماتهم عن الشعب العربي، تلك المعلومات التي تمادت الصهيونية في ادخالها في اذهاننا نحن الامريكيين لاغراض خاصة مسمومة ومغرضة . وهذه هي المراة العربية تعود ثانيـــة لتؤكد ان حواء هي حواء في كل زمان ومكان .

وقالت : ان الاسرة في العالم الذي نعيش فيه دخلت في عصر نستطيع ان نطلق عليه منذ الآن : « عصر الخروق » .

وكانت مؤســـسة « فاير اوف انديانا » قد بعثت الى الرئيس كيندي برسالة تطالب فيها بوقف دخول مجلة الجندي الى امريكا كماطالبت الرئيس الامريكي باتخاذ اجراء سريع لنزع صفحة « خاص بحواء » من هذه المجلة على الاقل اذا كانت خطط وزارة الخارجية الامريكية تتعارض ومنع دخول المجلة الى الولايات المتحدة الامريكيـــة . وادعت الشركة من ان لفت نظر البيوتات الامريكية الى « خرقة الطنجرة » هذه قد اضر بمصالح الشركة التي انزلت الى الاســواق منذ مدة كميات ضخمة من قفازات المطاط التي لا تتأثر بالحرارة عند استعمالها من قبل ربات البيوت ، وان نزولا ملحوظا في بيع هذه القفازات قد حـــدث في اليوم الثاني لتوزيع مجلة الجندي بالقـــارة الامريكية .

وكتبت المسز هيثلي طومسون محررة الشؤون المنزلية في الهيرالد تريبيون والمعروفة بميولها الصهيونية تقول :

— هذه هي نتيجة سياسة التسامح مع العرب التي انتهجتها وزارة الخارجية الامريكية مؤخرا . ففي راي كثير من العلماء انه لن يكون من السهل في المستقبل وقف اندلاع الافكار العربية على القارة الامريكيةوالغرب بصورة عامة بعد الآن . لقد سمحنا للافكار الشيوعية ان تنتشر في ربوعنا ولكننا لن نسكت عن مثل « خرقة الطنجرة » هذه في المستقبل !!

وفي باريس تناولت محلات كريستيان ديور بالاشتراك مع بيوتات الازياء الشهيرة في باريس وروما ولندن الفكرة وشرعت فورا بالتفنن بتزيين وخياطة الحبل الموصول بين « الخرقتين » بما يلائم ازياء هذا الصيف .

اما في الشرق الاقصى فكان للفكرة وقع صاعق . . ففي بورما والملايو والفيلبين تداعت الاوساط الاقتصادية الى تبادل البرقيات لعقد مؤتمر لدراسة هذا الاختراع وما سيحدثه من اثر على هبوط الكميات المصدرة من المطاط . وقد حدث في الهند ان اصحاب محال الخياطة قد بدأوا يواجهون المتاعب مع الزبائن الذين اخذوا يدققون في السؤال عن فضلات القماش المتبقية من بدلهم للاستفادة من هذه الفضلات في صنع « خرقة الطنجرة » .

ان « خرقة الطنجرة » لم تستحوذ على اهتمام الاقتصاديين وربات البيوت في العالم وحسب ، بل شغلت الاوساط السياسية والدبلوماسية ايضا .

ففي موسكو ادخل خروتشوف « خرقة الطنجرة » نهائيا في برنامج اعمال مؤتمر الحزب الشيوعي القادم وصدرت الاوامر حالا لجمع كافة الخرق لصالح الشعب والجماهير الكادحة من الشغيلة السوفيات .
كما ان المجلس الاعلى لدول السوق الاوروبية المشتركة قد الغى اجازات اعضائه وعكف على دراسة هذه الخرقة التي ظهرت ابان ازمة قبول انكلترا في دول السوق .

اما في الاوساط العربية والشرق الاوسط فنجد ان المسؤولين في تل ابيب عن دولة العصابات قد تظاهروا حتى الآن بعدم الاكتراث وان كان مراسل لوموند الفرنسية يؤكد الذعر الذي بدا في الدوائر الحكومية من سخرية الشعب الاسرائيلي من علماء اليهود . ويتوقع المراقبون ان تكون « خرقة الطنجرة » عاملا حاسما في الانتخابات القادمة باسرائيل .

وفي القاهرة قالت صحيفة الجمهورية شبه الرسمية بان الوحدة التي كانت قائمة بين مصر وسورية كرست جزءا عظيما من اعمال التوجيه القومي لاثارة المواهب الكامنة ، وهذه هي ثمرات خطة التنمية الاقتصادية .

وقد كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل في صفحته الاسبوعية في الاهرام يقول معلقــــا على نشر صورة « خرقــة الطنجرة » في مجلة الجنــدي السورية قائلا :

« في تصوري ان الانفصــــاليين في سورية قد افلتوا زمام المراقبـــة والكبت ، فقد طمنت الادبية والكاتبة الصحفية الداعين لتكريس الانفصال بالصميم عندما نشرت صورة الخرقة بجزئيها وهي واثقة بان كل جزء من جزئي الخرقة « خرقة الطنجرة » يرمز الى اقليم من اقليمي الجمهوريـــة العربية المتحدة ، وكان الحبل الواصل بين جزئي « خرقة الطنجرة » واضحا في الصورة كما اراده الرئيس جمال عبد الناصر « انشوطة المشنقة » لاعداء الوحدة داخل اراضي الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من الرجعيــين والانتهازيين .

ومضى هيكل يقول :

لم تصور يد الاشتراكية التعاونية كما صورتها « خرقة الطنجرة » فان كل جزء من جزئي الخرقة يعاون الآخر (بلا شك) وبنفس الوقت يدفع عن الايدي المؤمنة البناءة سخونة ليست في تصوري من السخونات العادية التي يعمل الرئيس جمال عبد الناصر على القضاء عليها بكل افكاره واعصابه حتى تنقلب الى برودة في المنطقة العربية وتمتد الى افريقيا وآسيا .

واستطرد الاستاذ هيكل يقول : ان ادعاء محترفي السياسة في اقليم سورية بان سياسة عدم الانحياز التي نادت بها الجمهورية العربية المتحدة، فكرة خيالية ، اصبحت الآن حقيقة واقعة اثبتتها لنا صاحبة باب « خـــاص بحواء » الذكية بصورة « خرقة الطنجرة » حيث بدا جليا واضحا بان « خرقة الطنجرة » لا تتحيز في الاهداف التي اخترعت من اجلها ، فهي لا تميل الى الطنجرة ولا الى الايدي الناعمة . . لا للشرق ولا للغرب .

واختتم الكاتب الكبير مقاله الضافي بقوله :

يكفي ان الرئيس جمال عبد الناصر قال عندما سمع بالفكرة ما يلي بالحرف الواحد : « هذا الاختراع . . . حاجة مش معقولة » .

انتهى كلام الرئيس جمال عبد الناصر ولم أجلب شيئا من عندي .

اما في سورية نفسها فان الوحــــدويين اعتبروا نشر الفكرة فكرة « خرقة الطنجرة » في هذا الوقت بالذات تحــديا للذين يسمون انفسهم باصحاب الفعاليات الاقتصادية .

وقال الاستاذ ميشيل عفلق السياسي المعروف بان المد الوحدوي ينبعث ثانية على نطاق جماهيري عربي صرف وهو غير مستورد ولا مترجم لان الناشرة لم تترجمه عن مصدر غير عربي .

ومن جهة اخرى صرح السيد عزت الطرابلسي وهو حجة في الامور الاقتصادية ومعروف بميوله اليمينية المضادة للاشتراكية الناصرية بان الجهد الفردي والمبادهة الشخصية والراسمال الخاص يجب ان لا يقيد بعد الآن على حساب الوحدة العربية لان في ذلك خير الامة العربية . وان الوحدة في دمنا ونحن اول من نادى بها وتعشقها . (يقصد الوحدة وليس خرقة الطنجرة) » .

• • •

٣+١٥+٣٠+٧٠= لانهاية

مليون امراة يتدافعن كعاملات النحل في خلية عسل . كل واحدة تريد ان تكون وحدها امام الرجل .

الطفلة بنت الثالثة ، والمراهقة بنت الخامسة عشرة ، والناضجة بنت الثلاثين ، والعجوز بنت السبعين . الفتاة .. الغاضبة والراضية ، العفوية والمفكرة ، المتالمة والسعيدة ، الباكية والضاحكة . الساخرة والساذجة ، المنعجرفة والمنهارة ، الضعيفة والقوية ، الطيبة والماكرة .. ال ... وعند « الماكرة » توقف هو طويلا ، او لنقل توقف الرجل الماكر فيه بين مليون رجل يتدافعون تحت بشرته تدافع افراد كتيبة فرسان مقاتلة لنيل شرف الاستشهاد ، او النصر في ارض الماكرة ، ارض المعركة .

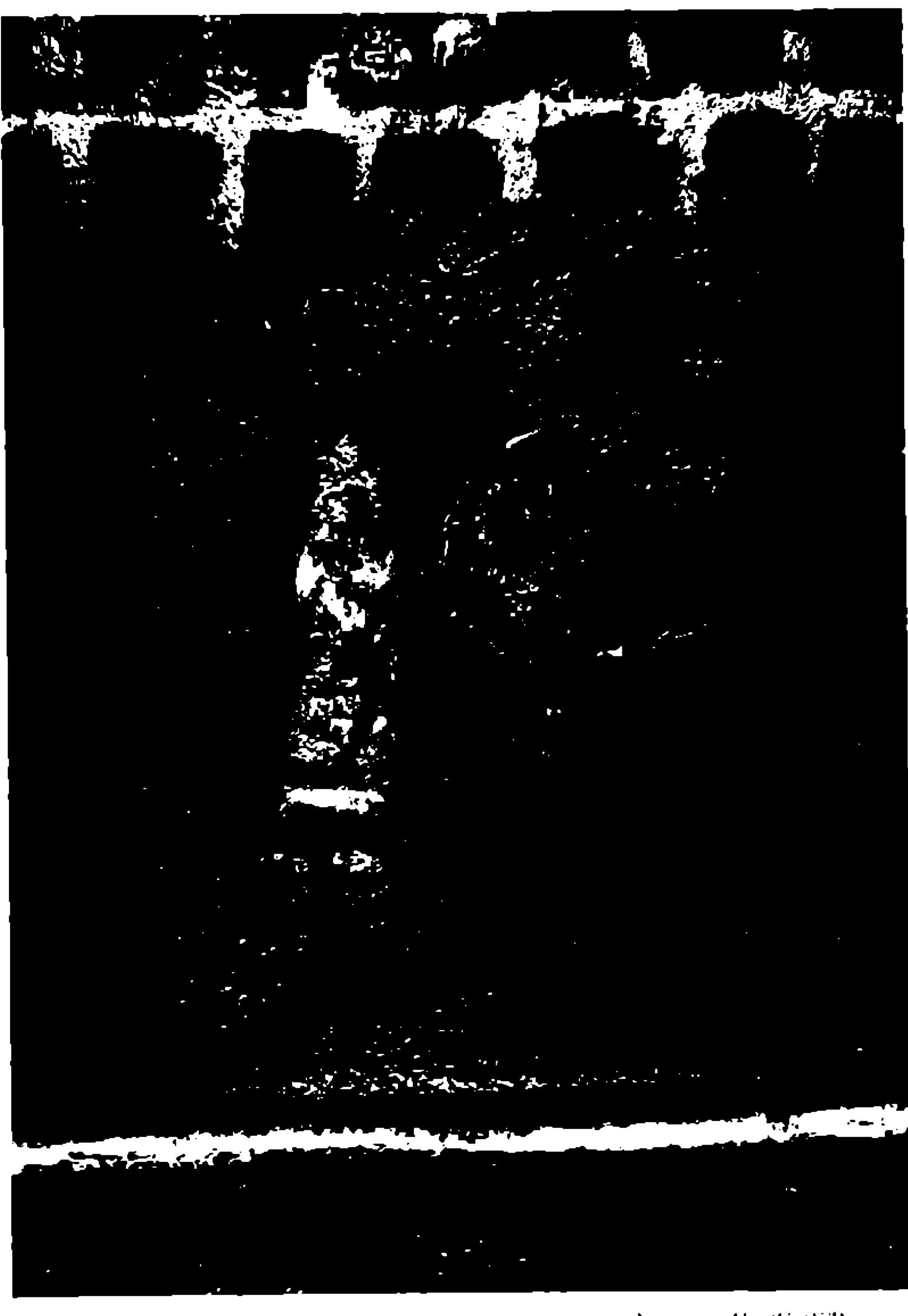
توقف عند الماكرة واعجب بها ، وهو يعرف ان مكرها مزيج من الذكاء والثقافة والعاطفة والخبرة في اناء شفاف اسمه المراة ، كما يعرف ايضا انها ليست ماكرة مكر الثعلب لانها ليست من فصيلة الثعالب .

اطلق عليها لقب ماكرة واعجب به ، وفتح لهذه الماكرة النافذة المغلقة على داخله . قال لها اشياء كثيرة ووعدها ووعد نفسه بالتحدث اليها عن اشياء اكثر .

اعترف . لا فائدة من الانكار . لقد استشفت عن بعد الجانب الآخر فيه ، البعد الثالث ، وهي لهذا السبب ستحق أن تسمع كل شيء عنه بلا تحفظ . يريد الآن ان ينتقل الى اعماقها عبر احاديثه عن نفسه ، يحترم آلامه بشكل لم يعد يحتمل معه ان يخفيها عن هذه الصديقة ، فمن الآلام برايه يصنع الانسان الحقيقي .

ويقول :

يستطيع الانسان ان يلبس قناع الوجه الضاحك ولكنه يعجز امام



الفنان فاتح المدرس ـ حلب

مشاعر الالم ، يعجز عن رسمها على وجهه اذا لم تكن حقيقية ، والالم لهذا السبب اكثر اصالة في جوهره من الفرح .

سيزرع في قاع نفسها السحيقة جذور اعشاب قصصه وحكاياته التي صنعت منه مليون رجل في رجل .

يقف امامها الآن بكل ضعف وقوة ليقول :

ـ لا فائدة يا مليون امراة .. يا من ابحث عنها كل عمري .. لا فائدة .. انت مصيري .

ـ ما عمرك ..؟

ـ ثلاثة أيام .

وسألها :

ـ وما عمرك ..؟

قالت :

ـ انا .. انا طفلة في الثالثة .. وانا صبية مراهقة .. وانا انسانة جدية .. وانا عجوز شمطاء في السبعين .. اما عمري الحقيقي فلا انكر انني عشته ابدا . انا اتارجح بين البداية واللانهاية .. وليس بين لحظات حياتي معان مطلقة وحدود نهائية .. من يدري ربما كنت ابنة اللانهاية .

قال :

ـ دعيني اتحدث اليك عن الشمس .. والقدر .. والحقيقة .. دعيني اتحدث عنك واهرب .. ساهرب للمرة الاولى في حياتي قبل ان يفوت اوان الهرب . لا تسالي لماذا لانني لا اعرف . اشعر برغبة هائلة في الفرار منك .

ـ اغبطك .. لانك تملك شعورا واحدا .

ـ ماذا تعنين ..؟

قالت :

ـ احمل لك في صدري شعورين .

قال بلهفة :

ـ ما هما ..؟

ــ شعور الطفلة الغريرة التي تريد ان تركض اليك .. وشعور الطفلة العاقلة التي تتمنى ان تركض بعيدا عنك .

ــ انت ممزقة ..

ــ بين رجلين ..

ــ من هما ..؟؟

ــ انت .. وانت .

قـال :

ــ هل تذكرين شارة اللا نهاية ؟

قـالت : . . . . .

قـال :

ــ انها تشدني نحو الاله ..

قـالت : . . . .

قـال :

ــ عندما كنت صغيرا .. كنت اقف عند ضفة الفرات ارقب مغيب الشمس ، وتتفجر امنياتي رغبة مستحيلة . ومن امنياتي ان اسير فوق سطح النهر العظيم بخطوات واثقة لا تخاف الغرق الى ان اصل الى الشمس وامسكها .. كرة ملتهبة من الذهب لي انا .. العب بها قليلا .. ثم انثرها قطعا ذهبية نادرة فوق طين الضفتين .. فتزدهر الضفتان .. ويرقص النهر طربا في عروق الارض وتتراجع الصحراء وتتوارى خجلا ، ويبقى على « الجزيرة » الورد والنخيل والقطن والقمح وخروف سمين وابتسامة حب .

قـالت :

ــ تذكرني بلوحة « عشتار تزور سد الفرات » للفنان فاتح المدرس. تؤكد نبوءة فناننا ان الهة الخصب والحب والجمال في حضارتنا القديمة « عشتار » ستزور قريبا نهر الفرات وضفتي الفرات ، وسيترك خفها الذهبي آثار خطواتها السحرية بعد ان تمشي على الطين الاحمر ، وستلمس بعصاها الذهبية سد الفرات فتحيله الى سد من الذهب الخالص .. وستمر بعرق اخضر على التراب الاحمر ويغور التراب وترتفع سنبلة وشجرة وزهرة ووجه يتفجر القا وعافية .

قــال :

ـ آه . . ليت الحلم يصحو ، وليت عشتار تعود الينا .

قــالت :

ـ وهل تحققت الامنية ولمست وجه الشمس . . ؟

قــال :

ـ انا . . ابدا . . كبرت . . وكبر النهر العظيم وكبرت الشمس وكبرت الامنية دون ان تملك قدمي الجرأة على السير خطوة فوق التيارات الرهيبة المغرية التي ستقدمني للشمس قربا منتشيا ملتهبا بالحياة والفرح والخلاص . .

قــالت :

ـ لانك بشر . اما عشتار فاظنها ستصل ، وستسير بخفيها الذهبيين فوق سطح النهر دون ان تخشى الموت .

قــال :

ـ اعرف . واتمنى . ولكنني كانسان اهفو الى المطلق وتقليد الآلهة لمعرفة الحقيقة .

قــالت :

ـ اظن ان الوصول الى الحقيقة يكلفنا حياتنا دائما .

قــال :

ـ وهل نملك الحياة حتى ندفعها ثمنا للحقيقة . . ؟

قــالت :

ـ لا اظن انك تكلمني من العالم الآخر . . !

قــال :

ـ تاكدي . . لم يبق مني الا هذا الجسد . .

ـ والروح !!

ـ ابدا . . انها نائمة في كهف بعيد ، كفتاة عربية شرقية محجبة حلوة

التقاطيع طويلة الضفائر خلية البال تنتظر ان تمتد اليها اليد المحبة لتوقظها من سبات فرضه عليها الزمان و المكان فحرمها من الحياة .

قـالت :

ـ ومع ذلك فانت تمارس الحياة .

ـ انت رهيبة . .

ـ بل انا عادية جدا .

ـ هل تعرفين بانني ارى الحقيقة في دروب لا يمشي عليها الناس ؟

ـ اعرف .

ـ هل تصدقين بان اروع لحظة في حياة رجل مثلي كانت لحظة غروب شمس احد الايام عن دمشق الحبيبة ، ولم تكن لحظة لقاء بامراة تعجبني ؟

ـ اصدق جدا .

ـ كنت في حالة راكب عادي في احد الباصات ، وفجاة بهرتني لحظة انفذ من السحر . غابت الشمس عن دمشق ، برقت اشعتها كحلم بين اوراق الشجر ورؤوس المآذن وسطوح البيوت وعلى زجاج النوافذ ، بدأت وانتهت برفة عين ، ففقدت نفسي وفقدت العالم الباهت الذي خلفته تلك اللحظة الباهرة . هل تصدقين بان تلك اللحظة الغريبة قد منحتني اقصى فرح يطمح اليه انسان ؟؟ وانها ظلت تلازمني في كل حالة ؟؟ عندما اتكلم في الهاتف او اكتب او اقرا او اغازل امراة او اتلقى خبرا سارا . . .

قـالت :

ـ . . . .

قال : هل تصدقين انني اسهر ليالي بطولها انتظر مطلع الشمس على سطح منزلي !!

قالت : . . . .

قـال :

ـ لماذا لا تتكلمين . . ؟

ـ انا أسمع .

ـ اقول تفاهات ربما . . . . !!

ـ هل يحملك التفاؤل على الظن بانني سأنكر عليك ذلك ..؟!

ضحك من اعماقه وقال :

ـ من انت ..؟

ـ انا انت .. ولكن في الجنس الآخر .

قال :

ـ عندما ادخل الاماكن الاثرية التاريخية اشعر برهبة .. واجد نفسي اقدم لها الطقوس والقرابين قبل ان ادخلها خاشعا . زرت ايوان كسرى فشعرت برهبة غريبة . هل تدركين معنى هذا السر في نفسي ؟!

ـ انا انت .. ولكن في الجنس الآخر .

قال :

ـ يخالجني شعور الرهبة هذا عندما اتحدث اليك .

قالت :

ـ ....

قال :

ـ تكلمي .. أريد ان اسمعك ..!

قالت :

ـ انا اتكلم .. لماذا لا تسمع الصمت ..!

قال :

ـ اسمعك .. واعيش انفاسك وكم اتمنى لو ارى الآن عينيك ..!!

ـ تريد ان ترى نفسك فيهما .

ـ ربما ..!!

قالت :

ـ انك تراهما من خلال الاثر .. انا اعتقد ان الانسان بعينيه وانفاسه وشفتيه ويديه وصوته ..

ـ تكلمي .. قولي اي شيء ..

ـ لم اسكت معك لحظة واحدة، حتى في لحظات صمتي كنت اتكلم..

وسوف اتكلم وانت معبب نفسك كنت تلعب بالحصى الملساء ، وفجاة تفجر الينبوع .. انه ينبوع . .تذكر .. وليس بئرا .

اذهب .. اهرب .. ولكن احدا غيرك لن يشرب من الينبوع لانه لا يتوق مثلك الى اللانهاية .. ولانه لم يعان تجربة التوق للسير الى الشمس فوق التيارات الرهيبة في سرير النهر العظيم الراحل نحو الشرق .

قال :

— ....

قالت :

— هذا الينبوع هو الجانب الآخر مني .

قال :

— انت انا .. ولكن في الجنس الآخر .

قالت :

— ......

قال :

— ساهرب .. الآن .

قالت :

— ......

قال :

— ارجوك .. دعيني اذهب .. ساعديني .. سكوتك رفض .

قالت :

— ان شارة اللانهاية تعذبني .. فانا لا املك يدي حتى تعيدك الى مكانك . لا استطيع ان احطم شعور الامتداد الذي ينمو في اعماقي نحوك بضربة صغيرة انيقة من عصا الامتثال للطلب .

ولكن صوتا رن في اذنه اولا ... ثم في اذنها ، يعلن الانتقال من اللانهاية الى النهاية .

ورغم تلك النهاية ، ستظل قطعة من دمشق التي يحبها اكثر مما

تحبها ابنة دمشق ، ستظل بين لانهاية ولانهــاية . ينــام في بيوتهـــا اناس سـعداء لم تقلقهم الى حد بعيد المشـاعر الانسانية المختلطة بارتجافات اللانهاية التي عاشـت في صدر مليون امراة ومليون رجل .

ليهرب .. لا فائدة .. لقد امتدت جذورها الى ترابه الاحمر،واشرابت اغصانها الى سمائه الزرقاء .

ورفعت كتفيها .. ونامت .

● ● ●

الشيطان ذو القرنين الفضيين

كتبت في يومياتها :

« تركت القلم ... وانضمت بهذه الحركة البسيطة اوراق جديدة الى يومياتي . وفي اليوم التالي ، وانا في جلسة خاصة مع نفسي اشوي يدي ووجهي وركبتي على حرارة الجمر المتوهج من « منقل » نحاسي عربي في ليلة باردة ، لمعت في ذهني فكرة ساخنة :

ما الذي يمنعني من البحث عن الوجه الآخر للصورة ؟ لماذا لا اتجاوز حدودي واقلب اوراقه السرية واقرأ ما لعله قد كتبه عن اللقاء الفكري الذي كان بيننا في جلسة عابرة ، والذي تم فيه صنع وجهي الصورة ؟ عندي وجه واحد للصورة سجلته في يومياتي ، ويختفي بين اوراقه الوجه الآخر ؟!..

ويفكر ذهني بالعامية وابتسم :

قالوا لكتير الغلبة نص الدنية الك ، قاللهن : والنص التاني لمين !؟!..

وعدت افكر واكتب على جوانب ذهني :

ــ ومن هنا انطلقت احاكي « كتير الغلبة » ، ولن اهتم لو اكتشفت بان الوجه الآخر للقمر مظلم ، لانني سوف احدق في العتمة الواسعة وانا على يقين بانني احدق في الموجود . واتساءل !! هل يعقل ان تكون اللحظة بيننا على مستوى واحد من النضج والقوة ؟!

ويرتد لي سؤالي ثم يعود لينطلق « مني ــ الي » من جديد دون ان يخامرني شعور بالغرور الساذج :

ترى هل تنطبق على صورتينا فكرة العامة عن الانسان الجيد:« وشك وقفاك متل ليرة الدهب » ؟!



الفنان نعيم اسماعيل ــ انطاكية

وقبل ان اقرا ما كتبه عني ، لم يكن معقولا ان انكر انه وجه الليرة الذهبية ، وربما اكون انا ظهرها .

الرجل وجه الليرة الذهبية والمرأة ظهرها، ويظل لليرة عندما نقلبها بين اناملنا وجهان من معدن واحد ثمين ، وصورتان من شكلين مختلفين . « هو » النقش و « هي » الطرة ، والفرق لا بد موجود . والقيمة الاكبر له، حقيقة لا بد من الاعتراف بها ،وسوف تؤكدها تجربتي ، تجربة الاطلاع على ما يكتبه الطرفان « هو وهي » عن لحظة لقاء فكرية واحدة في زمان واحد ومكان واحد .

كتبت انا في يومياتي عن لقائنا الفكري :

قلت وانا احييه :

ــ اين انت . . الا زلت غارقا في بحيرة الصمت ، البحيرة الهادئة التي لا تسبح فيها الاسماك ، ولا تتحرك حول شواطئها اوراق الاشجار ، ولا تنقنق في ليلها الضفادع الساهرة ، ولا تزقزق في صبحها العصافير النشيطة !..

قال :

ــ اذن فهي اشجار وعصافير واسماك وضفادع اصطناعية !!

ــ لا . . انها طبيعية كما تبدو لي ، ولكنها تصمت احتراما لصمت البحيرة . .

ــ الصمت معك اسلم .

ــ سوف تتغير الامور . . وسوف اضعك عند شواطيء الثرثرة ، وابدا بتعلم السباحة في بحيرة الصمت .

ويمر صمت . . ثم يتغلب عليه ويقول :

ــ ما هذا . . ارى انك عثرت اخيرا على زهرة البنفسج!!كنت ابحث لك عنها من بائع لبائع . . ولكن . . لا بنفسج . . لم ينزل البنفسج . . وسبقتني بالعثور على زهرتك المفضلة ، وحرمتني من متعة كنت انتظرها ثلاثة فصول طويلة .

ــ اتمنى لو يتحول ماء البحر الى لون البنفسج لاسبح فيه واصبح مطلية بلون البنفسج واتخلص من لونى . صحيح . . قل لي . . لماذا لم يوجد بين البشر ذوو العرق البنفسجي . .!!

ـــ حبك لهذا اللون كما يحلل شبنجلر الالوان يدل على شعورك بالتميز والارستقراطية . وقد قال شبنجلر عن الذهب انه لون العرب ، ويدل على تطلعهم الى عالم مثالي يودون صنعه لم يوجد بعد . كما فسر تطلع اوروبا للون الرمادي والازرق الداكن بالرغبة في البحث عن المجهول .

لاحظت ان حديثنا يتميز هذه المرة بالاضطراب وخاصة حديثي انا . وكان يمعن النظر الى وكأنه يكتشف جزءا من العالم الذهبي الذي يتطلع اليه العرب . وتجاهلت نظرته لانمتع من زاوية خفية بمزيد من دهشته ؛ ولاترك له حرية الاستغراق في النظر الي دون ان اقطعها بنظرة « الادراك » الواثقة بما يدور في اعماقه من ضعف الاستسلام للفكرة العاطفية الجديدة،القديمة.

واذكر انه قال :

ـــ هذا ما يميزك .. ان زوجتي لا تفهم ما اقول .

قلت :

ـــ اتعلم .. لقد اكتشفت الآن انني اتاثر بالكلمة التي تطري ذهني وتفكيري ، وكأنها كلمة غزل حارة تطري جمالي . واشعر الآن ان وجهي قد احمر .

لقد تطور مفهوم الانوثة عندي وتطور عندك على مستوى واحد وبدرجة واحدة . ومن هنا تبدأ الكارثة ، كارثة من تعيش في مجتمع يرى رجاله في « المرأة الانثى » ساقا جميلة متناسقة وراسا جميلا مزخرفا بلا حشو .

اما انت ..!! ما الفائدة !! لقد غدرت بي قبل ان تعرفني ، والتصقت براس مزخرف مطلي بماء الذهب المزيف دون ان تصبر على الزمن حتى يعطيك « الكلمة الانثى » .

لا باس .. انت صديق .. وسوف انتظر الزمن المقبل لارى كيف ستكبر صورة صديقي .

ـــ لن اكون شيئاً .

ـــ ستصبح شيئا كبيرا . اما انا فسوف تجرني انوثتي الغالبة وامومتي الراكدة عندما تسيل ، الى صورة عادية تحاكي صور بقية النساء . رأس مزخرف وبطن منفوخ وذهن مشغول بتدبير امور الرز والسمن واللحم والبقدونس والمازوت . وملل يرسم بامانة تجاعيد البشرة التي لا تخفي

تحتها الا صدى الماضي الفتي ابدا « الكلمة الانثى » وصوت الحاضر البليد « المراة الانثى » .

ــ اخاف من الجدب والتوقف والنضوب .

ــ لا يمكن ان تنضب لانك لا تتوقف مثلي عن تناول طعامك اليومي . انت تتغذى لا عن جوع محسب بل عن تخطيط. ولا بد ان تستمر فترة طويلة قبل ان تستسلم للموت الفعلي الذي سيقتله خلودك الفني .

ــ فترة الجدب الصغيرة عانيتها واخاف ان تستطيل كدكان لعب الاطفال في العيد تتجاوز الباب وتستاثر بالرصيف .

ــ لا يمكن . . والمقارنة غير صحيحة . استطالة الجدب عندكنهاية. وامتداد دكان اللعب رغبة شرهة في حياة أطول .

ــ مرة ثانية عندما اواجهك اشعر برغبة في العودة الى بحيرتي ، لو صحت تسميتك .

ــ مرة ثانية ، بحيرتك ستصبح بحيرتي، ولن ادعك تصمت بعد الآن، حتى اسد بيدي ثغرة خساراتي السابقة ، وانقذ مدينتي النامية من طوفان صمتك ، بأنانيتي ، لا بتضحيتي . اريد ان اروي بطوفان كلماتك جدران نفسي العطشى . فعندما تتكلم اجد نفسي ، وأتاكد انني لست مجنونة . ولان لوني المفضل في رايك ، هو شعور بالتميز غير المغرور ، لا دليل « الانانية » كما يؤكد لي رجل آخر يبحث عن راس مزخرف بشعر مستعار ميت ، لانك تعتقد بذلك وتفهم حقيقتي فانا لن اسكت عن صمتك وساسكت عندما تتكلم » .

توهجت الغرفة . . وذهب قبل ان ينتهي فنجان القهوة .

وكتب « هو » في دفتر مذكراته عن اللحظة الفكرية نفسها فكان كلامه شيئا خاصا حلق باللحظة الى وجه الليرة الذهب :

« رائع الجمال كان هذا الشيطان الصغير الذي يقف بيني وبينهما . اشقر الشعر في قرنيه النديين تتجمع اشعة الشمس الفضية ، وزرقة البحار البعيدة في عينيه ، وعلى بشرته الخارقة لون الورد والذهب .

ــ كيف هي بحيرة الصمت ، قالت لي . . .

انتقلت ببلادة الى بحيرة سحرية يظللها الصفصاف وتصورت جسدين

بين الاسماك والطحالب يختصران اسرار الخلق . كنت انظر الى الفراغ واسمع حديث ظل وقع على الجدار عندما سألتني :

ــ وكيف رايتهما . .؟!!

كان الخبيث هذا الشيطان الصغير ما يزال يهمس في اذنها يحكي لها عن كل ما اتصوره بالاسلوب الذي يحلو له . ها هو يخونني الملعون شأنه في كل مرة . لقد اشتريت له اللعبواطعمته الشوكولاته كي لا ينقلتصوراتي لاحد ولكنه ما ان يعطب اللعب ويشبع من الشوكولاتة حتى ينسى ان شرطا كان قد قام بيننا . . ويحكي ما يجوز وما لا يجوز ويزيد ويحرف ويصيغ الكلمات والعبارات كما يشاء . انه شاعر نبت هو والشعر في حبة واحدة .

وطالت الهمسات بينها وبين الشيطان الصغير واخذت تتلمس قرنيه الفضيين وخصلات شعره الاشقر بوجد عجيب اثار في غيرة لا حد لها حتى كدت اختنق ، واندفعت لاتطع عليهما هذه النشوة :

ــ ان ما اقوله لك لا يمكنني ان اقوله لانسان آخر . لكان هذا الكلام خصص لك انت وحدك اتعلمين ذلك ؟

علا وجنتيها الاحمر وتناثرت على البحيرة زهرات لا عداد لها من الليلك والبنفسج . وفجاة انتقل الي الشيطان ذو القرنين الفضيين وقال لي مداعبا :

ــ انت اطعمتني الشوكولاتة هذا الصباح .

ــ ابعد عني ايها الملعون قلت ، فانا لم اعد اصدقك ، ثم ادرت له اذني وهمس :

ــ . . . . وكانت الاميرة في شرفتها المرصعة بالصدف والياقوت ترقب من بعيد عازف الناي وهو يتجول بين اشجار الصفصاف وتستمعاليه ودفء غريب يملأ صدرها الى ان . . .

قاطعته :

ــ وهل طلبت منك ان تحكي الحكايا يا عفريت ؟ اذهب عني .

وامسكت بانفه الصغير لئلا يذهب . . لقد كان في نبرة صوته جاذبية وحرارة . .

ــ انت اشتريت لي اللعب الجميلة هذا الصباح . . .

قال ...

ثم تابع همساته :

ــ وكانت الارض قطعة من اللهيب ومجموعة من البراكين عندما انفصلت عن امها الشمس ...

دفعته عني . لقد كان يضحك علي . ابتعد وعانقها وهي تلقي الي نظرة كدت الا افهمها لولا انني تذكرت مشاهد بزوغ الشمس على طريق قريتي .

قالت :

ــ انني انثى .. اولا واخيرا .
ولم اعد اشعر بعدها بالغيرة » .

★ ★ ★

خف وهج الحرارة ... وعدت احرك الجمر وازيل الرماد بعود صغير ... وابتسم . الآن تاكدت بان العقل يعشق . انني اعشق عقله . انني اعشق الوجه الآخر لليرة الذهب .

● ● ●

قشة الدوامة

« الفيلسوف كما يقولون لا يخاف الموت ، وانا اقول : الفيلسوف لا يخاف الحياة ، لان الحي مهدد في كل لحظة بالموت بالاضافة الى شقاء الحياة نفسها » .

كلمة قالها احد الاصدقاء ومضى . وقبل ان يمضي سألني عن سري فقلت :

ــ نعم .. لقد اصبحت المرآة تطالعني بافضل صورة من صوري الماضية ، التي كنت تعرفها ، وذلك لانني اكتشفت سر الخلاص ، وغدوت قشة صغيرة واقعة في دوامة العبث ، تدور وتعي هذا الدوران اللامجدي الابدي . عرفت ان لا شيء حقيقي وان لا سبيل الى الوصول لحل . فنحن في كل لحظة اسرى تهديد الموت والآخرين . نحن رموش تهتز رعبا من هذا المصير ، الموت والآخرين . فنسيت الموت لبرهة قصيرة لا تتعدى سنوات عمري الكاملة ، واحببت الحياة كما هي ووضعت الآخرين خارج قوسي . لا شيء .. ابدا .. لا انسان يأخذني كلية . له الجزء والباقي لي .. للايام التي سوف يغدرني بها ويرحل . وسأظل واقفة من دونه ولن اقع ، فقد بقيت لي نفسي عمودا من المرمر الاصيل .

وهم كبير مضحك ان نحب انسانا ونموت في سبيله وحده من اول الدرب حتى آخره . فالحياة تقدم لنا في كل يوم « انا » جديدة واهدافا جديدة سينتهي امامها رفيق الدرب الذي كنا نصلي له امس ، ان لم يسبقنا اليوم « بأناه » ، باهدافه .



الفنان عفيف بهنسي — دمشق

انا كالنبتة .. انمو .. وغدا سازدهر .. وعلى « رجلي » ان يحافظ علي بمحافظته على نفسه في قناعتي . عليه ان ينمو مثلي ، بل اكثر ، لاني امراة ضعيفة تريد عندما تزداد قوة ان تقتل « ضعفها القوي » بوجود رجل قوي الى جانبها لا يضعف يؤكد ضعفها ويحمي هذا الضعف الانثوي الجديد من ان يتغير ويصبح معافى وبصحة جيدة . يجب ان تظل المسافة دائما واحدة بينهما عندما يستطيل الزمن ويمتد ، وعليهما ان يحافظا على ايقاع سرعة الخطوات ، والا فان المسافة ستكبر ويصبح بقاؤنا في قلوبنا صعبا ، ويقترب احتمال انطفاء الصورة الغالية المقابلة التي كانت تحمل وهما فكرة المثالية .

ساحب انسانا يحب امراة تمشي ولا تتوقف عند الانثى فيها .. عند الام .. وعند الحبيبة ، وعند الضعيفة .

ما نعرفه يقتلني ، وما لا نعرفه يفتح الورد الاحمر في شراييني ويلهب الفكر الازرق في راسي ، ويدفعني للخروج من الفرد « الانا » الى المجموع « البشرية » ،كي احيا من خلالها ، واسهم في تنمية الحس العام بالحياة فيها . ساحب انسانا يحب في هذا التوق للنمو .

لن اخاف الموت ولن أخاف الحياة .. فانا لست فيلسوفة اذن ، ولست امراة عابرة . ساتصرف بطريقة مغايرة .

ساقهر الموت بحبي للحياة ، وساحيا عبر الموت وبعده كما حييت واحيا قبله . سانتصر بفكرة الحياة عن طريق طفلي وشيء آخر . ساعيش غدا في طفلي وساعيش على رف مكتبة في كتاب صغير .. ربما !! من يبحث عني يجدني ، يلمسني ، يراني ، يحبني ، يكرهني ، يتحدث الي ، ويسمع نبرات صوتي الحية رغم آلاف السنين التي سوف تمر على ترابي .

الموت امامنا !!

لا ...

الحياة امامنا .. لاننا نحبها ، لاننا نحب انفسنا ونحب جنسنا . وسيتحرك الذين ماتوا على سطح الكرة باشكال وصور متجددة فيها شيء

كثير من ملامح الذين رحلوا . وسوف تنتشر افكارهم عبر تموجات الزمن ان قدر لها ان تكتب او تسجل او تقال يوما ، تماما كانتشار الصوت في الطبيعة . قد يبتعد الصوت عنا ، ولكنه موجود في الطبيعة ، وعندما نتمكن من تحسين قوانا السمعية سوف تتحقق امامنا بصورة مادية نبوءة لافوازييه ، وسوف ينتفي الموت بصورة اكيدة ، لانه لا شيء يولد في الطبيعة ولا شيء يفنى .

نعم ايها الصديق . ارتدت لي عافيتي عندما بلغت هذه المرحلة من القدرة على الفهم . انها مرحلة خلاصي ، فانا في العالم ، وانا في برج المراقبة ، والعالم يتحرك تحت انظاري . انا معلقة في الهواء ومن الصعب جدا ان يتذوقني الثعلب وسيقول عني بكبرياء مكشوف مزور :

انها مرة !!

ولكني حلوة وصعبة المنال وبعيدة . فانا قشة الدوامة التي تدور وتعرف انها تدور . انا انسان جديد ياكل الخبز والزيتون ويتغذى من الكلمة الحلوة الذكية ويرفض انصاف الحلول ، وتاسره الاسر كله عفوية سائق العربة الساذج الطيب ، ويحذر غدر الآخرين ، يعطيهم ظهره ولا يسمح لهم بدفعه الى فم الهاوية ، ويعي ايضا كونه انسانا ينتمي الى كامو .

كامو .. هو انا .. ولم يمت كامو . من يبحث عنه يجده حتى في قلب افريقيا وراس القطب وصدر الهند واطراف الجزيرة العربية .

فهل سافعل في غدي ما يبرر انتمائي الى كامو؟ وهل ساكتشف لمن معي الآن ولمن سياتي بعدي عن سر جديد من اسرار النفس « الغريبة » يجعل الصور الجديدة لنا على الارض توكد غدا للاجيال من بعدها صارخة بصوت واحد : نحن ننتمي اليها ..!؟

وضحكت .. فكرة فيها كثير من الغرور المضحك ..!! وقفزت قطتي .. وتذكرت .. تذكرت من انا الآن .. تذكرت لماذا بدات الكتابة . قال لي انه سياتي .. وبدات انتظر . مر الزمن .. وبلغت الصفحة الخامسة ولم يحضر وخفت ان تنتهي لحظات الانتظار قبل ان انتهي من الكلام ، لان حضوره سيجعلني اسكت لاسمع .

لم يحضر ، لا بأس . كنت اعيش . غيابه يعذبني وحضوره يجعلني اسكر من كثرة الشبع .

الجوع هو ضالتي . لم يحضر !! ليكن . ان الجانب الآخر في جاهز . في غيابه احيا واسجل على الورق شيئا من نفسي التي ستنام باطمئنان يوما على رف مكتبة .

وعندما يحضر بشكل نهائي ، سامنح الحياة طفلا يحمل صورتي وصورته ودمي ودمه .

وبه وحده . في حضوره وفي غيابه ساظل حية رغم رقم جديد يدق على بابي يعلن لي تفتح زهرة عام جديد على اغصاني .

• • •

لعبة التناقض المريرة

بالحب يحيا الانسان وبالخبز .

والانسان في صورتيه المراة والرجل يعطي الحب وياخذه ، وتتفجر طاقاته الانسانية المبدعة عندما تلامس شفاه الحب حياته فتحيل رمادها الى تراب احمر تتحرك في احشائه قوة الحياة .

الحب قوة الهية تخترق الانسان الى الانسان والى الاشياء فتصنع حياة الانسان ، تصنع الطفل ، وترسم لوحة جديدة ملونة بالوان قوس قزح للطبيعة وللوجود . ان حياة الانسان بلا حب موت بطيء للانسان . وان حياة التراب الاحمر دون حب النبات لهذا التراب الاحمر هو ايضا موت للطبيعة .

الحب .. انني احب تسلطه علينا ، واكره ان نموت الا تحت سياطه وقبلاته . فانا اؤمن بان في الحب الحياة وفي الحب الفناء . وحبة القمح السمينة لا تملك علينا ما يملكه الحب . قد ناكل حبة البطاطا ان اكلت الدجاجة حبة القمح لتقدم لنا بكل حب واخلاص ذرية لا تنقطع من اسرة الدجاج . ولكن ماذا ناكل لو التهمت الصدفة السيئة عواطفنا ، وابتلع المستحيل رغباتنا ، ماذا ناكل ؟ والطعام في ايدينا احيانا وفي داخلنا محرم علينا ، لا نستطيع ان نقول كلمتنا ولا نملك حتى ان نسمع كلمة الآخرين .

ماذا ناكل .. ولماذا يلعب الحب لعبة التناقض المريرة ، ولماذا ينتشر هذا التوزيع غير العادل بين القلوب ؟؟

اسئلة لن نجد وراءها اكثر من دموع انثوية صامتة يبتلعها القطن الطري تحت الرؤوس الجميلة في الظلام ، وحلقات من الدخان تسافر معها الى المجهول انفاس الخيبة وتنهدات الصدور المجروحة ، ويتناثر فيها رماد الاعصاب المحترقة .

رجال ونساء .. المائدة امامنا وكتب علينا في « اللوح المحفوظ » ان



الفنان يوسف أيوبي — دمشق

لا ناكل الا باذن . لسنا في حالة شلل او جبن او ضعف ارادة او قصور عاطفة ، ابدا ، بل نحن امام الواقع الذي يحمل في احشائه ضرورة التناقض. لك قلب وممنوع ان تحب . انت تحب هذه الانسانة ولكنها تحب انسانا غيرك قد يكون هو بدوره متيما بحب انسانة لا تدري بعذاب قلبه . والله يعلم ما يجري في قلب من تحبك .

ما رسمته لنا حياتنا هو غير ما نريده ونتمناه ، فارادة الحياة اقوى واكثر اهمية .

وافكر احيانا ، لو التقى المحبون كلهم على الارض ، في ارض واحدة ، لمالت الكرة الارضية ورمت الى الفضاء بثقلها الانساني الحقيقي المشبع بالحب والخير والجمال والحقيقة ، لان الحياة كما ارى تأخذ توازنها من التناقض ما دمنا نعيش هنا على سطح الكرة الانسانية .

قال لها يوما :

ــ في كل يوم اكتشف في قلبك حبا جديدا ، اليوم تحبين « الصوص الاصفر » وامس قلت لنا : احب قطتي الرمادية الصغيرة التي لا تتعب من اللعب ، وقبل ايام اذكر كلماتك : « اشعر بان قلبي يرف لارتعاشة ورق نباتات حوض النافذة » وغيوم الشتاء الداكن تفتح ينابيع نفسك وتلهب عواطفك وتنشط ذهنك تماما كما يحس الناس في غوطة دمشق في الربيع ، ودقات حبات المطر على نافذتك في ليلة مطيرة تسرق النوم من عينيك ، وابتسامة طفل في حضن امه تركب الى جانبك في باص ، تنعكس على وجهك وتستدعي ابتسامتك ، والرجل المجهول الذي تحلمين به ، تزرع صورته « المجهولة » في عينيك وضحكتك وحروفك المنغمة ، الامل الفضي ، ويمنحك قوة اللامبالاة بقلوب المحبين المعذبين بصمت ، والاصدقاء الحقيقيون لهم في قلبك زوايا مضيئة حية تشع منها حرارة الصداقة . ما هذا كله .. انا لا افهم .. اي قلب قلبك ..؟!

ردت :

ــ انا احب الآخرين لانني ارى فيهم نفسي ، وما اتوق ان تكون عليه نفسي المقبلة .

انا اختصر الزمن واقفز الى الكمال عن طريق الحب الموجود في نفسي قبل ان اوجد .

انا انسانة انانية احمل السلة في يدي والملم صورتي من الناس ومن الطبيعة ومن الحوادث ومن الاشياء . انا نرجسية ، تماما كما تقول انت عني . في كل يوم انظر الى « البحرة » العربية الصغيرة في صحن بيتنا

العربي ، وابتسم ، ثم ابتعد . واحاول في اليوم التالي ان اكتشف اكثر مما اكتشف نرسيس في صورته ، احاول البحث عن حقائق جديدة في صورتي هي نفسها الحقـــائق الجميلة التي اختطفها كالشوحـــة من الآخرين الذين احبهم .

الآخرون هم جنتي ، وليسوا الجحيم .

الآخرون معي اينما كنت ، والاشياء في كياني مهما تحركت . انـــا كالاسفنجة البحرية ، امتص العالم واعيد اليه نفسه عندما يعتصرني .

هل تصدق بانني احس احساس نرسيس بشكل مغاير . نرسيس انسان ساذج احب نفسه فمات ، ثم تحول الى زهرة نرجس . اما انـا فاحب في صورتي ميزات الآخرين التي امتصتها بشرتي مع الزمن . ولذا فانا لن انتحر لانني لا احب للآخرين ان يموتوا .

انظر الـــى صورتي ، عفوا ، انظر اليهم واقفز الى المـــاء من شدة اعجابي ، واسبح ، شعوري هو شعور زهرة لوتس ذكية تطفو على سطح الماء وترفض ان تموت بغباء قبل أن تشبع من الحياة ، فتركب ظهر موجـــة جديدة تتدفق الى شـاطيء النبع ، لتعيد رسم نفسـها الجديدة من الارض وتعود لترى صورتها في النبع الاكثر تكاملا وجمالا .

لن اقتنع ولن اتوقف ، وساحب عطـــاء الحياة لي ، فالحب يغـذي تـــكاملي .

ولكن ماذا ناكل لو التهمت الصدفة السيئة عواطفنا وامتص المستحيل رحيق مشـاعرنا ، وابتلع الخوف من الغد المجهول آمالنـــا بحب اكثر نموا واكثر امتدادا في اسرة الانسان .

اعود فاقول : فلتاكل الدجاجة رغيفي الاسمر ، ولكنني لن اسمح لاحد بحرماني من طعامي كانسـانة ، ولن اتأخر عن تقديم قلبي للانســـان وللطبيعة وللكائنات الحية وللاشياء . لرجلي ، للجبـــل والنهر والسماء والارض والبنفسجة والياسمينة والقطة والفراشة والطفل والاصــدقاء والصديقات ، للضيعة وللمدينة ، لن اتاخر ابدا عن تقديم قلبي على طبق من ذهب للناس الطيبين كلهم وللاشياء الجميلة كلها .

فلياكلوا قلبي لانه من طعام الحياة .

وقـــال :

— اسمعي .. اريد ان اعرف ، من انا ، وماذا اشـــكل في صورتك الحالية .

— انت .. انت في يد لعبة التناقض المريرة .

— ضائع تعنين .. تائه في دوامة اللعبة !؟

— بل في الجانب الذي يمنح الحيـــاة التوازن ويمنحني اللهفة نحو اناي المقبلة . في الجانب الذي انظر فيه الى مرآة النبع وابتسم لصورتي .

— انت نرجسية .. لا تحبين احدا .

— نعم .. انا نرجسية ، لانني احب صورة الانســان وصورة الوجود فيملامحي ووجودي .

— اتحبينني ...؟
— انت صديق ... عزيز كالصديقة ...

— وقلبك ؟

— لرجلي ..

— من هو . .اريد ان اعرفه ..! ان ارى صورته ..!

— انظر الى ملامحي .

— ارجوك .. لا تقفي معه في نقطة واحدة لحظة طويلة لانني واثق من ان الارض ستميل .. قولي لرجلك .. قولي له في يوم من الايام ، انه كان سببا في وقوع واحد من الناس في يد لعبة التناقض المريرة .

● ● ●

مع السلامة أيها الأمير

دمعة تنحدر الى اعماقي اثر دمعة .

نجاة احسست باهمية وجوده بيننا .. ولاول مرة اشعر بالحسد والغبطة بالالم والرضى بالمشرق والمغرب معا. الم يعتصر قلبي وقلب المشرق لرحيله ، وفرح يطير بقلبي وبقلب المغرب لقدومه .. عمانا في مطار دمشق ومطار الجزائر .. في نقطة الوداع وفي نقطة الاستقبال .

لا تاخذوه ... انه لنا ..!!

بل خذوه ... انه لكم ..!!

لهم او لنا ... لست ادري ..!!

ولكنني خلال الاحتفالات الكبيرة هنا وهناك ، ورغم لحظة تعانق العلمين العربيين الجزائري والسوري على جثمان البطل العربي العظيم.. ما زلت عاجزة عن تفسير معنى الدموع الخفية المرتجفة المتواربة خلف تاريخية الحدث .

ويظل قلبي الصغير اصغر من مستوى الحدث ، يظل انانيا وفرديا ، ولا استطيع ان انظاهر او انكر انني ما تألمت كثيرا لدمشق تخسر ربحا سجله التاريخ باسمها منذ ثمانين سنة . انني افكر بطريقة ساذجة في حالات الانفعال . « غانا » نصف سورية نصف جزائرية . ابي من الشام وامي من الجزائر .. ابي من المشرق وامي من المغرب .. ارضي هنا وأرضي هناك .. فالى ايهما انتمي ..! هل الحق اخوالي او اتبع اعمامي!! او اظل سؤالا يتأرجح بين نقطتين عربيتين ، سؤالا وضعته ثورة ثائر ورحلة



ثائر من المغرب الى المشرق . . !!؟ ام ان السؤال قد استرد جوابه الآن بعد ان غدت النقطتان المشرقية والمغربية نقطة واحدة ، واصبحت كل من الجزائرية والسورية « في » عربية !!؟ ام انني كنت في الاصل « واحدة » ثم تبعثرت اكثر من واحدة ، ثم عدت الآن « واحدة » . . !!؟

ترى هل لي ان افرح . . وهل زالت التفاصيل الصغيرة في التاريخ العربي لنصل الى مرحلة عالية من التجريد العربي ان جاز التعبير . . !؟

لقد منحني الحدث الكبير الجراة على التساؤل . . ونجح اللقاء العربي الجزائري السوري في وضعنا امام فكرة « العربي » المجرد مجسدا في اسم الامير الثائر عبد القادر الجزائري .

اتى الامير من الجزائر الى الشام على متون الامواج .

وعاد الامير من الشام الى الجزائر على متون الرياح .

اتى بجسده وعقله وقلبه ، وان ظل عقله وقلبه يهفوان الى ساحات امجاده وثوراته ، ويرنوان الى السهول والجبال التي شهدت صولاته على الدخيل الغاصب وجولاته .

وعلى الاثير . . عاد الثائرون المنتصرون برفاته . ولا اشك ابدا بان كل عاصمة عربية رفعت قلبها وعقلها تتطلع الى الطائرة التي حملت رفاته، لهفة وشوقا واملا في ان تكون هي صاحبة الحظ الكبير باحتضانها .

لمن البطل . . !؟

لدمشق . . للجزائر . . للقاهرة . . لبغداد . . لصنعاء . . لحيفا . . لبيروت . . لعمان . . لمكة المكرمة . . لتونس . . للخرطوم . . للدار البيضاء . . لطرابلس . . للكويت . . لمن . . ! لمن . . !؟

وامسح دمعة . . وتطفر دمعة . . ويأخذني شعور ويعيدني عقل .

اهل الشام . . والمغاربة . . في الشام . . كالذي يبكي في « عرس » يبكي ولا يدري لماذا يبكي في مناسبة سعيدة!! والمصلون في الجامع الاموي . . يطلبون الرحمة للامير .

لقد رحل الامير .. واهتز قبر الشيخ محيي الدين بن عربي مودعا البطل . واهتزت قبور الاجداد من المغاربة الثوار الذين رافقوا الامير في رحلته الى بلاد الشام .

ويسير احفادهم الآن رافعي الرؤوس لقد ثاروا للبطل من فرنسا وعادت الجزائر حرة ..

وسينام ابن الجزائر الثائر الاول في الجزائر الحرة .

واسأل امي الحبيبة وتقول :

— يا بنتي .. لا اذكر .. وكل ما اعرفه عن تاريخ رحيل اسرتي والاسر الجزائرية الاخرى مع الامير الى الشام هو ما قالته لي امي ..

— ما الذي قالته « ستي » يا امي ..؟

— قالت ان « ستي » ام امي قد ولدتها امها على ظهر الباخرة التي حملت « المغاربة » الى الشام التي اختارها الامير . واستوطن المغاربة حي « السويقة » وحي « الميدان » في مدينة دمشق .

— هل تتمنين يا امي العودة الى الجزائر الآن ؟

— يا ابنتي .. انا احب الجزائر وافرح بحريتها ويقولون انها من اجمل بلاد الدنيا ولكنني احب الشام كثيرا ، عشت فيها واريد ان اموت فيها الى جانب امي وابي .

يا ابنتي .. في عروقي دم جزائري ولكن جذوري في ارض الشام امتدت ومن فرات « بردى » نهلت وارتوت ، واصبح من الصعب اقتلاعها .

— ايهما احب اليك يا امي .. الجزائر ام الشام ..؟

— كانك تسألين اي اولادك احب الى قلبك ؟ الجواب مستحيل .

— لماذا لم تخرجي لوداع الامير يا امي ..؟

ــ لا استطيع .. فانا ابكي بصمت . لماذا سمحت سورية بنقل رفاته ؟ لقد تجاوزت سورية وصيته بدفنه في الشام ولم يسأله احد رأيه .

ــ يا امي الرجل رمز لقضية امته .. والامير عبد القادر الجزائري رمز للتضية العربية وللوحدة العربية والامور لا تناقش بمثل هذا المنطق ، والانسان العظيم ملك لامته ...

ــ لا فائدة من اقتناعي يا ابنتي .. فانا ابكي . .ولا املك الا كلمة واحدة اقولها له :

مع السلامة يا امير .

● ● ●

زهرة الليلك

زهرة الليلك .. تعلو الآن مـــع الموجة وتهبط ، تطلو وتغـوص بين عقله وقلبه ، تحاول ان تركن الى مصير في البحر ، بحر اللانهائية او بحر نفسـه لا فرق بين البحرين .

ترى هل سيكون هذا الشتاء الغني بالمفاجآت صادقا بعطائه ؟! وبدات يده تمتد شيئا فشيئا الى الزهرة ، ورجفة الشك في عروقـه تتبعها هزة اليقين تنوس بكيانه بين نعم ولا ، بين حقيقة ووهم ، بين جد ولعب ، بـين زهرة طبيعية وزهرة اصطناعية ، بين زهرة ولا زهرة .

ترى هل يعقل ان تكون زهرة الليلك هذه زهرة طبيعية رغم هـــذا الشتاء ..!! وهل يزهر الليلك في غير الصيف ..!! ام انها زهرة اصطناعية تغريه على البعد فاذا ما اقترب نفرت منها العين وارتدت عنها النفس !!

انه لا يحب الزهور الاصطناعية ابدا ابدا ، لقد مر من سوق الحميدية اكثر من مرة وراى بعينيه العربات الخشبية الصغيرة يجرها انسان فقير وقد تكدست فوقها بلا ذوق ولا ترتيب انواع الازهـار الاصطناعية كلها . قلدوا البنفسج والليلك والورد والفل والياسمين والقرنفـل وورق الهوا وورق الليمون ، ولكنهم بهذه الطريقة السانجة اكدوا وجود الاله .

لا .. لا يمكن ان تكون زهرته المفضلة زهرة اصطناعية ، انهـا طبيعية رغم زخات المطر الخفيفة على ساحل البحر .. ورغم الثلوج التي تغطي راس « الاقرع » .

زهرة الليلك يكاد يشم من رائحتها رائحة حبيبته ، ومن لون ورقهـا



الفنان مروان شاهين ـ حمص

الليلكي النادر يكاد ينطق خفر حبيبته ، حتى شعور حبيبته هو في احساسه شعور ليلكي .

وراح يحلم .. والموجات العارمة في البحر تتحول الى صور انسانية متحركة . ليته يغرق ويختنق وحبيبته في بحر بلون الليلك ويصبح الموت شهيا ليلكيا .

يقولون فلانة دمها ازرق ..!! ولو علموا بان دم حبيبته بلون الليلك لانتحر عند شريانها كل نبيلات التاريخ .

ترك الحبيبة والعيد في دمشق وانطلق الى البحر في اللاذقية. وازدادت دهشته ، مرة جديدة يواجه ما كان يهرب منه ، وبدأ يرى البحر واحراش الفرلق وجبال كسب ووادي البسيط بلون شعور الحبيبة الغالية في دمشق.

ضحك اصدقاؤه :

— هل سمعت بعمى الالوان !! يا أخينا البحر ازرق .. والغابة خضراء .. والارض ترابية رملية والله رملية ، والافق يمتص احمراره من الشمس الراحلة ..!!

وظلت زهرة الليلك تصعد وتهبط مع الموجة . وضحك الاصدقاء :

— يا اخينا .. سمكة .. والله سمكة .. وبما ان السمكة ليست زهرة ، وبما ان السمكة ليست ليلكية ، وبما ان الازهار لا تسبح كالاسماك وليس لها زعانف ، وللادلة المنطقية والاثباتات المادية المذكورة اعلاه.. فانت مصاب بقصر النظر !!

وظلت زهرة الليلك تتارجح ، تلوح له بحياء من بعيد .. تظهر وتختفي كجنية البحر ، فقرر ان يمشي اليها ولو تحولت اليابسة الى بحر يبتلع كل من يتحداه بقدمين مغرورتين . واقسم ان تكون زهرة الليلك في هذا الشتاء القاسي له وحده دون الآخرين .

هذا يراها سمكة وآخر يظنها زجاجة فارغة طافية ، وثالث لا يراها ابدا ، ورابع يعتقد انها وردة برية حمراء افريقية شرسة متوحشة تبتلع كل من يقترب منها . اما هو فعلى يقين من انها زهرة الليلك الطبيعية التي زرعتها يد طيبة فنانة في يوم من الايام في حوض من احواض بيت شامي عتيق ،

كثيرا ما كانت تلعب باوراقه الخضر الصغيرة قطة حلوة لعوب هي تـــارة قطة وتارة نمرة .

وكبرت النبتة مع الايام وغدت شجرة الليلك عروس البيت تظللـــه وتعطره بالطيب والبهجة .

اخذت شجرة الليلك من بردى عذوبته ومن المـــاضي عطره الدسم الآسر كالعنبر ، واخذت عن القطة لين انسيابها ومن النمرة فيها شراستها وحذرها وشوكهـــا وسطوتها على النفس ، واخذت من خـــدود الجدات « الشابات » الحياء الليلكي .

يذكر الآن . . . عندما كان يمر امام بيت الحبيبة وهي طفلة صغيرة . . وينظر دون ان يرفع رأســه الى جدار بيتها العالي ، يذكر ان ابتســامته كانت اقوى من وقاره وقوة ارادته، وانه كان يتنهد فتهرع اليه رائحة زهرة شجرة الليلك في بيتهم ، تأبى الا ان تنام في صدره بين ذرات رئتيه وفي سويداء قلبه

قصة قديمة قديمة . . عتيقة عتيقة . . تعيش في العيون وفيما وراء العيون وبين الصدور ، شاء لها القدر ان تنفجر الآن وبعد عشرين ســـنة وتعلن نهاية الصمت شلالا هادرا من الحب المتكامل .

وعهد اخذه على نفســه على شاطيء البحر ، ان تكون حبيبته له في هذا الصيف ، ولن ينتظر رايها فهو لم يتعود ان يطلب الاشياء ، التي يحبها ، انه يأخذها مرة واحدة والى الابد .

وسوف يعد لحبيبته مفاجأة عندما يزهر الليلك في الصيف القادم .

ولم يبق بـــين زهرة الوهم الشتوية وزهرة الحقيقة الصيفيـــة الا ربيع واحد .

وســاله احد الاصدقاء بفضول بدا يتحول الى اهتمام :

— قل . . من هي . . ما اسمها . . ؟!

ولم يجب . . كانوا في طريق العودة الى دمشق . ومن وراء راديـــو السيارة اجاب عنه صوت فيروز :

لا تسالوني مـــا اسـمه حبيبي اخشى عليـكم ضـوعة الطيوب

والله لـــو بحت بـــأي حرف تكـدس الليلك في الــــدروب

اما هي .. فكانت في دمشـق تنتظر عودته ، شـاردة تائهة .. انتهى عندها الكلام وانتشر في روحها الصمت الكبير .

التمت حولها ثلاث صديقات ذكيات .. صمتها يفرض عليهن الصمت. توارى السـؤال خلف الشـفاه . واشـتعل في العيون . من هو .؟ من هو .؟ من هو ...؟؟!!

وفتحت احداهن اوراق الصديقة الغالية الصـــامتة لتقرا الجواب . فقرات كلمات كبيرة ترمز الى حادث كبير قد وقع في قلب صـاحبة الاوراق الليلكية . كتبت عنـــه وعن نفسـها وكأنها تكتب عن رجل وامراة قصـــة حياتية :

عينان تبحثان عن المصير الانسـاني بعذاب دونه عذاب الضمير . هو في هم دائم . كان يضـع امامه اهدافا صـغيرة ليبرر وجوده ويقاتل في سـبيلها، وعندما يمسـكها تفقد معناها ويكتشـف عجزها عن منحه الخلاص .

وتتارجح الحياة امامه من جديد تارجح صبية لاهيـــة بقلب حبيبها ، تدفع الارض بقدمها وتطلب القمة ، تنشد في عينيه تفسـيرا جديدا ، تتماوج اصداء ضحكتها في اعماقه تماوج الحلقات المائية في بحيرة راكدة بعد وقوع حصاة ملونة فيها .

ويمسك السيجارة ورجفة القلق في انامله تداعبها ، وجمر الحـيرة يلاحقها حتى شـفتيه .

الحياة تناديه .. تلح بالسـؤال .. بماذا يجيب ..؟

لا بد من انتصـارات جديدة في قلوب الآخرين ونفوسـهم وعقولهم لا بد .

ولكن الانتصـار الجديد يكلف ثمنا غاليا ، لانه اعترافها به ، وحدها دون النســاء جميعا . لو رأى فقط في عينيها ، الباحث عنهـا باسـتمرار ، ما يتمنى ان يراه !!

هو يعتقد انها لا ترى الرجل الآخر فيه . هو في جهل مطبق لا يدرك

معه انها تفتعل اهمالها لتتأكد من اهتمامه ، تفتعل المعركة لتراه في الساحة على حقيقته . ترى ماذا يكمن وراء هاتين العينين السحيقتين ..!! الغضب الهادىء هو مفتاح الرجل في رايها . تثير غضبه وتنتظر . ولا يزال بصورة لاشعورية يحارب الطواحين الهوائية ويلوح لها بسيفه في كل مناسبة ولو كان هذا السيف نكتة لاذعة .

يريد ان يرى قوته على وجهها المنهار . وتقف في كل مرة وقفة اطول من سابقتها وتلتفت اليه دون ان تدير راسها الصغير الذي يفلسف الامور بطريقة لينة عذبة ، وتتساءل بابتسامة خفية منتصرة :

— من يحارب هذا الرجل ..؟

ان محاولاته العديدة اللامرئية التي تنوي زرع نفسه التي يحبها ، في عيني ، تشير باصبع الاتهام الى رغبته الجامحة في اختطاف هذه « الـلا » التي تفور من اعماقي كفورة بركان ثائر . في كل حركـة من حركاته أرى نزوعه الي،المس تمرده على قوتي ، انه يرفض السيف في يد المراة ويؤيده . يحبها قوية ويحبها ضعيفة ، لا اقوى منه ولا اضعف . يريد ان يصعد اليها ويهبط في ثانية واحدة . امنيته الوحيدة ، الآن ، المبارزة مع هذا السيف الناعم الحاد بالذات ، ربما كان في هذه المعركة خلاص روحه مما فيها وسر المصير الانساني .

لقد تعلم ، كمـا قال لهـا مرة ، ان يتحدث الى المـراة من عل . فقالت له :

— تذكر بان المراة هي التي تمنح الرجل هذا الشعور .. وهو ايضا على درجات .

فقال لها :

— انت فتاة متعالية متمردة ...

— سأرفع هدبي اليك عندما اقتنع بك لا عندما تلوح لي بالسوط . فضعفي يا صديقي هو قناعتي بعنف الحقيقة الانسانية فيك .

فقد انتهى بنظري عصر العضلات . سأحبك قويا من خلال العقل وارجو ان تحبني جميلة من خلال العقل » .

اما هي فلا تزال صـامتة شـاردة ، هو في اللاذقية وهي في دمشـق .

وتوقفت الاسـئلة في افواه الصـديقات ، ان الصـديقة الغالية الطيبة في حالة حب كبير حقيقي ونهائي انها تحب رجلا قويا لا شـك .

لقد بدأت تفكر فهي اذن تحب .

● ● ●

من لماذا متى أين كيف؟؟

قالت : اشعر بانني اغلي ..

قال : لا يبدو عليك اكثر من درجة الصفر .

قالت : الصمت لا يعني الموت .. وقطعة الجليد لا يمكن ان تكون صخرة .

قال : ...

قالت : اريد ان اقول واكتب واتحرر من افكار كثيرة تنطحني قرونها الصغيرة الحادة من الداخل بلا رحمة ..

قال : قولي .. من الذي يمنعك ..!!

قالت : انظر معي الى هذه اللوحة ..!! هل تصدق بان لوحة « الغابة الحديثة » لتوفيق طارق هي احد هذه القرون التي تثير في شعور الغليان ، وتدفع الى التنور في اعماقي حطبة جديدة جافة سريعة الاشتعال ..!!

قال : اصدق .

قالت : من انت ..؟

قال : ....

قالت : لماذا احب رجلا لم اعرفه كله بعد .!! ولماذا قدر لي ان يكتسحني انسان عجوز عمره بعمر دمشق ..!؟

قال : ....

قالت : متى تنطفيء هذه النار المشتعلة في التنور ..!!



الفنان توفيق طارق — دمشق

قال : . . .

قالت : اين مكاني الحقيقي في مراعيك الملأى بالقطيع ايها الراعي!؟؟

قال : . . .

قالت : كيف الخلاص بعد ان وصلت الى هذه النتيجة . . !؟

قال : اية نتيجة . . !؟

قالت : اخيرا انت تسأل .

قال : ولماذا لا اسأل . . !؟

قالت : سؤال آخر . . عظيم . . نصر جديد لي . .

قال : ومتى كان السؤال نصرا للطرف المسؤول . . !؟

قالت : عندما اكون انا انا . . وانت انت .

قال : . . . .

قالت : عندما تكون المراة انا . . والرجل المقابل انت .

قال : ايضا . . لم افهم . . تعرفين ان عدم الفهم من طبعي . . !

قالت : واحدة من نكاتك التي احبها . .

قال : لا تهربي من الموضوع .

قالت : كنت اسأل . . اسألك . . وانت صامت صمت اوراق الخريف في لوحة توفيق طارق . قد يطير الهواء من جانبها . . ولكنها لن تتحرك . . ولن نسمع لها حفيفا يدغدغ روحنا ويربح قلق السؤال الملح في اعصابنا ، لانها لوحة ، وفي صمت اللوحة قوة تفتقد اليها طبيعة الخريف المتحركة . . الطبيعة الطائشة الباحثة التي تطرح اكثر من سؤال وترمي خلفه اكثر من اشارة استفهام . وانت ايها الانسان الحبيب تحمل قوة اللوحة . . وانا احمل ضعف الطبيعة . انت تحاكي نصر الالوان عند توفيق طارق كطاووس مزهو متزن . . وانا امثل خسارة الاوراق اليابسة الطائرة في خريف غابة القرلق تطير كفراشات مذعورة ليس لها انيس يحميها من ريح عاتية قد تحملها عبر الوادي الى البحر .

قال : ...

قالت : اصمت .. نصمتك قوة تؤكد ضعفي امامك .. ولتطقطق الاخشاب في تنوري . اسكت .. ففي سكونك عن سؤالي نصر يؤكده ذل السؤال بلا جواب .. وخضوع الجدائل للشوارب .

من .. لماذا .. متى .. اين .. كيف ..!؟ كلمات جائعة .. حطبات ناشفة كأعواد الكبريت تزيد من درجة الاشتعال في كياني ، وتبقى الغابة في ضميرك مظللة باردة صامتة كحديقة توفيق طارق الانيقة الهادئة ، لا يجرحها نقيق ضفدع ، ربما يحمل معه ظل سؤال اخضر في خريف احمر وليل اسود ..

قال : احبك .. اعبد الارض التي تمشين عليها ..

قالت : الحب يا حبيبي في قلبي غابة تحترق .. اما الحب في قلبك فهو ورقة خريفية حمراء واحدة ساكنة ملتصقة في لوحة الغابة الحديقة ، كلمة لا تنمو .. وقوة كامنة لا تتحرك . وعندما تطير اوراق الخريف من لوحة توفيق طارق لتحط على راسي وكتفي وحضني ، فسوف اتوقف عن طرح السؤال على نفسي وعليك واوقن انك تحبني حتى العبادة .. وانني شهرزاد التي لن تسوقها الى الذبح عندما يدركك الصباح .

قال : اسأليني اجبك .. مري فاطيع .. اطلبي لبن العصفور فاحمله ..!!

قالت : تأخرت .. ولا افهم لماذا يفهمنا الرجل متأخرا .. لقد جاء دوري .. لن اسألك ولن اطلب .. وان سألتني فلن اجب وان طلبت فلن اعطيك ، لانك عاملتني كالاخريات ولم تميزني . لقد تحولت العبدة الى سيدة ، كما تحول سؤالي الى جواب صامت ولهفتي الى احتراق ساكن . لقد خسرت في نفسي فرحا بك لا اظنه سيعود بسهولة ولو زرعت الارض تحت قدمي لؤلؤا وزمردا وياقوتا وعقيقا وماسا .
لن يعود ولو عطرت اجوائي اغنيات فيروزية ..

قال : لم هذا الغضب كله .. وماذا فعلت ..؟؟

قالت : ومتى كانت القوة الهادئة غضبا ..! انتبه جيدا للعبدة التي

بين يديك ولا تلعب .. لا تعاملها كبقية الجواري والامـــاء والعبيد فلي عروقها دماء سـيدة حرة اصـيلة .. وفي طبعها طبع فرس عربية تعرف جيدا متـــى يجب أن ترمي بفارسـها ارضـــا ..

قال : متى ..؟؟

قالت : ....

قال : حبيبتي . . انت لي .. اليس كذلك ..؟؟

قالت : . . . .

قال : سـيدتي ....

قالت : ....

● ● ●

اللوحة المعلقة

قالت ودمع العين يسبقها :

الايام .. تمر .. تمر .. وانا معلقة في مكاني . يوم يبتسم لي ابتسامة مهرج السيرك ويمضي ، ويوم يمسح على شعري بيده الحنون كانني طفلته النائمة ، ويوم يمسك خاصرتيه من شدة الضحك ثم يضرب ساقه بيده بحركة ظاهرة ثم يمضي تاركا لي صدى ضحكته الفاجرة ، ورابع .. يقف عندي ، بصمت ، انظر اليه فيفهمني بعمق ، ترفرف رموشه المبتلة بدمعة ذكية القلب والعقل ، ويغمض عينيه المخضلتين على صورتي الاخيرة ، ويحمل امتعته الثقيلة ويرحل قبل ان يرتفع بكاؤه الصامت الى مرحلة الشهيق ، فالايام الغبية التي سبقته قد تركت في اللوحة المعلقة ، التي هي انا، خطوطا عميقة الاثر اخترقت البشرة الصبية الى الشعور الفتي ، خطوطا انسانية بكل ما في الانسانية من تناقض يفضي الى الكمال ، التجربة ، الشيخوخة ، خطوطا لا ينفع معها اي ترميم او طلاء .

ويمر اليوم الخامس طيبا ذكيا ليلمس برفق وحب وتوق وتعاطف وجه اللوحة ، يريد ان يلتصق بها التصاقا كاملا ونهائيا ، ولكن يدا قوية تدفعه وتدفعه لتحتل مكانه برغبة خفية مصرة .. انها يد اليوم السادس ..

اما اليوم السابع .. فانه يمر امام اللوحة ، يقف عندها .. ثم .. !!؟

الايام تمضي ، واللوحة معلقة ، والايام لا تكتفي بالنظر في زيارتها لمعرض الحياة ، ولا بد ان تتجاهل لافتة « ممنوع اللمس » .. ولا بد ان تلمس الصورة الاصلية بغفلة عن عين « الفنان » الواقف غير بعيد يشرح ، بلا كلام ، لعدد من الايام الزائرة ، لوحةمن لوحاته الصعبة .

كل يوم ينافس ما قبله ويحاول الابداع والظهور على حسابي انا .. !! وانا .. انا مكبلة باطار مذهب الحواشي دق الى اطرافي بعناية حتى لا يسرقني لصوص القطع الفنية النادرة .



الفنان لؤي كيالي – حلب

أصابع من رمال

عندما نحاول ان نتمسك « بانسان » اليوم، فاننا سنقع حتما في شبكة الوهم .. كاسد مخدوع في غابة الحياة المتوحشة تتسلق جذوع اشجارها نباتات القلق .. وتنبت في ارضها الموحلة طحالب المادة العارية من غلالات الروح .

ضاعت الحقيقة .. وضاع الانسان الذي نحبه في ظلمات هذه الغابة الكثيفة .. ضاع منا .. وضاع من نفسه .. ولم نعد ندري اين تقف اقدامنا .. على صخرة .. ام على كهف تغطيه قشرة مضللة ..؟!

عندما نمسك بيد من نحب نشعر شعورا صادقا باننا نمسك بيد الوهم .. باصابع من رمال .

هل هذه اليد لنا ..؟! لا . .ليست لنا .. وليست لاحد . يجب ان نعترف بشجاعة باننا فقدنا في هذا العصر حقنا في ان نملك ، حتى قلب الانسان الذي نحبه ويحبنا .

قد يحبنا اليوم ولا نملك حق الغد معه ، ونومنا العميق على مخدة الاستسلام للغد ما هو الا خدعة الحاضر وخدر اللحظة السعيدة ، وسراب « الآن » المشع بالابتسامات .

الغد في قلب من نحبه ، ملك الحياة ، حياة اللحظة ، لا بيدنا ولا بيد صاحب القلب .

وتمد اللحظة لنا لسانها عبر نافذة قطار العمر ، ولا نملك ، ادبا منا او تظاهرا بالادب ، ان نرد التحدي بمثله ، لسرعة القطار . ويبكي الغد المقهور في مآقينا . وتنحدر الدموع الى آبار الماضي المحفورة في اعماقنا ، ونحمد الله على انها تمتليء بالدموع المالحة ، لا بالبترول ، ماء الحاضر ، كي

الايام تمر .. في يد كل يوم فرشاة ومطل الوان . ومرة انا تعبيسة تحت وطأة فرشاة « يوم » دهان ، ومرة انا محظوظة مغمورة بالوان ريشة « يوم » فنان ، والنتيجة كما ترين ، ليست من صنعي ، انها من صنع الايام على ورقة دقت الى جدار الزمن بمسامير لن تسقط الا مع نهاية الزمن المحدد لها على جدار الحياة . وقد يضموني بعد الموت في تابوت او في متحف .. من يدري ؟!

وتظل الايام تمر من بعدي كما مرت من قبلي وكما مرت فوقي .

قلت لها :

ــ ولم الدمع !!؟ كلنا لوحات .. وفي كل لوحة وديان ومرتفعات ، فلماذا لا ترسمين على شفتيك ابتسامة الجوكندا ، ابتسامة الرضى والسخرية !! ابتسامة تتحرك بين نقطتين .. اليأس والامل .. اليأس من اليوم السابع والامل فيه !!

● ● ●



الفنان ادهم اسماعيل ـ انطاكية

لا تتعرض لشرارات العاطفة المتولدة بين جوانحنا ، فينفجر كل شيء وننتهي الى حفرة العدم .

نشد على اصابع من نحب بقوة .. ونشعر شعوراً خفياً بتسرب الرمال الى الاسفل وبهروب حلقات الدخان الى الاعلى ونضيع في دوامة من يريد ان يعرف هل هو امام انسان من لحم ودم وروح ، ام انه مع تمثال من رمال ودخان وزئبق !؟

ونتساءل : كيف السبيل لمعرفة الحقيقة الكامنة تحت بشرة هذه اليد الحبيبة !!؟ ونخرج بلا جواب .

لقد فشل العقل ، برايي على الاقل ، في معرفة الطبيعة الانسانية ، وفي رصدها بمعادلات رياضية ثابتة،وفي تلخيصها بقوانين فيزيائية مستقرة، فماذا نفعل ..؟

سؤال لا نزال نطرحه بخجل في عصر العلم ...!

ويقهرنا صمت الجهل وعجز الانسان عن معرفة الانسان ، ونقف بذل امام لوحة « اعرف نفسك » ويحيرنا لغز « الانسان اللحظة » كما يحيرنا لغز « الموت الابدي » .

نشعر بقوة التمادل بين قبول الانسان لنا ورفضه لوجودنا . وينتصب امامنا من الماضي الشعبي مثل حي : « عيني فيه وتفوه عليه » ونصل الى نتيجة تكاد تكون ثابتة :

ــ لسنا وحدنا من يعاني تجربة « اللحظة » .. « الانسان الوهم » ... « الرجل السراب » .

لقد عانت الازمنة الثلاثة هذه التجربة بالذات فيمن جاء قبلنا ، كما نعانيها نحن ويعانيها من سيأتي بعدنا ، وان تكلم كل عصر بلغته الخاصة فكل اللغات تؤدي الى الانسان.. الى « الميدالية » ــ الانا ــ التي كتب على احد وجهيها « نعم » وعلى الآخر « لا » .

فانت لي ولست لي . .وانا لك ولست لك .. حقيقة « مرة حلوة » تفسر سفر انسانيتنا الراحلة نحو « اللاغد » ، بل تؤكد ان انسانيتنا تراوح في مكانها على ارض اللحظة .

وتهنئة حارة مني ابعثها بكل احترام الى السيدة « اللحظة » ، وينتهي كل امل لي بالمستقبل وتنتصر « اللا » في وجه الآخرين وتنتحر « النعم » عندي يأساً ، ولا يقرأ احد على طرفي الميدالية ــ الانا ــ الا « لا » .

ونلعب لعبة الحظ مع القطعة الثمينة ، وننظر بلهفة الى النتيجة ، ونقرا على الوجه الظاهر للميدالية المرمية على ارض اللحظة « لا » .. « لا غد » .

ايها الانسان .. انسان اللحظة ... اليك هذه النتيجة :

تحب ثم تموت ويكتبون على الشاهدة « الفريسك » التي تصور بالوان الحياة الساحرة الحارة ، رمز راحة الموت ، امراة جميلة نائمة نوما كاملا، يكتبون باحجار الفريسك الذهبية الصغيرة هذه الكلمات :

احب ولم يحب ، كان محبوبا ولم يكن محبوبا ، كان انسانا يعيش في القرن العشرين على سطح الكرة الارضية ..

وتنحدر امام الصورة والكلمة ، دمعة من عين من يحبك .. وتشع معها ابتسامة ، لتستمر الحياة « حياة اللحظة » في اجسام من رمال ودخان وزئبق .. يخطيء كثيرا من يظن انه سيمسك بها الى الابد باصابع الحب القوية التي تنتمي الى عصر كان المستقبل فيه الها بين الآلهة .

يجب ان نطرح فكرة « الانتظار » من حياتنا العاطفية حتى لا تفجعنا الايام باللاشيء .

الانتظار خطأ فاحش يقتل حاضرنا ويلتهم لحظتنا التي تحمل في احشائها بذرة سعادة حتمية . يجب ان لا نرفض الحاضر من اجل سعادة الغد التي تحمل في ضميرها فكرة الاحتمال .

اشعر بان « الامل » قد غدا شبحا رومانسيا مضحكا في عصر كل ما فيه واقعي ويعتمد مبدأ الحتمية .

الامس .. هو الحقيقة .

واليوم .. هو الحقيقة تتشكل .

اما الغد .. فهو الاحتمال .

ماذا بقي لنا ..؟!! لمن يجب ان نعطي انفسنا ..؟!! وتختلط الايام الثلاثة ، وتتداخل احداثها بعضها ببعض كما يتداخل السكر بالماء او الملح بالماء .. ويصبح الفصل امرا اقرب الى المستحيل .

فالانسان هو هذه الايام الثلاثة معا . هو حقيقة الامس ودرب اليوم واحتمال الغد . فلا يمكنني ان اتوكا على احد هذه الايام ، وانفي اليومين الآخرين من حياتي .

انا الذكرى واللحظة الحية وتوق المستقبل معا . انا الايام الثلاثة معا .. انا السكر وهي الماء .. وربما انا الملح وهي الماء .. والماء المالح او الماء الحلو من صنعنا نحن . فبنتيجة اللقاء بين العناصر الاربعة: الانسان والماضي والحاضر والمستقبل .. او بين العنصرين الكبيرين : الانسان والزمن .. او بين العناصر الانسانية الثلاثة : الانسان الماضي والانسان الحاضر والانسان المستقبل ، ترتسم على الواح كبيرة خفية قصص الحياة الملونة .. واللوحات البشرية المختلفة ، وما انا الا لوحة من هذه اللوحات، او قصة من ملايين القصص الانسانية ، التي تتمرد في لحظة من اللحظات على واقع التخلف الانساني الذي ما زال يعجز — في داخلها — عن الثورة على سجن الارتباط بالغد بالامل بالمجهول .

اليوم يتقدم لي نفسه قويا متفجرا بالصحة والحيوية والوضوح والصدق .. ومع ذلك فانا ما زلت الاحق الغد واتمسك باذيال ملابسه الهلامية في غابة المستقبل الموحشة المظلمة التي ما طلعت عليها شمس النهار ابدا .. وعلي فقط ان اجرجر ذيل الثوب الهلامي الى النور ، الى اليوم الذي اعيش فيه تحت الشمس علني اجد داخل الثوب املي في الحياة ..!!

فلا اجد بين يدي الا قطعة شفافة ملونة صغيرة زرقاء تعدني وتغريني بدهاء وذكاء بما ينتظرني من الحرير والديباج والدمقس واللآليء لو تابعت رحلة الانتظار بهدوء وصبر وارادة ، فالغد هو الافضل دائما ..!!

واقع مغشيا علي في كرسي الانتظار ، رغم كل التوثب الذي يهيب بي ان اقف واسير لاعانق اليوم واطعن الغد بخنجر اللامبالاة ؛ ففي هذا الكرسي احلام الانسان الشرقي الطيب .

ومن جديد اتابع رحلة الانتظار ، وينتحر الرجل الالكتروني الذي يحاول ان يحل محلي .

لا فائدة .. انا انتظر الغد ..

انا انسان .. لانني احب الغد الذي لا اعرفه .

● ● ●

الطائر العقيم

لها فلسفة خاصة في الحياة .

الحياة والالم عندها متلازمان كأنها والالم توامان ، على الرغم من الابتسامة الحلوة العسلية في عينيها العسليتين الواسعتين .

احبوها ولم تحبهم . . واحبته واحبها ولكنه « رجل مستحيل » وهي « امراة مستحيلة » ، والحب يطير بين قطبين لا لقاء بينهما بأمر من القدر ، كطائر عقيم .

وتقول لي :

مشيت طويلا وانا احمل قنديل ديوجين . ودخل هذا الرجل الذي احبه في دائرة الضوء على المسرح ولم اعد اسمع الا اغنيته ، ولم اعد ارصد الا خطواته ، وكسرت القنديل وتسمرت في مكاني امامه . وغاب الآخرون في الظلام المطبق خارج الدائرة لا ادري الى اين . وما يهمني مادمت قد وجدت الكل في واحد .

من احبه انسان كبير يساعدني على اجتياز الدرب . هو بعمري ولكنه على الضفة الثانية التي ارنو اليها دائما . اتمنى لو كنت عنده ، ولكنني اخاف ان افقده عندما اصل الى عالمه واعادله فيغدو هو انا ، وتنتفي عند هذه النتيجة « صورة الحبيب » الشاطيء الآخر الاكثر هدوءا وامانا وطمانينة .



الفنان عبد القادر نائب ــ حلب ــ اريحا

القلق .. والالم .. والفوضى .. والصخب .. والغضب .. والجدب .. والخطا على ضفتي .

وعند من أحب اجد ما افتقده .. الطمانينة .. والفرح .. والنظام .. والهدوء .. والرضى .. والخصب .. والصواب .

ويرد لها الفكرة ويقول :

ـ لو رايت فقط ما ارى وانا على ضفتي لاحببت نفسك اكثر مما احب نرسيس نفسه . انا اقف مقابل « الانسان » في عصر الآلة . وانا اشعر بالقوة لانني احب هذه « الانسانة المفكرة » الجميلة .

وتقول صاحبة العينين العسليتين والشعر الاسود والبشرة السمراء:

ـ اشعر وانا امسك بيده لنتابع الرحلة الهلامية ، كاننا نسير معا كطفلين على سكة الحياة .. نقلد القطار .. ونتحدى السقوط بجمع قوتينا معا . انقل قدمي واهتز قبل ان اضع القدم الاخرى امامها على شريط السكة الذي اقف عليه ، واعرف ان حبيبي لن يفلت يدي قبل ان استقر ، يسمح لي ان انقل قدمي واسير خطوة جديدة وهو اكثر اصرارا علىحمايتي من السقوط .

ـ السقوط الى اين ؟

ـ نحن نخاف السقوط الى مرحلة « اللاحب » في عصر ذاب فيه الحب كالملح .

وللالم عند هذه الانسانة فلسفة خاصة تؤثر في كقطعة من الماس وتشطرني دائما الى اثنتين ضعيفتين .

قالت لي مرة :

ـ لو كانت لهمومنا اوزان .. لما استطعنا ان نحملها .

وقالت مرة :

ــ الالم يبني في حياتي مسكنا مريحا له .

وقالت :

ــ قد لا يتمكن الالم من رسم التجاعيد على وجوهنا الفتية .. فمقدرة الشباب تفوقه الى حد ما ، ولكنه ينتصر في اعماقنا ويرسم تجاعيده بعناية. ولو راى احدهم هذه التجاعيد في اعماقنا لتساءل بدهشة كيف استطاعت صاحبة هذه الاعماق المسنة ان تقوى على السير امام الناس .!! وقد يقترب منها وفي يده مرآة ليضعها امام وجهها وينتظر بلهفة صدى لانفاسها الحية على الصفحة اللامعة ، فالحياة في رايه تصبح مع تجاعيد هذه النفس معجزة لا تصدق .

وقالت :

ــ كان « المنا » في طفولة المدرسة « كقلم » الرصاص يكتب وتمسحه الايام بسرعة ، كمحاية اللوح الاسود تمسح الطباشير ، كان « المنا » يكتب ولا يعلم . اما « المنا » الحاضر فهو « كقلم » من الماس اينما وضعته يقطع الاشياء الى نصفين و « المنا » الآن « الم » فاصل ومعركتنا معه معركة حاسمة ونهائية . وهو الفريق الرابح طبعا وعلينا ان نجر اذيال الخيبة .

وقالت :

ــ ركبت مرة مع عدد من الزملاء والزميلات في سيارة العمل عائدين الى بيوتنا الصمت يخيم علينا . نظرت اليهم واحدا واحدة . هذا غير سعيد مع زوجته ، وهذه فتاة طيبة وجميلة وذكية ومرهفة ومطلقة ، وثالثة تحب شابا لا يحبها ، ورجل يحب امراة متزوجة ويصمت على الجرح لا يستطيع ان يتكلم او يتصرف ، وانا كنت في حالة قلق دائم على زوجي الطبيب المسافر واخفي جرح الحب البعيد المستحيل ..!! ما هذا كله !؟ كيف تقوى هذه السيارة على حمل هذه الاثقال دون ان تميل !!؟

وقالت مرة وفي صباح مبكر جدا بعد ان سهرت مع زوجها ليلة راس السنة، وبعد ان اصر زوجها الا ان تطلع عليهما شمس السنة الجديدة وهما يرنوان الى دمشق والغوطة من اعلى نقطة في قاسيون ، قالت بعد أن لمحت في طريق « النزلة » الوادي الاخضر يمتد بين الجبال الجرداء من دمر حتى الشام محتضنا في سريره بردى الحبيب ، قالت بفرح طفلة في عيد عن الشام التي تحبها مثلي واكثر :

— الشام احلى بلد في العالم مع انني لم ار العالم بعد .

وقالت مرة تشرح تأثير الصدفة التي تعيد ذكرى الحب الكبير :

— شعرت عندما مررت امام بيته وخلفته ورائي بخطوات متئدة مشدودة الى الخلف ، بصدى الرنين السحيق لحبي ، تماما كأنك تنقرين باصبعك على كأس من الكريستال ، ويظل صدى الرنين الراقي العذب المسكر يهدهد روحك مسافة زمنية طويلة لا احد يسمع الصوت « الصدى » الا انت .

وقالت مرة :

كنت اجتاز الشارع وحدي ، وعندما وصلت ، التفت الى الطريق المؤدية الى بيته . اعرف انه قد سافر ، ومع ذلك اكتشفت شيئا فظيعا . الضجيج في نفسي قد طغى على ضجيج الشارع ، وخفت واخذت اتلفت حولي بذعر خوفا من ان يسمع الناس ما بنفسي .. ترى هل سمعني احد ..!!؟

قالت لي مرة :

— عندما يقرأ الانسان رواية « زوربا » يشعر بذهول امام آراء هذا الرجل زوربا . ولو حاولت ان اضع تحت كل كلمة هامة خطا بالقلم الرصاص « لتشحرت الرواية » .

وهذه الانسانة التي تعيش مع الالم في كوخ واحد، ، هي سيدة مرحة جدا ولها علاقة حميمية بالفرح والضحك والكلمة الحلوة والنكتة الذكية .

تعرفني احب زهرة البنفسج وفي « كوانين » تبدأ في البحث عنها .

جاءتني مرة ورنت الجرس . فتحت الباب فقالت لي على الفور وقبل كلمة « مرحبا » :

— لبن العصفور مفقود من السوق !!

وابتسمت انا ابتسامة المنتصرة :

— اما انا فلقد وجدت حزمتين من لبن العصفور !!

زهرة البنفسج الندية في كوانين وفنجان القهوة والكتاب الصديق وطفلها الاشقر الجميل وزوجها الطيب وامها الحبيبة .. هذا العالم الجميل الذي يحاول دون ان يدري ان يفصلها عن توامها « الالم » بلا جدوى ، يظل هو العالم الاقوى الذي يرفع ابتسامة الامل بالحياة الى اسنانها اللؤلؤية وعينيها العسليتين وجفنيها الذابلين .

القطار يسير ... وما يزال يسير على شريطي السكة الحديديين ، ولا بد ان يهترىء الحديد من شدة وطء الحياة في دواليب الزمن وعندها سيتوقف القطار عن المسير في هذه الطريق وعلى هذه السكة ليبحث لنفسه عن شباب جديد في حب جديد .

ولكن هل سينسى القطار ذكريات رحلاته ؟ وهل سيموت « الحب » بعدهما ! لا اظن . انهما يحملانه على جسر قوي يستند الى كلا الضفتين . هو وهي جسر من طين الانسان وقلبه وعقله ودمه وعينه ووده وجهده وحرصه ..

وستظل هذه « الانسانة » المحبة المتالمة ترنو الى الضفة الاخرى بلهفة وتوق ، يسير نهر الفكر العميق بينهما بهدوء مرعب لا يقل عن هدوء الفرات والنيل .

ويظل جسر الحب مرتفعا فوق الضفتين مستندا عليهما بشموخ وثقة. وعلى مدخل هذا الجسر وعلى حجر الاساس فيه قد كتبت عبارة هامة قيلت في حفلة تدشين الجسر :

ــ الحب بين قلبين كبيرين هو نقطة ارتكاز الانسان الدائمة .

وتسير هذه الانسانة على ضفة ويسير من تحبه على ضفة . تقنع بفكرة وجوده في الحياة على الاقل . وترتاح نفسه لذكرى حبها وذكر اسمها ....

وتسير هذه الانسانة على شريط السكة الحديدي .. ويسير من تحب على الشريط الآخر، يسيران الى المستقبل في خطين متوازيين لا يلتقيان، وتمر فوقهما عجلات الزمن تغني اغنية تعبق بين الحقول عنوانها : « الى شاطيء المستحيل » .

• • •

ذكرى مدينة

كنت امشي بين اعمدة تدمر الى مسرح تدمر .

كنت امشي بخشوع . .بهدوء اقترب الى الصلاة .. وحدي وآخر واحدة في المجموعة السياحية المرحة الشابة الصاخبة .

كنت امشي بطريقة مغايرة .. وحدي .. صامتة .. والضجيج يعلو في اعماقي .. يعلو مستوى الاعمدة والهياكل المتعالية .. واسئلة داخلية اطرحها على « لا احد » لتظل بلا اجابات حتى من شبح دليل سياحي واحد يبرد نفسي من لوعة الاسئلة .

كيف كانت صورة هذا الممر العريق قبل ان تسقط بعض اعمدته وتنهار اكثر اروقته ويتحول بلاط ارضه الحجري اللامع الى درب مكسرة معفرة بالرمال تطأها اقدامنا باستهتار ولا مبالاة سائح عربي ؟

هل انا سائحة في تدمر .. انا ..! ولماذا انا ..؟ ولماذا في تدمر ..؟ وهل انا غير تدمر ...! وهل تدمر مدينة لا يمتد اليها تاريخ امتي ..!؟

وجنت في رغبة لامعقولة .

ليتني اختفي الآن وراء احد الاعمدة الجبارة الواقفة تتحدى الالفي عام ، الساخرة من بقية الاعمدة التي استكانت للهزات وسقطت .. وامد راسي قليلا قليلا لارى الصورة وقد ازدهرت .. ومدينة التاريخ تدمر تضحك تنور بالحياة والحركة .. تتوهج في قلب الصحراء ماسة نادرة تخطف الابصار وتقطع الانفاس وتبعث الدهشة .

ليت احدهم ياتي من الخلف ويغمض لي عيني بمداعبة لطيفة ثم يتركني اخرج من الظلام الى النور ...



الفنان توفيق طارق ـ دمشق

من تدمر الاثرية الى تدمر الحقيقيـــه .. من ذكرى حضـارة الـــى حضـارة .

دقيقة واحدة ... ولتذهب الصـورة .

ترى كيف كان سكان تدمر يعيشـون ..!؟ امنيتـــي ان اراهم .. ان أحدق في ملامحهم .. ان اسـمع اصـوات رجالهم ونسـائهم لاتمتـــع بسـحر حرفهم .. لاشـاهد بنفسي اناقة ملابسـهم وروعةالوانها وعظمـة خطوطها.. يتهادون بها على هذا الممر التاريخي نفسـه .. ربما لحضـور حفلة مسرحية على مدرج المسرح التدمري العظيم !! ترى هل كانت ملابس النسـاء بلون النبيذ .. أم بلون السـماء .. ام بلون الصـحراء .. ام بلون النخيل .. !!

ودخلت المجموعة السياحية .. مسرح تدمر . ودخلت مـع افرادها.. بل كنت آخرهم .. جلسـت على اول مقعد في اول صف من مدرج المسرح نصف الدائري .

اما المجموعة .. فقد تكومت كخلية نحل نشيطة على درجات المدرج في نقطة الوسـط .. يتوسـطها شـاب ، عربي طبعا ، ينقر بمهارة علىالدربكة وتعاونه الجوقة ، مجموعتنا العربية طبعا، غناء وتصفيقا على ايقاع اغنيتنا الشـعبية : « شـلح التوب ولبس التوب » ، بينما قفز احد الشـبان المرحـــين الى باحـــة المدرج وقد ربط خصره بايشارب احمر واخـــذ يقلد الراقصة ناديا جمال .

لا ادري كيف مرت مئات السـنين لتضـــــع الامور في غير مكانها . « جوقتنا » السـياحية كانت تمارس نشـاطها الفني على المدرج وفي مقاعد الجماهير ، « وبناء » المسرح الحجري الفخم الذي يواجه المدرج والـــــذي يطل على الجمهور بخمســة ابواب لها اقواس مطرزة .. قد ظل بلا جوقة.. بلا ممثلين .. بلا موسيقيين .. بلا راقصـين .. يهزا من غدر الزمن بطريقة واحدة : الصـمت .

يغنون بفرح ينتشر في اجواء المدرج كعطر زهر الليمون .. وخشـــبة المسـرح « الحجرية » حزينة تندى بالدموع على اصـحابها الحقيقيين الذين ذهبوا بلا عودة ، وتعتب على هؤلاء الاحفاد الذين لا يقولون كلمة واحـــدة « جدية » لاعادة كل شـيء الى اصله .

وكانت المفاجاة التي هزتني وحدي وهزت المسرح . لعب القـــــدر المنصف دوره ، وبقدرة عجيبة ضاع ممثلنا الشـاب الموهوب « هـــــاني

الروماني » عن المجموعة وضل درب المدرج ، وظل يبحث بين الآثار في المدينة الواسعة الى ان وصل . ودخل هاني الروماني علينا لا من باب الجمهور كما دخلنا .. بل من باب المسرح الكبير في الوسط .. باب الممثلين الكبار .. فجأة وجدته على خشبة المسرح وحده ينظر الينا بعفوية سائح دون ان يدري من اين دخل ولماذا ..!! ترى هل انتقم القدر ليعيد التاريخ نفسه ولماذا هاني الروماني بالذات !؟ لست ادري ولا هاني يدري !؟ روما قهرت تدمر . ولكن تدمر اليوم قهرت « هاني الروماني » وقهرتني .

ومن باب آخر للممثلين .. دخل ايضا ممثل موهوب آخر .. اسامة الروماني شقيق هاني الروماني ..!! ولماذا اسامة ..؟ لست ادري ولا اسامة يدري ..!! ولكن المسرح ظل بلا ممثلين ... رغم اختيال الرومانيين الموهوبين على خشبته ..

من يدري ..!! ربما كانت الصدفة المحكمة دعوة من ارواح سكان تدمر وممثلي المسرح في تدمر لشبان هذا الجيل لاعادة بناء ما اندثر ما دمنا نملك ارض الفن ومعاول البناء .

وصورت الكاميرا السينمائية « الراقصة » الشباب وليتها التقطت معي اهم صورة من صور الرحلة هاني وأسامة الروماني فوق مسرح تدمر . ولكن .. ولكن .. ولكن !!

واقترب مني أحد زملاء الرحلة مقترحا بلطف ان انضم الى المجموعة متسائلا لماذا اجلس وحدي !!

كنت افهم معنى حركته اللبقة . كان يخشى ان تؤلمني الوحدة واكدت له اني سعيدة ، سعيدة جدا ، اتمتع بمدرج المسرح .. اراقبه .. اعد ابوابه .. اتلمس حجر درجاته بيد حنون . .اتساءل عن معنى الحاجز الحجري نصف الدائري الانيق الذي يحمي ارجل جمهور الصف الاول ..! ربما كانوا يجرون العابا لحيوانات خطرة في باحة المدرج ..! واغالب دمعة تهدد بالسقوط من فرط تأثري بنقوش وزخرفات غاية في الدقة والجمال تتوج اعالي البناء وافاريزه .. ولشدة حرصي على حضارة كانت لنا وبادت .

تدمر الاعمدة .. لحقت بها عند المغيب من شرفة الفندق الصغير الوحيد .. كانت اعمدة تدمر واقفة كاشباح التاريخ تودع الشمس لتستقبل الليل بكبرياء . اعمدة كثيرة تمنيت لو اضيع عن المجموعة لاعدها واحدا واحدا لاعانقها عمودا عمودا .. لاقبلها جذر عمود جذر عمود ، الجذور

باقية اذن ولو سقطت الاعمدة . . !! وتدمر باقية ولو ارتفعت « الامبــاير ستيت » . .

سألني احدهم بشيء من السخرية :

ـ لماذا تحبين الآثار لهذه الدرجة ؟

ـ لاني احب الماضي .

ـ والحاضر . . الا تعتقدين انه بحاجة لنا . . وان من واجبنا ان نعيش حياتنا . . !!

ـ الحاضر احبه . . ولكنني اشعر بارتباط خفي بالاطلال . . لانني اراها اكثر انسانية .

ومن أعلى نقطة في معبد « بعل » في تدمر رايت مع بعض الذين اثبتوا شجاعة بصعود السلالم الداخلية الخفية . . رايت مدينة التاريخ تدمر .

كانت يوما مدينة كبيرة جدا وسط غابة من اشجار النخيل . . تطوقها صحراء ملتهبة مترامية الاطراف . . وتحيط بهذه الصحراء سلسلة جبال دائرية ترتفع على احدها قلعة عربية شاهقة . وعلى احدى التلال المجاورة لتدمر . . يرتفع قبر ينام فيه الاموات فوق الارض بامتار تتجاوز الثلاثين . انه قبر فوق الارض يحاول الصعود نحو السماء ويبدو من بعيد كالبرج . . في داخله وعلى الجانبين دروج كدروج خزانة حديدية ، في كل درج توضع جثة انسان عظيم يلصق تمثاله النصفي او صورته على الجدران ، او في اعلى سقف القبر .

هذه الحقيقة الغريبة عرفتها من وراء القضبان .

ولما سألنا :

ـ اين مفتاح القبر « المقبرة » . . !؟

ـ المفتاح ضائع . . انظروا من شقوق الباب الحديدي .

ـ اين باب المدينة الاثرية . . !؟

ـ لا باب . . ولا حدود للمدينة وهي مفتوحة الاطراف لكل زائر .

ـ لماذا . . !؟

ـ لا أحد يعرف .

— والسواح الاجانب والعرب ماذا يدفعون مقابل زيارة المدينة .. لا المتحف .. !!

— لا شيء .

— في مصر ... وصول السائح من الاقصر الى قبور الفراعنة في مدينة الاموات يكلفه اربعة جنيهات .

— ماذا تعنين ..؟!

— اعني اننا بحاجة لزيادة الدخل القومي عن طريق استغلال السياحة بذكاء ، كما تفعل الجمهورية العربية المتحدة ..

— ....

— وفنادق ومطاعم ومقاهي تدمر ومسابحها ..!!

— فندق واحد ممتاز .. ولا شيء آخر .

— ولكن لماذا .. انا لا افهم ..؟!

— منذ التاريخ .. لا احد يفهم .

— والسكان الحاليون لماذا يعيشون بهذا الاهمال ..؟

— .... اسالي التاريخ .. !!

— والبلدية ...!؟

— من اغنى البلديات في بلدنا ..

— اذن .. !!

— ....

— وقوافل السياح التي تأتي بالطائرات والباصات اين تنام ..!؟

— لا تنام .. تعود بالطائرة والباصات في اليوم نفسه .

— والطائرة .. لماذا لا تحضر يوميا .. !!

— اسالي شركة الطيران .. لا احد هنا يعلم .

— اف .. اكاد انفجر .. كل هذه العظمة التاريخية في بلادنا .. وكل

هذه الثروة القومية الجاهزة .. وكل هذا التراث الذي يدرسه السائح وحده وعلى الطبيعة بكتاب اجنبي « وبلا دليل سياحي » .. ونحن لا نعلم ..!!

لماذا كتب علينا ان نرفع اكتافنا بلا مسؤولية وان نلصق على جباهنا شعار « لا احد يعلم » مع اننا نملك حق المطالبة بالعلم وبحمل المسؤولية وبرفع اصبع الاتهام نحو من بربطنا الى جذع شجرة التخلف كخروف العيد الغبي !!

ان تدمر تدمع العيون .. ان سكان تدمر الحاليين فقراء اثرياء بلا عدالة في التوزيع .

ان تدمر اكثر من بئر بترول في صحرائنا فلماذا لانفجره ونكسب الذهب ..؟

عادت الاسئلة من جديد .. معي على طريق العودة . وتنام تدمر ليلة جديدة بعد آلاف الليالي .. خلفناها وراءنا مدينة تنتظر ان يمسح احد عن وجهها الفاتن رمال الاهمال المتراكمة .

وبدانا صراعنا المدمر مع طريق باص العودة .

واغمضت عيني .. واستسلمت لافكاري التي تترقع كاحجار صغيرة داخل راسي الذي يهتز بعنف محاولا الاستناد بيأس الى نافذة الباص .

لا باس .. .رايت تدمر ليوم واحد ..

كنت في زيارة « ذكرى مدينة عظيمة » كان اسمها « تدمر » .

● ● ●

ضفادع نبع بردى

حلمت ليلة الامس حلما اسطوريا .

صحوت .. وراح الحلم الطويل الجميل الذي تمنيت لو كان طويلا الى ما لا نهاية . واخذت اتذكر ...

حلمت .. انني كنت نائمة في سريري .. ويرن الهاتف في بيتنا قبل السادسة صباحا ومع زقزقة العصافير .. ويرد صوت من عالم مجهول على الالو النائمة يقول :

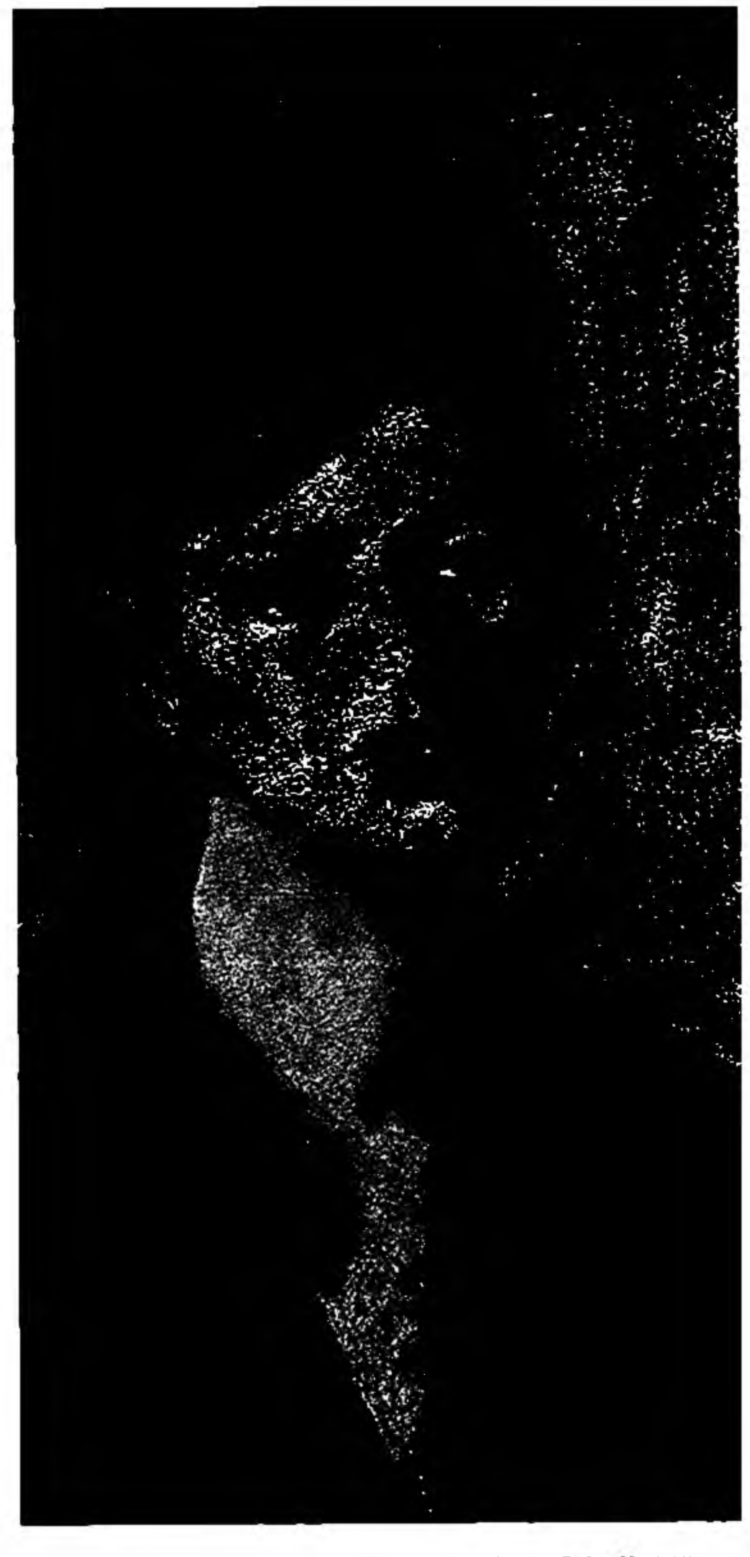
ـ صباح الخير يا حلوتي .. انا امير الاحلام الوردية وادعو سندريللا الحبيبة الطيبة لرحلة الى نبع بردى .. قومي كفى نوما يا سندريللا الكسول .. ساطير بك الى شاطيء نبع الضفادع ، سنحضر معا حفلة سيمفونية تعزفها لنا الطبيعة بكل آلاتها الموسيقية .

وبثوب النوم الفيروزي طرت .. لبست خفا ذهبيا ونسيت خفا بعامل السرعة والفرح .. ولكنني لا اذكر انني لمست الارض بقدمي ، كان الفرح يطير بي ويرفع قدمي عن الارض ويجعلني خفيفة بوزن ريشة نعام .. انا ريشة ..!! انا ريشة ..!!

وقال الامير : لا .. انت انت .. انت الفرح .. وانت الانسان الطيب .. وانا لن اغدر بطيبتك .. وسوف اعطيك ما وعدتك به .. !! فالامير بلا كلمة لا شيء ولو صار ملكا .

وحط بساط الريح عند ضفة النبع .. وطلعت الشمس علينا .. وسكت الامير .. وتركني للضفادع .

وكان استقبال ضفادع نبع بردى لي في هذا الصباح المبكر هزة لاعماقي، لا مثيل لها .. سمعت سيمفونية خارقة من عمل آلاف الضفادع . انظر ..



الفنان لؤي كيالي ـ حلب

انظر .. ضفدع تقفز علــى سطح النبع .. وتلك تنط .. الملونــة كأنها تلعب .. وقال الامير : بل ترقص فرحا بنا .. !!

بنا ..؟ نحن .. ؟ .. انتهت « الانا » وبدأت « النحن » .. !!

ونظرت في عينيه .. ثــم احســت بانني ضعت .. ضيعني السحر والصدق في عينيه وفي الجبل وفي اللحن الغريب . لم اعد انا انا .. لقد غدوت قطعة من الجبل والنبع والضفادع والامير . انا لست انا ، انا هم وهم انا .. واحســت ان انفاسي قد تقطعت ، وان الدماء في عروقي قد تجمدت ، وان الزمن قد توقف لرهبة الموقف .

لقد نقلتني حركة الامير الى مرحلة انعدام الوزن وانعدام التفكير وانعدام الحركة .. وظل القلب في صدري ينبض بالحب والفهم والحيــاة يؤكد لي انني حية وانني عند نبع الســعادة .

والتفت الى وجه الامير .. وطار الامير ..

تركني وعاد الى قصره الحجري . وسار قلبي عائدا على الاحجــار بخف واحد . ولم اعد ادري هل اســير على قلبي ام علــى قدمي !! قدمي الصغيرة الواحدة تؤكد لي منتهى الالم والياس والصقيع ، وقدمي الثــانية تمنحني شعور الطمانينة والراحة والدفء في ارض هشــة من الثلج الابيض.

ونسيت موسيقى الضفادع .. نسيت رهبة الجبل .. نسيت صفاء النبع .. هــذه المرة ضــاع الامير من سندريللا ولم تضــع سندريللا من الامير .

سرت وحدي وحــدي يوما كاملا .. ابحث عنــه في جبال وسهول الزبداني وفي وادي بردى .. انادي .. اناديه .. ياامير .. ياامير .. يا ا .....!! وتصفر الريح الباردة حاملة معها اغنيات نجاة وفيروز واسمهان .. « باستناك » « علموني » « ياالعينيك » ... لا .. لا .. لا اريــد أن اسمع .. وهربت من رؤوس الجبال الى الوديان .. وهبط الليل على طريق عودتي .. وتدحرجت كحجر صغير متهور .. الى مزرعة خضراء قيل لي انها مزرعة التفاح الاحمر ... ووقفت اتلفت حولي والسحر يلفني ... ورايت عاشقين غريبين متعانقين قيل لي انهما آدم وحواء ...

ثم رايتهما .. يتوهجان بالحب تحت نور قنديل يضيء اغصان شجرة كبيرة عالية .

كان آدم يقطف لها التفاح بكثرة .. بحب .. بفرح ...

وكانت حواء ... الى جانبه فوق قمة السعادة ... تأكل التفاح .

كانا يتهامسان... كان يقبلها بالكلمات... كان يأكل التفاح منفمها.

وخجلت .. ونواريت .. وقال لي صوت من مزرعة الحب :

لا .. انهما ابوللو وفينوس ..!! ورفعت بكتفي قائلة : ما الفرق !! ما احلى هذه القطعة من الارض ..!! انها لن تتكرر .

وقال الصوت :

انها الجنة المفقودة .

وتذكرت نفسي ... وبكيت بصمت .. وانسحبت بهدوء من الجنة الى طريق الجحيم .

وعلى قبة السماء الحالكة قرات الى جانب النجوم الفضية كلمات فضية تتوهج بالايمان :

لا غالب الا الله ... لا غالب الا الله .. لا غالب الا الله .

وتابعت الرحلة الشاقة وحدي ... كان يقول لن اتركك وحدك !! وتركني وحـــدي ....

وعند سهل ابيض فسيح .. رايت لاول مرة ارضا كارض القمر ..!! الليل والثلج وضوء القمر ...

واحسست انني بحاجة اليه .. ليته يحضر الآن كي ارد له هديته الرائعة . لقد منحني صباحا نادرا ودلني على نبع الضفادع .. وسأمنحه ليلا شتويا نادرا واسير معه فوق ارض القمر .. قدم لي لوحة وسأقدم له لوحة تنام بخشوع عند اقدام النبي هابيل ..

وتذكرت .. هنا .. من هذه الطريق الجبلية نصعد الى قبر النبي هابيل .. قابيل قتل هابيل .. اخ يقتل اخاه .. فكيف لا يقتل حبيب حبيبته !!! لا شيء جديد .

وجاء الامير .. جاء طائرا يحمله جناح الشوق والحنين .. يرفرف باجنحته الفضية في الليل الهادىء الحزين .. فرحت .. رايته في ضوء القمر يحمل لي شيئا بيده . ورمى لي على ارض الثلج « الخف الآخر » .. ثم عاد الى قصره الحجري .

وغاص الخف في الثلوج الهشة وغاصت يدي خلفه .. وضعته في

قدمي الصغيرة التي تقطر دما .. وعرفت ان عودة الخف دعوة من الامير لي بالعودة وحيدة الى دمشق .

وتبللت رموشي بدموع صامتة ... وصفرت الريح ... ونادى صوت ذهبي في السهل الواسع ... ورددت الجبال البعيدة الصدى :

يا سندريللا .. انا شيخ الليل وحكيم الزمان .. ومعي عين سحرية ارى فيها ما تجهلين ..!!

اليك الصورة على الطرف الآخر :

لقد طار الامير .. وعاد من هنا الى قصره الحجري .. الى احضان بيته العربي القديم في دمشق العتيقة..!!عاد الى نقطة البدء التي لم تلمسها عصا التطور بعد .. عاد طفلا صغيرا في صورة شاب فتي نبيل .. عاد الى الملك والملكة وحده بلا سندريللا .. وفرح اخوته واخواته من الامراء والاميرات النبلاء . واقيمت حفلة شماتة راقصة في قاعات القصر ابتهاجا بعودة الامير الى احضان الاسرة المالكة دون ان تتمكن ابنة الشعب الفقيرة من الزواج منه .

واختاروا له اميرة نبيلة جميلة صغيرة ثرية عريقة .. وتركوه معها يرقص حتى الصباح .. ولكن الاميرة كانت ترقص حافية القدمين ..!!

واعلن في الحفلة الملكية ان زفاف الاميرين النبيلين قريب ..

لا بد من زواجه حتى ينسى حبيبة قلبه ..

وناموا جميعا .. التيجان الذهبية على رؤوسهم .. راحة البال مخدة طرية تحت عقولهم .. والنصر عليها خدر لذيذ في اعصابهم .. فقد انتهى خطر عشق الامير لسندريللا ..

ويردد الصدى قبل ان يتكلم الشيخ :

ولم تنم سندريللا ...

ولم ينم الامير ...

الامير في عقل سندريللا ...

وسندريللا في عقل الامير ...

كل منهما في مكان .. وكل منهما عند الآخر ...

وتضيــع المســافات اللئيمة في متاهـــة الصدق في الحب .. وتنتحر المؤامرات الملكية عند عتبة قصة حب لا فائدة من قتلها في قلبين عاقلين ..

ويسكت الصدى ويتكلم شيخ الليل :

انتهت الحفلة .. وعاد الامير طفلا صغيرا يبكي .. ثم تحول الـــى جنين صافي النيـــة طيب القلب ، يحب ان يظـــل متقوقعا في رحم امه الى ما لا نهاية ... ينام باطمئنان كلي .. لا شكوك رهيبة تقض مضجعه ، ولا عقد نفسية سوداء تؤرق سلام روحه .. وان حاولت امه الحبيبة الطيبـــة ان تلده مرة ثانية في غرفة القصر « العالية » الملكية التي تعانق نوافذهـــا اغصان واوراق شجرة الليمون ، فسوف يبكي بشدة .. ويصرخ .. لانه لا يريد ان يعود الى الحياة من جديد ، كي يكبر ويصبح طفلا ثم اميرا شـــابا تتحكم بمصيره عقلية اسرته المالكة .

ونام الامير تلك الليلة في رحم امه محاولا ان ينســى المشكلة .

وقلت لشيخ الليل :

ــ ولكنني يا حكيم الزمان ما زلت مظلومة ...!!

ــ ربما كنت الظالمة ..!!

ــ ابدا .. والله ابدا ...

ــ هل كذبت على الامير مرة ..!!

ــ ابدا .. ابدا .. الحب هو الصدق .. وحبيبي هو الاول في حياتي ..

ــ وهل صدق هذه الحقيقة ..؟!

ــ الشك الذي يؤرق سلام روحه بسبب خبث من عرف من الاميرات قبلي .. قد قضى علينـــــا ... وقتلت حقيقتي في غرفـــة متواضـعة ، فقيرة هادئة في حارة النهر .. لا يجرح صمت الحب فيها الا خطوات قطة مارة على سقفها الطيني .

ــ سيعود ما دمت صادقة ...

ــ ما الذي سيعيده ...؟

ــ الايمان بالله الكامن في ضميره . فالاله معك ما دمت صادقـــة مع نفســك ومع من احببت ..

ــ واسرته المالكة ..!!

ـ انت اسرته المالكة .

ـ انا . . ؟!! هه . . !!

ـ سيعود . . .

ـ لا اريده ان يعود . . كان عليه ان لا يرحل . . لن اجرحه بكلمة . . السماء سوف تعاقبه . . .

ـ لماذا ترتدين الاسود . . . ؟ الاسود لون يكرهه الامير لانه باعتقاده يخفي الزيف . . . !!

ـ يا الهي . . !! انا لست مزيفة . . . وانا لا ارتدي الاسود الا لانه لون الليل . . . لون الحقيقة التي جمعتني بالامير بعيداً عن عين القصر الملكي . . هو الذي اختار لي لون الليل .

آه ليتني لم اعرفه . . ليتني مت قبل ان اصدقه . . .

ليت الارض انشقت وابتلعتني قبل ان اسمع هذه التهمة . . كفى كفى يا شيخ الزمان العادل . . . لا تنقل لي من تصوراته الخاطئة عني اكثر مما نقلت . . . دع له في قلبي بقية من الحب .

دع لي دموع الندم وارحل . . . وخذ معك قبل ان ترحل عينك السحرية . . . افضل ان اجهل بقية آرائه عني . لا احب ان اكتشف جهله بحقيقتي .

ـ انت كبيرة يا صغيرتي . . وسوف يفوت وقت طويل قبل ان يدرك الامير انه قد اخطأ . . لا قبل ان تموتي .

وغاب الصوت العاقل . . . وصفرت الريح . . . ووجدت نفسي ما زلت واقفة فوق ارض الثلج . . !! وابتسمت بسخرية من القدر الذي يعذب « الصدق » في الانسان بهذه الطريقة المرة مرار الصبر .

وقررت العودة بلا امل .

قطعت طريق الصحراء بصعوبة . . ونزلت منعطف الهامة . . احسست بالعطش . . واستقبلتني رطوبة الوادي . . وقرب اشجار الحورو الصفصاف الطالعة من ضفة بردى . . وتحت ضوء اصفر خافت وقفت لاشرب من « فيجة » ماء باردة . . وتحولت « الفيجة » فجاة الى بحيرة هادئة . نظرت في مرآة البحيرة الصافية فلم اجد نفسي . . بل رايت صورة حمار باذنين

طويلتين .. التفت بذعر .. رايت الحمـــار يجر « طنبرا » محملا باثقـــال الذكريات الحلوة والمرة مع الامير .. ضـحكت .. ولم تعد ضـحكتي ضـحكة انسان . وتابع الحمـــار « والطنبر » طريقه محاذيا بردى . وعند مدخل دمشـق .. عند الربوة .. تذكر الحمار انه قد بدا الرحلة الى نبع الضـفادع بصورة طائر .. فكيف يتحول الانســان الى طائر والطائر الى حمار !!؟

واخذ الحمار ينهق ضـاحكا من هذه النتيجة وهو يقفز مسـرعا علـى تدميه الخلفيتين بخفين ذهبيين عائدا الى البيت الى سرير من التبن !!

ونقرت يد امي الحبيبة على بابي ... وافقت مذعورة .. اين الحلم!؟ طار الحلم .. والسـاعة تقترب من الثامنة .

لماذا يا امي لم تتركيني مع احلامي !؟ اريد العودة الى النبع !! يا امي انا لم اعد انا .. يا امي لو تدرين ..!!!

وردت امي :

ـــ يا ابنتي يا كبدي .. الحلم حلم .. حاولي ان تنســي .. وقومي ارتدي ملابس العمل كي تواجهي نهار الواقع .

ـــ كان حلمي واقعا ..!!

ـــ كان واقعك حلما . نحن في عصر الفضـاء ولسـنا في عصر الامـــاطير .. نحن في عصر الآلة لا في عصر سـندريللا والامير .

ـــ يا امي ... لقد احببت الامير بصـد قوسـاطل . .اعطيت الامير في الحلم كل شــيء ... اعطيته كل انتظاري له قبل ان اراه .. وســوف اعطيه كل انتظاري رغم اني لا اراه .. ولن اراه ..!!

ـــ الزمن يلاحقك .. السـاعة تشـير الى الثامنة ...

ـــ تصـوري يا امي.. انني تحولت في المنام الى طائر ثم الى حمار .. فهل يمكن ان يتحول الانســان الى حمار ؟ وما تفسـير الحمار في الحلم ؟

ـــ الطيبة .

ـــ وهل يمكن ان يكون الانسـان الطيب حمارا ؟؟

ـ في زمانكم يا ابنتي كل شيء ممكن . من يصدق كل شيء يقال له فهو حمار !! ومن يمنح قلبه الطيب يخسر كل شيء . . وتسقط « تضحيته » العظيمة في هوة « النكران » .

ـ ولكن لماذا الحمار ؟؟ اريد تفسيرا « لمنامي » ؟

ـ لا تفسير « لمنامك » الا انه رغبة العصر المكبوتة تفجرت في ليل الحقيقة ثارا من نهار الزيف .

● ● ●

فيروز ..

فيروز ...

وتعود بي الذكرى .. واتذكر بحيرة « مسعدة » الفيروزية جنوب سورية ، واتذكر بحيرة « تل ابيض » الفيروزية ، « عين العروس » شمال سورية . واتذكر خاتم جدتي الفيروزي في يدها المعروقة ، واتذكر ثوبي الفيروزي وسواري وقلب حبيبي بحب اللون الفيروزي وصوت فيروز .

عندما تغني فيروز تطير روحي كفراشة فوق حقول بلون احجار الفيروز فوق جبال من الفيروز وتسبح في مياه بلون الفيروز .

للاغريق افروديت .

للرومان فينوس .

لقدماء السوريين عشتار .

ولنا نحن العرب ، فيروز .

فيروز على مسرح دمشق تنتصب « الهة للطرب » ويصلي الدمشقيون للصوت الالهي . تغني فيحستون ، تنادي بردى .. تناديهم .. ويصفق الحور والصفصاف ويصفقون .

فيروز .. في لبنان ارزة ، وفي سورية وعلى ضفاف بردى صفصافة ، وفي الشام عريشة ياسمين ، وفي اللاذقية زهرة ليلك ، وفي حلب شجرة فستق ، وعلى ضفاف الفرات زهرة كميزة حلوة وشجرة غرب .

فيروز .. نخلة على ضفاف دجلة في العراق ، وعلى ضفاف الاردن شجرة عناب ، وفي فلسطين بيارة برتقال ، وفي الجزيرة العربية هي حبة تمر وجدول ماء رقراق في الصحراء ، وزهرة لوتس على ضفاف النيل في مصر والسودان ، وغصن زيتون في تونس ، وبئر بترول في ليبيا والكويت والبحرين وقطر وعدن وعمان ، وجبل شاهق في اليمن ، وشجرة صنوبر في



الفنان وليد عزت ــ دمشق

الجزائر ، وشجرة زيتون في مراكش ، هي شلال في لواء اسكندرون وعامود رخامي من اعمدة الحمراء في الاندلس .

فيروز عرق اخضر ينبض في ارض الوطن العربي .

عندما تأتي فيروز الينا .. الى الشام التي تحبها ، في ايلول لتغني على مسرح معرض دمشق الدولي اغنية للشام فتقول في سنة من السنين :

طالت نوى وبكى من شوقه الوتر

خذني بعينيك واهرب ايها القمر

تهب دمشق مهللة للصوت والكلمة واللحن الذي يصعد الى النفوس فيلهبها حبا ويمنحها قوة :

وتعود فيروز لتغني الاغنية كاملة :

طالت نوى وبكى من شوقه الوتر
خذني بعينيك واهرب ايها القمر
لم يبق في الليل الا الصوت مرتعشا
الا الحمائم الا الضائع الزهر
خذني بعينيك واهرب ايها القمر



لي فيك يا بردى عهد اعيش به
عمري ويسرقني من حبه العمر
عهد كآخر يوم في الخريف بكى
وصاحباك عليه الريح والمطر
هنا الترابات من طيب ومن طرب
واين في غير شام يطرب الحجر



شآم اهلوك احبابي وموعدنا
اواخر الصيف آن الكرم يعتصر
نعتق النغمات البيض نرشفها
يوم الاماسي لا خمر ولا سهر



قد غبت عنهم ومالي بالغياب يـد
انا الجناح الذي يزهو بـه السفر
يا طيب القلب يا قلبي تحملنـي
هم الأحبة ان غابوا وان حضروا



شآم يا ابنـة ماض حاضر ابـدا
كانك السيف مجـد القول يختصر
حملت دنيـا على كفيك فالتفتت
اليك دنيـا واغضى دونك القـدر

*

وعندما تقف فيروز على مسرح دمشق في « صدر الباز » الاخضر في مدينة المعرض ، غير بعيد منها ينساب بردى ، لتنادي بردى :

انا صوتي منك يا بردى   مثلما نبعك من سحبي

اشعر ان نبعا قد تفجر في صدري وان بردى اخذ يتسرب من خلايا قلبي ويرشح من عروقي .

يقول سعيد عقل الشاعر اللبناني الذي يحب الشام ، وتغني فيروز ، ويبتل الصوت في حلقي . اسمعها عطشى فأرتوي . اشرب من بردى وكأنني اشرب صوت فيروز . واضيع بين الحقائق والاوهام بين النبع والانسان تضيعني فيروز . ما هذا الحب بين الطبيعة والانسان ..؟! بردى يشرب من لبنان ، وفيروز تسرق صوتها من بردى ، والدنيا تشرب من صوت فيروز بلا ارتواء ..؟! ويتوقف السؤال بلا جواب .

ليتني اسكت وتفتحون الصفحات وتغني لكم فيروز ، لتكون هذه القطعة « الاغنية » في كتابي احلى قطعة .

جيلنا العربي جيل تعب يقف على جسر القلق والثورة والاهداف الكبيرة .. واستطاعت فيروز الكلمة واللحن والصوت ان تعدل عواطف هذا الجيل ، وتنطلق به جوادا عربيا اصيلا الى مستقبل عربي أخضر .

تهيب بجيلنا ان ينهض الآن لاستعادة فلسطين قائلة :

الآن الآن وليس غدا

اجراس العودة فلتقرع

فيروز تمنحني الحرية ، تزرع اقدامي في ارض ماضينا العربي العريق المزدهر بين الهند والاندلس ، وتطير بعقلي الملهوف الى سماء المستقبل المجهول ، وتهدىء من روعي مما يجري في هذا الحاضر . تحملني على جناحين شفافين الى من أحب ، وتزرع الحقد في نفسي على عدو اسرائيلي لئيم داس بقدميه كنيسة القيامة وجامع المسجدالاقصى ، فتملأ سمع العرب والعالم في اغنيتها بعد عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ على العرب، « زهرة المدائن » مبشرة بالثار :

الغضب الساطع آت

بجياد الرهبة آت

وسيهدم وجه القوة

القدس لنا

صوت فيروز اغنياتها الريفية ، تطير بي الى ربى بلادي ، فاشم من اغنياتها رائحة الريف العربي الاسمر ، واتفيأ بظل صوتها الرطب من رمضاء الصحراء العربية،واسهر مع صوتها في ليل الصيف العربيوامسياته الحلوة ، وتشدني حنجرتها الفضية الى امي وابيواختيواخيوجدتيوجدي وعمتي وعمي وخالتي وخالي وابنتي وابني. . الى الوطن باسره. . الىالجبل والوادي والمدينة والقرية والنهر والحقل والانسان والطير والخروف والقطة . .

لو سالوني اي اغنيات فيروز تحبين لضعت في مسكبة من البنفسج والفل والزنبق والحبأ والمنتور والريحان والسوسن والورد والنرجس : غيمة العطر . . . لا تعتب علي . . . سائليني يا شآم . . . بعدو الحبايب . . . سهار . . . القدس العتيقة . . . خذني بعينيك . . . قرات مجدك . . . علموني . . . يا طيرة طيري يا حمامة . . . خايف اقول . . . غنيت مكة . . . مر بي . . يا را . . لا تسالوني ما اسمه حبيبي . . سكن الليل . . !!ازهرة المدائن . . جسر العودة . . والله لست ادري . . لست ادري . . !!

افلامها ومسرحياتها . . !! احبها كلها . . . جسر القمر وبياع الخواتم والليل والقنديل وهالة والملك وسفربرلك .

ويغازل شاب في دمشق فتاته على الهاتف فيقول لها بحرارة الصدق :

— حبيبتي . . شعرك يذكرني بصوت فيروز ، خصرك يذكرني بصوت

فيروز ... صوتك يذكرني بصوت فيروز . عندما اراك ارى صوت فيروز متجسدا في اجمل واحب امراة الى قلبي .

حتى العاطفة في قلوبنا فقد اضفت عليها فيروز بوجودها في حياتنا لونا لا مثيل له بين الالوان .

الاضواء على فيروز .. والقلوب راكعة امام الهة الطرب القادمة من لبنان الى دمشق .. وانا مع فيروز لا انسى العملاق الذي يقف امامها في الظل يقود بعصاه السحرية الفرقة الموسيقية ، لا تغفل عينه لحظة عن فيروز ... عيناه مثبتتان في وجهها في فمها ... يريدها فوق مستوى القمة، انه زوجها الفنان العظيم عاصي الرحباني ، اما العملاق الثاني الذي يقف خلفها ، شقيقه منصور الرحباني فلا احد يراه ، انه خلف ستائر الشعر والموسيقى . شاعران وموسيقيان وصوت الهي يصنعون في فننا المعجزات .

ومن خلف ستارة عريضة فضية ينطلق صوتها :

بردى هل الخلد الذي وعدوا به

الاك بين شوادن وشوادي

قالوا تحب الشام قلت جوانحي

مقصوصة فيها وقلت فؤادي

مطربتنا تحب بردى وتحب الشام وتحب السوريين، ولو عرفت فيروز كم يحبها بردى وكم تحبها الشام وكم تحبها سورية لبكت .

من اجل معرفة هذه الحقيقة الكبيرة التي اسمها فيروز قررت ان التقي بفيروز .

قلت لها :

ــ فيروز الشام تحبك وبردى في لهفة دائمة لتوامه ولكن ما سر حبك لهما . وهل كانت قصيدتك « شام ياذا السيف » من وحي حبك انت يا فيروز للشام أم انها حب لبنان للشام تجسد في قصيدة سعيد عقل ؟

قالت فيروز بهدوء :

ــ انا احب الشام حبا لا ينتهي وفي كل موسم خريفي يجب ان اغني لبردى ودمشق . وقصيدتي الاخيرة عن الشام وضعت من اجل هذا

الموسم وقصة ولادتها قصة غريبة . تم نظمها ليلة الاحد وتم تلحينها الاثنين وحفظتها الثلاثاء وغنيتها الاربعاء في دمشق ، وكانت كما سمعتها دمشق لاول مرة هل اعجبتكم . . ؟!

اعجبتنا . . !! قولي لقد شرقنا بدموعنا عندما سمعناها . لقد عرفنا الآن من اين يشرب بردى . . اننا نشرب مع ذراته صوتك ويشرب هو قطراته من سحب الجبل الذي انبتك . لقد عرفنا الآن لماذا نحبك الى ما لا نهاية .

قالت فيروز :

ـ انا احبكم اكثر . احب جمهوركم لانه يتذوق الشعر ويتقن الاصغاء ويتجاوب مع طريقتي في الغناء .

ـ وهل هي طريقتك ، ام انها صوتك وكلمات والحان الاخوين رحباني . . ؟!

ـ بل هي طريقتي ، فانا عندما احفظ اللحن احفظه على طريقتي الخاصة وكما يقول الاخوان رحباني عني :

« انها تفيرز اللحن » .

فيروز مزروعة في نفس كل عضو من اعضاء فرقتها الفنية الغنائية الراقصة، ارزة قوية ممتدة الجذور والاغصان الى ارض كل فنان من فرقتها وسمائه .

قالت غيتا داية واحدة من اشهر راقصات فرقتها الفولكلورية :

ـ لا احد يعرف فيروز كما نعرفها . انها اكبر بكثير مما يعرفها الناس . نحن اسعد الناس حظا لاننا معها دائما . هي انسانة طيبة متواضعة مخلصة لرفيقاتها . رقيقة رقة سحرية ، وهي سيدة بيت ممتازة وام عظيمة . تخدم ضيوفها بنفسها ، تتصرف في بيتها بصورة طبيعية كاية زوجة عادية ، تطبخ بيديها ، « وتبولة فيروز عمري ما لقيت اطيب منها تبولة » . .

ـ والحب بينها وبين زوجها عاصي الرحباني . . ؟!

ـ تحب زوجها عاصي حب العبادة ويحبها حب العبادة ، يغار عليها من نسمة الهواء وتغار عليه من رفة غصن .

وقالت سميرة بعقليني مدربة الرقص في فرقة فيروز :

الفهرس

الغلاف الاول : بريشة الفنان خالد معاذ سنة ١٩٤٤ • طريق صدر الباز •
شارع بيروت مع التكية السليمانية • دمشق •
الغلاف الاخير : بكاميرا الفنان مروان مسلماني سنة ١٩٧٥ في بساتين
الهامة • دمشق •
الروتوش : زهراب حصرجيان •
الخطوط : الفنان سهيل ميدع ، الفنان سمير مولوي •
عدد اللوحات الملونة ٤٣ لوحة •
عدد اللوحات العادية ٣٣ لوحة •

الطبعة الثانية ١٩٧٨

تم طبع الكتاب واللوحات الفنية الملونة والعادية في مطابع الادارة السياسية
للجيش والقوات المسلحة • دمشق •



صورة والدتي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم الهلول في صباها أيام السفر برلك .
وعمرها ١٤ سنة . في بيت والدها في حارة عسقلان — باب مصلى في حي الميدان . وهي في
قمة جمالها وأناقتها قرب شجرة التين الشهيرة في بيت جدي لأمي .



صورة والدي فهمي بن مصطفى آغا الترجمان وجلتي لأبي عائشة بنت سعيد آغا رمضان. وأمي عزيزة بنت الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري. وأختي البكر.
١٥ مايس ١٩٢٣ . ٢ شوال ١٣٤١هـ . دمشق.

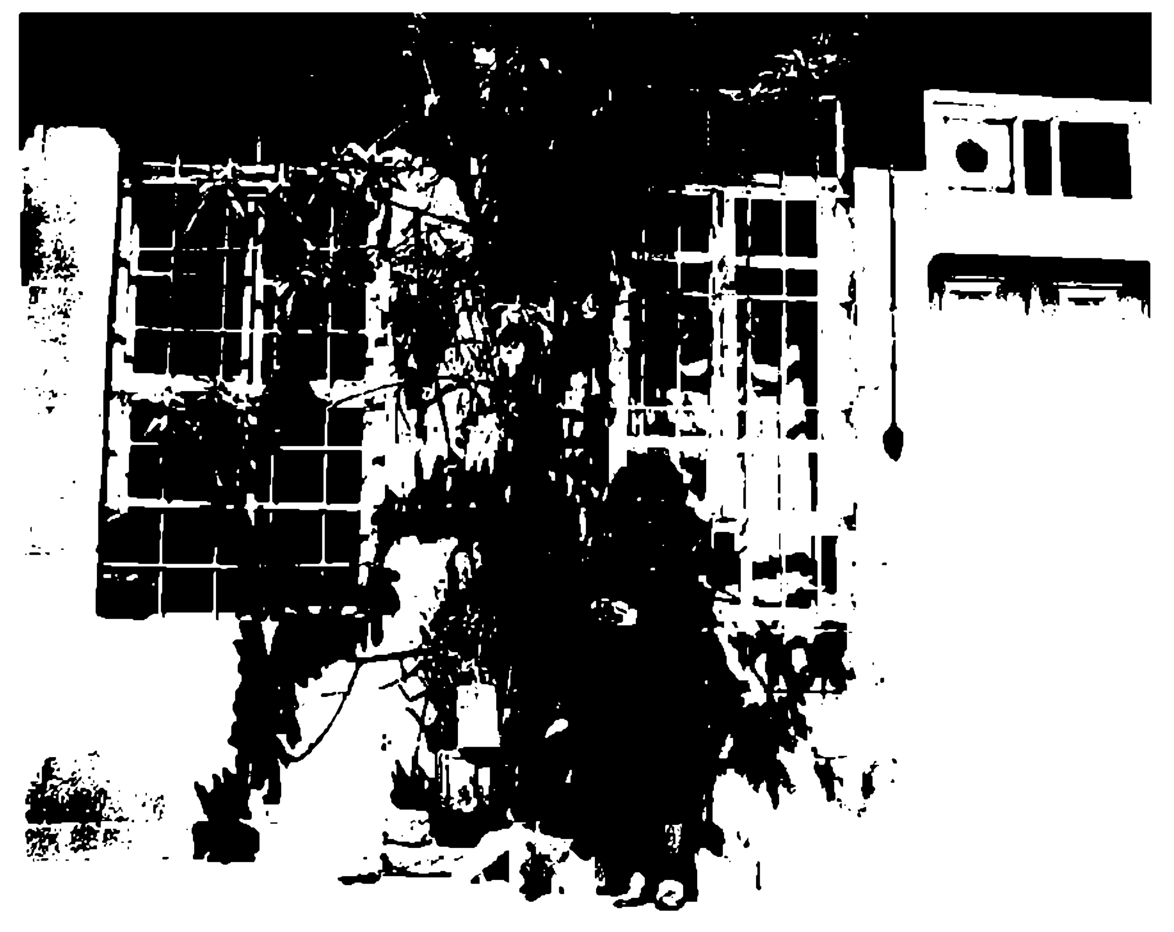


بيتنا في حي العمارة في دمشق.

وأنا أقف إلى جانب باب الغرفة التي ولدتني أمي فيها والدنية كانت تلج،.

أخذت الصورة عام ١٩٦٦

كاميرا الفنان مصباح السراج. حماه.



عند الشجرة التي كانت تقف تحتها أمي في صباها . وقفت في بيت جدي لأمي الشيخ علي قاسم البهلول الجزائري . تحت شجرة جديدة . أستعيد ذكريات الماضي الذي أحبه في مدينتي قبل أن تصل يد الهدم لملاعب طفولتي في حارة عسقلان ـ باب مصلى ـ حي الميدان . دمشق . ١٩٧٨ . كاميرا الفنان حسن مرشد ـ السويداء .

أنا أقرأ الفاتحة على روح الولي «عسقلان»، ابن خالة النبي محمد عليه السلام، كما قالت لي أمي. وعسقلان قرب موقف الترامواي عند باب مصلى في حي الميدان العريق. حي أهل أمي. ولا تزال دكان الحمصاني مكانها تماماً كما كانت عندما كنت أشتري منها «القضامة» مع اخوتي عندما نذهب للزيارة في بيت تيتي أم عزيزة بيت جدي لأمي، داخل حارة عسقلان. الفاتحة على روح أمي وأبي وأهل أمي وأبي. الفاتحة على روح عسقلان.

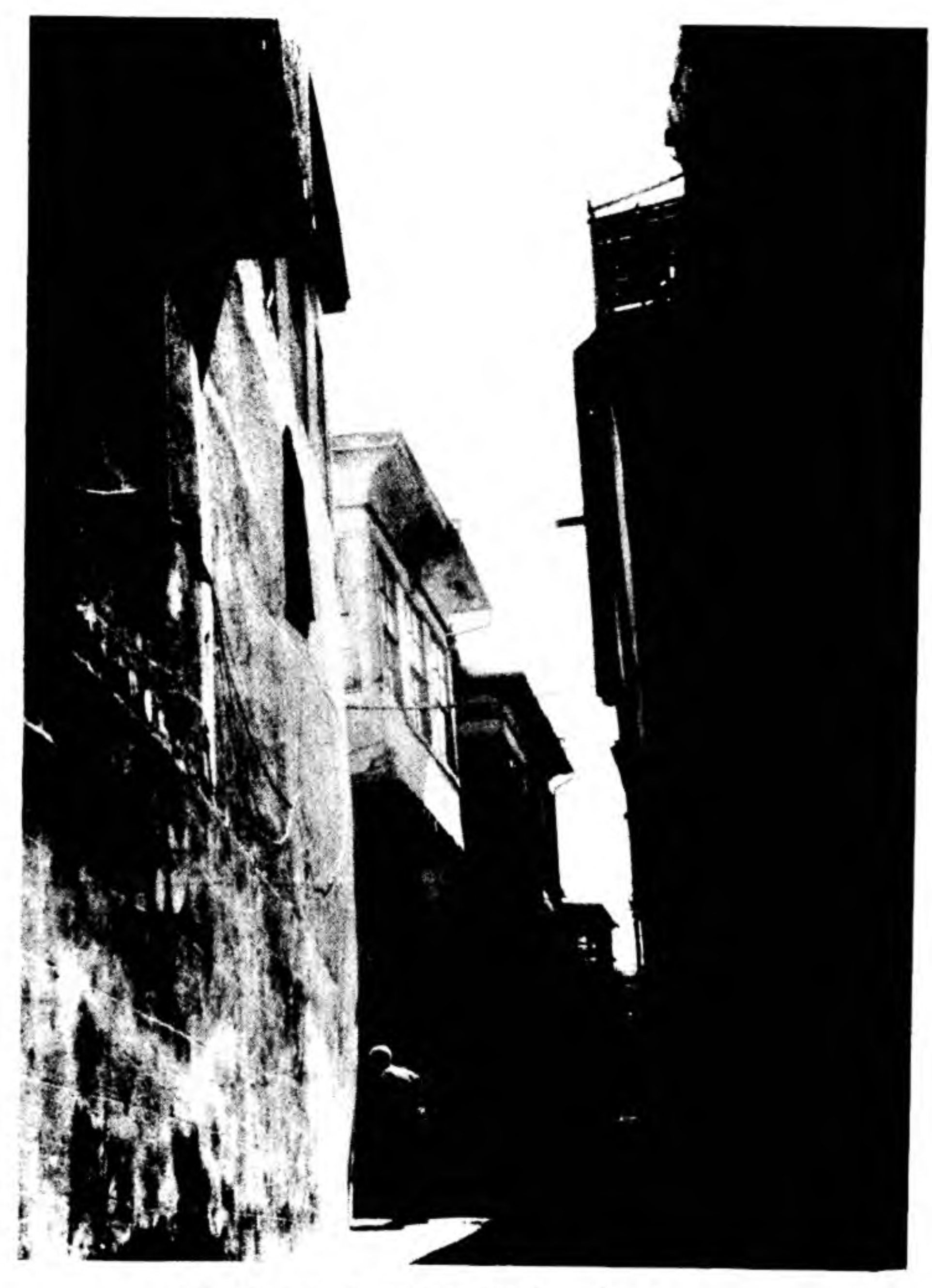




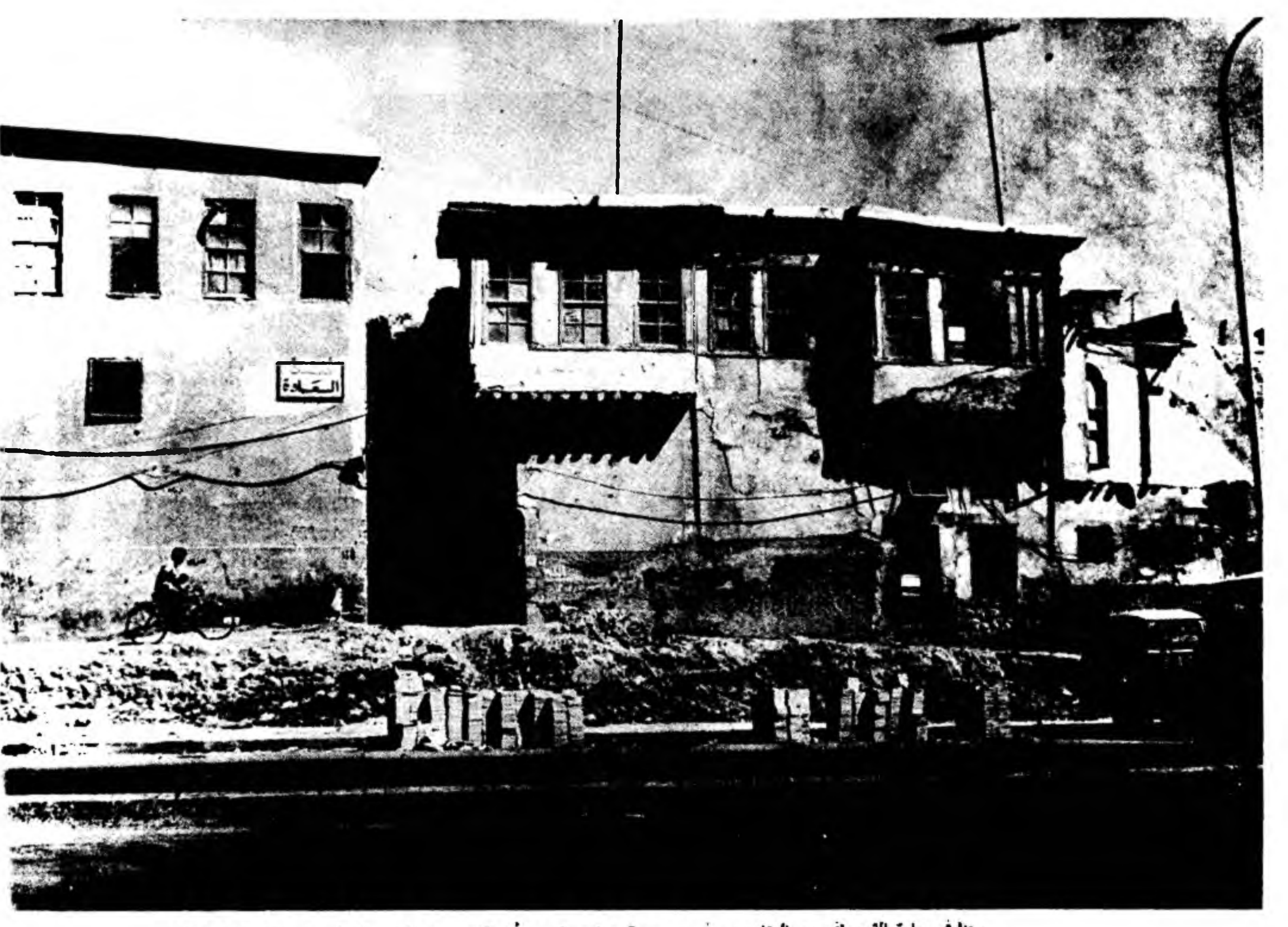
وداعاً يا سوق ساروجة .... صورة من سوق ساروجة في دمشق القديمة وقد بدت الدكاكين مغلقة يوم الجمعة . يد الهدم والتنظيم ستأتي على ما تبقى فيه من رائحة الماضي العريق في حي «استنبول الصغيرة» . كاميرا الفنان حسن مرشد ـ السويداء .



« فبجة » سوق ساروجة أشرب منها ماء الفبجة بهناء ، وأودعها لأنها تحمل ذكريات طفولتي . لما كنت أعبىء « حق الماء » لبيتنا . وعليها كسر معي « حق الماء » مرة . وأخذت أبكي خوفاً من أن تقتلني أمي . وتجمع الأولاد حولي . سقى الله أيام الطفولة وأيام حارتنا دمشق — ١٩٧٨ كاميرا الفنان حسن مرشد . السويداء .



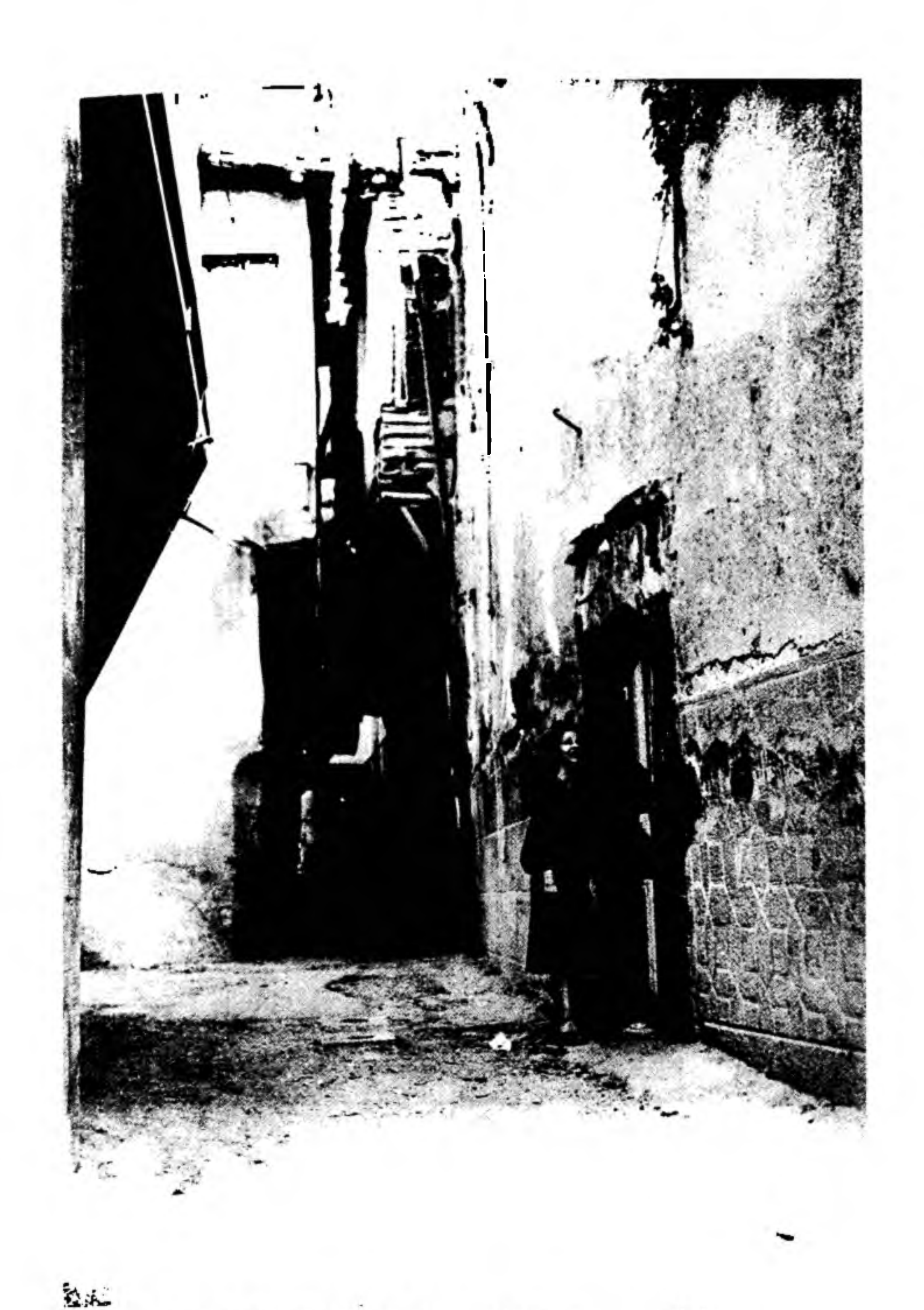
بيت الترجمان في حارة القره ملي من الخارج. قبل التنظيم والهدم. في حي سوق ساروجة. دمشق — ١٩٦٦. كاميرا الفنان مصباح السراج — حماه.



بيتنا في حارة القرهماني من الخارج ، في حي سوق ساروجة بعد أن اقترب منه الهدم والتنظيم . ١٩٧٨ . كاميرا الفنان حسن مرشد ــ السويداء .



بيتنا ـ بيت الترجمان في حارة «القرهمالي» في حي سوق ساروجة. دمشق عام ١٩٧٨ . كاميرا الفنان حسن مرشد ـ السويداء.



أنا أدق على باب بيتنا العتيق عام ١٩٧٨ في حارة القره مالي في سوق ساروجة . وفيه بيت الكيلارجي وبيت عوض وبيت الصباغ وبيت المرتضى من الخارج. كاميرا الفنان حسن مرشد ـ السويداء .



أنا في بيت الكيلارجي في حارة القرهملي في حي سوق ساروجة. دمشق. عام ١٩٧٨. كاميرا الفنان حسن مرشد ــ السويداء.



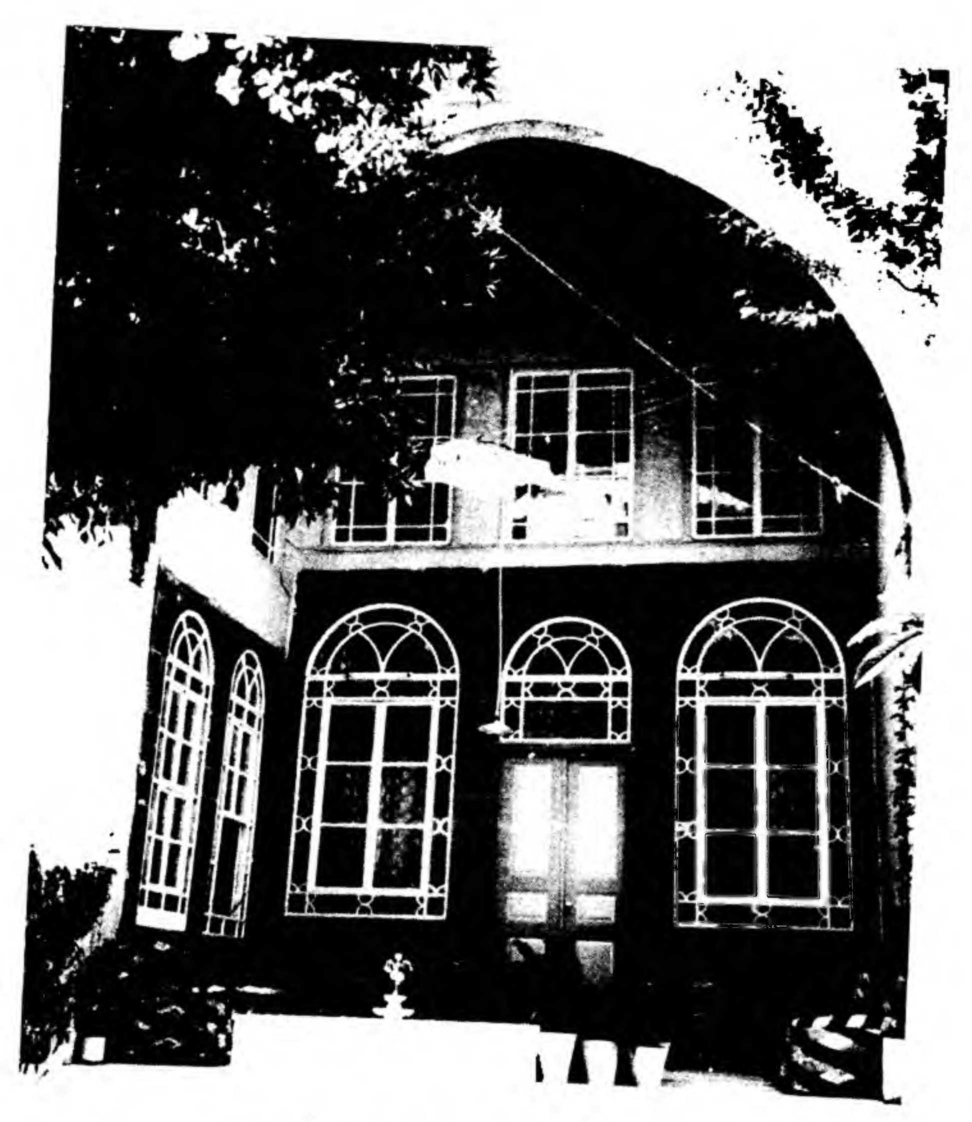
عودة إلى الذكريات والماضي الذهبي. أنا والحمام الزاجل. في بيت جيراننا بيت الكبلارجي سابقاً بيت الكباريتي اليوم في حارة القرهمالي حي سوق ساروجة. دمشق ١٩٧٨ كاميرا الفنان حسن مرشد.- السويداء.



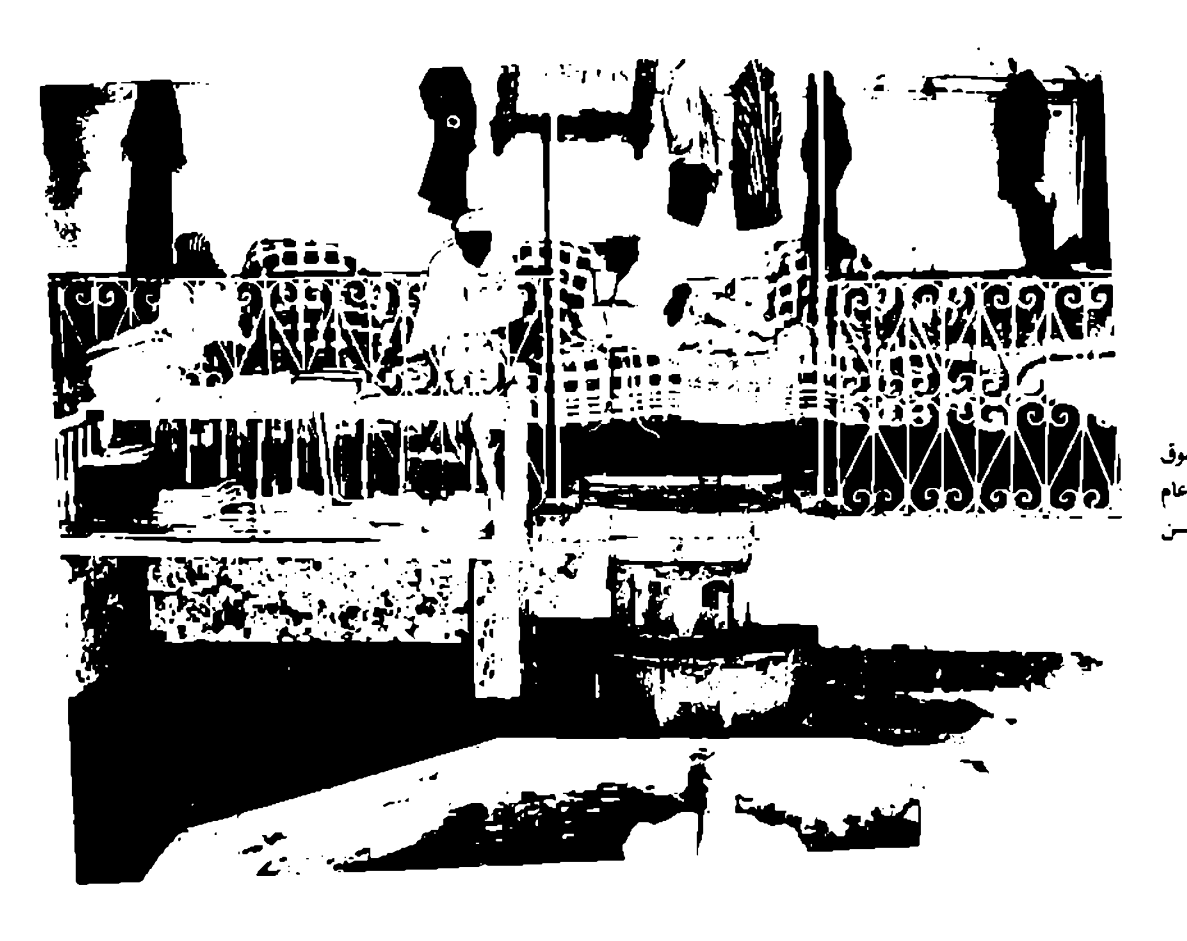
أنا في بيت جيرانا ...

بيت الكيلارجي في حارة القرهماني في حي سوق ساروجة. دمشق. ١٩٧٨.

كاميرا الفنان حسن مرشد - السويداء.



بيت الخضري في حارة «قولي» في حي سوق ساروجة. دمشق. ١٩٦٦. كاميرا
الفنان مصباح السراج— حماه.



حمام الحنا ...
في حمام الورد.
في حارة الورد في حي سوق ساروجة المعرض للهدم نهائيا. عام ١٩٧٨. كاميرا الفنان حسن مرشد ـ السويداء.



ابنة عمي أم عدنان شفكي بنت صبحي الترجمان في بيتها بيت زوجها ابن عمي عزت السادات في حارة الورد . حي سوق ساروجة . دمشق ١٩٦٦ . كاميرا الفنان مصباح السراج ــ حماه .



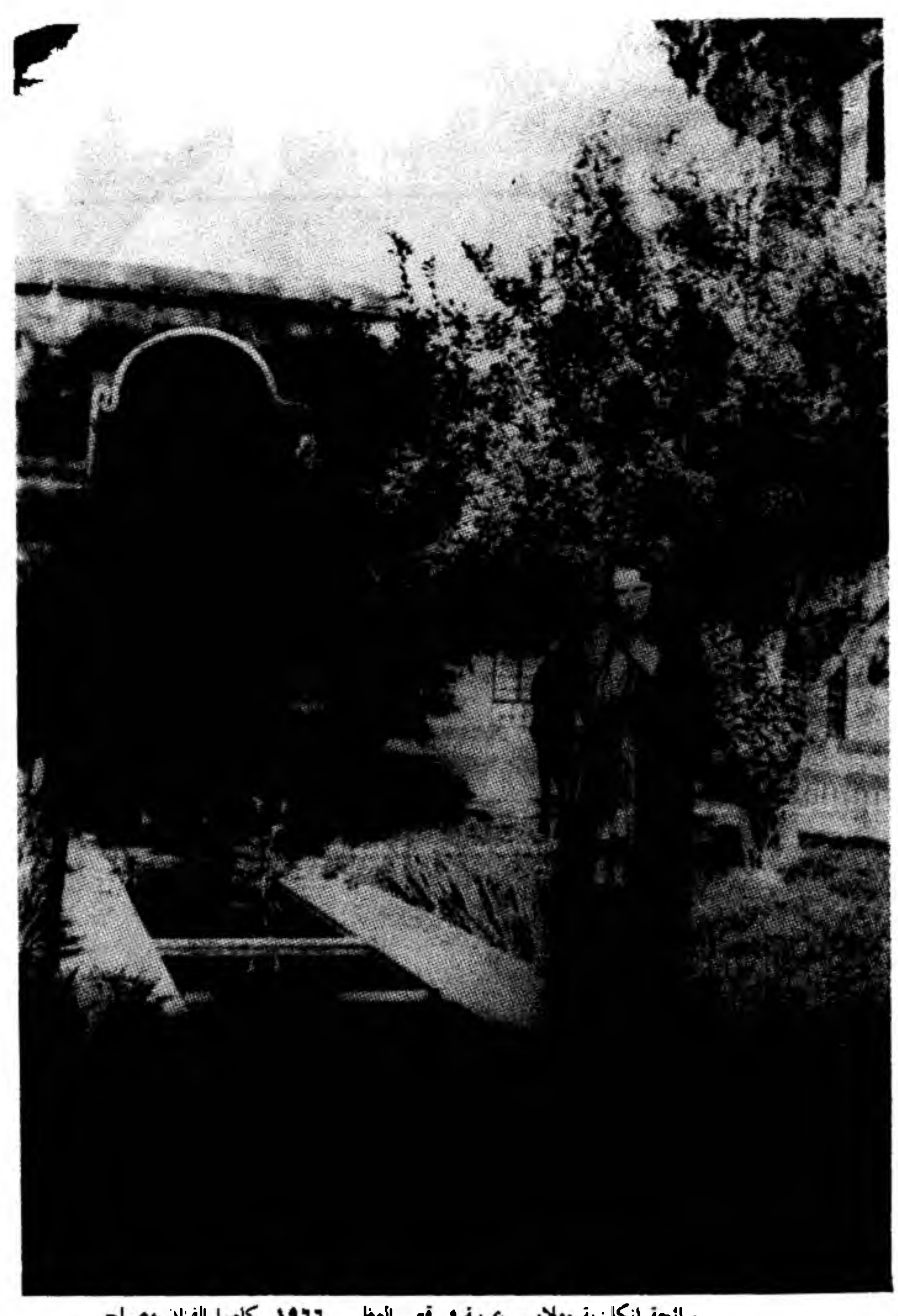
أبي فهمي وأمي عزيزة وأخي محمد علي وزوجته في جلسة عائلية سعيدة في بيتنا في حي السبكي . أبو رمانة . دمشق . عام ١٩٦٤ . كاميرا الفنان عبد الكريم الأصفر — حماه .



أبي فهمي وأمي عزيزة وأخي صلاح وأنا وأولاد أخي في جلسة عائلية سعيدة على جهاز عرس أبي وأمي الصدف . في بيتنا في حي السبكي ، دمشق الجديدة . أبو رمانة . ١٩٦٨ . كاميرا الفنان عبد الكريم الأصفر — حماه .



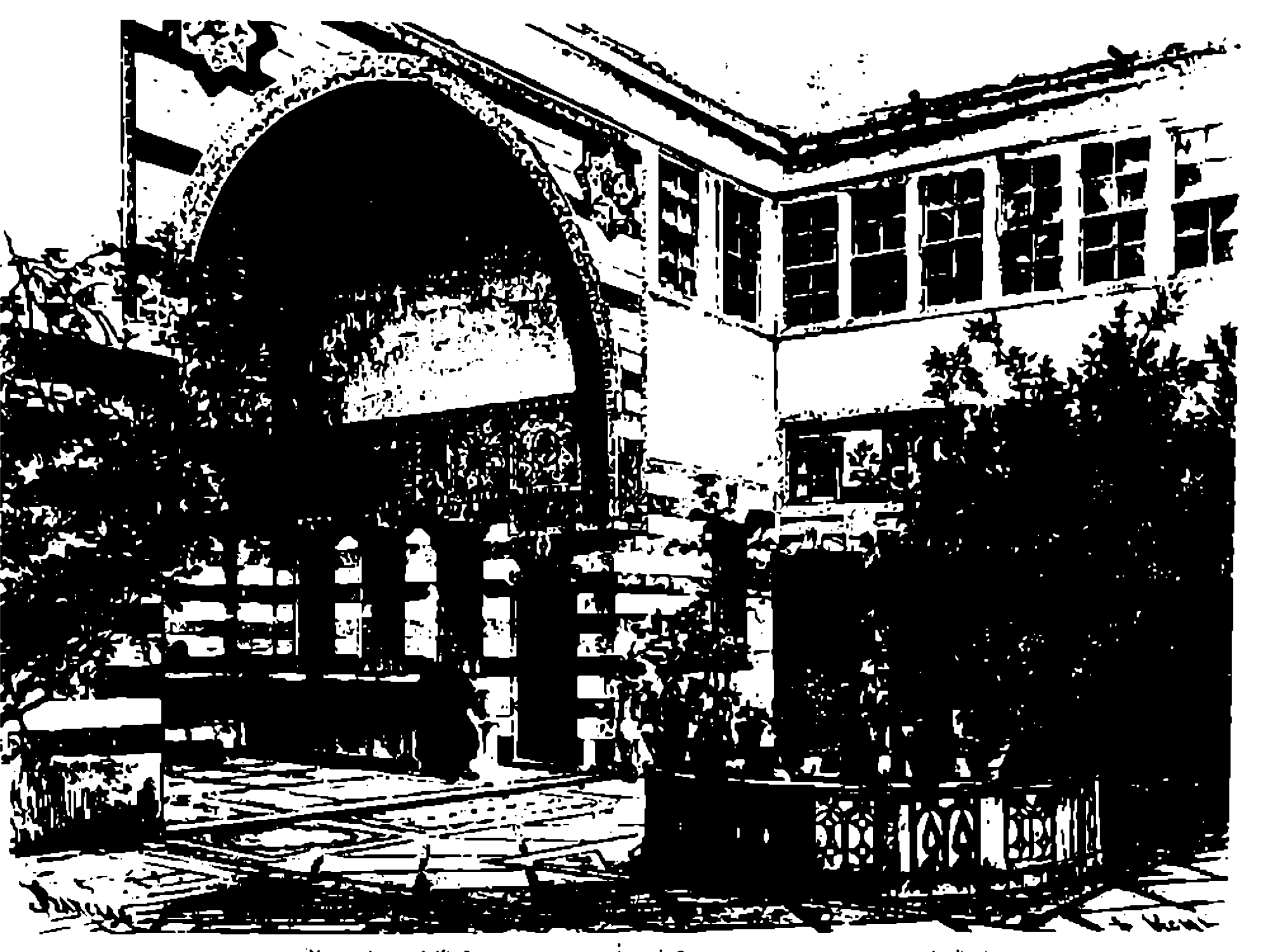
سوق الحميدية. دمشق ١٩٦٠. كاميرا الفنان علي مارديني — دمشق.



سائحة انكليزية وملابس عربية في قصر العظم . ١٩٦٦ . كاميرا الفنان مصباح السراج — حماه .



خان في دمشق. ١٨٤٣. بريشة فنان أوروبي. من مجموعة الدكتور يوسف سمارة — دمشق.



دار السباعي. بيت عربي دمشقي. بريشة فنان أوروبي. من مجموعة الفنان مروان مسلماني — دمشق.



نساء دمشقيات في بيت عربي دمشقي. دمشق. ١٨٤٣. بريشة فنان أوروبي. من مجموعة الفنان مروان مسلماني — دمشق.



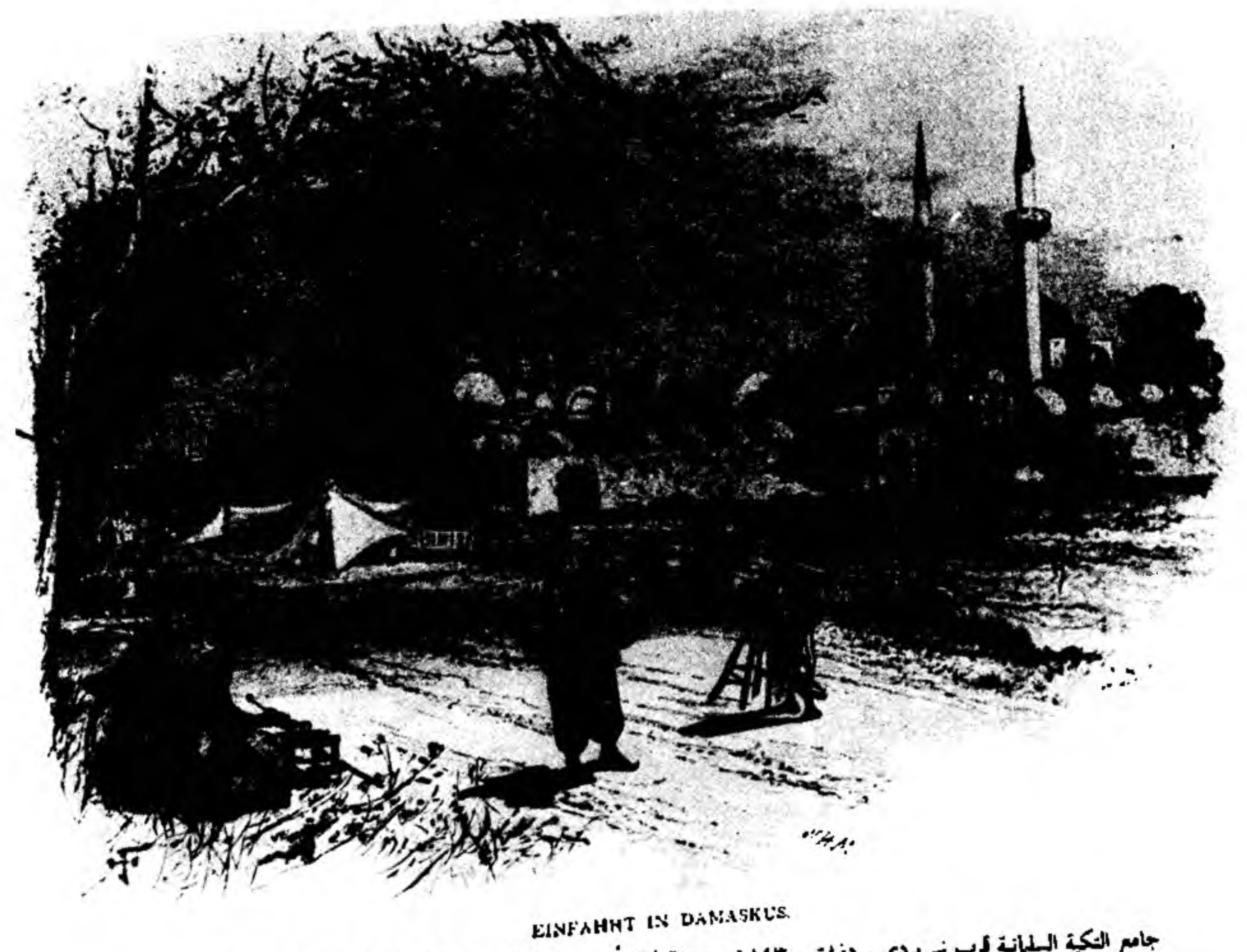
باب شرقي. دمشق. ١٨٤٣. بريشة فنان أوروبي. من مجموعة الفنان مروان مسلماني — دمشق.



غلاف كتاب باليستينا. فلسطين باللغة الألمانية ومترجم عن الإنكليزية ١٨٨٣. إعداد جورج إيبرس. وهرمان جوتة. ويضم صور بلاد الشام ١٨٤٣. بريشة فنانين أوروبين انكليز وألمان صوروا سورية وفلسطين والأردن ولبنان عام ١٨٤٣، في لوحات فنية واقعية خالدة. والكتاب من مجموعة كتب الدكتور يوسف سمارة النادرة في دمشق.



الغوطة حول دمشق من جبل قاسيون — ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي . من مجموعة الدكتور يوسف سمارة — دمشق .



EINFAHRT IN DAMASKUS

جامع التكية السليمانية قرب نهر بردى . دمشق . ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي . من مجموعة الدكتور يوسف سمارة — دمشق .


Libanon gemacht. Durch ſeinen heimlichen Uebertritt zum Chriſtenthum waren die chriſtlichen Maroniten, deren Hauptſitze uns ſpäter in der Nähe von Beirut begegnen werden, ſeine naheren Freunde geworden. Die Unzufriedenheit mit den Zwangsmaſsregeln, durch welche der Emir Beſchir und Ibrahim Paſcha die Militaraushebung durchführen wollten, erregte daher zunächſt die Gemüther der Druſen. [illegible] Widerſtand ſuchte der Emir durch Entwaffnung zu brechen. Ibrahim Paſcha aber erſtickte [illegible]

مقهى قرب نهر بردى . دمشق ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي . من مجموعة الدكتور يوسف سيارة — دمشق .



سوق الخيل. دمشق. ١٨٤٣. بريشة فنان أوروبي. من مجموعة الدكتور يوسف سيارة — دمشق.



سوق الخيل الذي تحول إلى سوق العتيق وسوق للخضار والفاكهة واللحوم. دمشق. ١٩٦٦. كاميرا الفنان مصباح السراج — حماه.



حارة في دمشق . عام ١٨٤٣ بريشة فنان أوروبي . وكأنها حارتنا حارة القره ماني في سوق ساروجة قبل مئة سنة ونيف . من مجموعة الدكتور يوسف سمارة — دمشق .

[illegible] Achtung, [illegible] des [illegible] Weins. [illegible] der französischen [illegible] ließ er ein Gartenrestaurant nach abendländischem Muster einrichten. Aus einer anziehenden Umgebung von Rasenplätzen und Blumenbeeten



DIE GROSSE PLATANE IN DAMASKUS
Ihr Umfang beträgt [illegible] Meter

erhob ſich bald ein freundliches Gebäude mit Billardzimmer und geräumiger Veranda. Die Gäſte ſaſsen auf Bänken und Stühlen an einzelnen Tiſchen, wie die Sitte des Abendlandes es fordert, und tranken nicht nur Scherbet oder Kaffee, ſondern auch Wein und andere geiſtige Getränke nach dem Geſchmack der Franken. Die Konzerte, welche in der Kühle des Abends ſtattfanden, ließsen keinen Zweifel darüber, daſs hier wirklich die

شجرة الدلب في العصرونية وقطرها ١٢م . دمشق ١٨٤٣ . بريشة فنان أوروبي .
من مجموعة الدكتور يوسف سمارة — دمشق .


مع أنني كنت صغيرة..
لا زلت أذكر متعة
السيران بعربيات
الخيل للربوة والشادروان
ودمر والهامة..
واللعب بين شجر
الجوز والرمان والصفصاف
على ضفاف نهر بردى
سقى الله..
أيام زمان..
في الربوة ودمر والهامة.
السعر ٤٠ ل.س أو ما يعادلها